

إحياء علوم الدين

للإمام الفسزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفسزالي
وفلسفته في الإحياء
بمقدّم

الدكتور زيد بن طه

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزة بن الفسزالي

From the Library of
Muhammad T. Hozien

الجزء الثالث

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(فراى كرم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربيع لله لكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تحرير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش فى مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، الطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، المستغنى فى تدبير مملكته عن المشاور والموازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وستار الصيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر اللعدين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : خفف الانسان فضيلته التى فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداد لمعرفة الله سبحانه التى هى فى الدنيا جماله وكاله وغره وفى الآخرة عذبه وذخره . وإنما استعد له معرفة بقلبه لا بمحارحة من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو للتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعى إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتياع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعى للرعية والصانع للألة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو الطالب وهو الخاطب وهو العائى وهو الذى يسعد بالقرب من الله فيفلق إذا زكاه وهو الذى يحجب وبشقى إذا دنسه ودماء وهو الطبع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصى المتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من القواش آثاره ، وباطلامه واستتارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذى إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذى إذا جهله الانسان قد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين الرء وقلبه ويحولته بأن يمنه عن مشاهدته ومراقبته وسعرة صفاته وكيفية قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عديدين ويرتقى إلى عالم اللاتسكة للقرين ومن لم يعرف قلبه لم يعرف ربه وبراعته ويرصد لما يلوح من خزائن المكوث عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - فعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طرق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب عجائب القلب)

[الباب الثلاثون فى

تفاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس المبدلية أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكنز التواضع والحكمة

يقم نفسه عند كل

أحد مفادرا يعلم أنه

يقيم نفسه ويقيم كل أحد

على ماعنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يتعلمها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القدسي

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من المبادات والمعادات وهو العلم الظاهر ووجدنا أن تشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات الهللكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتاباً في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تندفع بعد ذلك في تفصيل الهللكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأذهان فإن التصريح ببجائبه وأسواره الماخلة في جملة عالم اللسوك مما بكل عن دركه أكثر الأذهان .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حقول الطساء من محيط هذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسبباتها ، وأكثر الأفعال منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بمرئنا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الضویری الشكل للودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعده ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للنبات ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فثلا عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسدي تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو للدرك العالم العارف من الانسان وهو الخادب والمغاب والعايب والطالب ولها علاقة مع القلب الجسدي وقد تعجرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالوصفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق التمكن بالسكان وشرح ذلك مما شوقه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بالروح السكيفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا العلوم للعامة .

والثاني أن عقبيه يستمدعي إفتاء سر الروح وذلك مما يشكك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يشكك فيه ، والنقص إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم العامة ينقل إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا ينتقل إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بحس غرضنا لمعنيين : أحدهما جسدي لطيف منه تجويف القلب الجسدي فيتنسج بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وقضائ أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي قضائ النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا يتنسى إلى جزء من البيت إلا ويستقر به والحياة مثلاً النور الحاصل في الحيطان والروح مثلاً السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يمارسون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين الله لجين لا قباب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بجرس هذه الروح أصلاً . المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة الدركة من الانسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يشكك في الروح مفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لمبة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضوا ولا يبغي بعضهم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحجب دعوة الحر والعبد وقبل الهدية ولوائها جرة لين أو غذارب ويكافئ عليها ويأكلها

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أبداً عرش الله ذكره سبحانه فان ذلك حال بل أراد به أنه ملكته وألمح إلى الأول لثديده وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضاً لا يليق بفرشنا فغلبت لوزة .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - فطبعه الله في القلوب والأرواح وغيره من العوالم جنود مجتدة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي ينطق بفرشنا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالباطن وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو لا تصرف فيها ولتردد لها وقد خافت مجبولة على طاعته لا يستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً فإذا أمر العين بالانفتاح اقتضت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم بالحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجهه تسخير اللاسلكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافاً بل لا يصفون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفرقان في شيء وهو أن اللاسلكة عليهم السلام عالة بطاعتها وامتثالها والأبصار تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والفراد لسفرو الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للنازل إلى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبة البدن وزاده العلم وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى للزنتين فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم فالبدن مركبة التي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعمد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافق من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما يتنافى من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جند بطن وهو الشهوة وظاهر وهو البدن والأعضاء الخالصة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع الهلكات إلى جند بطن وهو التنبذ الذي به يدفع الهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمور خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وقودها ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفع شهوة الغذاء وإنه فافتقر للمعرفة إلى جند بطن وهو إدراك السمع والبصر والشم والذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيره وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها بطول ولا تخو به مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع للوافي كالشهوة وإما إلى دفع الضار النافي كالغضب وقد عبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو الحركة للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للترف للأشياء كالحواس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة فوجبر عن هذا بالمدرك والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والجم والصب

منقصة وذلك في نفسه من غير مسكنة مثل الجنيد من التواضع قال خضع الجناح ولين الجانب . وسئل الفضيل عن التواضع قال خضع لحق وتقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه . وقال أيضاً من رأى نفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وقال وهب بن منبه مكتوب في كتب الله إلى أخرجه الله من صلب آدم فلم أجدها أبداً وأما إلى من قلب موسى عليه السلام فذلك اصطفته وكلمته ، وقيل من عرف كوامن نفسه لم يطعم في الصلو

والدم والمظلم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أغنى الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أبدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدرنك من هذه الجهة ينقسم إلى ما قد أسكن النازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أغنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاذف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بصيرة التي يضمن عبث فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظة ثم يشكر فيها حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يترك ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالأس للترك بين المحسوسات في الباطن حس مشترك وتخييل وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والتذكر والتخييل لكان الدماغ غلوته كآخواليدوارجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحث يدرك فهم الضعفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأدوياء والقول من العلماء ولكننا نعتد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد يتقادان القلب اقتيادا تاما فينبه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو جسده وقد يستصيان عليه استصاء بني ونمرود حتى يهلكه ويستبدله وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وقلب جنود آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجنود فانه حزب الله تعالى على الجنود الباطنة فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جنود الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرا تامينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فبا يفتن العقل إليه ونحن نهرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعنى بالنفس اللطيفة للذ كورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية الفكرة له كالشريف الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالسيد السوء يجب الطعام واللبدة إلى المدينة والغضب والحمية كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يشتمل بصورة الناصح ونعت نصحه الشر المائل والناسم القاتل وديده وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى إنه لا يخلو من منازعة ومعارضة ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشير الله ومعرضا عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بأشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وسامه لوزيره وجهه ومؤثرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد موسما لآلائها وأمورا مدبرا لا أمرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استماتت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستماتت باحداهما على الأخرى تارة بأن تغلب مرتبة الغضب ولوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسلط الغضب والحمية عليها وتقييد مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من أخذ إله هواه وأضل الله على علم - وقال تعالى حواجج هواه فله كمثل السكاب إن تعمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فمن هي النفس عن الهوى

والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يغاصم من نفسه ويشكر الله لمن يحمد وقال أبو حفص من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليزمن بحرمتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يتقدمهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء معطية ومطية العمل التواضع . وقال الثوري خمسة أنس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيه صوفي وغنى متواضع وقدير خا كوشريف سخي . وقال الجلاء لولا شرف التواضع كنا إذامشينا نخطو وقال يوسف بن أسباط وقد شمل ما غاية التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسياق كفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بسبها على بسن في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . الثالث : اعلم أن البدن كالدبابة والمقل أعمى للدرك من الانسان كذلك مدبرها وقوله الدرك من الخواص الظاهرة والباطنة بكنزهم وأعوانه وأعضاؤه كرميته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والنضب كمدو ينازعه في محاسنه ويسمى في إحلاك رعيته نصار بدنه كرباط وتفرغته كتميم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقرهه على ما يحب حمد أمره إذا عاد إلى الحضرة كالقائه تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة - وإن ضيع نفروهم وأهل رعيته ذم أمره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الفالة ولم تحجر الكبر اليوم أنتنم منك^(١) كلورد في الحيرة إلى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»^(٢) للثالث الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشبوته كغفره وغضبه ككلبه ففى كان الفارس حاذقا وفرسه مبروضا وكلبه مؤدبا مطا كان جديرا بالتبحر ومضى كان هو في نفسه أخرى وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه يثبت تحته متقادا ولاكلبه يسترسل بإشارته مطيحا فهو خلق في أن يطلب فضلا عن أن يبال ما طلب وإنما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة النضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بطلعه .

(بيان خاصية قلب الانسان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي إذ للحيوان الشهوة والنضب والخواص الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى القتب بيننا تقطع عداوته بقلها تقرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فأنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فان هذه الأمور وراء المحسوسات ولا يشترك فيها الحيوانات بل العلوم السلكية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظر يات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة الصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والعقل يريد ما يطلبها ويسذل للال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأعطية في حين للرض والعقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للعرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضامنا على التحقيق فاذن قلب الانسان اخضع بلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبي في أول النطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والنضب والخواص الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان : أحدها أن يشتمل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الجرب لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من يترك فلا تلقى
أحدا إلا رأيته خيرا
منك ورأيت شيئا
ضياء الدين أبا النجيب
وصحكت معه في
سفره إلى الشام وقد
بعث بعض أبناء الدنيا
له طعاما على رؤوس
الأسارى من الأفرنج
وم في قيودهم فلما
مدت السفارة والأسارى
يتظرون الأوانى حتى
تفرغ قال للخدام
أحضروا الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفقراء فجاء بهم
وأندم على السفرة
مناوذاة قوم الشيخ
من سجداته ومشى
إليهم وقعد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نزل بطنه

على - ثم العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة السحجات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قرية الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون الربة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالفزونة عنده فاذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشرًا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكترة للمعلومات وقلتها وبصرف المعلومات وخسنتها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بالإهام إلى على سبيل البادئة والكشفة وبعضهم يتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطي . الحصول وفي هذا اللقاه ثقبان منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتبة التي التي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلى في أسرع وقت وهذه السعادة يقرب البعد من الله تعالى قريبا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يصر كل سالك منزله الذي يأنه في سلوكه فيعرفه ويصرف ما خلفه من التنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيمانًا بالقلب كما أن تؤمن بالنبوة والتي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا التي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يتبعه من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما اقتنع الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته - ما يتبع الله الناس من رحمة فلا يحسك لها - وهذه الرحمة مبدولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب للعرضة لتفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لتفحات ألا تفرضوا لها (١) » والتمرض لها بتطهير القلب وتزكيت من الحث والكدورة الحاصلة من الأخلاق السمومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سما الدنيا فيقول هل من داع فأستجيب له » ويقول عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « قد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى قائلهم أشد شوقا (٢) » ويقول تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا (٣) » كل ذلك اشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب ليعزل ومنع من جهة اللثم ، تعالى عن البخل والنع علوا كبيرا ولكن حجب لث وكدورة وغفل من جهة القلوب فان القلوب كالأواني المدامات ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها العرفة بجلال الله تعالى وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٤) » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الانسان العلم والحكمة

من التواضع في الانسكار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلوه وعمله . أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين القارسي يقول سمعت الجريري يقول سمع عند أهل العرفة أن للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في اللسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتاله بلاياه . وأما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

- (١) حديث إن لربكم في أيام دهركم تفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل قد طال شوق الأبرار إلى لقائي الحديث لم أجده أصلا إلا أن صاحب الفردوس خرج من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولمه في مسند الفردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم في الصيام .

والنسيم على فسه
والحياء من ربه وقال
يحيى بن معاذ التواضع
في الخلق حسن ولكن
في الأغنياء أحسن
والتكبر مع في الخلق
ولكن في الفقراء
أصح . وقال ذو النون
ثلاثة من علامات
التواضع تصغير النفس
معرفة بالعب وتعظيم
الناس حرمة للتوحيد
وقبول الحق والصيحة
من كل واحد . وقيل
لأبي يزيد متى يكون
الرجل متواضعا قال إذا
لم يرى لنفسه حقما ولا
حلا من علمه يشرها
وازدراها ولا يرى أن
في الخلق شرا منه .
قال بعض الحكماء
وجدنا التواضع مع
الجهل والبخل أحمد

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كال الانسان وفي كماله سعاده وصلاحه لجوار
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
التي لأجله خلق . وكما أن القرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويغنى عنه بخاصية السكر والقر
وحسن الهيئة فيكون القرس مخلوقا لأجل تلك الخاصة فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار
وكذلك الانسان يشارك الحمار والقرس في أمور وبغايرهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصة من
صفات الملائكة الثاليتين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من
حيث يتفدى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاخبار طيوان ومن حيث صورته وقامته
فكالمصورة للنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فان استعمل جميع أعضائه وقواه
على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشرا إن هذا
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام قد انحط إلى
حضيض أفق البهائم فبصر إما غمرا كثور وإما شرها كغزير وإما ضريبا ككلب أو سنورا أو حقودا
كجمل أو متكبرا كعمر أودا روغان كغالب أو يجمع ذلك كله كديكتان مريد ومنهم من يعضد
الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجهه
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقرا والدنيا منزله والبدن مركبه
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجرى
القوة الحيالية الودنية في مقدم الدماغ يجري صاحب يريده إذ تجتمع أخبار الحسوسات عنده ويجرى
القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ يجري خازنه ويجرى اللسان يجري ترجمانه ويجرى الأعضاء
التي تتحرك يجري كتابه ويجرى الحواس الخمس يجري جواسيسه فيؤكل كل واحد منها بأخباره من
الأصناف فيؤكل العين عالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائر أفعالها
أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الحيالية التي هي كصاحب البريد
وبسند صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقع عدوه الذي هو مبتلى بؤدفع
قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفا سميحا شاكرا نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة
أو استعملها لسكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحفظوط العاجلة أو في عمارة طريقه
دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطئه ومستقره الآخرة كان مخذلا شاكرا كفرابنمة
الله تعالى مضيعة لجنود الله تعالى ناصرا لأعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق القتل الأبداني للقلب
والعاد نعوذ بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة
رضي الله عنها فقالت للانسان عينا هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه بريد
واقبل منه ملك (١) فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول . وقال على رضي الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آية وهي القلوب فأجها

(١) حديث عائشة الانسان عينا هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولاسم من حديث
أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

إليه تعالى وأرقها وأصفها وأصلها ثم فسره فقال أصلها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كشكة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثله)

اعلم أن الانسان قد اصطحب في خلقه وركبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبعة والبرمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلب عليه الغضب يتعاطى أهوال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والقتل ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أهوال البهائم من الشره والحرص والشيغ وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فانه يدعى لنفسه الربوية وبهجه الاستلاء والاستلاء والتخصص والاستبعاد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلاخ عن ربة اليهودية والتواضع ويشتهى الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والعرفة والاحاطة بحقائق الأمور وخرج إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والانتبلاء بالخير على جميع الخلق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يغش عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية ضار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبعة والبرمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير وكتب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير منسوما لونه وشكله وصورته بل لجشمة وكيه وحرصه والكتب هو الغضب فان السبع الضاري والكتب المقور ليس كلبا وبما باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعة الضاروة والعدوان والضرور وباطن الانسان ضاروة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبهه فالخنزير يدعو بالشر إلى الفحشاء والسكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإبذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغيب السبع ويضري أحدهما بالآخر ويحسن لها ما مما يجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كبد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بصبرته النافذة ونوره للشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضاروة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياطه فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر المدلى مملكة البدن وجرى السكل على الصراط للستقيم وإن هجز عن قهرها قهره واستخدمه فلا يزال في استنباط الحبل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائميا في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والمحب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم المعجزة ولو كشف الغطاء عنه تركه كشف حقيقة حاله ومثله حقيقة حاله كما يمثل المكشوفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكبا أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فلهما حاج الخنزير لطلب شيء من شهواته أنبت على القور في خدته وإحناض شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب مقور عابدا له مطعما ماعلا يفتضيه ويلتصقه مدقا

من الكبر مع الأدب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرسم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة والتواضع وأما البلاء فالكبر . والبكشفت عن حقيقة التواضع أن التسواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعفة والكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعفة وضع الانسان نفسه مكانا ينزى به ويغضى إلى تضيق حقه وقد اتهم من كثير من إشارات اشاع في شرح التواضع أشياء إلى حد أنهم التواضع بنسبه مقام الضعة ويولوج فيه الهوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير وبشر
الكلب ويحبهما على استغنامه فهومن هذا الوجه يبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته
وسكاته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بين البصرة فلا يرى إن أنصف نفسه لإساعيا طول
التيار في عبادة هؤلاء ، وهذا غاية الظلم إذ جعل للمالك مخلوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والعاقر مقهورا
إذا العقل هو للشيخ السيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلأجزم ينتشر إلى قلبه
من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا وربنا مهلكا للقلب وميتاله أما طاعة الخنزير
الشهوة فيصدر منها طاعة الوقاحة والحث والتبذير والتفتير والرياء والتمسك والمجانة والبغث والحرص
والجشع واللقا والحسد والحقد والثبابة وغيرها وأما طاعة كلب الضب فتنتشر منها إلى القلب صفة
التبور والبذلة والبخ والصلف والاستشاطاة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق
وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها طاعة السكر
والخداع والحيلة والبدعاء والجراعة والتلبس والتضريب والتش والحب والحقا وأمثاله ولو عكس
الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة
واليقين والاحاطة بمقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم
والبصرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا تنتشر
إليه من ضبط خنزير الشهوة وردة إلى حد الاعتدال صفات شريرة مثل الغفة والقناعة والهدوء والزهو
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والتساعدة وأمثاله ويحصل فيه من ضبط
قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم
والإحسان والعفو واللين والتبلى والتسامية والورع وغيرها فالقلب في حكم مرآة قد اكتسفت هذه
الأمور لثورة فيه وهذه الآثار على التواصل واصله إلى القلب أما الآثار المضمومة التي ذكرناها فانها تزيد
مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه حلية الحق ويتكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب
في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله عليه السلام «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه» (١)
وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ» (٢) وهذا القلب هو الذي
يستغفره الله كقول الله تعالى - ألابد كراثة تطمئن القلوب - وأما الآثار المضمومة فانها مثل دخان
مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية
محبوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلابد إن على قلوبهم ما كانوا يكسبون -
وقال عز وجل - أن نشاء نصبهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع
بالطبع بالذنوب كاربطة السماع بالتقوى فقال تعالى - واتقوا الله واسمعوا - واتقوا الله ويسلمكم الله -
ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يسمى القلب عن إدراك الخلق وصلاح الدين ويستبين
بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور المهمة عليها فاذا قرع صممه أمر الآخرة وما فيها من
الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك
الذين يسموا من الآخرة كما يشي الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو مسمى اسوداد القلب بالذنوب
كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس
من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ
لم أجده أصلا .

الافراط إلى حضيض
التفريط ويوم
انحرافا عن حد
الاعتدال ويكون
نصدم في ذلك اللبالة
في قبح قوس الرديين
خوفا عليهم من العجب
والعجب قسلا أن
ينفك مريد في مبادئ
ظهور سلطان الحال
من العجب حتى لقد
نقل عن جمع من
السيكاريات مؤذنة
بالعجب وكل ما نقل
من ذلك القليل من
الشايح لبغايا السكر
عندهم وانحصارهم في
مضيق سكر الحال
وعند الخروج إلى
فضاء الصحوف ابتداء
أمرهم وذلك إذا حلق
صاحب البصرة نظره
يلم أنه من استراق

فإذا هوزع وتاب عقل وإن عاد زيد فباحق بقلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس» (١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصفة للقلب ومعاينه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وعما أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرأة التي يتنفس فيها ثم تنفس ثم تنفس ثم تنفس فأنها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب النفاق وقلب مصفح فيه إيمان وثاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقرة بعدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بعدها التبيح والصديد فأمر للادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإسارته يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز ببقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى الطبقة الدورية لجميع الجوارح وهي الطاعة المهدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرأة بالاضافة إلى صور التلونات فكما أن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرأة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في المرأة القلب وتنصق فيها وكما أن المرأة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرأة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول التمثل في المرأة وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بينه في اليد والمعلوم بينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها وتمثيله بالمرأة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرأة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرأة لا تتكشف فيها الصورة لجهة أمور : أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويسقى : والثاني لجهته وصدته وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرأة . والرابع لجهاب مرسل بين المرأة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتمدر بسببه أن يغاضى بها شطر الصورة وجهها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استمرت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا ينفق على الوقت وصلافة الحال فيصكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء منلى وقول بعضهم قدسى على رقبة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسربت والخت وطفلت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى ضرره في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم .

لكدورة للعاصي والحب الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب
وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكبه وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ومن قارف
ذنباً طارقه عقل لا يهود إليه أبداً (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثارها ذكراً حتى يتبينه بحسنة
يعمده بها فهو جاه بالحسنة ولم تقدم السببة لازداد لامحالة إشتراق القلب فها خدمت السبب تسقط
فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السببة ولم يزد بها نوراً فهذا خسران مبين
وتحسان لاحبة له فليست المرأة التي تتدنس ثم تنسج بالمصقة كالتي تنسج بالمصقة لازدادة جلالها من غير
دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجعل القلب وصيه
وقد قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً - وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بمعامل
ورثه الله علم ما لم يعلم (٢) . الثالث أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب الطبع
الصالح وإن كان صافياً فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذياً لمرآة مطهر
للمطلوب بل ربما يكون مستوهم لهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بنسبة أسباب للعيشة ولا يصرف
فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والخلائق الخفية الإلهية فلا يكشف له إلا ما هو متشكك فيه
من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها أو معاصي للعيشة إن كان متفكراً
فيها وإذا كان يقيد لهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فها تنكف عن
صرف العلم إلى الشهوات الدنيوية ولذا دعا وعلاها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي . الرابع الحجاب
فان للطبع القاهر لشهواته التجرد الفكر في حقيقة من الخلائق فلا يتكشف له ذلك لكونه محجوباً
عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين
حقيقة الحق ويمنع من أن يتكشف في قلبه خلاف ما تلقاه من ظاهر التقليد وهذا واضح حجاب عظيم
به حجب أكثر التكميليين والتصبيين للمذاهب بل أكثر الصالحين للتفكير في ملكوت السموات
والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في قوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم
وبين درك الخلائق . الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها الشور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه
أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورثها في نفسه ترتيباً
مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار ضد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتجلى حقيقة المطلوب
لقبله فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم الخاصة به كل علم لا يحصل إلا
عن علمين سابقين بأنلقان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال
ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى ثم كما أن من أراد أن يستخرج مكة يسكنه ذلك من حمار
وسير وإنسان بل من أصل مخصوص من الجبل الله كروا الأثر وذلك إذ لو تم بينهما ازدواج مخصوص
فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان بينهما طريق إلى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم السفاد
المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل
بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى تمام مثلاً بالمرآة فانه إذا رجع المرآة بازواجه
لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رصها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة
عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى يصبها وراء القفا وهنه في مقابلتها
بحيث يصيرها ويرى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تتطبع صور القفا في المرآة الثانية فيطبع صورة

إشتراق النفس السمع
فلين ذلك بيزان
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتواضعهم
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستبصارهم
أن يجوز قلبه التظاهر
بشيء من ذلك ولكن
يجعل الكلام الصادق
وجه في الصفة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
في سكر الحال وكلام
الكارى يجعل فالشايخ
أرباب التكميليين لما علوا
في النفوس هذا الداء
الذين بالقوا في شرح
التواضع إلى حد الحفوة
بالضمة تداء والمرتدين
والاعتدال في التواضع
أن يرتضى الإنسان
بغزلة دون ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جروح النفس لأوقتها

(١) حديث من قارف ذنباً طارقه عقل لا يهود إليه أبداً لم أره أصلاً (٢) حديث من عمل بمعامل
ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

هذه اللآة في اللآة الأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا كذلك في اقتناس العلوم طرق هيمية فيها ازورورات وتحرقات أعجب بما ذكرناه في اللآة يمز على بسط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الازورورات فهذه الأسباب النافعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والافتكال قلب فهو بالقطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصة والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار منطقاً لحمل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يبطئ عن التوضي بأعيانها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها وقلنا قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويعجمانه ^(١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ^(٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله إن الله في الأرض أوفى السماء قال في قلوب عباده المؤمنين ^(٣) » وفي الخبر « قال الله تعالى: لم يسمي أرضي ولا سمائي ووسمي قلب عبدي المؤمن الذين الودع ^(٤) » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القاب فقيل وما مخوم القلب فقال هو التي التي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد ^(٥) » ولذلك قال عمر رضي الله عنهما في قلوب بني آدم إذا كان قد رفع الحجاب بالقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جعلها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادرالك البصائر فلأنها تارة، ثم الذي يلوغ للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعباده من أفعاله فلا يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبقدر ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الخوارج كلها تصفية القلب وزكايته وجلالته قد أفلح من زكاهها ومراد زكايته حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة وهو الراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ويقول له أفمن شراح الله

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث منقبط عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ ولطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله آية من أهل الأرض وآية ربك قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحدث (٤) حديث قال الله ما وسمي أرضي ولا سمائي ووسمي قلب عبدي المؤمنين الذين الودع لم أره أصلاً وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله وآية ربك قلوب عباده الصالحين وأجها إليه أليها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخوم القلب الحديث ه من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجحوش في جملة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة الثارية وطلب الاستسلام بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتدأوى بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا ينطبق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من المخوفين يكون كاذباً والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة الحاسن والجهل بالانصلاح من الانسانية حقيقة وقد

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجل وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان التلكمين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وتبين ذلك هذه الراتب مثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من جريته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهتم في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن غيره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز صموا من آياتهم وأمانيهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وأسرفاته وبنة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما صموا به قبله وثبتوا عليه وأطعوا نوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه فلم يحسن ظنهم بآياتهم وأمانيهم ومعطيهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رب أصحاب الجن وليسوا من القريين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فباعث من الأحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فتعقوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آياتهم وأمانيهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم أتى إليهم الخطأ والهلون واعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن أتى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقتك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم صمت صوته ازدادت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن ينطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق الهاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يحمل لفتحة موحنا ولا يقدر في هذا التليس والهاكاة غرضا . الرتبة الثالثة : أن تدخل الدار فتنظر إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحنيفية والشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة القريين والصدقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فطرية في إيمانهم إيمان العوام والتمككين ويتميزون بحرية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف، أما درجات العلوم فثلاثة أن يعرض زيدا في الدار عن قرب وفي ضمن الدار فوق إشراق الشمس فيكده لإدراكه والآخر بدركة في بيت أو من بعد أوفى وقت عشرة فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في غسه الدقيق والحفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت للشاهدة للأشور الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا لفرقة ذلك تزيد بكثر المعلومات لاحتالة فهذا حال القلب بالإضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والأخرية)

اعلم أن القلب بمرزته مستند لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحمل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دينية وأخرية أما العقلية فخصي بها ما يقتضيها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يندري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا مدومنا فان هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مغطورا عليها ولا يدري متى حصله هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له - بياقريا - وإلا فليس يعني عليه أن افهمه الذي خلقه وهده وإلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن
الكبر بخوله تعالى - إنه
لا يحب للتكبرين -
وقال تعالى - أليس في
جهنم مثوى للتكبرين -
وقد ورد « يقول الله
تعالى : التكبراء ردائي
والمنطقة إزارى فني
نازعى واحدا منها
قصته » وفي رواية يذنبه
في نار جهنم . وقال عز
وجل ردائي للإنسان في
طغيانه إلى حده :
- ولا تمس في الأرض
مرحا إنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ
الجبال طولا - وقال
تعالى - فلينظر الإنسان
مم خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قلل الإنسان
ما أكفره من أي شيء
خلق من نقطة خلقه

وأيت العقل عظيم فطبيع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يكن مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو الراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» والثاني هو
الراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعل رضى الله عنه «إذا تحرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر تحرب
أنت بقلبك» إذ لا يمكن التقرب بالفرصة القطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكسبة ولكن مثل
على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتباس العلوم التى بها ينال التقرب من
رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار
لطيفة تغدق فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غشى عليه أوجس عليه الليل والعلم الحاصل منه فى
القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى
مدة الصباح إلى أوان التغيير أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان
نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس
وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يشأ بهد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن
خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم
الإنسان ما لم يسلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا
خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من
هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فإن البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة
للدركة وهى كالقارس والبدن كالقارس وعنى القارس أضمر على القارس من عنى القارس بل لا نسبة لأحد
الضمرين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر صمد الله تعالى باسمه قال - ما كذب القواد
مارأى - عنى إدراك القواد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم منكسوت السموات
والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض فى
معرض الاستئذان ولذلك عنى ضد إدراكه عنى فقال تعالى - فأنها لا تسمى الألبصار ولكن تسمى القلوب
التي فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم
العقل - أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك
يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب
وسلامته عن الأدواء والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية لسلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن
العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق
التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يهتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بدسماعه إلا بالعقل فلاغنى للعقل
عن السماع ولاغنى بالسماع عن العقل فالداعى إلى محض التقليد مع عزل العقل بالسكينة جاهل والمكتفى
بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مفرور فذلك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين
الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستغنى بالتدواء
مضى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهى
وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

قد مر وقد قال بعضهم
لبعض التكبرين أو لك
نطفة مفردة وآخره
جيفة فذرة وأنت فيها
بين ذلك حامل العذرة
وقد نظم الشاعر هذا
للعنى :

كيف يزهو من رجبه
أبد الدهر ضيجه
وإذا ارتحل التواضع
من القلب وسكن
الكبر انتشر أثره فى
بعض الجوارح وشرح
الاناء بما فيه فتارة
يظهر أثره فى العنق
بالنمائل وتارة فى الخد
بالتصغير قال الله تعالى
- ولا تصغر خدك
للناس - وتارة يظهر
فى الرأس عند استعصاء
النفس قال الله تعالى
- لو تأمروهم يصدون وهم

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل الحكيم فى نوادر الأصول بإسناد ضعيف
وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تحرب الناس إلى الله بأنواع البر تحرب أنت بقلبك أبو نعيم من
حديث على بإسناد ضعيف .

لأرض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى للريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن جمى في عين البصرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيمنع عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتجبر به فينسل من الدين انسداد الشرع من العجين وإنما ذلك لأن هجرته في نفسه خيل إليه قضا في الدين وهبات وإعسانه له مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فحضر فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق فلا ترد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدى للطريق لهماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وإنما تحيلها على تصغير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية. والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخرى فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخرى كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وأفعاله كالفلسفة في كتاب العلم وهما علمان متمايزان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعدي فيه فصرته بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفتى البزان وكالشرقى والقرب وكالضربين إذا أرضيت إحدها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما ناعما من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة إليه ^(١) » أى إليه في أمور الدنيا. وقال الحسن في بعض مواعظه لقد أدر كنا أقواما لو رأيتهم قتلهم مجانين ولو أدر كوكم قتلوا عياطين فهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جعده أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك جوعدهم عن قبوله إذ من الهال أن يظفر سالك طريق للشرق بما يوجد في الغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - الآية وقال تعالى - يظنون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقال عز وجل - فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد ينسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عبادته في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للؤيدون روح القدس للستمدون من القوة الإلهية التي تنبع لجميع الأمور ولا تنضب عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وفصرت عن الاستكمال فيها.

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار)
اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تستكتب بطريق الاستدلال والتعلم فالتى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الله للثاني في القلب والأول يسمى إلهاما وثالثا في الروح. والثاني يسمى وحيًا ويختص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفاء والذي قبله للاستكشاف وهو بطريق الاستدلال يختص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة إليه ، البزاز من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى إنه منكر .

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإما حبل بينه وبينها بالأسباب الحمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة فبالها والحجاب بين المرآتين تارة زوال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح اللطاف وتكشف الحجب عن أعين القلوب فينبجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتنام ارتفاع الحجاب بالموت فيه يتكشف النظم ويتكشف أيضا البقعة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلعب في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالى إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يفارق الإلهام إلا كتب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهز زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك للقيد للعلم فان العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة ثلاث تكون إليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسلا - ولا يوحى بإذنه ما يشاء - فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فذلك لم يحرموا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه الصنفون والبحث عن الأولويات والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة وهو الصفات للذموم وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو للنول قلب عبده وللتكفل له بتوجيهه بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرف النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف لهرس الكسوت وانشعق عن وجه القلب حجاب الغيرة بلطف الرحمة وتلاذت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بما تصنيه المجرى وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والقرص بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وافضى على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها ونفريخ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية ونفريخ القلب منها وقطع الهمة عن الأهل والوالد والوطن وعن العلم والاولا بقوال الجاهل بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يتخلو بنفسه في زاوية مع الانصراف على القرائن والروايات ويجلس فارغ القلب بمجموع المهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بأشغال في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائما فلا يسانه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يتركه تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يعنى أزمه عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الله كرم يواظب عليه إلى أن يعنى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضر أفيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجاب رحمة الله تعالى بل هو بمخاضه صار مترعة التفحات رحمة الله فليبقى إلى الانتظار لما ينفع الله من الرحمة كما فتح على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همة وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا بلعنى لواعج الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود قدينا وأخر وإن عاد قد ثبت وقد يكون مخطفه وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يظهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنازل أولياء الله تعالى

باجبة دنيوية كأن
الكبر جهل الإنسان
بنفسه وإزالتها فوق
مزلتها . قال بعضهم
لحسن ما أعظمك في
تسلك قال لست بعظيم
ولكني عزيز ولما
كانت العزة غير
منموته فيها مشاكلة
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإثبات
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضعة
وقوف على صراط الدرة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤيد في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدم العلماء
الراسخين والسادة
القرين ورؤساء
الابدال والصديقين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير بعض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استمداد وانتظار فقط ، وأما النظار وذو الاعتبار فلم يتكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإضافته إلى هذا المقصد على التدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا عمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن هو الملائق إلى ذلك الحد كالتقدم وإن حصل في حال حياته أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلباتها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد الزاج ويختلط العقل ويعرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بمحقق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تعطش النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانتفع له وجه الناس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التلم أو تقي وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك بضاهي ما لو ترك الإنسان تلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعام ذلك وصار قلبها بالوحى والألهام من غير تكرير وتعليق وأنا أيضا ربما انتهت في الرياضة واللواطبة إليه ومن غلب ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق السكسب والحراثة رجاء الغور على كثرة من السكوز فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولا من تحصيل حاصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين اللامين بمثل محسوس)

قال بعضهم من تكبر قد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع قد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذى التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونبيه فإن النفس تطلب الراحة تلهي عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نهيه فإذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فإن انتهت نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منعها ذلك وجهه ذلك أن يترك مشيت لمشيته الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا بعد لحان نور للشاهدة في قلبه فبعد ذلك تذوب

اعلم أن محجائب القلب خارجة عن مداركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وماليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثل محسوس ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين : أحدهما أنه لو فرمتنا حوضا محفورا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تنفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من استقرار الماء الصافي فينجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الحس مثل الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يتجلى علما ويمكن أن تعد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فإن قلت فكيف ينجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من محجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في الوجوه المحفوظ بل في قلوب اللائكة القربين ، فكما أن للهندس تصور أبنية الدار في رياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في الوجوه المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بسورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يفيض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلباتها ، أحمد و ك وصححه من حديث للقداد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

فيحصل فيه صفات الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسدي وبقية وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدتكم على صفر جسميا بحيث تنطبع صورة العالم والسماوات والأرض على اتساع أكفافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك لإلاماها وأصل إليك قولهم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يبين ذاتك فصبحت من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أحمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوباً كثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعبائنها . وترجع إلى القرض المقصود فنقول : القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورة تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى السماء الذي يقابل الشمس وعكس صورتها فمما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتنجس إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتنجس السماء من عرق الأرض ، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن السماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التنجس في الأرض وكان أن من نظروا إلى السماء التي عكس صورة الشمس لا يكون نظرا إلى نفس الشمس ، فاذن للقلب بابان : باب مفتوح إلى عالم السموات وهو اللوح المحفوظ وعالم الثلاثة وباب مفتوح إلى الحواس الحس للتمسك بعالم الملك والسمادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم للسموات نوعا من المماثلة فاما افتتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما افتتاح باب الداخل إلى عالم السموات ومطالعة اللوح المحفوظ فعمله علما يقينا بالتأمل في عجب الرؤيا وإطلاع القلب في التوهم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال **يُؤْتِي السَّكِينَةَ** سبق الفردون قيل ومن هم الفردون يا رسول الله ؟ قال **الْمُنْزَهُونَ** بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجبه بوجهي يعلم أحد أم شيء ؟ أريد أن أعطيهم ثم قال تعالى أول ما أعطيتهم أن أقذف التور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ^(١) ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب التفتتح إلى عالم السموات وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس الفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والقياس لا يمكن أن يستغنى في علم العاملة فهذا مثال يملك الفرق بين مدخل العالمين .

النفس وفي ذواتها صفاؤها من غش الكبير والمحبين وتطبع للحق والخلق هو آثاره وسكون وهبها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لتبيننا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضى الله عنها في الحديث الطويل قالت قد كنت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من القيرة ظنا مني أنه عند بسن أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ما جادا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك

(١) حدث سبق الفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقصرا على أول الحديث وقال فيه وما الفردون قال الله كرون الله كثيرا والآد كرات ورواه ك بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب بضع الذكر عنهم اتقاهم وبأنون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلامه متين .

الثالث : أن يترك الفرق بين العملين : أعني عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب
 تنص العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتعتيقها
 قطع . وقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباها وينبذ بعض الملوك بحسن صناعة النقش والتصوير
 فاستقر رأي ذلك على أن يعلم إليهم صفة لنقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورعى بينهما
 حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك لجمع أهل الروم من الأصابع الغربية فلا ينحصر
 ودخل أهل الصين من غير صبيغ وأقبلوا يعملون جانبهم ويستقلون فافترغ أهل الروم ادعى أهل الصين
 أنهم قد فرغوا أيضاً فصبب الملك من قلمهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبيغ قبل وكيف
 فرغتم من غير صبيغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلأأ منه عجائب الصنائع
 الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذا كان قد صار كالمرآة المبلوطة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم
 بمزيد التصقيل ؛ فكذلك غاية الأولياء بتطهير القلب وجلاله وتزيينه وصفاته حتى يتلأأ فيه جلالة
 الحق بنهاية الإشراق كفضل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل
 نقشها في القلب كفضل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى
 وصفاء لا ينكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأكل عمل الإيمان بل يكون
 وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول ناس
 العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والعرفه وبعض السماعات أشرف من بعض كائناته لا غنى
 إلا بالمسال صاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن الرعة غني وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة
 والإيمان كما تفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالعارف أنوار ولا يسمى المؤمنون إلى
 لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسمى نورهم بين أيديهم - وبإيمانهم - وقد روى في الخبر
 « إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجليل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إيمانهم
 قدمه قبضه مرة وينطفئ أخرى فاذا أضاء قدمه قدمه ثنى وإذا أطفىء قام ومرورهم على الصراط
 على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من
 يمر كالقنطرة السكواكب ومنهم من يمر كالقمر إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إيمانهم
 قدمه محبوباً على وجهه وبديه ورجليه يمر بداً ويساق أخرى ويسبب جوانبه النار فلا يزال كذلك
 حتى يخلص ^(١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين
 سوى النبيين والرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضاهاى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها
 لرجح ، وإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشعاع وإيمان الصديقين
 نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما يتكشف في نور الشمس صورة الآفاق
 مع اتساع أقطارها ولا يتكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح
 الصدر بالعارف وانكشاف سعة للسكرات قلوب العارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة
 أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعر ذرة ^(٢) »
 كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه القادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجليل حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إيمانهم قدمه
 الحديث الطبراني و ك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال
 يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه ربع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث
 أبي سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

فؤادى وأقربك لسانى
 وها أنا ذا بين يديك
 يا عظيم يا فاطر القلوب
 العظمى وقوله عليه
 السلام « سجد لك
 سوادى وخيالى »
 استقصاء فى التواضع
 بمحو آثار الوجود حيث
 لم يتخلف ذرة منه عن
 السجود ظاهر أو باطن
 ومضى لم يكن للصوفى
 حظ من التواضع
 الخاص على بساط
 القرب لا يتوفر لحظة فى
 التواضع للخلق وهذه
 سماعات إن أقبلت
 جاءت بكليتها والتواضع
 من أشرف أخلاق
 الصوفية . ومن أخلاق
 الصوفية : للدائرة
 واحتمال الأذى من
 الخلق وبلغ من مداراة

مفهومة أن من لم يسهل يزد على متقل فانه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بإخراجه أولاً وأن من في قلبه متقال خدة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان للؤمن» (١) «إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوقن فانه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأتم الأعلون إن كنتم مؤمنين- تفضيلاً للمؤمنين على السليين والرايد به للؤمن العارف دون المتقلد - وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا وكنهم قديراً أتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن القديس أو توالى العلم وبذلك على أن اسم للؤمن يقع على المتقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف - وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أتوا العلم درجات - فقال يرفع الله العالم فوق المؤمنين بسبب ما تقدم ذكره من كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال **عز وجل** «أكثر أهل الجنة بالله وعليون قدوى الألباب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل عليّ على آدم» (٣) وفي رواية «كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد ينضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المحروم من رحمة الله عظيم التبع والحسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الثني الذي يملك عشرة دراهم إلى الثني الذي يملك الأرض من التشرق إلى الغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التبع على من يخسر حظه من ذلك - ولا خيراً كبر درجات وأكبر تفضيلاً .

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتاب)

الفرقة لامن التلم ولا من الطريق المتأد)

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوف في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به بأن درجة لمرقة فيه عزرة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم وفي طريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بمساعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقعه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (١) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً - من الإشكالات والشبه - وبزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علماً من غير تعلم وخطئه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن تنفوا الله ليعلم لكم فإنا نأبى قبل نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان **عليه السلام** يكثر في دعائهم سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً حتى قال في شكري وفي بشري وفي حلمي ودمي وعظمي» (٢) «و«مثل

(١) حديث ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بلطف الإنسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئاً خيراً من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسماعيلاً من حديث (٢) حديث أكثر أهل الجنة بالله وعليون قدوى الألباب تضم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلاً (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل عليّ على آدم من حديث أبي أمامة وصححه وقد تضم في العلم وكذلك الزيادة الثانية (٤) حديث من عمل بمساعلم الحديث تضم في العلم دون قوله ووقعه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلاً من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وادع بمائة ناقص من قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بغير واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا ينم طعاماً ولا ينهر خادماً . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس الجبوري قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

صل الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - ان شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم قمه في الدين وعلمه التأويل ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا ان يؤتى الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم ^(٣) وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - قدمناها سليمان - خسر ما انكشف باسمهم . وكان أبو برداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق بخذه الله في نلوجهم وبجره على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن للؤمن كنهاته ، وقال صلى الله عليه وسلم « اخفوا فراسة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى ^(٤) وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقوله تعالى - قد بينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فلم ياطن في القلب فذلك هو العلم النافع ^(٥) وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يخذه الله تعالى في قلوب أجابه لم يطلع عليه ملكا ولا جبرا وقد قال ^(٦) « إن من أمي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم ^(٧) » وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدثين هو للعلم وللعلم هو الذي انكشفه من باطن قلبه من جهة الداخل لامن جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التوسم مفتاح الهداية والكشف فذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتقون - خصصا بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء يلاحظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعدنا من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل الذي ينتفع في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار خرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما نثرت رضي الله عنها عند موته : إنما هي أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فخذه لمعرفته ذلك ثم بلغ صوته إليه من جملة السكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها شررا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا العنيتين

(١) حديث مثل عن قوله تعالى - ان شرح الله صدره للاسلام - الحديث وفي الاستدراك من حديث ابن معمود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم قمه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسب و ك وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء اسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه في كتابه التوسم في آداب تلاوة القرآن (٤) حديث اتقوا فراسة للؤمن الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فان بك في أمي أحد فانه همر رواه م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي أف قط وما قال شيء منته لم صنته ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شمت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق حكاية من أخلاق الصوفية واحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

النظر لتوبن أولاً عزرك قلت أوصي بدلتني ؟ قال لا ولكن بصيرة وبرهان وقراءة صادقة . وعن
 أبي سبيد الحارثي قال دخلت للسجد الحرام فرأيت قبراً عليه خرفان قلت في شيء هذا وأشابه كل على
 الناس فناداني وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فاستخفرت الله في سرى فناداني وقال - وهو الذي
 يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أراه . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن سريون على أبي
 الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذاعبال ولم يعرف له سبب يمشي به قال فلما قلت قلت في نفسي من
 أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى أطرافاً خفية . وقال
 أحمد التقيب دخلت على السبلي فقال مفتوناً يا أحمد قلت ما الخبر ؟ قال كنت جالساً جرى خاطري
 أنك غيبل قلت ما أنا غيبل فناد من خاطري وقال بل أنت غيبل قلت ما فتح اليوم على بشي ؟ لإدوخته
 إلى أول قدير يلقاني قال لما استم الحاطر حتى دخل على صاحب للؤنس الحادم ومعه خمسون ديناراً
 فقال اجلس في مصالحك قال ولست فأخذتها وخرجت وإذا بغير مكفوف بين يدي مزين يخلق رأسه
 فتدست إليه وتاولته الدناير فقال أعطها للزبن قلت إن جعلتها كذا وكذا قال أليس قد قلنا لك
 إنك غيبل قال فاولتها للزبن فقال للزبن قد عفدتنا لما جلس هذا التقير بين أيدينا أن لا تأخذ عليه
 أجراً قال فربت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا لأنه عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي
 دخلت على أبي الخير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا أكل في داره طعاماً فلما خرجت من
 عنده إذا به قد طفق وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال يا بني كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير
 التيناني هذا مشهوراً بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصده سلمنا عليه فحضرت صلاة التراب فلم يكذب
 بقرأ القاعة مستويًا قلت في نفسي مناعت سافر في قلبي سلم خرجت إلى الطهارة قصدي في سبع فعدت إلى أبي
 الخير وقلت قصدي سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تعرض لضيق نفسي الأسد فتطهرت فلما
 رجعت قال لي اشتغلت بتقويم الظاهر غفتم الأسد واشتغلنا بتقويم البواطن غفنا الأسد . وما حكى من
 غرس الشايخ وإخارهم عن اعتقادات الناس وضأرم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة
 الحضر عاياه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فون الكرامات خارج عن الحصر
 والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأصل أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي
 لا يقدر أحده على جده أمران : أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها القريب وإذا جاز ذلك في النوم
 فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفارق في النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكيف
 من مستيقظ غائس لا يسمع ولا يصر لاشتغاله بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 القريب وأمور في المستقبل كما اشتغل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره إذ النبي عبارة
 عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف
 بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا
 الصحيحة لزمه لامحالة أن يقر بأن القلب بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى لللكوت من داخل
 القلب وهو باب الالهام والنفس في الروح والوحى فإذا أفرهما جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم
 ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه فهذا ما ينبغي على حقيقة ما ذكرناه من
 عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم لللكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المهورج
 إلى التعبير وكذلك غفل اللاتسكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضاً من أسرار هجاب القلب ولا
 يليق ذلك إلا بعلم الكاشفة فلتقتصر على ما ذكرناه فانه كاف لا يستثنى على المجاهدة وطالب الكشف
 منها فقد قال بعض المكشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكرى الخفي عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر
 وجوهر الإنسان العقل
 وجوهر العقل الصبر .
 أخبرنا أبو زرعة
 طاهر عن أبيه الحافظ
 للقدس قال أنا أبو محمد
 السريغيني قال أنا
 أبو القاسم عبيد الله
 ابن حبة قال أنا
 أبو القاسم عبيد الله بن
 محمد بن عبد العزيز قال
 حدثنا علي بن الجهد قال
 أنا شعبة عن الأعمش
 عن يحيى بن وثاب
 عن شيخ من أصحاب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قلت من
 هو قال ابن عمر عن
 النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قاله المؤمن
 اتقى يماثر الناس
 ويصبر على أذى خير
 من الذي لا يخاطهم

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصدقك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت السبأ
تسكتان القرائن قالاً بلى قلت فيكتب كما ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكسبيين لا يطلعون على أسرار
القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شهابه فقال ما تقول رحمة الله ثم التفت إلى جبينه فقال ما تقول رحمة الله ثم
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمة الله ثم أجاب بأقرب جواب سمعته فسأله عن إشفائه قال يمكن
عندي في الساعة جواب عتيده فسألت صاحب الشهاب قال لأدري فسألت صاحب الحنين وهو أعلم منه
قال لأدري فنظرت إلى قلبي وسأله لحدني بما أجبتك فإذا هو أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه
السلام « إن في أمي محدثين وإن عمرهم » وفي الأثر: « إن الله تعالى يقول إيماناً عايداً طلعت على قلبه فرأيت
القالب عليه التمسك بكرمي توليت سياسته وكنت جليسه ومهادته وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة الضرورية حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه قد ظهر
افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة للسكرات وللألمح ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع
والإعراض عن شهوات الدنيا وقد كتبت عمر رضى الله عنه إلى أمراء الأجناد اخفطوا الناس ممن
من الطيحين فاتهم ينجل لهم أمور عادية . وقال بعض العلماء يد الله في أفواه الحكماء لا ينطقون إلا
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت قلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .

(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كذا ذكرناه مثال قبة مغروية لها أبواب تصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضاً
مثال هدف تصب إليه سهام من الجوانب أو هو مثال المرأة منصوبة تحت أزهارها أصناف الصور المختلفة
فتراى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أوشال حوض تصب فيه مياه مختلفة فمن أنهار مفتوحة
إليه وإنما مداخل هذه الآثار للتجدد في القلب في كل حال أمان الظاهر والخوار والجنس وأمان
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق الركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالخوار شيئاً
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة الزواج
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينقل الخيال
من شيء إلى شيء . وبسبب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والتعود أن القلب
في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخوار وأغنى بالخوار
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأغنى به إدراكه علوماً إما على سبيل التجرد وإما على
سبيل التذكر فانها تسمى خواراً من حيث إنها خطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها والخوار هو المحركات
للإرادات فان النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد ظهور النوى بالبال لا محالة فبدا الأفعال
الخوار ثم الخوار يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الأعضاء
والخوار المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أغنى إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى
الخير أغنى إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خواران مختلفان فافترق إلى اسمين مختلفين فالخوار الممعدود
يسمى إلهاماً والخوار للنوم أغنى الداعي إلى الشر يسمى وسواساً إنما تعلم أن هذه الخوار حادثة
ثم إن كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استقاربت حيطان البيت بنور النار
وأظلم سقفه ولسود بالداخل علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته
سببان مختلفان فسبب الخوار الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الخوار الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً

ولا يسر على أفهامه
وفي الخبر « ليس أحدكم
أن يكون ككافي
ضمضم قبل ماذا كان
يسمع أبو ضمضم قال
كان إذا أصبح قال
اللهم إني تصدقت
اليوم برضى على من
ظلمني فمن ضربني
لا أضربه ومن شتمني
لا أشتمه ومن ظلمني
لا أظلمه . وأخبرنا
شهاب الدين عبد الوهاب
قال أنا أبو الفتح
المروى قال حدثنا
الرياق قال أنا الجراح
قال أنا المبوخي قال
أنا أبو عيسى الترمذي
قال ثنا ابن أبي عمر
قال ثنا سفيان عن
محمد بن السكندر عن
عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت

واللطيف الذي يتبأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً والذي به يتبأ لقبول الوسواس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً فإن للعاني المختلفة تختلج إلى أسامي مختلفة وللقلب عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إقامة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالقبح والنحو عن الخير عند إلهام الخير بالفكر بالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة ذلك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فإن الوجودات كلها متباينة زوجة وإله الله تعالى فانه فرد

لامقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان وللقلب وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب ثمان لمة من ذلك إحداهن الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولما من العدو إحداهن الباطل وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعد بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يصدكم عن أنفسكم ويأمركم بالصالحات - الآية وقال الحسن إنما هما جان مجنون في القلب م من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عنده فساكن من الله تعالى أمناه وما كان من عدوه جاهدوا لتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (١) » فالتقى تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبغ سرعة القلب والقدرة على التحريك والتشريف فأنك لا تريد أصبعك لشخصه بل لقسمه في القلب والقرين كما أنك تتاحى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يغفل باستسغار لذلك والشيطان وهما مسخران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلاً والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الله وقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يرجح أحدهما على الآخر وإنما يرجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومعاقبها فإن اتبع الإنسان مقتضى النفس والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عسى الشيطان ومعدته لأن الهوى هو مرمى الشيطان ومرته وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وثبت بأخلاقه للآنسة عليهم السلام صار قلبه مستقر للآنسة ومهيأ لميلها كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للشبهة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا أنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعاني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير (٢) » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تتبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فتشوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الله تعالى بتقنيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبلت تلك وألمه وانتطارد بين جندي للآنسة والسياطين في معركة القلب دائماً إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاصاً وأكثرت القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكتها فاستلأت بالوسواس الداعية إلى إتيان المآلعة والطرائع الأخرى ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخليه القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

(١) حديث في القلب ثمان لمة من ذلك إحداهن الخير وحسنه ون في الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث لأؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بش ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فالان له القول فخرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أئنت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يترك الناس أو يدع الناس إثمهم فحشه هو روى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » فاشئ يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحله كسب السدرة ، والنفس

والشبهات وعمارته يذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر اللائكة . وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة قال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به العصور فإن كان فيه شيء طالح أو إلامضوا وتركوه . يعني أن القالب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١] للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فخذوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال فقلت ذلك فأذهب الله عني (٢) » وفي الخبر « إن اللغو شيطان يقال له الوهان فاستنبذوا بالله منه (٣) » ولا يجوز وسوسة الشيطان من القالب إلا ذكر ماسوى مايوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء أنعم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يصلح شيء إلا بضده وضد جميع وسوس الشيطان ذكر الله بالاستعانة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا اللغون القالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفترات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا سهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولضادهما قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى انقم قلبه (٤) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان وجهه يده وقال بأبي وجهه من لا يفلح (٥) وكما أن الشبهات متميزة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطه بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فنبذوا مجاريه بالجوع (٦) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولاجل اكتشاف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقعدن لهم صراطك المستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث إن اللغو شيطان يقال له الوهان الحديث م ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب وابس إسناده بالقوى عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى اللوصلى وابن عدى في الكامل ومضعه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مسح الشيطان يده وجهه وقال بأبي وجهه من لا يفلح لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم

[١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص ، وفي العراقي ما يشبه ذلك هـ .

لا تزال تسمى بمن
يعكس مرادها
ويستغزها النيط
والغضب وبالمدارة قطع
حمة النفس ورد طغيانها
وشورها . وقد ورد
« من كظم غيظا وهو
يستطيع أن ينفذه
دعه الله يوم القيامة على
رؤوس الخلائق حتى
يغيره في أي الحول
شاء » . وروى جابر
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « ألا أخبركم
على من تحرم النار ؟ على
كل هين لين سهل
قريب » . وروى
أبو مسعود الأنصاري
رضي الله عنه قال أتى
النبي عليه السلام رجل
فكلمه فأرعد فقال
هون عليك فاني لست

ثم لا يتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيامهم وعن ليالئهم - وقال صلى الله عليه وسلم
 « إن الشيطان قد لا ين آدم بطرق فقد له بطريق الاسلام فقال أسلم وترك دينك ودين آباءك
 فصاه وأسلم ثم قد له بطريق الهجرة فقال أنهاجر أنتدع أرضك وسماءك فصاه وهاجر ثم قد له
 بطريق الجهاد فقال أجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسبح نساؤك ويسم مالك
 فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وفي فعل ذلك لثبات كان حقا على الله أن
 يدخله الجنة » قد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر
 للجهاد أنه يقتل وتسبح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا
 الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطره سبب ويقتضي اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
 أن ينفك عنه آدمي وإنما يخفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « ما من أحد إلا وله
 شيطان (٢) » قد افصح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان
 والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن
 كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم اللامعة بل
 مثل الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثياب حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل
 بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل فمصاعمة الخواطر الباعثة على الشر
 قد غفلت ودل ذلك في أنه عن سبب لامعة وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدو
 قد عرف العدو لامعة ، فيبني أن يشتغل بجهادته وقد عرف الله سبحانه عدوته في مواضع كثيرة
 من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخلوه عدوا إنما يدعو
 حزيه ليعكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
 إنه لكم عدو مبين - فيبني للعدو أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه
 وسكته ، ثم يبنى أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
 كاف لما بين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نموذج له منه وحقيقة للملائكة ذلك ميدان العارفين
 المتخاملين في علوم الكاشفات فلا يحتاج في علم اللامعة إلى معرفته ، ثم يبنى أن يعلم أن الخواطر تنقسم
 إلى ما يعلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في
 كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة تلك أو من لمة الشيطان فان من مكاييد الشيطان
 أن يمرض الشر في مرض الخير والتمييز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون فان الشيطان
 لا يقدر على داهمهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر
 إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكت من التفتة قد اشتروا على النار أما لك رحمة على عباد الله تتقدم
 من المايط بصحك ووعظك وقد أنهم الله عليك بقلب بصر ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف
 تسكن نعمة الله تعالى وتعرض لمنه وتكتم عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى انصراف للتعظيم ؟
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجبره بلطيف الحبل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوهم بسد
 ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع
 كلامك من قلوبهم ولم يبتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثناءه يؤكد فيه شواهد
 الرءاء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والملم والنظر إلى الخلق بين الاحترار فيستدرج

بذلك إنما أنا ابن امرأة
 من قريش فكانت
 تأكل القديد وعن
 بعضهم في معنى لين
 جانب الصوفة :
 هينون لينون أيسار
 بنو سوس
 سواس مكرمة أبناء
 أيسار
 لا ينطقون عن الفحشاء
 إن نطقوا
 ولا يعارون إن ماروا
 إلى كشار
 من تلق منهم نقل
 لا قبل سيدم
 مثل النجوم التي يسرى
 بها السارى
 وروى أبو الدرداء عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال « من أعطى حظه
 من الرفق قد أعطى
 حظه من الخير ومن
 حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قد لا ين آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة بن أبي فاكه بإسناد
 صحيح (٢) حديث ما من أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

للسكين بالنصح إلى الهلاك فينكمم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقول فبهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بئكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم ^(١) » . وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ^(٢) » ولقد كنت أرى أن إبليس لعنه الله يمثّل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضاً تحت الحجر تليسات وتليسات الشيطان من هذا الجنس لا تتأذى وبها يهلك الملاء والباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق بمن يكرهون ظاهر الشر ولا يرمزون لأنفسهم الخوض في العاصي المكتوفة ، وسندكر جملة من مكيد الشيطان في كتاب التروير في آخر هذا الأربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسمة [تليسات إبليس] فانه قد انتشر الآن تليسة في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخبرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتليسات الشيطان ومكيدته خلق على البعد أن يقف عند كل مخطر له ليعلم أنه من لمة لذلك أولمة الشيطان وأن يعم النظر فيه بعين البصيرة لانهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تعالى - إن الذين آمنوا وإذا منهم طائف من الشيطان نذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي يتكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتليسة بتابعة الهوى فيكثر فيه غلظه وتبجل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثله قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسناً فإذا هي سيئات ، وأغمض أنواع علوم العامة الوقوف على خدع النفس ومكيد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أمهل الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسبهم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والوال يقل مدخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مدخل باطنه في التخييلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا اللوث إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حياً ، نعم قد يقوى بحيث لا يتقاده ويدفع عن نفسه شره بالجهاو ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدافعة مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حياً فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تمنع من الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما ياتي شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحاً والمدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن أبي سعيد أبنام الشيطان تنقسم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لخالص المؤمنين منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بيمره في سفره ^(٣) » وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصفور قلت ولم ذلك قال تدينني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعدر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجليلة التي تنضى إلى العاصي الظاهرة وإنما يتعمرون في طرقه الفاضلة فانهم لا يتعدون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس بإسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر منتق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

قد حرم حظه من الخبر « حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إسماعيل قال ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله اللائي قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة النادوي قال أنا أبو محمد عبد الله الحموي الرضوي قال أنا أبو عمران عيسى بن حمير السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال تابع عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن إسحق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . وللمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب اللامسكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالسائر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب الصافي بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم القزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطي مستقيما فابعثوا ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق القاطن من طرقه وهو الذي يندفع به العلماء والعباد للمساكين لشهواتهم الكافية عن العاصي الظاهرة ، فأنه كثر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فصد الشيطان إلى جارية تخفيها وآثى في قلوب أهلها أن دوامها عند الراهب فأثابها إليه فأبى أن يقبلها فلم يرألوا به حتى قبلها فلما كانت عنده لعابها أتاه الشيطان فزبن له مقاربها ولم يزل به حتى واقعتها فخذلت منه فوسوس إليه وقال الآن تنفض بأتيك أهلها فاقبلها فان - ألوك قتل مانت فقتلها ودقها فأبى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وآثى في قلوبهم أنه أجلبها ثم قبلها ودقها فأثاب أهلها فأسأوه عنها فقال مانت فأخذوه ليقولوا بها فأثاب الشيطان فقال أنا الذي تخفيها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطمع تبيح وأخلصك منهم قال بمعاذاة قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برى منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فأكفر قال إني برى منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبرياء وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفى الموى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويحرم البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فتموذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع تلهو لا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية تخفيها وآثى في قلوب أهلها أن دوامها عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطيخ في مسنده من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من ربح حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظه .

يوم حنين وفي رجل
فعل كشيعة فوطئت بها
على رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فتفتحت فتحة بسوطي
يهم وقال باسم الله
أوجعتني قال فبت
لنفسى لأنما أقول
أوجعت رسول الله قال
فبت بيلة كما يعلم الله
فما أصبنا إذا رجل
يقول أين فلان قلت هذا
والله الذي كان معي
بالأمس قال فانطلق
وأنا متخوف فقال لي
إنيك وطئت بملك على
رجلي بالأمس فأوجعتني
فتفتحت فتحة بسوط
فهذه تحسون نعمة
غلظها بها . ومن
أخلاق الصوفية الإشارة
والواسة وبعملهم على
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبواب صفات البدوى كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية بحرى الدروب التي لاتنفق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقى إبليس فقال له يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برمائه وكلك تسكبنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فافضلى إلى ربى أن يتوب علىّ قال موسى نعم فلما سعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذ الأمانة قال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فافضى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك علىّ حقا بما شفعت لى إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لأهلكك فهين : اذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك بحرى الدم ، اذكرنى إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان فغضت فى آفة فلا يدري ما يصنع واذكرنى حين تلقى الزحف فاقبلى آبن آدم حين يلقى الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإليك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فاقبلى رسولها إليك وسوءك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك . فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرس فإن التمرار من الزحف حرس على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرى كيف تغلب ابن آدم فقال أظلمت عيني الغضب وعند الهوى ، فقد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا فقلبا كما يتلب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف ينابى ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طرد حتى أكون فى رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرس فهما كان العبد حريصا على كل شئ أحماه حرصه وأمسه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك لكشى بسمى ويصم ^(١) » ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرس لم يصرفه عن مداخل الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخالت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خسر أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك يا نبتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تسكبانى هما اللتان لا تغفانى هما أهلك الناس : الحرس والحسد ، فبالحسد لغت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرس فانه أيسر لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرس . ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فان الشبع بقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر ليعي بن زكريا عليها السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا إبليس ما هذا للمعاليق ؟ قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل فيها من شئ ؟ قال ربما شبعت فقتلتك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قاله علىّ أن لا أملا بطنى من الطعام أبدا فقال له إبليس والله علىّ أن لا أنصح مسلما أبدا . ويقال فى كثرة

(١) حديث حبك لكشى بسمى ويصم أو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف .

والرحمة طمعا وقوة
اليقين شرعا يؤثرون
الموجود ويصبرون على
اللقود . قال أبو يزيد
البيضاوى ما غلبنى
أحد ما غلبنى شاب من
أهل بلغ قدم علينا
حاجا فقال لى يا أبا يزيد
ما حصد الزهد عندكم
قلت إذا وجدنا أكلنا
وإذا قد نامبرنا فقال
هكذا عندنا كلاب
بلغ قتلته وما حصد
الزهد عندكم ، قال
إذا قد ناشكرنا وإذا
وجدنا آثرنا . وقال
ذو النون من علامة
الزهد للشروح صدره
ثلاث : خريق المجدوع
وترك طلب اللقود
والإيثار بالقوت . روى
عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما قال

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كاهم شيا . والثالث أنه يتخل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يبدل لفة . والخامس أنه إذا تكلم بالموظة والحكمة لا يتبع في قلوب الناس . والسادس أن يسبح فيه الأمراض . ومن أبواب حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرغ فلا يزال يدعو إلى همارة الدار وتزيين مقونها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستخسر فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك قد استغنى عن سواه إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساقى إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويغنى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه . ومن أبواب العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير للطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله التناء عليه بما ليس فيه والدهانة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لبيد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أغلك به فقال لاحاجة لي به قال انظر فإن كان خيراً أخذت وإن كان شراً رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحد أغفر الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أمسكك إذا غضبت . ومن أبواب العظيمة العجلة وترك التثبت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم : العجلة من الشيطان والثاني من الله تعالى (١) وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان الإنسان عجولاً - وقال لبيد صلى الله عليه وسلم - ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والعرفه والبصيرة تحتاج إلى تأمل ونهول والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت ردها وسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم قطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئاً ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا اللائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبياً قد ولد البارة ما حملت أنقى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها لإلهذا فأبسوا من أن تبعد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بي آدم من قبل العجلة والخفة . ومن أبواب العظيمة الدرامم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستغفر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلاً على طريق البيت من قلبه عشر شهودات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود السائمة مستثنياً فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنياً وقد صار محتاجاً إلى تسعمائة ليشتري داراً يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به وذلك لا آخره فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانظروا حتى أعيروا ثم جاؤوا وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالبحر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما سمعنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى مسلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويداً بهم عبي الله أن يفتح لهم الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة : إن شتمت قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركهم في هذه الغنيمة وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم ولم قسم لكم شيئاً من الغنيمة . فقالت الأنصار بل قسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ، فأئذ الله تعالى - وبؤثرون على أنفسهم - ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى

(١) حديث العجلة من الشيطان والثاني من الله من حديث سهل بن سعد بلفظ الأمانة وقال حسن

فتصيب منهم حاجتا (١). وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذني عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك بال ولا تحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الحاد الوثير والقرش الوطية وللتنزهات الطيبة فمن ينشط لعبادة الله تعالى ١. ومن أبوابه المظلمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الاغنى والتصدق ويدعو إلى الادخار والكفر والعذاب الأليم وهو للوعود للكافرين كما نطق به القرآن العزيز. قال خيشة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما يغلب ابن آدم غلبة قلن يغلبني على ثلاث أن أسره أن يأخذ المال من غير حقه وإغافه في غير حقه ومنه من حقه. وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بره عن السوء. ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هي معشئ الشياطين. وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آرتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجامع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرايا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال للزماير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء (٢) ومن أبوابه العظيمة التوصل: التنصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفاسق جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذلك تقصم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حالته على قلبه فاشتغل به بكل همه وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتحصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطابق للسان بالفضل والكذب ومتشاطل لأنواع الفساد ولو رأوا أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالى أبي بكر من أخذ سيده وسار بسيره وحفظ ما بين يديه. وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فم ليكشف لسانه عن الكلام فيا لا يسيه فأتى لهذا الفضول أن يدعى ولاءه وحبه ولا يسير بسيره تترى فضول آخر يتحصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه ليس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكعبين إلى الرسخ ورى القاسق لباسا ثياب الحرير ومتجها بأمواله اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه وبدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة ولبت شرى من أخذ ولما عززا لانسان هو قرعة عينه وحرارة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه ويتفت شعره ويقطعه بالفراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس للشياطين لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في كفاية الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آرتني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف جدا ورواه نحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف أيضا .

أزواجه هل عند كن
شيء شكلهن قلن
والذي بشك بالحق
نينا ماعدنا إلا لسان
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ماعدنا
مانطعمك هذه الليلة
ثم قال من يضيف
هذا عند الليلة رحمه
الله فقام رجل من
الأنصار فقال أنا
يا رسول الله فأتى به
منزله فقال لأهله هذا
ضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأكرمه
ولا تدخرى عنه شيئا
فقال ماعدنا لإلا قوت
الصبي فقال قومي
عليهم عن قوتهم حتى
يناموا ولا يطعمون
شيئا ثم أصرحى فاذا
أخذ الضيف لأكل
قومي كأنك تصاممين
السراج فأطفيئيه

والفتحمون لحاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعون به بقرائش الشهوات ويشوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعنداء لبياء الله تعالى لابل لو كشف النطاء وعرف هؤلاء ماتجبه الصحابة في أم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجرؤوا على اللسان ذكرهم مع قبيح أنه لم يتم إن الشيطان يغفل إليهم أن من مات محبا لبي بكر وعمر فالنار لأحوم حوله ويغفل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لم يلحقه عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضمة منه ^(١) «اعلمي فاني لا أغني عنك من الله شيئا ^(٢)» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم التعصيب للشافي وأبي خنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس بسير يسير تهتلك الامام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الحديث فإياك خالفتي في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستنجاع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستنجاع وإقامة الجلاء إلا بالنصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم يذهبوا على مكابد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عاياه ونسوا المهمات بينهم قد هلكوا أو أهلكوا والله تعالى ينوب علينا وعليهم وقال الحسن لمعنا أن إبليس قال رسول الله محمد ^(٣) «عاصي قصصوا ظهوري لاستغفار فبولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وقد صدق المؤمنون قائمهم لا يسلون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في الداهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأنهم الشبان ليقمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رقعة أخرى يتحدثون بعديت الدنيا فأفسد بينهم تقاموا يقتلوا وليس إبليس يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يغفلون بينهم فذغروا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوالم الذين لم يرسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يمتنع أحد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يغفل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصيرها كافر أو مبتدع وهو به فرح مسرور متبجح بما وقع في صدره يظن ذلك هو المرقع والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أنوام اعتقادا في عقل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم إنهما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه ^(٤) » والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يبعده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا وبلغوا ويستقلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعالم لو يرى ويسرق كان خيرا لهم أن يشكك في العلم فإنه من تسكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في السكر من حيث لا يدري

ونال تخضع ألسنتها
لضيف رسول الله حتى
يشبع ضيف رسول
الله فقامت إلى العيبة
فعللهم حتى ناموا عن
قوتهم ولم يطعموا شيئا
ثم قامت فأثرت
وأسربت فلما أخذ
الضيف لياكل قامت
كأنها تصلح السراج
فأطاعته فجعل يعضخان
استمعا للضيف رسول
الله وظن الضيف أنها
ياكلان معه حتى شبع
الضيف وبان طاوئين
فلس أصبحوا غدوا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر
إليهما تبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم
قال قد عجب الله من
فلان وفلانة هذه اليلة
وأزل الله تعالى -
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن عزمرة (٢) حديث إن لا أغني عنك من الله شيئا قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبراز وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فبا يتعلق بالمغالل والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه الثالث . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بسر على غيره بالظن بث الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالثبوت فيه لك أوتصر في القيام بمحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى غشه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لقيم قال صلى الله عليه وسلم «اتقوا مواضع الهم»^(١) حتى احتذرهم عليه السلام من ذلك روى عن ابن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في السجدة قالت فأتيته فحدثت عنده فلما أصبحت انصرفت فقام يمشي معي لم يره رجلا من الأنصار فلما ثم انصرفا فقادما وقال إنها صفية بنت حيي قتالا يارسول الله ما نظن بك إلا خيرا قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإن خشيته أن يدخل عليك»^(٢) فانظر كيف أشفق عليه السلام على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فلهذا طريق الاحتراز من الهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أسوأه فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إجماعا منه بنفسه فان أروع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بين واحدة بل بين الرضا بعضهم وبين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كلية ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنسانا يسمى «الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه حيث في الباطن وأن ذلك خسته يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المآذير والمناقى يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فلهذا بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا التدر ما يبينه على غيره فليس في الآدبي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج فدفع الشيطان لوهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لاحول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بنظير القلب من هذه الصفات للذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات الهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه . ثم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار وعينه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالقوى وتطهيره من الصفات للذمومة وإلا فيكون الذكر حديث شمس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الدين اتقوا إذا مسهم طائفة من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه يتزجر بأن تقول له اخسأ فبعد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الحالى عن قوت الشيطان يتزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حوائى القلب فلم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان في سويدها القلب وأما قلوب التقيين الحالية من الهوى والصفات للذمومة فانه يطررها الشيطان لاقتسوات بل لحولها بالنفث عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خسر الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع الهم لم أجده أصلا (٢) حديث صفية بنت حيي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأتيته فحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة - وقال أنس رضى الله عنه أهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهدا فوجه به إلى جاره فتداوله سبعة أنس ثم عاد إلى الأول فأزلت الآية لذلك . وروى أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الرى وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رضوا الطعام فإذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم إشارة منه على نفسه . وحكى عن حذيفة السدوى قال انطقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لي

الواردة في الذكر . قال أبو هريرة التقي شيطان للؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر هين ميسر
كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أقبر حار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا
مع رجل إذا أكل منى الله فأظل جامعا وإذا شرب منى الله فأظل عطشانا وإذا لبس منى الله فأظل عريانا
وإذا ادهن منى الله فأظل عثا فقال لكن مع رجل لا يعمل شيئا من ذلك فأنا أشارك في طعامه وشرا به
ولباحه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا
بهيونا يرانا هو وقيله من حيث لا نراهم اللهم فآبسه منا كما آبسته من رحمتك ونقطه منا كما قطنته
من عفوك وابعده بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال حنبل له إبليس
يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال
أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستماعة ولا أن تعرض قال فوالله لا أنصحبها من أرادها فاصنع ما شئت . وعن
عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ يده شعبة من نار فيقوم بين يديه وهو
يصل فيقرأ ويشعو فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي
لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يليج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يسرح فيها ومن
فطن الليل والهتار ومن طوارق الليل والنهار إلاطارقا بطرق غير الرحمن قال ذلك فطفت شملته وخر
على وجهه (١) وقال الحسن (٢) نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتاني صلى الله عليه وسلم فقال إن غفرتا من
الجن بكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي (٣) وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لقد أتاني الشيطان
فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي يبتني بالحلق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ونولا
دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح طريقا في المسجد (٥) وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ما سلك عمر
لجأ إلا سلك الشيطان لجأ غير الذي سلكه عمر (٧) وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان
وقوته وهي الشهوات فيها طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما كان يدفع عن عمر رضي الله
عنه كان محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتيا واللمدة مشغولة بخليل الأطلعة ويطمع
أن ينغمه كما تقع الذي شر به سد الاحتيا وتخليعة للعدة والذكر الدواء والتزوي احتيا وهي تخلى
القلب عن الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الله كالدفع الشيطان كما تدفع العلة بنزول
الدواء في العلة الحالية عن الأطلعة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يده شعبة من نار
الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلًا ولما لك في اللوطا نحوه عن يحيى بن سعيد
مرسلًا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن
عياش الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن حبيب وقيل له كيف
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت أن
جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن غفرتا من الجن بكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد
الشيطان هكذا مرسلًا (٣) حديث أناني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن
أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلًا هكذا وللبخاري من حديث أبي هريرة أن غفرتا من الجن تغلت
على البارسة أو كفة نحوها ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث ون في الكبرى من حديث
عائشة كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فغفقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث
وإسناده ضعیف (٤) حديث ما سلك عمر فيما إلا سلك الشيطان فيما غير فبه متفق عليه من حديث
سعد بن أبي وقاص بلنظ يا ابن الخطاب ما تلبك الشيطان سالكا فجا .

ومنى من ماء وأنا
أقول إن كان به رمق
سقيه ومسحت وجهه
فإذا أتاه قتل أسيتك
فأشار إلى أن نعم فاذا
رجل يقول آه قال
ابن عمر انطلق به
إليه فجئت إليه فاذا
هو هشام بن العاص
قلت أسيتك فسمع
هشام آخر يقول آه
قال انطلق به إليه
فجئت إليه فاذا هو
قد مات ثم رجعت
إلى هشام فاذا هو أيضا
قد مات ثم رجعت
إلى ابن عمر فاذا هو
أيضا قد مات . وسئل
أبو الحسن البوشنجي
عن الفتوة قال الفتوة
عندى ما وصف الله
تعالى به الأنصار في قوله
والذين تبوءوا الدار
والإيمان - قال ابن

عليه أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بصله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تنهم أن أكثر محرمات الشرع مخصوصة بشروط قلها علماء الدين إلى تفكك قلبى الخبر كإلغائهم وتأمّل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراق قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب الماتدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومها السكاه حتى إنك لا تدرك ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت الصلاة معك القلوب فيها يظهر حماسها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب بالشهوة شهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتمال ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان قدم الاحياء بالتقوى ثم أردفه بدواء الله كرفض الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في الملاينة وأنت صديق في السر أرى أنت مطيع له ، وقال بعضهم يا عجبا لمن يسعى الحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع العيين بعد معرفته بظلمانه ، وكان أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقده شروط الله كرواء الدعاء ، قيل لأبراهيم ابن آدم ما بالنا ندعوه فلا يستجيب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم ؟ قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذى أماتها ؟ قال غمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بعمرة وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الله ولم تستمدوا الله وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأتموه على العاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراءكم فظهركم واقرضتم عيوب الناس أمامكم فأسخطم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت الداعى إلى العاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفة ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في العاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البذل من حيث يؤنى ولا تسأل عن البقعة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجندة وأن لكل نوع من العاصى شيطانا يخصه ويدعوه إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكتفيك القدر الذى ذكرناه وهو أن اختلاف الشياطين يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثور والأعور ومبسط وداسم وزلتبور ، فأما ثور فهو صاحب اللصائب الذى يأمر بالثور وحق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به وزينه وأما مبسط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالنيب عنده ويضربه عليهم وأما زلتبور فهو صاحب السوق فبسيه ليزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الولمان (٣) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللائكة كثرة ، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذوبون عنه

عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعني جوعا وقراءا قال أبو حفص الإشاره هو أن يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الاشارة لا يكون عن اختيار إنما الاشارة أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تعزى ذلك بين أخ وصاحب وفى معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى نفسه ملكا لا يصح منها الاشارة لأنه يرى نفسه أحق بالثوب برؤية ملكه إنما الاشارة من يرى الأشياء كلها لاحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يطرده الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الولمان تقدم وهو عند ت من حديث أبي .

ما لم يقدر عليه من ذلك ليصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب القباب عن قصبة الصل في اليوم الصائف وما لو بدالك لرايتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرقاه ولو وكل البد إلى شفه طرفه عين لاخطقه الشياطين^(١) وقال أبو بون بن بون بن زيد : بلغنا أنه يولمع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تمنحني عليه لأتقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزي بالسبعة سبعة والحسنه عشرة إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا البد الذي كرمته على إن لا تمنحني عليه لأتقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا وله ملك ولد قال يارب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم يوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم نجيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله^(٢) وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أصعبك قال لاجأه لي في نصيحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا قبل على أحدهم حتى تقتله وتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أبدننا بمنزلة السكرتة في أيدي صبيانكم فلهيهم كيف يشاءون فلهيهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهم ولا تدر حقيقة صورتهم ما كانت الهدية إلا بأبوار النبوة فما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلوات والسلام في صورته إلا مرتين^(٣) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من التفرق إلى الغرب وراه مرة أخرى على صورته ليلة للعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا^(٤)

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤدبها إليه . وقال بعضهم حقيقة الإخبار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإخبارها عمل أو ذكر ومن هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخا له فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخي سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وطب في السبع الكبير بإسناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وحب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضعه ولا نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشبخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشبخان من حديث عائشة وسئلت فأين قوله : فدنا فدلى ، قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكشافة من أرباب القلوب بمثل صورته فيمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما يتكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكشافة التي تتكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأله أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجلا فيه البور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكب الأيسر بين منكب واذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكب الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة قد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم اللسكوت وعند ذلك يصرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم النيب وهو مدخل الألهام والوحي ووجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تتكون الصورة على وفق الذي حق يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبيع السر لأن عالم الشهادة عالم كبير التليس . أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم اللسكوت على باطن سر القلوب فلا تتكون إلا محكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم اللسكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى الذي القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان الماني ومحكية لها بالصدق ولتلك بدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار محمية وهي من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعم العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان يتكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التخييل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التخييل بصورة محكية للشيء هو مثال للشيء لا عين للشيء إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محقة ويفرد بمشاهدته الكشف دون من حوله كالناثم .

(بيان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب ومهما وخواطرهما

وتصودها وما ينبغي عنه ولا يؤخذ به)

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على جماسة العلماء بالتبرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به تقوسها ما لم تتكلم به أو تعلم به »^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسيرة فلا تكتبوها فإن عملها فاكثبوها سيرة وإذا هم بحسنة لم يعملها فاكثبوها حسنة فإن عملها فاكثبوها عشرا »^(٣) وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأمي عما حدثت به تقوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أمها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسيرة

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من محب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فنظر إلى شيء من أسبابه فقطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال روم التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفتور والافتقار والتحقق باليسئل

دليل على العفو عن حمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له إلى سبعائة ضعف ومن هم بسبئية فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت» وفي لفظ آخر «وإذا تحدث بأن يعمل حسنة فأنا أغفرها له ما لم يعملها» وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على لا يؤخذ بقوله سبحانه «إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله فينظر لمن يشاء ويمدب من يشاء» وقوله تعالى «ولا تخف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشقولا» فدل على أن حمل الفؤاد كحمل السمع والبصر فلا يفتى عنه وقوله تعالى «ولا تسكوا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه» وقوله تعالى «لا يؤخذكم الله بالقفو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم» والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فنقول : أول ما يرد على القلب الحاطر كالمخطر له مثلا صورة امرأة وأنها داراء ظهره في الطريق ولو التفت إليها لركبها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الحاطر الأول ونسبه ميل الطبع ورسمي الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تمتص الحمة والثانية ما لم تدفع الصوارف فإنه قد يمتص حياء أو خوف من الانتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ورسمي هذا اعتقادا وهو يتبع الحاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الانتفات وجزم الية فيه وهذا نسبه لها بالقول ونية وقصد وهذا المم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصنى القلب إلى الحاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فرما ينتم بعد المجزمت فترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يوقه غائق فيمتنع عليه العمل فيها أربع أحوال القلب قبل العمل بالخلاصة : الحاطر وهو حديث النفس ثم اليل ثم الاعتقاد ثم المم . فنقول : أما الحاطر فلا يؤخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك اليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما اللذان بقوله عَلَيْهِ السَّلَام «عني عن أمق ما يحدث به تقوسها» حديث النفس عبارة عن الحواطر التي تجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما المم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم «يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة» قال مهلا إن من سنق التكاس . قال نفسي تحدثني أن أجب نسي . قال مهلا خصاء أمق دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أترهب . قال مهلا رهبانية أمق الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك الحج . قال مهلا فاني أحبه ولو أحبته لأكلته ولو سألت الله لأطعنيه ^(١) .

فلا تكتبوها عليه الحديث قال الصنف أخرجه م في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه في الذكر (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنق التكاس الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ومحي بن معين والدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إن لم أؤمر بالرهانية الحديث وفيه من رغب عن سنق فليس مني وهو عند م بلقظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أخذ له لاختصنا والبنوي والطبراني في معجمي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إن رجل تشق على هذه الزوجة في الغازی فتأذن لي يا رسول الله في الحياء فأخصني قال لا

والإشارة وترك التمرض والاختيار . قيل لماسي بالصوفية وعين الجنيب بالقصة وقبض على التمساح والرقام والنور وبسط النطق فسرهم رقامهم تقدم النورى قيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوتر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل البروذ يارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا فباب به فغلق فقال سوفى وله باب مفاتيح فكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يبيع فأخذوه إلى السوق وأخذوا رقما من الثمن وقعدوا في الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت أسرته وعليها

فهذه الحواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهم بالقول . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطرارا أو اختيارا والأحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤخذ به والاضطرارى لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو الهم بالقول فانه يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن كان قد تركه خوفا من الله تعالى ونسما على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه وجهادته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الفطنة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة جلدة في عناقة الطبع هو الدمع لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في مواقة الشيطان بمواقة الطبع فكسبه حسنة لأنه رجح جده في الامتناع وهمه به على همه بالعلم وإن تموى القمل بما تقي أو تركه بذرا لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح منصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت للأنثى عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به قال اربقوه فإن هو عمها فاكسبوا له بثلثها وإن تركها فاكسبوا له حسنة إنما تركها من جرأتى » (٢١) وحيث قال فإن لم يعملها أراد به تركها لله فاما إذا عزم على فاحشة فتمذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما عشر الناس على نياتهم » (٢٢) ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصبح ليقول مسلما أو زنى بإمرأة مات تلك الليلة مات مصرا وبخسر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع في ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقي السلطان بسفيها فالتقاتل وللقنول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل لما باللقنول قال لأنه أراد قتل صاحبه » (٢٣) وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوما فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار البعد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة وتقص العزم بالندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فاما فوت المراد بما تقي فليس بحسنة وأما الحواطر وحديث النفس وهجران الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالله أخذ به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليكم بالإن مظلون بالصيام فانه مجفرة والأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو خضاء أمي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظلون قال يا رسول الله اتدنى لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهانية الخفيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث و . بسند ضعيف من حديث عائشة التلعك من سفي والأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لسك نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهانية ورهانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد الدلمي وهو ضعيف وأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت للأنثى رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال للصف إنه في الصحيح وهو كفا قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما عشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يث الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يرضهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يرضون على نياتهم (٣) حديث إذا التقي السلطان بسفيها فالتقاتل وللقنول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من حجة التنازع فيهموه فقال الزوج لها لم تكلفني هذا باختيارك قالت استعصمت مثل الشيخ ياسطفا وبحكم علينا ويقي لنا شي ندخره عنه . وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطأ إخوانه في عيادته فسأل عنهم فقالوا إنهم يستحيون بمالك عليه من الدين فقال أخزى الله ما لا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم أمر مناديا ينادى من كان قيس عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبة داره بالمشي لكثرة عواده . وقيل أقر رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - وجاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا :
 كفنا ما لا نطبق إن أحدا يحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك قال صلى الله عليه وسلم :
 لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمنا وعصينا قولوا سمنا وأطعنا قالوا سمنا وأطعنا (١) فأنزل
 الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله قسا إلا وسعها - فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع
 من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف النقاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن
 كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن يخلط وكيف
 لا يؤخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والتفاخر والحسد وجملة الحيات من أعمال القلب
 بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه - شولا أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر
 بغير اختيار على غير ذي حرم لم يؤخذ به فإن أبغها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لأنه عتار فكذا
 خواطر القلب تجري هذا الجري بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢)» وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
 التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم «الإثم حواز القلوب (٣)» وقال «البر ما أطمان إليه
 القلب وإن أتوك وأخوك (٤)» حتى إذا قول إذا حكم القلب التقى بإيجاب شيء وكان عطا فيه
 صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوأسا كان له ثواب
 بفعله فإن تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يصح بوطئها
 وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر
 إلى القلب دون الجوارح .

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء الراقين للقلوب الناظرين في صفاتها ومخاطباتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق :
 فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خسر (٥) »
 والحنس هو السكوت فكأنه يكتف . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري على القلب ولا يكون له أثر
 لأن القلب إذا صار مستوعبا بالله كركان محجوبين عن التأثير بالوسوسة كالمشغول بهم فانه قد يكلم ولا يفهم
 وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها على القلب
 فكأنه يوسوس من بعد على ضئف . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة
 ويتأهبان في أزمنة متقاربة يظن لثقلها أنها متساقطة وهي كالكرة التي عليها قط متفرقة فانك
 إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة توصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الحنس قد ورد
 ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والد كرسيا وقان في
 الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكأن الإنسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - جاء ناس من
 الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كفنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة
 وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره
 (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما أطمان إليه القلب وإن أتوك
 وأخوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وإبسة وفيه وإن أفتاك الناس
 وأخوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خسر ابن أبي الدنيا وابن عدى من حديث أنس
 في أثناء حديث إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا .

جنتي قال لأرملة
 درهم دين على فدخل
 الدار ووزن أرملة
 درهم وأخرجها إليه
 ودخل الدار باصصا
 قالت امرأته هل تأملت
 حين شق عليك الإجابة
 فقال إنما أبكى لأن لم
 أتخذ حاله حتى أحتاج
 أن يخافني . وأخبرنا
 الشيخ أبو زرعة عن
 أبيه الحافظ القدسي
 قال أنا محمد بن محمد إمام
 جامع أصفهان قال ثنا
 أبو عبد الله الجرجاني
 قال أنا أبو طاهر محمد بن
 الحسن الحمد أباذي
 قلت أنا أبو البحرى قال
 ثنا أبو أسامة قال ثنا
 زيد بن أبي بردة عن
 أبي موسى قال قال
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « إن
 الأصميرين إذا أرملوا

القلب قد يكون مجرى لشبهين قد قال صلى الله عليه وسلم « ما من عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دينه وعيانه في قلبه يصير بها أمر دينه » (١) وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التمس بالقدوات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول المرأه عظيم فند هذا إذا ذكر البعد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فاذا ذكر البعد وعد الله تعالى ووعد به وجدد إيمانه وبقية خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أسير من الصبر على العاصي ولا يمكنه أن يقول للصبر لا تنفسي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالسبب بعلمه فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويسبده كما تبسده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيترك البعد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المتبصرين بنور الإيمان والمعرفة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيئتها وهذا ينقسم إلى ما يعلل البعد بقينا أنه مصيبة وإلى ما يظنه بنال الظن فإن علمه بقينا خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التيسر وإن كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبية . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالية والتفكير في غير الصلاة مثلا فاذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويمد ويندفع ويمد ويندفع فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساقوا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءه وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب ويبعد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذا قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ » من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) فلو أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمنتهر فلما قد تمى التسويع القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجاهدة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك للتفرق في الحب قد يتفكر في مجاهدة محبوه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوه ولو كلفه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجهه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لنفسه الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت حملة هذه الأنقسام وأصناف الوسواس علمت أن لسلك مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بيد جدوا ومعال

في القزو وقل طعام
عالمهم جمعوا ما كان
عندهم في ثوب واحد
اقتسموا في إناء واحد
بالسوية فهم من وأنا
منهم . وحدث جابر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أنه إذا أراد
أن يمزو قال : يا مشر
الهاجرين والأنصار
إن من إخوانكم قوما
ليس لهم مال ولا عدة
فليضم أحدكم إليه
الرجل والرجلين
والثلاثة لأحدكم من
ظهره إلا عقبة
كعبة أحدكم » قال
فضممت إلى اثنين
أو ثلاثة مالى إلا عقبة
كعبة أحدكم من جملة .
وروى أنس قال لما قسم
عبد الرحمن بن عوف
للدنية أخى النبي عليه
السلام بينه وبين سعد

(١) حديث ما من عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دينه وعيانه في قلبه يصير بها أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن بلقظ الأخرى مكان دينه وفيه الحديث بن أحمد بن محمد الهروي الساجي الحافظ كذب ك والافة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا تقدم في الصلاة .

في الوجود ولو تخاف أحد من وسوس الشيطان بالخواطر وتيسر الرغبة لتخلص رسول الله عليه وسلم قد روي « أنه نظر إلى علم في توبه في الصلاة فلما سلم روى بذلك التوب وقال شغلني عن الصلاة وقال انهجوا به إلى أبي جهنم واتقوا بأنجانته (١) ». وكان في يده خاتم من ذهب ففطر اليهودي على التبر ثم روى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) » وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك التوبة النظر إلى خاتم الذهب وعلم التوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبث ثم روى به فلا تقطع وسوسة عروض الدنيا وتغصا إلا بالرمي والمفارقة لقدام علك شيا وراء حاجته ولودينار واحدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفهاذا ينفعه وكيف يغنيه حتى لا يعلم به أحد وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوسوس فمن أنشب محال به في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الدباب لا يقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للناسي فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقه في بدعة فان أبي أمره بالتحرج والشد حتى يحرم ما ليس بهرام فان أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم فان أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس مابرا عفيفا فتدبل قلوبهم إليه فيحبب نفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة وسلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة قلب القلب واتسام القلوب في التضرع واليات)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصب إليه الآراء والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاعف تغير صفته فان زل به الشيطان فدماع إلى الهوى زل به لذلك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فثارة يكون متنازعا بين ملكين وثارة بين شيطانين وثارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعهما ولا إليه الإدارة بقوله تعالى - وتقلب أفئدتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على محب صنع الله تعالى في محائب القلب وتقلب كان يخلف به في قوله لا ومقلب القلوب (٣) » وكان كثير ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء الله أقامه وإن شاء أن يزفه أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة فقال « مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة » (٥) وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في توبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب ففطر إليه على التبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه و ك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى . ك وصححه على شرطه م من حديث التوحي بن ميمان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ون في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في الاستدراك وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواء البيهقي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الربيع قال ه
أفلمك على نصفين ولي
أمرأتان فأطلق أحدهما
فإذا انقضت عهدها
فزوجها قال ه
عبد الرحمن برك الله
لك في أهلك ومالك
فما حمل الصوفي على
الايثار إلا طمارة نفسه
وشرفه غريزته وما
جله الله تعالى صوفيا
إلا بعند أن سوى
غريزته لذلك وكل
من كانت غريزته
السخا والسخي يوشك
أن يصير صوفيا لأن
السخا صفة الغريزة
وفي مقابله الشح
والشح من لوازم صفة
النفس قال الله تعالى
- ومن يوقش نفسه
فأولئك هم المفلحون -
حكم بالقلاح لمن يوق
الشح وحكم بالقلاح

«مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا» (١) وقال «مثل القلب كشل ريشة في أرض غلاة قلبها الرياح ظهرها لبطن» (٢) وهذه التنبأت وهما تبصيح الله تعالى في قلبها من حيث لا تهتدى إليه للرفة لا يعرفها إلا الراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في التبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبايا الأخلاق تتفتح فيه خواطر الخير من خزائن القلب ومدخل للسكرات فيصرف العقل إلى التفكير فما خطر له يعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكتشف له نور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى الصلابة وينظر لذلك إلى القلب فيجده طيا على جوهره طاهرا بتقواه مستتبيا بشيائ العقل معمورا بأنوار المعرفة فواء سالما لأن يكون له مستورا ومهيطا فشد ذلك عنده بمجرد لأثره ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهي إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لغيره - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من ديب الفلج السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا التور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من الهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سذكرها من الشكر والصبر والحرف والرجاء والفقر والزهو والمهبة والرشا والشوق والتوكل والتفكر والمهابة وغير ذلك وهو القلب الذى أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطنن المراد بقوله تعالى - ألا بدكر الله تطمئن القلوب - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس الطمئة - . القلب الثانى : القلب الخنول للشحن بالهوى الدنس بالأخلاق للشمومة والحماة الفتوح فيه أبواب الشياطين للسدود عنه أبواب اللاتسكة وبدأ الترفيه أن يتفتح فيه خاطر من الهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفيق منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنى به واستمر على انبساط الخيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فيتشرع الصدر بالهوى وتبسط فيه ظلمات الانحياص جند العقل عن مدافسته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالترزين والفرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخرب نور اليقين لحوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالمعين الذى ملأ الدخان أجفائها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصرة واعظ وأصمعه ماهو الحق فيه يعمى عن القيم وصم عن السمع وهاجت الشهوة في وسط الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت النسبة إلى عالم الشهادة من عالم القلب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا لاعلام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالامانة إلى بعض الشهوات كالتى يتورع عن بعض الأعياء ولكنه إذا رأى

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا أحمد و ك وقال صحيح على شرط من حديث للقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كشل ريشة بأرض غلاة الحديث الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث أبى موسى الأشعرى بإسناد حسن والبخارى نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

لمن أخفى وبذل قال
سومار زخام ينفقون
أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم
الفلحون - والقلاح
أجمع اسم لسمانة
الدارين والنهى عليه
السلام به بقوله ثلاث
مهلكات ، وثلاث
منجيات فجعل إحدى
الهلكات شحا مطاعا
ولم يقل مجرد الشح
يكون مهلكا بل يكون
مهلكا إذا كان مطاعا
فأما كونه موجودا فى
النفس غير مطاع فانه
لا ينكر ذلك لأنه من
لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها التراب
وفى التراب قبض
وإسكاف وليس ذلك
بالعجب من الأدنى
وهو جبل فيه وإنما
العجب وجود السخاء

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كادى لا يملك نفسه فها فيه الجلاء والرياسة والكبر ولا يقين معه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أو كادى لا يملك نفسه عند انصب منها استغفر وذكر عيب من عيوبه أو كادى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهاك عليه تهالك الواله للستر فيفسى فيه الرومة والتقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم حتى يطفى منه أنواره فينطفى نور الحياء والرومة والإيمان ويسمى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب يمد فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتثبت النفس جهوتها إلى نصرته خاطر الشر فتقوى الشهوة وتمنع التبع والتم قبضت العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويحبس قلبها وينسحب إلى الجهل ويذهبها بالهبة والسبع في تهجمها على الشر وقله أكثراتها بالواقب فتبيل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فتقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أو يترك لهم ملاذ الدنيا يشتمون بها وتجبر على نفسك حتى تبقى محروما عشيا متبوا يصحك عليك أهل الزمان أقريرد أن يزيد منكيب على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اخترت ولم يتنموا أم ترى العالم الثلاثي ليس يحرز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لانتفع منه تخيل النفس إلى الشيطان وتغلب إليه فيحمل لك حمة على الشيطان ويقول هل هناك إلا من اتبع لغة الحال ونسى العاقبة أفنتع بلغة سيرة وتركة لغة الجنة ونعيمها أبدأ الآباد أم تستقل أم الصبر عن شهواتك ولا تستقل أم النار أنتربفظة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك مصيبة غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فخذ ذلك لتمثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يردد بين الجندين متجاذا بين الحزين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجري على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للكبكية لم يصنع القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على المراجعة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تحاذي هذين الجندين وهو الغالب أعي القلب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب للألمة أومع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن القلب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن للسكرات وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق لجنه يسر له أسباب الطاعات ومن خلق لئلا يسر له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يفر الحق بقوله إن الله رحم فلا يزال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تنوب غدا - يدهم ويعتبه وما يدهم الشيطان إلا غرورا - يدهم التوبة ويعتبهم النفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول التورود ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن رددته أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره شيقا حرا جاكما يصعد في السماء . - إن يصركم الله فلا غالب لكم وإن غذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده - فهو الهادي

في القرينة وهو نفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والإبثار والسخاء أم وأكل من الجود ففي مقابلة الجود بالبخل وفي مقابلة السخاء والشح والجود والبخل يتطرق إلى البسالة لاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة القرينة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الفرائد والله تعالى منزّه عن القرينة والجود يتطرق إليه الغرأ ويأتي به الإنسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الخلق بمقابل ما من

والفضل يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلًا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلًا فاستعملهم بالعصا وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبرر لى نعيم وإن الفجار لى جحيم - ثم قال تعالى فيها روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء فى الجنة ولا أبالي وهؤلاء فى النار ولا أبالي » (١) فقال الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنفس على هذا التقدير اليسير من ذكر هجاب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم العامة وإسناد كونا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم اللامعة وأسرارها ليتفتح بها من لا يفتح بالظواهر ولا يجترى بالقصر عن الباب بل ينشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيما ذكرناه كفاية ومقتضى إن شاء الله تعالى والله ولى التوفيق . ثم كتاب هجاب القلب وله الحمد والمنة . وثلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(كتاب رياضة النفس)

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثانى من ربيع الهللكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن فى تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وقوض تحمين الأخلاق إلى اجتهد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويغها وتحذيره وسهل على خواص عبادته تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيه وصفيه وبشيره ونذيره الذى كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرق حقيقة الحق من مخايله وتبشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودباجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتردسوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين ونعمة مجاهدة للتقين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة والهللكات الدائمة والمخازى الفاضحة والردائل الواضحة والحجائب البعدة عن جوارب المالمين للنخرط بصاحبها ضلوك الشياطين وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للوقدة التى تطلع على الأفتدة كأن الأخلاق الجليقة هى الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الحبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأين منه للرض الذى لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس فى مرضها إلا فوات الحياة القائمة فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفى مرضها فوات حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تطه على كل ذى لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت العلل وتظاهرت فبحاج العبد إلى تأتى فى معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير فى علاجها وإصلاح الله الجنة هو الراد بقوله تعالى - قد أفلق من زكاهما - وإلهامها هو الراد بقوله - وقد خاب من دسها - ونحن نشير فى هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء ، إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء ، إلى النار ولا أبالي . أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

(مكتاب رياضة النفس)

النساء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية الرضا عن الأعراض ودنيا وآخرة لأن طلب العوض مشعر بالخل لكونه معلولا بطلب العوض لما تمحض سخاءه فالسقاء لأهل الصفا والابتنار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى - إنما نطعمكم لوجه - الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا بأنه نفى فى الآية الإطعام لطلب الأعراض حيث قال لا نريد بهد قوله لوجه الله فسا كان قد لا يشتر بطلب العوض بل القسرية لطهارتها تجذب إلى مراد الحق

لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في جبة الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر السكبي في تهذيب الأخلاق وتعميد مناجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الأفهام ودركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق للتغير بالرياسة ثم يان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياسة النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم يان شواهد النقل على أن طريق الما لجلة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في ريادة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(يان فضيلة حسن الخلق ومفيدة سوء الخلق)

قال الله تعالى لبيبه وجيبي مثنيا عليه ومظهرنا نعمته لديه - وإنك لملئ خلق عظيم - وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن ^(١) » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فقال قوله تعالى - خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتمطى من حرمك وتقفو عمن ظلك ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يثبت لأتكم مكارم الأخلاق ^(٣) » وقال ^(٤) « أتصل ما يوضع في اللبزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق ^(٥) » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأثاء من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أثاء من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أثاء من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين قالت إليه وقال أما تقفه هو أن لا تنضب ^(٦) » وقبل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق ^(٧) » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع البيعة الحسنة تبعها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن ^(٨) » وسئل عليه السلام « أي الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطمعه النار ^(٩) » وقال الفضيل [١] قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في اللبزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان تم ولا تخص كالشمس والريح والنبت .

للمرض وذلك أكل السخاء من أظهر الترائز . روت أمه بنت أبي بكر قالت : قلت يا رسول الله ليس لي من شيء إلا ما أدخل على الزير فأعطى . قال نعم لا توكل فيوكي عليك . ومن أخلاق الصوفية التجاوز والنفو ومقابلة البيعة بالحسنة . قال سفيان الاحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فإن الاحسان إلى الحسن متاجرة كسكفد السوق خذ شيئا وهات شيئا وقال الحسن الاحسان أن تم ولا تخص كالشمس والريح والنبت . وروى أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت قصورا مشرفة

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند م (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ الصفو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عباد قوائس بأسانيد حسان (٣) حديث يثبت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد ذلك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصلوة (٤) حديث أمثال ما يوضع في اللبزان خلق حسن ذلك وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر الروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشيخ مرسلا (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقته فتنطسه النار تقدم في آداب الصلوة .

[١] قوله وقال الفضيل لم يخرج المراقى ولم يفته عليه وقد تقدم في باب الصلوة فليأمل .

ذل اللهم قوتى قنواء بحسن الخلق والسعيا ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوتى قنواء باليخل وسوء الخلق (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السعيا وحسن الخلق إلا فزيناو دينكم بهما (٢) « وقال عليه السلام « حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣) « وقيل « يا رسول الله أى المؤمنين أفضل إيمانا قال أحسنهم خلقا (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فتعومهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥) « وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق يغسد العمل كما يغسد الحبل الصل (٦) « وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ تدرى أن الله خلقك لحسن خلقك (٧) « وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا (٨) « وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « اللهم حسن خلقى لحسن خلقى (٩) « وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق (١٠) « وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسن خلقه ومروءته عقله (١١) « وعن أسامة بن شريك قال « شهدت الأعارب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى البعد قال : خلق حسن (١٢) »

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع فى البران حسن الخلق الحديث ثم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي الدرداء ما من شيء من البران أقل من حسن الخلق وقال غريب وقال فى بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى فى كتاب التجاد والخرابى فى مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى فى الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يا رسول الله أى المؤمنين أفضلهم إيمانا قال أحسنهم خلقا د ت ن ك من حديث أبي هريرة وتقدم فى النكاح بلفظ أكل المؤمنين ولطبرانى من حديث أبي أمامة أفضلكم إيمانا أحسنكم خلقا (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فتعومهم ببسط الوجه وحسن الخلق البراء وأبو يعلى والطبرانى فى مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البراء رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يغسد العمل كما يغسد الحبل الصل ابن حبان فى الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ تدرى أن الله خلقك فأحسن خلقك الخرابى فى مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى فى كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الخرابى فى مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى لحسن خلقى الخرابى فى مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإما هو ابن مسعود أى عبد الله هكذا رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرابى فى مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة صكرم للرد دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب وك وصحة على شرطه والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تسلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقفا على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعارب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى البعد قال خلق حسن ه وتقدم فى آداب الصحة .

على الجنة قلت
باجبريل لمن هذه
قال للكاتمين التيق
والعافين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه « أن أبابكر
رضى الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم فى مجلس
فجاء رجل فوقع فى
أبي بكر وهو ساكن
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رد أبو بكر
عليه بعض الذى قال
فغضب النبي وقم
فأحذه أبو بكر فقال
يا رسول الله شتمنى
وأنت تبسم ثم رددت
عليه بعض ما قال
فغضبت وقت فقال
إنك حيث كنت
ساكتا كان معك
ملك يد عليه فلما
تسكمت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا»^(١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تتعدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به السفه أو خلق يمشي به بين الناس»^(٢) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(٣) وقال أنس يينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليذهب الخطيئة كما تذهب الشمس الجليد»^(٤) وقال عليه السلام «من سعادة للرء حسن الخلق»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «اليمين حسن الخلق»^(٦) وقال عليه السلام لأبي ذر «يا أبا ذر لا تغفل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق»^(٧) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت للرء يكون لها زوجان في الدنيا تموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون، قال لأحسهما خلقا كان عندها في الدنيا يأمر حبيبة ذهب حسن الخلق بغيري الدنيا والآخرة»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن للسل للسد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرثيته»^(٩) وفي رواية «درجة الظمآن في المواجه» وقال عبد الرحمن بن مرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال «إني رأيت البارحة عجا رأيت رجلا من أمي جالسا على ركبته وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى»^(١٠) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لشعيف في العبادة»^(١١) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكرهن عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقصد في مقدم فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم عظملة فيفتو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد ينتح باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد ينتح باب عطية أو صلة ينتح بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة». أخبرنا شياه الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا السرخسي قال أنا الترياق قال أنا الجراحي قال أنا الهبوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد ابن فضيل عن الوليد ابن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل من

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طمس طس من حديث أبي هريرة إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا وللطبراني في معارج الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصلوة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يمتد بشيء من عمله الحديث الحاريطي في معارج الأخلاق بإسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معارج الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليذهب الخطيئة كما يذهب الشمس الجليد الحاريطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للرء حسن الخلق الحاريطي في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث اليمين حسن الخلق الحاريطي في معارج الأخلاق من حديث علي بإسناد ضعيف (٧) حديث يا أبا ذر لا تغفل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ه ح من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يارسول الله أرأيت للرء يكون لها زوجان الزوان والطبراني في الكبير والحاريطي في معارج الأخلاق بإسناد ضعيف (٩) حديث إن للسل للسد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن حبة (١٠) حديث عبد الرحمن بن مرة إني رأيت البارحة عجا الحديث الحاريطي في معارج الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والحاريطي في معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب معارج الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصحاب اثنين من حديث أنس بإسناد جيد

فما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشكك فقال عمر رضي الله عنه ثم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحق أن يهينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال باعدوات أنفسهن وأهنيهن ولا تهنين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم أنت أغاظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم إيهما يا ابن الخطاب والذي نفسي بيدي ما ليك الشيطان قط ما لك باغا لإسلكك باغا غيرك؟^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يضر وسوء الظن خطيئة تفوح»^(٢) وقال عليه السلام «إن البديل يبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم»^(٣) الآثار : قال ابن لقمان الحكيم لأبيه يا أبت أي الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فإذا كانت أربعاً قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستا قال يا بني إذا اجتمعت فيه المحس خصال فهو حقى لله ولئى ومن الشيطان يرى وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن البديل يبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد ، وقال يحيى بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السيء الخلق كمثل الفخارة للكسورة لا ترقع ولا تتمد طينا ، وقال الفضيل : لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق . ومحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال بكيت رحمة له فارفته وخلقته معه لم يفارقه . وقال الجندب : أربع ترفع البديل إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال السكاكي التصوف خلق لمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالأخلاق وزياروهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سبب لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله في كتابه العز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل فما الحب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حبا ، وقال لكل بيان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا للخلق صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

(بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تنكروا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لغيره ثم لم يتوصلوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

(١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكرهن الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يضر الخ الحديث طعن من حديث عائشة مامن شيء إلا توبة لإصاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه واستاده ضعيف (٣) حديث إن البديل يبلغ من سوء خلقه أسفل من درك جهنم الطبراني والحرابي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصحابين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين .

حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكونوا إمة تجولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » وقال بعض الصحابة « يا رسول الله الرجل أمر به فلا يقربني ولا يضيئي فيعربني أفأجزيه قال لا أقربه » وقال الفضيل الفتوة الصفيح عن عثرات الإخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الواصل السكاكي » ولكن الواصل الذي إذا قطع رحمه وصاحبها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مكارم الأخلاق »

الحسن : حسن الحق بسط الوجه وبذل الدي وكف الأذى . وقال الواسطي هو أن لا غاصم ولا غاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتمال اللؤم . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وقبلا بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الحق في السراء والضراء وقال أبو عثان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الحق فقال أدناه الاحتمال وترك للكافة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الحق في الرزق ويشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فبطيه ولا يصبه في جميع الأمور فبا بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال على رضي الله عنه حسن الحق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على البقال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الحق بمد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثلة كثيرة وهو تعرض لثلاث حسن الحق لنفسه ثم ليس هو عيضا بجميع الثمرات أيضا وكشف التغطاء عن الحقيقة أولى من هزل الأناويل المختلفة فقول الحق والحق عبارة عن مستعملتان معا يقال فلان حسن الحق والحق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالحق الصورة الظاهرة ويراد بالحق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبر ومن روح وشس مدرك بالبصرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قيصة وإما جملة فانفس للدركة بالبصرة أعظم قدرا من الجسد للدرك بالبر ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فيه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، والراد بالروح والنفس في هذا اللقار واحد فالحق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأنفال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأنفال الجملة المهيومة عقلا وشرا مبيت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأنفال التبيحة تعييت الهيئة التي هي للصدر خلقا سيئا وإلما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذله للال على التذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإلما اشتراطنا أن تصدر منه الأنفال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل للال أو السكوت عند الغضب بمجد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقيبح . والثاني القدرة عليهما . والثالث المعرفة بهما . والرابع هيئة قنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الحق عبارة عن الفعل قرب شخص خلقه السخاء ولا يذلل إما لقد للال أو لما نفع وربما يكون خلقه البخل وهو يذل إما لباعث أولياء وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بل إلى الشدين واحد وكل إنسان خلق بالنطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقيبح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن التي الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والتم والحد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الحق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتماثلت حصل حسن الحق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم لحسنها وصلاحيها أن تصير بحيث يسهل بها درك القرين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والقيبح في الأنفال فإذا

أن تفوه من ظلمك
وتصل من قطعك
وتعطي من حرمك
ومن أخلاق الصوفية
البشر وطلاقة الوجه.
الصوفي بكافه في خلوته
وجسده وطلاقة وجهه
مع الناس فالبشر على
وجهه من آثار أنوار
قلبه وقد تنازل بطن
الصوفي منازل إلى
ومواهب قدسية
يرتوي منها القلب
ويتملى فرحا وسورا
قل بفضل الله وبرحمته
فذلك فليفرحوا -
والسرور إذا تمكن من
القلب فاض على الوجه
آثاره قال الله تعالى
سوجه يومئذ مسفرق
أى مضيئة مشرقة
ممتبشرة مسأى فرحة
قبل أشرقت من طول
ما غبرت في حيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير اغضبها وانبساطها على حد مائة تنبيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعدل مثاله مثال الناصح للشر وقوة العدل هي القدرة ومثاله مثال النفس المضى لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال الكلب العبد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله ونوقه بحسب الإشارة لا يحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثاله مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الحاصل واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدلت فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة التضيئية واعتدالها يبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يبر عنه بالغة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمعدود هو الوسط وهو القسيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضواحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجبرية ويسمى تفریطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فالنص أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والصفوة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأعمال الاختيارية ، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تمسوس الغضب والشهوة وتعملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والاعتدال على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب متفاداة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالغة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة ذهن وتنمية الرأي وإصابة الظن والتفطن لذات في الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجبرية والسكر والخداع والدهاء ومن تفریطها يصدر البله والعمارة والحق والجبن ، وأعني بالعمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخييل فقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحق والجبن أن الأحق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الوصول إلى الغرض . وأما الجبن فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإشارته فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والتجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد ومثاله وهي أخلاق محمودة . وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبخ والامتناع والتكبر والعجب . وأما تفریطها فيصدر منه اللهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانتباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق الصفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والسامحة والتناعة والورع والطاعة والساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفریط فيحصل منه الحرس والشره والوقاحة والغضب والتبذير والتقصير والرياء والمتسكة والمجانة والبث والفاق والحسد والشهامة والتذلل لأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع هي الحكمة والشجاعة والصفوة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثاله فيض النور على الوجه من القلب كفيض نور السراج على الزجاج والشفقة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فإذا تتم القلب بالبدن السامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعم - أي نضارته وبريقه قال أنضر النبات إذا أزهى ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - قلبا نظرت نضرت فأرباب الشهادة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور الشهادة وانضجت مآدة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلي وإذا شرقت الشمس على المرأة للفقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويتقنون به في جميع الأفعال ، ومن اتك عن هذه الأخلاق كلها والصف بأندادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان العين البعد فيبني أن يعد كما أن الأول قرب من تلك القرب فيبني أن يقتدى به ويتقرب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعث إلا لائتم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فلايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فتدو من الله تعالى الصعاب فقال - أشدها على الكفار رحما بينهم - إشارة إلى أن للشدة موضعاً والرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتخير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بركة النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبت دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تضيها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كأن الخلق هو صورة الظاهر فالخلة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبيح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يتمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى الزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الأدنى فاشتغاله به تضيق زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع النفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده . فتقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لطلبت الوصايا واللواظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم» (٢) وكيف يشكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البريمة يمكن إذ ينقل البازي من الاستباحش إلى الأنس والكلب من شره الأكل إلى التأديب والامساك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلامة والاقبياد وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكشاف للغطاء عن ذلك أن قول الموجودات منقسم إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتنصليه كالجماد والكواكب بل أعضاء البدن وداخلها وخارجها وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن التوبة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخله إذا انضاف التربية إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا تربية فإذا صارت التوبة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا لقمهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبق لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردنا سلاستهما وتوددهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليهما وقد أمرنا بذلك وسار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سريمة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة التريزة في أصل الجبلية وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجود في الإنسان ولكن أصعب أمراً وأعصاها

الجدران قال الله تعالى
- سبحانه في وجوههم
من أزال الجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظل وهو القوال
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالسود
والأصا - كيت لا تأنر
بشهود الجبال . أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا
السكرخي قال أنا
التزياني قال أنا الجراحي
قال أنا المجوي قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال
ثنا ثنية قال ثنا
للسكندر بن محمد بن
للسكندر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «كل معروف
صدقة وإن من المعروف
أن تلقى أخاك بوجه
طلق وأن تضرع من

(١) حديث بشت لأنهم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصعبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ بن أمiad حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

على التفرير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا إذ المني في مبدأ الفطرة تخلقه الشهوة ثم يمد مبع ستين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قديماً كد بكثره العمل بعقضاء والطاعة له واعتقاد كونه حسناً ومرتبياً والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الإنسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجلب والبيع بل يثق كافتراضه خالياً عن جميع الاعتقادات ولم تستم شهوته أيضاً باتباع اللذات فهذا سرعان قبول العلاج جدماً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يجمع على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح التبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل يزين له سوء عمله فتطاول اعتياده لشهواته وإغراضه عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن عز نفسه في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت لوظيفة عليه إذ غلبه قلع مارسع في نفسه أولاً من كثرة الاعتقاد للفساد والآخر أن يفسد في نفسه صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة إن اشتمل لها عجم وتشهير وحزم . والثالثة أن يستند في الأخلاق الصحيحة أنها الواجبة للمستحسنة وأنها حق وجبيل وترى عليها فهذا يكاد تنتج معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى القضية في كثرة الضرر واستهلاك النفوس ويأبى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للارتاب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الحرم ومن التعذيب تهذيب الديب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وقاسق والرابع جاهل وضال ولاسقى وشرب ، وأما الجيل الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم إن الأدنى مادم حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحسب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن التصود من المجاهدة قلع هذه الصفات بالكيفية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت للعائدة وهي ضرورية في الجملة فلا تنقطع شهوة الطعام لمالك الإنسان ولو انقطعت شهوة الواقع لانهطت النسل ولو انعدم الغضب بالكيفية ليدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لاحتاجة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى عمله ذلك على إمسالك المال وليس المطلوب إدامة ذلك بالكيفية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحجة وذلك بأن تخلو عن التهور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته متقاداً للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداه على الكفار رحماً بينهم - وصفهم بالشدّة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكيفية والأنبياء عليهم السلام لم يتركوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر» (١) . «وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه غضب حتى تعمر وجنتاهم ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق» (٢) وقال تعالى - والكاذمين القبط والمافين عن الناس - ولم يقل والقاذبين القبط فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يهتر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لها والغالب عليها

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة أنهما جديس بنضرب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تعمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرج غضبه عن الحق الشيخان من حديث عبدالله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما انتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله وللمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دورك في إثناء أخيك»

وقال سعد بن

عبد الرحمن الزبيدي

يسبى من القراء كل

سهل طلق مضحك .

فأما من تلقاه بالشر

وبقائه بالبوس كأنه

يمن عليك فلا أكثر

الله في القراء مثله ومن

أخلاق الصوفية الشهوة

ولبن الجانب والقول

مع الناس إلى أخلاقهم

وطباعهم وترك

التصف والتكلف

وقد روى في ذلك عن

رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبار

وأخلاق الصوفية

نحاكي أخلاق رسول

الله صلى الله عليه وسلم

وكان يقول عليه الصلاة

والسلام «أما إنى أمرح

ولا أقول إلا حقاً» روى

«أن رجلاً قال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانسحاب إلى الفواحش وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة بوقول الشاهدة تدل على ذلك دالة لا شك فيها والذي يدل على أن اللطوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أنشأ الله تعالى عليه قتال - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك اللطوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجود قال الله تعالى - سوكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب للسرفين - وقال في النضب - أشدها على السكندر رحما بينهم - وقال عليه السلام « خير الأمور أوسطها » (١) وهذا ليسر وتحقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إيا من أتى الله بقلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منها أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إبقائه ولا إلى إمساكه فان الحريص على الاتفاق مصروف القلب إلى الاتفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان القاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الخجل والشهور والعفة بين الشره والجود وكذلك سائر الأخلاق فكلما طرق الأمور ذميمة هذا هو اللطوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ للرد للريد أن يقيم عنده النضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء غلته وغبه وظن أن القدر المارخص فيه فإذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر صورته بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر القصود فلا يكشف هذا السر للريد فانه موضع غرور الخلق إذ يظنون نفسه أن غلبه بحق وإن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكامل الحكمة وإلى اعتدال قوة النضب والشهوة وكونها بالعقل مطبوعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجود إلى وكال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والنضب بل خلقنا معدلتين متقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بفكر تعليم ومؤدبا بفكر تأديب كميبي بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتساب فربما يصح خلق صادق للهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة للتخللين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق اللطوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعلم فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويوالب عليه تكلفا بمجاهدة نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلفا له وطبعيا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحموده شرعا تحصل بهذا الطريق ولما يتنه عن كراهة والتواضع هو الذي يستلزم التواضع ولن ترسخ بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستلزم التواضع ولن ترسخ

(١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن آتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من وراءه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد قال إذن تعبدني كاسدا بأرسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية بادية آل محمد من أهل بادية حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ القدسي عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجميلة وينعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرّة عيني في الصلاة »^(١) ومهما كانت العبادات وترك الحظوظ رامت مع كراهة واستقبال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم الواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لسكبيرة الإلهام - الحاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير »^(٢) ثم لا يكتفي في نيل السعادة اللو عودة على حسن الخلق استئذان الطاعة واستكراه العصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيحة أرسخ وكل ولد ذلك ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله تعالى^(٣) ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر يطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإيماناً كد تأثيرها بكرة للواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحاً بمستقلداً له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرّة العين ومصير العبادات للديّة فإن العادة تقتضي في النفس عجباً أغرب من ذلك فإننا قد نرى للولك وللنعمين في أحران دأمة ونرى للقامر للقلبي قد يخلب عليه من القرع واللذة بقماره وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس بغير قرار مع أن القمار بماسليه ماله وخرب بيتوته تركه مفساد مع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وعرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالجمام قد يقبض طول التهار في حر الشمس قائماً رجله وهو يحس بألم القرحة الطيور وروح كاتها وطيرها أو تخليقها في جوار الساء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بمساقمائه من الضرب والقطع والصبر على السياط على أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غفراً لنفسه وقطع الواحد منهم إرباً بإربا على أن يقر بمساقمائه أو تماطاه غيره فيصر على الانتكار ولا ينال بالقوبات فرحاً بمساقمائه كالأول وشجاعة ورجولية قد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرّة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبهه بالاناث في تنف الشعر وشم الوجه ومخالطة النساء قرى الخنث في فرح بحاله وافتخار بكجالة في تحننه بقباهي به مع الخشيين حتى يجري بين الحجامين والسكناسيين التفاهر والباهة كما يجري بين اللوك والطاء فكل ذلك نتيجة العادة والواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومتاهدة ذلك في الخالطين والعارف فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القايح فكيف لاستلذ الحق لوردت إليه مدة والزمّت الواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يضل على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرّة عيني في الصلاة من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير طيب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواه القضاة في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف ولترمذي من حديث ابن بكرة وصححه أي الناس خير قال من طالع عمره وحسن عمله.

أنا للطهر بن محمد
النفيس قال أنا أبو
الحسن قال أنا أبو عمرو
ابن حكيم قال أنا
أبو أمية قال حدثنا
عبيد بن إسحق الطمار
قال ثنا سنان بن
هرون عن حميد عن
أنس قال « جادرجل
إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال :
يا رسول الله احملني
على جل قال أحملك
على ابن الناقة قال أقول
لك احملني على جل
وتقول أحملك على
ابن الناقة فقال عليه
السلام فاجل ابن
الناقة » وروى صيب
قال وأبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر يأكل
فقال أسب من هذا
الطعام فجعلت أكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفة عبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإنما اغذاء القلب بالحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حله به كانه قد عجل المرض بالعداء فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء وسوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض يقدر عليه إلا إذا كان أحب ذلك الشيء ولكن به معنائه على حب الله تعالى وعلى دينه فبعد ذلك لا يدخل ذلك على الرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياسة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاً وهذا من محجب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب بغض أو رها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وجهها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة له صفة تقية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمحارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق وبواجب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فينثبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صغيراً سخيته في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلفه إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انغصص من القلب إلى الجوارح فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قتيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهاء حتى تتعطف منه قلبه صفة الفقه فيصير قتيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً غفياً النفس حلياً متواضعاً فيأمره أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قته النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا بانها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكاملها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا يبالها بعبادة يوم ولا بحرم عنها بصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء للأبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأتس النفس بالسكل وتهجر التحصيل رأساً فيفتوها فضيلة الفقه وكذلك صفات الرعاسي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهم أصل الإيمان عند العامة وكما أن تكرار ليله لا يحبس تأثيره في قته النفس بل يظهر قته النفس عيشاً فنيشاً على التدرج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحبس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بتبليط الطاعة فان الجملة الكبيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فكل واحد منها تأثير فإيمان طاعة لإلاؤها أثروا في خلقه فله ثواب لا محالة فان الثواب بإزاء الأثر وكذلك العصية وكما من قتيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قول الفقه فكذلك من يستهين بصفائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يغتطفه الموت بينة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتعمد عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو للمنى بانسداد باب التوبة وهو الراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه : إن الإيمان لا يبدو في القلب نكته يضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس فاذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله وإن النفاق لا يبدو في القلب نكته سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والقطرة وتارة تكون باعتبار الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة

من القوم فقال أنا مائل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا دا الأذنين . « وستلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكاً ووروثاً أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقتها ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها فقال هذه بذلك . وأخبرنا الشيخ العالم سيدهم عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الحروري قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جيبا فمن
تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبا واعتادا وتلما فهو في غاية الفضيلة ومن
كان رذالا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية
البدن من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب
والبعد بحسب ما تفضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ... وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والليل عن الاعتدال سقم ومرض فيها
كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والليل عن الاعتدال مرض فيه فلتنخذ البدن مثالا . فتقول
مثال النفس في علاجها بحسب الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجيدة إليها مثال
البدن في علاجه بحسب الحال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل الزواج الاعتدال
وإنما تترى العدة للضره بوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا
صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتقاد والتعليم تمسكتب الرذائل
وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويشوى بالنشوى والتربية بألفداء فكذلك النفس
تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتنذبة بالملم وكما أن البدن إن كان
صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك
النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبى أن تسمى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب
زيادة صفاتها وإن كانت عديعة الكمال والصفاء فينبى أن تسمى لجلب ذلك إليها وكما أن الله القوية
لا اعتدال البدن الوجبة للضره لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة في البرودة وإن كانت من برودة
في الحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فبعالج مرض الجهل بالعلم ومرض
البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن الشهي تكلفا وكما أنه لا بد من
الاحتياط لمرة الدواء وشدة الصبر عن التشتيت لعلاج الأبدان للريضة فكذلك لا بد من احتياط لمرة
المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب
والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبدأ الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببا للحرارة إلا إذا
كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من
مقياس يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ مقياسه زاد الفساد فكذلك القافض التي تعالج بها
الأخلاق لا بد لها من مقياس وكما أن مقياس الدواء مأخوذ من غير العلة حتى إن الطبيب لا يعالج مالم يعرف
أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضعيفة أم قوية فإذا عرف
ذلك انتفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة الرضى وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك
الشيخ للتبوع الذي يطيب خوس للردين ويعالج قلوب المسترشد بنى أن لا يهجم عليهم بالرياضة
والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب
لوعالج جميع الرضى ببلع واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الردين بنسط واحد من
الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل يبنى أن ينظر في مرض للردي وفي حاله وسنه وزاجه وما تحتله
يبنى من الرياضة ويبقى على ذلك رياضته فإن كان الردي مبتدئا جاهلا بمحدود الشرع فبعله أولا
الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصية فيأمره أولا بتركها

الترىاق قال أنا

أبو محمد الجراسي

قال أنا أبو العباس

المجسوبي قال أنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال أنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال أنا

عبد الله بن إدريس

عن شعبة عن أبي

التياب عن أنس رضى

الله عنه قال إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليخاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأنح لى صغير يا أبا حمير

ما هذا الصغير والنفير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زبيرا

رضي الله عنهما فسبقه

الزبير فقال : سبقتك

ورب الكعبة ثم صايفه

مرة أخرى فسبقه عمر

قال عمر : سبقتك

فإذا تزين ظاهره بالمباديات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظربقارئ الأحوال إلى باطنه لينظن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذته منه وصرفه إلى الخير استوفى قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للسكينة والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تتكسر إلا بالقل ولأذل أعظم من ذل السؤال فيكافئه للواظبة على ذلك مدة حتى يتكسر كبره وعز نفسه فلن الكبر من الأمراض الهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحاه به ملتفتا إليه استخدمه في تهمد بيت الماء وتنظيفه وكسب الواضع القدرة وملازمة الطبخ ومواضع الدخان حتى تنقش عليه رعوته في النظافة فإن الدين ينطقون ثيابهم وزيوتها ويطلبون للرفقات النظيفة والسجادات للثوبنة لأفرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يبدل الإنسان نفسه أو يبدع صنائعها عبد غير الله تعالى قد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان للريد لا يستغوتيرك الرعونة رأسا أو يترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي أن ينقله من الحلق الذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزال الدم كما يرغب الصبي في الكسب بالعب بالكرة والبولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالرغبة في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالرغبة في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالب عليه أزمه الصوم وتبديل الطعام ثم يكفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر ويتكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى التكاثر وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لاتسكن شهوته بذلك فيأمره أن يظفر لثة على الماء دون الحيز ولثة على الحيز دون الماء ويمتعه اللحم والأدم رأسا حتى تذل نفسه وتكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى القسب غالبا عليه أزمه الحلم والكسوت وسلط عليه من يصعبه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يبرن نفسه على الاحتمال معه كالحكي عن بعضهم أنه كان يهود نفسه الحلم ويؤذي عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للثل وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يمالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نضبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فأزمه نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من فقره على الناس رعونة الجود والرياء بالبدل فهذه الأمثلة تفرقك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه سلوك مسلك الضادة لكل متهوؤ النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - والأمل لهم في المجاهدة الوفاء بالعزم واداعزم على ترك شهوة قد تبسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فإيه إن عود نفسه ترك العزم ألقت ذاك قصدت وإذا انغرق منه بعض عزم

ورب الكعبة وروى
عبد الله بن عباس
قال قال لي عمر تعالى
أنافلك في الماء أينما
أطول تقسا ونحن
محرمون . وروى
بكر بن عبد الله قال
كان أصحاب رسول
الله صلى الله عليه
وسلم ينادون حتى
يتبادحون بالبطيخ
فإذا كانت الحقائق
كانوا هم الرجال يقال
يدح يدح إذا رمى
أى يرامون بالبطيخ
وأخبرنا أبو زرعة
عن أبيه قال أنا الحسن
ابن أحمد الكرخي
قال ثنا أبو طالب
محمد بن محمد بن
إبراهيم قال ثنا
أبو بكر محمد بن محمد
ابن عبد الله قال حدثني
إسحاق الحربي قال ثنا

فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معانية النفس في كتاب المحاسبة والراية وإذا لم يخوف النفس بقوة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالسكية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفضل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض البدن يتعدى عليها البطش ومرض العين أن يتعدى عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فله الخاص به الذي خاق لأجله وهو العلم والحكمة واللطف وحسب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإشراقه ذلك على كل شهوة سواه والاعتناء بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة واللطف وخاصة النفس التي لا تدعى ما يشيعر بها عن اليأس فإنه لم يميز عنها بالقوة على الأكل والشوق والإبصار وغيرها بل بعمرة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومحررها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة للفرقة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فمترسوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله قلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز واللحم أو سقطت شهوتها عن الخبز واللحم فهي مريضة فهذه علامات للرض وهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ماشاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب عما لا يعرف صاحبه فذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة للشهوات وهو نزع الروح فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للرئيس قفا يلتفت إلى علاجه فلهاذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً وتدرس هذا العلم وأنكر بالسكية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد للعالمية فهو أن ينظر في العلة التي يعالجه فإن كان يعالج الداء البخل فهو للهالك للبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يذل المال وإتقانه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به ميذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطولب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطولب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البدن عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق الهذون فإن كان أسهل عليك وأشد من الذي يضاده فالعالم عليك ذلك الخلق للوجب له مثل أن يكون إسماك للسل وجمه ألد عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في اللواظبة على البذل فإن صار البذل على غير المستحق ألد عندك وأخف عليك من الاسماك فالخلق قد غلب عليك التبذير فارجع إلى اللواظبة على الاسماك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلفك بتيسير الأفعال وتصيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إسماكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إسماكه حاجة محتاج أو بذله حاجة محتاج ولا يرجع عندك البذل على الاسماك فكل قلب صار كذلك فقد آتى الله سلباً عن هذا المقام خاصة ويجب أن يكون سلباً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا محمد
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمرو بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن عيص
التي عن يحيى بن
عبد الرحمن بن ساطب
ابن أبي بلتعة قال إن
عائشة رضى الله عنها
قالت وأثبت النبي صلى
الله عليه وسلم محريرة
طبختها لفوقفت لسودة
والتي صلى الله عليه
وسلم بين وبينها كلى
فأبت قتلها لها كلى
فأبت قتلها لتأكل
أو لأطبخن بها وجهك
فأبت فوضعت يدي
في الحريرة فاطنخت بها
وجها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضعت يده وقال
لسودة الطبخي وجهها
فلطخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترغل النفس عن الدنيا منقطعة الملائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فتند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمشة راضية مرضية داخلية في زمرة عباد الله للترين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين في غاية التموض بل هو أرق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم وبمن استوى على هذا الصراط للستيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وتلقا ينفك الصمد عن ميل عن الصراط للستيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الدين اتقوا - أى الدين كان قربهم إلى الصراط للستيم أكثر من بدمم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - هدنا الصراط للستيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة قد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيتنى هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية التموض ولكن ينبغي أن يتجهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقته فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه وليستغل بهلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فساله الله الكريم أن يحملنا من التفتين .

(يان الطريق الذى يرف به الإنسان عيوبه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرا يصبه بعبوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمسكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعبوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق: الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعبوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد نعم شيخه والتلميذ مع أستاذة فيعرفه أستاذة وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثانى أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رفيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فمساكره من أخلاقه وأفعاله وعبوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان بفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له مالك الذى يملك عنى مما تسكره فاستمعى فأخبر عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حائنين حلة بالهار وحلة بالليل فالدهل بملك خبر هذا ؟ قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناقلين فهل ترى على شيئا من آثار التفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمة لنفسه رضى الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأمسدة من يترك المداينة فيجبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلف في أصدقتك عن حشود أو صاحب غرض يرى ما ليس بيب عيا أو عن مدهان يخنى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائى قد اعزل الناس قبيلا لم لا تخطئ الناس ؟ قال وماذا أصنع بأنوام يغفون عنى عيوبى فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لمبوجهم بتنبه غيرهم

عليه وسلم فمرهم
رضى الله عنه على
الباب فنادى يا عبد الله
يا عبد الله فظن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه
سيدخل فقال قوما
فاغسلا وجوهكم فالت
عائشة رضى الله عنها
فما زلت أهلب عجم
لهية رسول الله صلى
الله عليه وسلم إياه
ووصف بعضهم بأن
طاموس فقال كان مع
الصبي صبا ومع
الكهل كهل وكان
فيه مزاحة إذا خلا .
وروى معاوية بن
عبد الكريم قال كنا
تذاكر الشعر عند
محمد بن سيرين وكان
يقول ونمزج عنده
وبما حنا وكنا نخرج
من عنده ونحن
نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصنا وبصرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفسدا عن ضيف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب فداغة فلو نهنا منه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقتلنا منه مرة فرحنا به واشتغلنا بازالة القرب وإبادهها وقتلها وإحما نكبتها على البدن ويدوم ألها يوما في دونه ونكايه الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بمد لثوث أبدأ وألأفا من السنين ثم إنا لا نخرج من بينها عليها ولا نشغل بازالتها بل نشغل بمقابلة الناسح بثلث مقالة فتقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتغفلنا المداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي ألزمتها كثرة الذنوب وأمل كل ذلك ضيف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصرفنا بعبوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوقتنا للقيام بشكر من يطلنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبتدى للساويا ، ولعل انتفاع الإنسان بدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه وغنى عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدو وحمل ما يؤوله على الحمد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنكسر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخالط الناس فكل مارآه مذموما فيها بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويسلم أن الطباع متضاربة في اتباع الحموى فما ينصف به واحد من الأقران لا يفتك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليستفد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستنفوا عن الذوب . قيل ليسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبى أحد أبى أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شيئا عارفا ذكبا بصيرا يبوب النفس مشغفا ناهيا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغلا بتهديب عباد الله تعالى ناهيا لهم فمن وجد ذلك قد وجد العليبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو يصده .

(بيان شواهد الثقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأمله بعين الاعتبار افتتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فإن هجرت عن ذلك فلا تبني أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلق والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان دوجة كما أن للعلم درجة والعلم يعمل بمد الإيمان وهو وراه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطاع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى سونى النفس عن الحموى فإن اللجنة هي التأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قيل نزع منها عية الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يضنه وكافر يقاتله وشيطان يشله ونفس تنازعه (١)» فين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للمؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يضنه والحديث أبو بكر بن لال في مكلام الأخلاق من حديث أنس بسند ضيف .

على الحسن تخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لبن الجانب وصفه حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يتمدونه من الداعة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لتظلم إلى سعة رحمة الله فإذا خلوا وقهوا لموقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا للنبي على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم من يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب
للتلقة بشهوات الدنيا عقولها عن محبوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة
لموعد غائب لم يره وقال نبينا ﷺ قوم قدموا من الجهاد «مرجلا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس» (١) وقال صلى الله عليه وسلم
«المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك
ولا تابع هواها في مصيبة الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فليمن بضعك بما لا إن يضر الله تعالى
ويستريح» (٣) وقال سفيان الثوري ما عالجته شيئا أشد عليّ من نفسي مرة في مرة عليّ وكان أبوالباس
الوصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع أبناء اللوك تنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجهدين
كأن بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس ألا تستحيين وقال الحسن ماله اله الجوع بأحوج إلى الطعام
الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأشياء الرياضة والرياضة على أربعة أوجه
القوت من الطعام والتمنع من اللذات والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة
الطعام موت الشهوات ومن قلة اللذات صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتال
الأذى البلوغ إلى الضايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت
من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام
من غدة التهجد وقلة اللذات وضربتها بأيدي الحمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن
من بوائقها من بين سائر الآثام وتصفى من ظلمة شهواتها فتجوز من عوائل آفاتنا نصير عند ذلك
نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجوز في ميدان الحيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس القارء
في الديدان وكللك للثروة في البستان وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس
من الدنيا بإزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من
استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغفلا لزامه في يدها
تجره حيث شاءت تخضع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمت العلماء والحكماء على أن التعم
لا يدرك إلا بترك التعم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر
الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحزن فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليترأ
للذل . وروي أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بئس ما يملك خزائن الأرض وقدت له على
راية الطريق في يوم موكب وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكتهم سبعا من جمل
الملوك عبيدا بالصبي وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرمن والشهوة صبرا الملوك عبيدا وذلك جزاء
المفسدين وإن الصبر والتقوى صبرا العبيد ملوكا قال يوسف كذا أخبرني الله تعالى عنه - إن من يتق ويصبر
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة قدمت إلى وردي فلم أجدا حلالة التي كنت أجدها
فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل ملتصق بعبادة مطروح على الطريق
فلما أحس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قلت يا سيدي من غير موعد فقال بي سألت الله عز وجل
أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فني صير داء النفس دواءها فقلت إذا خالت النفس

ولا يصلح الاكثار
من ذلك المرادين
للبتدين لفقة عليهم
ومرخصهم بالنفس
وتدعيم حد الاعتدال
فلتغنى في هذه
للوطن نهضة ووثبات
تجر إلى الفساد وتنجح
إلى الضاد فالنزول إلى
طبائع الناس يحسن إن
صعد عنهم وترقى لعلو
حاله ومقامه فيزل إليهم
وإلى طباعهم حين
ينزل بالعلم فأما من لم
يصعد بصفاء حاله عنهم
وفيه بقية مزج من
طباعهم - ونفوسهم
الجامعة الأمارة بالسوء
إذا دخلت في هذه
للداخل أخذت النفس
حظها واغتصمت مآكرها
واستروح إلى الرخصة
والنزول إلى الرخصة
يحسن لمن يركب

(١) حديث مرجا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد وقد تضمن في
شرح مجانب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في أثناء حديث وصحه وه من
حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تابع هواها في مصيبة الله الحديث
لم أجده بهذا السباق .

هو اها فأقبل على نفسه قال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسميه إلا من الجنبه ا قد سمعته ثم انصرف وما عرفه . وقال يزيد الرقاشي إليكم على الماء البارد في الدنيا لئلا أحرمة في الآخرة . وقال رجل لسر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنسكم قال إذا اشتيت الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتيت الكلام . وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما أنسك إلا من كرامتك هي ، فإذا قد اذعنك العناء والحسكاه على أن لا طريق إلى مساعدة الآخرة إلا بنبه النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فلا يمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتفتح النفس بشيء مما لا يوجد في القبر لا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والشكاح واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو فتح شيء منه أنس به وألغى فإذا مات غي الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يشي الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة بحال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بعمرة الله وجهه والتفكير في الاخطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويتنصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر قطع فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة : رجل يستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات للبيئة فهو من الصديقين ولا يتنهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق له تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من المالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن القلب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه نجو منها سرًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعًا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لعمالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمسكه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فانك أنت العاذ وربما يقول القائل إن التمس بالمباح مباح فكيف يكون التمس سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إبطاء كل حسنة واللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضًا من الدنيا وهو سبب البعد وسبب ذلك في كتابه في الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل السكام فرأيت رمانًا فاشتريته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة ففضيت وتركها فرأيت رمانًا مطروحا وقد اجتمعت عليه اثرناير فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يعجبك من هذه اثرناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يعجبك من شهوة الرمان فإن غلب الرمان بعد الإنسان أنه في الآخرة ولعل الرناير يجدأله في الدنيا تركته ومضيت . وقال السري ثامنًا أربعين سنة تطالقي نفسي أن أغمس خبزي في ديس لما أطعمتها فأذن لا يمكن إصلاح القلب لسوءك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمس بالمباح فان النفس إذا لم تمنع بعض الباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن التبية والفضول خلفه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن الهفات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يشكهم إلا بحق فيكون سكوتهم عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتخلف عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بينه الذي يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على البعد منها من الحرام فان لم يودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزينة قالب أوقاه
وليس ذلك شأن
البدني فقله موفية
الطعام فما ذكرته
ترويح بطون حاجة
القلب إلى ذلك والشيء
إذا وضع الحاجة يتقدر
بقدر الحاجة ومعيار
مقدار الحاجة في ذلك
علم فاضل لا يسلم لكل
أحد قال سعيد بن
الناصر لابنه اتقصد في
مزاحك فلا فرط فيه
ينهب بالبهاء ويعبري
عليك السفهاء وتركه
ينيفك الثوانين
ويوحش المخالطين فإل
بضمهم للزواج مسلبة
للهماء مقطعة للاخاء
وكما يصعب معرفة
الاعتدال في ذلك يصعب
معرفة الاحتدال في
الضحك والضحك من
خصائص الانسان

ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس نرفح بالنتم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطراً حتى تصير ثمة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك القرح بالدنيا سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الحوف والحزن وذكر اللوت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - وروضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وغشاش يفسدكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك ذم لها فسأل الله السلامة فأولو الحزن من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال القرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية خرة بعيدة التأثير عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرهلوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب القرح والبطر قطعوها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومقتضاها عتاب وهو نوع عذاب فمن توفى الحساب في عرصات القياة قد عذب غلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية وللك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالآزى إذ قصد تأديبه وقته من التوب والاستبحاش إلى الاتقياد والتأديب فانه يحبس أولاً في بيت مظلم وتخط عيناه حتى يحصل به القطام عن الطيران في جواهر الهواء وينسى ما قد كان آله من طبع الاسترسال ثم يرفق به بالهم حتى يأمن بصاحبه ويأقنه إلقاء دعاء أجاه ومهما مع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأمن بذكره إلا إذا قطعت عن عادتها بالخلة والفرقة أولاً ليحفظ السمع والبصر عن اللواتي تم عودت أثناء الذكر والبقاء ثانياً في الخلوة حتى يظلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوداً عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك ينقل على اللرب في البداية ثم يتم به في النهاية كالصبي يطمع عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكآؤه وجزعه عند القطام ويشد غوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسبوماً فبوماً وعظم تبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً ثم يصبره طبعاً فلور بد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه بهجراً حتى يوصف اللبن وبأنس الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفرعن السرج والجمام والركوب فتحمل على ذلك فقرا وتمنع عن السرج الذي ألقته بالسلال والقيود أولاً ثم تأمن به بحيث ترك في موضعها فتف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالوت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك بمفارقة فإذا علم أنه من أحب شيئاً يلزمه فراقه ويشق لامحالة لمرافقه شغل قلبه بحب ما يافرقه وهو ذكر الله تعالى لأن ذلك يصحبه في القبر ولا يافرقه وكل ذلك يتم بالصبر أولاً أياً ما قاتل فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة ومانع قاتل إلا وهو راض باحتيال للشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شيئاً ليتم به سنة أودعها وكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقدم من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح بمحمد القوم السرى وتذهب ضمم عمايات السكرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأسلحة أن يترك كل واحد ما به غرضه من أسباب الدنيا فالتى يفرج بالمال أو بالجاه أو بالنبول أو العوظ أو بالمر في القضاء والولاية . أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولاً ما به مرحة فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له فوالبك في الآخرة لم ينفس بالتع فكره ذلك وتأمن به فهو عن مرحة بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب القرح

وبميزه عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن سابقه تعجبوا التعجب يستدعى التسكر والفكر كشراف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضاً شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل ليلك وكثرة الضحك فانه يمت القلب وقيل وكثرة الضحك من العرونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يرضى الضحاك من غير عجب للشاء في غير أرب وقد كثر فرق بين الداعية والزاح فتقبل للداعية ما لا ينضب جده والزاح ما ينضب جسده وقد جيل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة

فليُترَك الناس وليُنفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والمكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة وسواس حتى يجمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيئاً ولا يزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلزم ذلك بقية العمر فليس للجهد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبود نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والنافقين في كتابه وهي بمجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لنعلم آية حسن الخلق . قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - النابئون المابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقا - وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة . فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد وجد جميعا علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما يقدره وحفظ ما وجدته وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بمجملها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٣) وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (٤) وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم أخلاقا » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن ضلوتا وقورا فادفوا منه فإنه يلقن الحكمة » (٦) وقال « من سرت حسنة وساءت سيئته فهو مؤمن » (٧) وقال « لا يعمل المؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » (٨) وقال عليه السلام « لا يعمل المسلم أن يروع مسلما » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يعمل لأحدهما أن يغشى على أخيه ما يكرهه » (١٠) وجمع بينهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث للمؤمن يجب لأخيه ما يحب لنفسه الشيطان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الحديث قبله (٥) حديث كل المؤمنين إيماننا أحسنهم أخلاقا متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الحديث قبله (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن ضلوتا وقورا فادفوا منه فإنه يلقن الحكمة من حديث أبي خلد بلطف إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا قلته منطلق فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة (٧) حديث من سرت حسنة وساءت سيئته فهو مؤمن أحمد والطبراني ووك وصحه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصحه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يعمل المسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يعمل المسلم أن يروع مسلما طس من حديث الثعلباني وبشر والبراز من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف (١٠) حديث إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم يطلان الموضوع بها وقال يقوم الائم مقام خروج الخارج فلاعتدال في المزاج والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يقوم بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعتدل الحال فيه ويستقيم قابليته والرجاء ينشأت المزاج والضحك والخوف والقبض يمكن فيه بالعدل . ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك أن التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفي بعضه غنى متنازعة لا تقدر وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حلوا رفيقا غنيا شقيقا لالمانا ولا سبابا ولا غاملا ولا مفتانا ولا محولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب في الله ويغضب في الله ورضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همت في الصلاة والصيام والعبادة والنافق همت في الطعام والشراب كالبحية (١) » وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والنافق مشغول بالحرس والأمل والؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحيد والمنافق يحب الخلطة والمؤمن يزرع ويحني القصاد والمنافق يفلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يتجن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شككتم سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يؤمناشي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضي الله عنه حق نظرت إلى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر بإعطائه (٢) » ولما كثرت قرش يذمهم قال « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لعلى خلق عظيم - ويحك أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندى فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندى إنما أردت العمران فقال هو المقبرة فضاظ ذلك فضرب رأسه بالوسط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندى ما قاله فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزلا الجندى عن فرسوقيل بيد يورجليه وجعل يتنذر إليه قويل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يأتني عبد من أنت بل ذلك أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلا ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال عشت أنى أوجر على ما تاليت منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه مني الشر . ودعى أبو عثمان الحيرى إلى دعوة وكان الداعى قد أراد تحريكه فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ماوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فردد حق عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتخير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما أحسن خلقك فقال إن الذى رأيت منى هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا جازر أجزر . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه إبانقرماد فزله عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الزماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقبل ألا زبرتهم فقال إن من استحق الثار فصول على الرماذم بمجزله

الرضا بمقام الجبار ويقال التصوف ترك التكلف - ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأه الصادقين . روى أنس ابن مالك قال شهدت ولجة لرسول الله ما فيها خبر ولا حلم وروى عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأقام يجيز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نعم الآدم الحل » وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبزنا وماحوا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يشكف أحد لأحد شككتم لكم والتكلف مذموم في جميع

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان يمشي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حب واليهي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

أن يضرب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمه الله عليه كان لوته يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان يساير حمام على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحه ودخل ففرغ ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إليّ الماء فقام علي بن موسى وامتلأ جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلصها فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما الذئبين وضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوس يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فأتقن يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوس فلم يجد دفعه إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظروا إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بشئ عملت هذا المجوس يعاماني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدراهم منه وأتقنها في البر للآخر بهامسا . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الحاقق عشر خصال : قوة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب الثمرات وتحسين ما يبدو من السيئات والناس العذرة واحتفال الأذى والرجوع للملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطبقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوه . وسئل سهل عن حسن الحاقق فقال : أدناه احتفال الأذى وترك السكافة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن قيس بن عاصم قبل وما بلغ من حلمه قال بينا هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقه على ابن له صغير فأت فدهشت الجارية تقول لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أوسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يولمهم بإخوتائه إن كانوا لابد فارموا بالصغار حتى لا يندموا ساقى فتنهونى عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء قتله كي لا يسممك بعض سفهاء الحي فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أمنت عقوبتك فتكلمت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لملك بن دينار رحمه الله يامرأني فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأنتم الحلم عليه فبهذه نفوس قد ضلالت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقبت من الفس والغل والحقد بواطئها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الحاقق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت الالامات على ظهورهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يقرر بنفسه فيظن بها حسن الحلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الحلق فانها درجة رفيعة لا ينالها إلا القربون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول مشروم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها والصي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره تيمية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يحال به

الأشياء كالسكاف
بالملبوس للناس من
غيرية فيه والتسكاف
في الكلام وزيادة
التقاف الذي صار دأب
أهل الزمان فما يكاد
يسلم من ذلك إلا آحاد
وأفراد وكمن متعلق
لا يعرف أنه تعلق ولا
يفطن له فقد يمتليق
الشخص إلى حد
يخرجه إلى صريح
التقاف وهو ميان الحال
الصوفي . أخبرنا الشيخ
العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال
أنا أبو الفتح المهروري
قال أنا أبو نصر الترياق
قال أنا أبو محمد الجراحي
قال أنا أبو العباس
المجسوي قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال أنا
أحمد بن منيع قال
ثنا يزيد بن هرون عن

إليه ومن عود الحبر وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤيد
 وإن عود الشر وأهل إهمال الهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله
 عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا
 فبأن يصونه عن نار الآخرة فأولى وصيائته بأن يؤدبه ويهذبه ويصله بحاسن الأخلاق ويعفظه من القرباء
 السوء ولا يعود التتم ولا يجيب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فهلك
 هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة سالمة متدينة
 تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا يبركه فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انصبحت طبيئته من الحبث
 فيحيل طبيئته إلى ما يناسب الحباث ومهما رأى فيه محال التغيير فينبى أن يحسن مراقبته وأول ذلك
 ظهور أوائل الحياة فإنه إذا كان يحتمم ويستحي ويترك بعض الأصابع فليس ذلك إلا لاشراق نور
 العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية
 من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ
 فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحياته أو غيره وأول ما يطلب عليه من الصفات
 شدة الطعام فينبى أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه
 وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن
 لا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالى بين اللقم ولا يطلع يده ولا يديه وأن يسود الحيز القفار
 في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من
 يكثر الأكل بالبهائم وبأن يدم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي للتأدب القليل
 الأكل وأن يحب إليه الأتيار بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحشون ثم طعام كان وأن يحب
 إليه من الثياب البيض دون اللون والأبرسم ويفر عنه أن ذلك شأن النساء والمختئين وأن الرجال
 يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبرسم أو ملون فينبى أن يستكره
 ويذمه ويعفط الصبي عن الصبيان الذين عودوا التتم والرفاهية وليس الثياب الفاخرة وعن مخالفة
 كل من يسمعه ماريغ فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب رديا الأخلاق
 كذابا حدودا سرقا محامو حاد فاضول وضحك وكيد ومجانة وإمحا يحفظ عن جميع ذلك بحسن
 التأديب ثم يشغل في السكت فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرس في
 نفسه حب الصالحين ويعفط من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويعفط من مخالطة الأديباء الذين
 يزعمون أن ذلك من النترف ورقة الطبع فإن ذلك يفسد في قلوب الصبيان بفساد ثم مهما ظهر
 من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبى أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر
 الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبى أن يتخاف عنه ويهتك ستره ولا يكشفه
 ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار
 ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة فبعد ذلك إن عاد ثانيا فينبى أن يعاتب سرا
 ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح
 بين الناس ولا تستكر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع للامة وركوب القبايع
 ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأدب حافظا هية الكلام معه فلا يوجه إلا أحيانا والأم تخوفه
 بالأب وتزجره عن القبايع وينبى أن يمنع عن النوم نهارا فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن
 يمنع القرض الوطئة حتى تصلب أعضاؤه ولا يسم بدنه فلا يجبر عن التتم بل يهود الحشونة في القرض

محمد بن مطرف عن
 حسان بن عطية عن
 أبي أمامة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال
 والحياة والى شعبتان
 من الإيمان واللباء
 والبيان شعبتان من
 النفاق البذاء القبح
 وأراد بالبيان ههنا
 كثرة الكلام والشكاف
 للناس زيادة تفاق
 وثناء عليهم وإظهار
 التمنع وذلك ليس
 من شأن أهل الصديق
 وحكى عن أبي وائل
 قال مضيت مع صاحب
 لي نزور سلمان فقدم
 إلينا خبز شعير وماء
 جريشا فقال صاحبي
 لو كان في هذا اللع
 ستر كان أطيب طرجم
 سلمان ورهن مطهرته
 وأخذ سترنا فلما أكلنا
 قال صاحبي الحمد لله

وللبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يغلبه في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يستمدانه فيجيب فاذا ترك تعود فعل الصبيح ويعود في بعض النهار للشي والحركة والرياضة حتى لا يثقل عليه الكسل ويود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع للشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يغتر على أقرانه شيء مما يملكه والده أو شيء من مطاعهم ولا يسه أولوه ودواته بل يود التواضع والأكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرضا في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لو بوحدة ودناء وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطعم والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من ذاب الكلب فانه يصعب في انتظار لقمة والطعم فيها . وبالجملة فيجيب إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطعم فيها ما يحذر منها أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطعم فيها أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكبر أيضا وينبغي أن يعود أن لا يصق في مجلسه ولا يتخط ولا يبتاع بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد يده بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فضل أبناء اللثام ويمنع العيين رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له للكان ويجلس بين يديه ويمنع من لقو الكلام وخشه ومن العن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضربه العلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستمتع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك ذاب الشجاعة والرجال ودأن كثرة الصراخ ذاب للمالك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب للكتب بحيث لا يثب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يمت قلبه ويطلق ذكائه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في التخلص منه رأسا ، وينبغي أن يعلم طاعة والده ومطعه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قرب وأجنبي وأن ينظر إليهم بين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ، فينبغي أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويحجب لبس الدياج والحريير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوة كذلك في الصبا فها قرب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما القصود منها أن ينوي الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لأصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن اللوث يقطع لجسما ، وأنها دار ممر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر ، وأن اللوث ينتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويقسم نبيه في الجنان فاذا كان النشوة صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجيا ثبت في قلبه كما ثبت النقش في الحجر ، وإن وقع النشوة بخلاف ذلك حتى ألقى الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشبه العلم واللباس والزينة والتفاخر بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائظ عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بمجهره خلق قابلا للعب والسر جميا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي فطرنا بما رزقنا
 فقال سلمان لو قتلت
 بما رزقك لم تكن
 مطهرق مرهونة وفي
 هذا من سلمان ترك
 التكلف قولاً وضلاً
 وفي حديث يونس النبي
 عليه السلام أنه زاره
 إخوانه قدام إليهم
 كراماً من خبز شعير
 وجز لهم بقل كان
 يزرعون ثم قال لولا أن
 الله لمن للكافرين
 لتكلفت لكم قال
 بعضهم إذا قصدت
 للزيارة قدم ماحضر
 وإذا استزوت فلا تبقى
 ولا تندر . وروى الزبير
 ابن العوام قال نادى
 منادى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 يوماً اللهم اغفر
 للذين يدعونون

أبواه يهودانه أو نصرانه أو مجسانه (١) قال سهل بن عبد الله القسري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأظفر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حالته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتكم ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعيه إياك وللمعية فكنت أخون بنفسى فبعثوا بي إلى الكتب قلت إني لأخشى أن يفرق عني أمي ولكن شارطوا العلم أي أذهب إليه ساعة فأعلم ثم أرجع فبقيت إلى الكتاب فقلت القرآن وحفظه وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقت لي مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيبت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألت عنها فأجابني فأثقت عنده مدة أمتنع بكلامه وأتأذب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجعلت قوتي اقتصادا على أن يشتري لي بدم من الشعير الفرق فيطحن ويغزى فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بمناخير مملع ولا أدم فكان يكفني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أنظر ليلة ثم خمسمائة سبعين سنة ثم رجعت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل للملح حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبيلها مستبينا بنعيم الدنيا ولذاتها فإن من كانت عنده خربة فرأى جوهره تقيمه لم يبق له رغبة في الخربة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن لبس مريدا حارث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخربة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا الصدق إذا ألّف الخربة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السلوك والسابع من السلوك عدم الارادة والسابع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذين والماء بالله تعالى المهادين إلى طريقه والتبيين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق فاقولن قد اتهمكوا في شهورهم وغاصوا في رقدهم وليس في علماء الدين من يفهم فإن تنبه منهم تنبه هجر عن سلوك الطريق لجهلهم فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى فاذلن عن سبج الطريق فصار ضئف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لغلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان الطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعللت الطرق لاهماله فإن تنبه منهم تنبه من خسه أو من تنبيه غيره وانبثت له إرادة في حارث الآخرة وتجارها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لابد من تقديمها في بداية الارادة ولستم

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

لأموات أمسى ولا يشكفون إلا إن يرى من التكلف ومالحو أمق وروى أن عمر رضي الله عنه قرأ قوله تعالى - فأنبئتني فيها جبا وعنبا وقضيا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا - ثم قال هذا كله قد عرفناه فسا الأب قال ويبدى تمر عصا فضر بها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف غلبوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم أعماله ومن لم تعرفوا فسكوا عنه إلى الله . ومن أخلاق الصوفية الاتفاق من خسر إقرار وترك لوالد آخر وذلك أن الله في برى خزان فضل الحق فهو بمثابة

لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من الحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمته في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق غيبه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاء والتقليد والصبيّة وإعما رف حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبق له إلا قدر الضرورة فما دام يبق له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاء بالبعد عن موضع الجاء بالتواضع وإشارة الخمول والحرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن ترك التصبب للذهاب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ومحرم في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لامن المجاهدة فان غلب عليه التصب لم يتقدم ولم يبق في نفسه متسع لتفريه صار ذلك قيده وحجابا إذ ليس من شرط الريد الانثناء إلى مذهب معين أصلا وأما الصبيّة فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من الظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الذم على ماضى ورد الظالم وإرضاء المحصور فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر الماضى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمسكفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عريّة القرآن لا بد من تقديمها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهرها التريّة أولا وآخرها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لاهالة ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لاهالة فمن سلك سبيل البوادي الهلكة بهر خفيّر قد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون للشتغل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تحفر على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتصمم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخة فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر باقائه بحيث يفوض أمره إليه بالسكينة والبالغة في ورده ولا صدره ولا يبق في متابته شيئا ولا يذّر وليعلم أن نفسه في خطأ شيخة لو أخطأ أكثر من نفسه في صواب نفسه لو تصاب فاذا وجد مثل هذا العنصر وجب على متصمعه أن يحبه ويصحه بحسن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخلوة والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبهته وفي ياضته نوره ويذيب شحم القوادر وفي ذوبانه رفته ، ورفته مفتاح للكشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضايق مسلك العدو فان مجاريه العروق للثلاثة بالتهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الخواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم تزي ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال أبدا إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فائمة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسباني يان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فانه يحلو القلب ويصفه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالسكوكب الدرّي والراة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقبى على شاطئ بحر والقيم على شاطئ البحر لا يدخر الساء في قرته وراوته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم لإله ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلقا » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لند » . وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأظم خادمه طبرا فلما كان التدااه به فقال رسول الله ألم أنهلك أن تحب شيئا لند فان الله تعالى يأتى

الحق وشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا ختم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسر أيضاً نتيجة الجوع فإن السر مع الشبع غير ممكن والنوم يغشى القلب ويمتدح إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب للكشف لأسرار القلب قد قبل في صفة الأبدال إن أكلهم قاعة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء - وأما الصمت فإنه تسببه العزلة ولكن المنزل لا يغلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرايه وتدير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم فإنه يستروح إليه ويستقل التجرد لذلك والفكر فيستريح إليه فالصمت يقطع العقل ويجلب الورع ويصل التقوى . وأما الخلوة فقد ألقتها دفع الشواغل ومبسط السمع والبصر فإنها دهليز القلب والقلب في حكم حوض تصب إليه مياه كربة كدرة قدرة من أمهار الخواص ومقصود الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينجز أصل الحوض فيخرج منه للماء التنظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع للماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيجسد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الخواص إلا من قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليألف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق وشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها الزمّل يا أيها اللدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه التواطع وتنع العوارض القاطمة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإمساك سلوكه بقطع العقبات ولا غلبة على طريق الله تعالى إلى صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبسبب تلك العقبات أعظم من بسبب والترجيح في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات أخص أسرار الملائق التي قطعها في أول الإرادة وآثارها أغنى للال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الحلق والتشوف إلى العاصي فلا بد أن يغنى الباطن عن آثارها كما أغنى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة فالبة على نفس الريد كما سبق ذكره فإذا كفى ذلك أوصف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغل به ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام وعنه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورعه وردا واحدا وهو لباب الأوراد وتجربتها أغنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بسد الحلق من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشبلي الحصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتينا فيها إلى الجملة الأخرى شيء عسير الله تعالى غرام عليك أن تأتينا وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للشيء الذي ليس له إلا م واحد فإذا كان كذلك أقرمه الشيخ زاوية يفرده بها ويوكل به من

برزق كل غسد .
وروى أبو هريرة
رضي الله عنه « أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على
بلال وعنده صبرة من
تمر فقال ماهذا يا بلال
قال أدخر يا رسول
الله قال أما تخشى أن تنق
بلالا ولا تخشى من
ذي العرش إقلاقا .
وروى أن عيسى ابن
مريم صلى الله عليه
وسلم كان يأكل الشجر
ويلبس الشعر ويبيت
حيث أمسى ولم يكن
له ولد يموت ولا يئ
يغرب ولا ينجأ شيئا
لقد فالصوفي كل خبايا
في خزائن الله لصدق
نوكله وتقتنه بربه
فالدنيا للصوفي كدار
الترية ليس له فيها
ادخار ولا له منها

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها الزمّل يا أيها اللدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بهراء فلما قضيت جواري هبطت فتوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأتميت خديجة فقلت دثروني وصبوا على الماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال فنزلت يا أيها اللدثر وفي رواية فقلت زملوني زملوني ولما من حديث عائشة قال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الورع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقته ذكرًا من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة القفط في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمسح عن القلب حروف القفط وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه قابلة عليه قد فرغ من كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو للتصديق لا محالة عن غيره وعند ذلك يقره أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتلقا باللب واليد وما يذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً قصصاً فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما مضى قولنا الله ولأي معنى كان إلهاً وكان مبدواً ويترى عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما رد عليه من وساوس الشيطان ما هو كثر وبدعة ومهما كان كارهاً لذلك ومتشعراً لإماتته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يسلط قطاً أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلق ذلك في قلبه ويجره على خاطره فصرطه أن لا يبالى به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويتلوه إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه مسمع عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يرض ذلك على شيخه بل على كل ما يجد في قلبه من الأحوال. من قرة أو نشاط أو انتفاخ إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستريح عن غيره فلا يطلع عليه أحداً ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر نفيه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحمله على الفكر وأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريح من فهمه وبنين أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فإن هذه ممالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقول كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فإنه قد ركب سفينة الخطر فإن سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من المالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدین السبائر» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فإن الخطر في المدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في الريد فإن لم يكن ذكياً فطناً متبكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغل بالفكر بالذكر والفكر بل يردّه إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتوارة أو يشغله بخدمة التجردين للفكر لتشغله بركنهم فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال يبنين أن يسقى القوم ويهدد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمريهم وتسمه بركنهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدین السبائر قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثاً لمحمد بن عبد الرحمن بن السليمان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فعليكم بدین أهل البادية والنساء وابن السليمان عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان ينهم بوضعها انتهى، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السليمان والله أعلم .

استنكار قال عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تندو خاصاً وتروح بطناء» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الثاني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن النكدر عن جابر قال مائل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبالإسناد

لا يبلغ درجتهم ثم اللريد للتجرد فذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرهاء والفرح بما يشكف له من الأحوال وما يدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وغفلت به عنه كان ذلك خورا في طريقه ووقفا بل يبنى أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة الشيطان الذي لا ترويه البحار ولو أقيمت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله لا يقطع من الحلق إلى الحق والحلوة قال بعض السابحين قلت لبعض الأبدال للتقطيع عن الحلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلي على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لا تنظر إلى الحلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعلمهم فإن تعلمهم وسوسة قلت أنا نين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تكن إليهم فإن السكون إليهمهلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا مالا يكون أبدا فإذا متنى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوية وتجل له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى مالا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونصحا ويصدي للتذكير فتجد النفس فيه قوة ليس وراءها قوة فتدعوه تلك القوة إلى أن يتشكر في كيفية إيراد تلك اللطائف وتحسين الألفاظ للعبادة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام قليل إلى القلوب والأمماع ربما يغفل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك تقابل للوق الغافلين من الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك في نصيب ولانفسك فيه قوة وتضع كيد الشيطان بأن يظهر في أقران من يكون أحسن كلاماته وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب الدوام فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان يحركه كيد القبول وإن كان يحركه هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنى على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلاً أن يحمل ميتا ليده إلى وجده ضاماً وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يحسد من يمينه والنافقون موتى القلوب والوعاظ لهم للنهيون والهيون لهم في كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبغي أن يكون اللريد على حذر منه فإنه أعظم حائل الشيطان في قطع الطريق على من اختصت له أوائل الطريق فإن إظهار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا شهاب رياضة اللريد وتزيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتى فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم التصب الذي هو كالجد لجاية الشهوات ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب اللال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياضة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه الضرور فلهذا وجب علينا بعد تهديم هذين الكتاتين أن نستكمل ربع اللهلكتات بثانية كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر التصب والمقصد والحسد وكتاب في دم الدنيا

عن الهادي قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري قال إن جبريل عليه السلام قال ما في الأرض أهل عشرة من آيات إلا قلبهم لما وجدت أحدا أعده إضافة لهذا اللال من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا] . قال ذو النون المصري : من قنع استراح من أهل زمانه واستطاع على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لو لم يكن في القناعة إلا النفع بالعرض لكفى صاحبه وقال بنان الخال :

الحري عبد ما طمع والبعد حر ما قنع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب السال ودم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والمعجب وكتاب في مواقع القصور وبذكر هذه الهللكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع الهللكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن الهللكات والنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى. ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع الهللكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفرد بالجلال في كبرائه وتعاليه المستحق للتحديد والتقدس والتسبيح والتثنية القائم بالعدل فيما يرمه ويغضيه للتطول بالفضل فيما ينم به وبسديه التشكىل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مبهات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يبينه ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتقيه وهو الذي يطعمه ويسيه ويحفظه من الهلاك ويحبه ويغمره بالطعام والشراب عما يهلكهم ويرد به ويكفه من القناعة بقليل القوت ويقره حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يشاويه ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يهدر به ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلدنه ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك بمنحه به وببنايه فينظر كيف يؤثره على ما يرواه ويشجيه وكيف يحفظ أوامره وينهى عن نواهيه ويوافظ على طاعته وينجز عن معاصيه والصلاة على محمد عبده وآله وسوله الوجه صلاة تلهه وتحظيه وترفع منزلته وتليه وعلى الأبرار من غترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم الهللكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الدل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلامنها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق يبيع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنعاج شدة الرغبة في الجاه والمسال الذين هم أوسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطومات ثم تتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرغوات وضروب المنافسات والمهادنات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة الفخار والتكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك صاحبه إلى اضمحلال البنى والمنكرو والقضاء وكل ذلك ثمرة إهمال المنة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وشيق به مجارى الشيطان لأدعت لطاعته عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والظفان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإشغال العاجلة على العقبى ولم يشكالب كل هذا التشكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والنتيجة على أفضل ما ترغيبا

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتقم من
حركك بالقناعة كما
تنتم من عدوك
بالقصاص . وقال
أبو بكر المرازقى العاقل
من دبر أمر الدنيا
بالقناعة والتسوية
ودبر أمر الآخرة
بالحرص والتعجيل .
وقال يحيى بن معاذ
من قنع بالرزق فقد
ذهب بالآخرة وطالب
عيشه . وقال أسير
المؤمنين على بن
أبي طالب كرم الله وجهه
القناعة سيف لا يثبو .
أخبرنا أبو زرعة
عن أبيه أن الفضل
قال أنا أبو القاسم
عبد الله بن الحسن
الحلال يفتد قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
أبو القاسم النبوى قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بمون الله تعالى في فصول
بجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام
والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة
ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرء في ترك الزوج وفعله ثم بيان فضيلة من غلب شهوة
البطن والفرج والعين .

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في
سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» (٢) وقيل بإسناد إلى أبي هريرة قال «أفضل قال ومن قل مطعمه
وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس
لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا وكلاوا واشربوا
في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «التفكر نصف العبادة وقلة الطعام
هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة
أطولكم جوعا وتفكرا في الله سبحانه وأبضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أكل
شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختارا لذلك وقال
صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل مطعمه ومشر به في الدنيا يقول الله تعالى
انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما يشهدوا بإملائك مامن أكله
يدعها إلا بذكره بآدم جرات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تبتوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب فان القلب كالأرغفة يموت إذا كثر عليه السلام» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ماملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه وإن كان لا يد فاعلا قلت للطعام وثلاث شرابه
وثلاث نفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال
فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخياء
الأنبياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يشفقوا وصرقهم بقاع الأرض ونحف بهم ملائكة السماء
ثم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس القرش الوثيرة واقترشوا الجباه والركب
صنع الناس فعل التبيين وأخلاقهم وحفظوها م تبكي الأرض إذا قدتهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا محمد بن عباد
قال حدثنا أبو سعيد
عن صدقة بن الربيع
عن حمارة بن عزة
عن عبد الرحمن بن
أبي سعيد عن أبيه
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وهو على الأعداء يقول
«ما قلوك في خير مما
كثر وألمس» وروى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال «قد
أقلع من أسلم وكان
رزقه كحفاة ثم
صبر عليه» وروى
أبو هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا
وقال «اللهم اجعل رزقي
آل محمد قوتا» وروى
جابر رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال «الشفاعة مال

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجد له أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت
السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أبي هريرة قال «أفضل قال ومن قل مطعمه وضحك ورضى بما
يستر عورته يأتي السلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس
الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري البسوا وكلاوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف
العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا الحديث لم
أجد لهذه الأحاديث للتقدمة أصلا (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختارا لذلك البيهقي في
شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نشبع لشبعنا ولكن عهدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على
نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي لللائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدى
في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا تبتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أقف
له على أصل (١١) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث تضمن حديث التقديم وقد تقدم.

بلية ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق
شعثا غبرا براهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت
عقولهم ولكن نظر القوم بخابهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا
عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بيلة فاعلم أنهم أمان
لأهل تلك البيلة ولا يذب الله قوما م فيهم الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخوانا
عسى أن تنجو بهم وإن استعظمت أن يأتيك اللوث وبطنك جائع وكبدك تملأ فاضل فانك تدرى
بذلك شرف للنازل وتحل مع التبيين وضرع بقدم روحك للالكة وصل على الجبار (١) .
روى الحسن على أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف ومعمروا وكلوا في أوصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الخواريين أجمعوا أكبادكم
وأعمروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نينا صلى الله عليه وسلم
رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله لينض الحبر السمين لأن السمن يدل على التخلية
وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالجبر ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى
ينض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم
«لؤمن يأكل في معي واحد وللنافق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضغاف ما يأكل
لؤمن أو تكون شهوته سبعة أضغاف شهوته وذكر للمع كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل
الطعام وتأخذها كما يأخذ المع وليس للمع زيادة عدد معي للنافق على معي المؤمن . وروى الحسن عن
عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدعوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت
كيف ندعهم قرع باب الجنة قال بالجوع والعطش» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شجاء في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه
الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات وفيه
حباب بن عبد الله بن جيلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي
أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن عن أبي هريرة البسوا الصوف ومعمروا وكلوا في أوصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضيف (٣) حديث
طاوس مرسل أجمعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر للمنصف هنا أنه مرسل
والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا
(٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث المؤمن يأكل في معي
واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث حمير وحديث أبي هريرة (٧) حديث
الحسن عن عائشة أدعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم
شجاء في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند وحسه وه من حديث ابن
عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفذ وروى عن
حمير رضي الله عنه أنه
قال كونوا أوعية
الكتاب وناسيح
الحكمة وتعدوا أهلكم
في اللوث واسألوا الله
تعالى الرزق يوما يوم
ولا يضركم أن لا يكثر
لكم . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر عن أبي
الفضل والده قال أنا
أبو القاسم إسماعيل بن
عبد الله الشامي قال أنا
أحمد بن علي الحافظ قال
أنا أبو عمرو بن حمدان
قال حدثنا الحسن بن
سفيان قال حدثنا عمرو
ابن مالك البصري قال
حدثنا مروان بن
معاوية قال حدثنا
عبد الرحمن بن أبي
سلة الأنصاري قال
أخبرني سلة بن
عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط غمًا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يده وأقول قضي لك الفداء لو بالمت من الدنيا بغير ما يقويك ويعتلك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا المضرا على حالهم قدموا على ربهم فأكرمهم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي استمعي إن زهرتي في معيشي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزتي ولم تطب قضي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أهلك منذ ثلاثه أيام (٢)» وقال أبو هريرة «ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبغض الناس إلى الله للتخون الملائي وماترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤)». وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم والبطنة فانها تمل في الحياة تنق في المات وقال شقيق البلخي العبادة حرقه حانوتها الحلاوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقصدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أي شيء تخافين أتحافين أن تجوع لا تخافي ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهي أجبتني وأعزيتني وفي ظلم القبايل بلامصباح أجستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح للوصل إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك فعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي وقال مالك ابن دينار قلت لعمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلبة تنوته وتنبيهه عن الناس فقال يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جامعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهي أجبتني وأجبت عيالي وتركتني في ظلم القبايل بلامصباح وإنما فعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منهبة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياحة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا شبت فاذا ذكر الجياح وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشاء أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضا الجوع عند الله في خزائنه لا يسطعه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكتفيه للطعام في السنة درهم وكان يظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافق القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لأعلام شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح آمنا في سربه معافى في بده عند قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقيل في تفسير قوله تعالى - فلتعينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم بطباع النفس وجردى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لله بدائها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك الرماء والمجاهدة والغضب إلا بحق واعتاد الرفق والمسلم وذلك أن النفوس تثب وتظهر

[١] وجد بهامش العراق ما يأتي ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى للدين مطولا في كتاب استعلاء اللوت وأوردته عياض في الشفاء ٥١ .

الصية والجبل في الشبع وقال ماعبد الله بشيء أفضل من مخالطة الهوى في ترك الحلال وقصد الجاهل في الحديث . ثلث الطعام فمن زاد عليه فأنما يأكل من حسنة^(١) وهوشل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبداً إلا بأخماس البطون والسهر والصمت والخلوقة والدراس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه تخطت عنه الوساوس وقال إقبال الله عز وجل على البد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله وقال اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذيغ نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال مامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من الصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وشمل حكيم بأى قيد أقيد نفسى قال قيدها بالجوع والمطرش وظلها بأخمال الله كرو ترك المزوضرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة وأكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وأنجم آفاتهما بدوام سوء الظن بها وأصحبها بخلاف هواها . وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا نشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولام الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب السكى مثل البطن مثل الزهرو هو المراد بالخوف ذوالأوتار إنما نحن صوته فحنتمورقة ولأنه أجوف غير ممتلئ . وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمائم . وقال أبو بكر بن عبد الله الزنى ثلاثة يجهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة . وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحاً لم يأكل غلظ ياله الحبز فاقطع عن النجاة فإذا رغب موضوع بين يديه فجلس يسكى على قد النجاة وإذا شيخ قد أغلظ قال له عيسى بارك الله فيك يا بولى الله أضع الله تعالى فى فاني كنت فى حالة غلظ يالى الحبز فاقطعت عنى قال الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر يالى منذ عرفتكم فلا تخفر لى بل كان إذا حضر لى شيء أكلته من غير فكر وخطر . وروى أن موسى عليه السلام لما قرب له الله عز وجل نجبا كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ثلاثين ثم عثرا على ماورد به القرآن لأنه أمسك بشيرتويت يوماً فزید عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والمطرش فان الأجر في ذلك» [٩] ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المدة ومقاساة الأذى فان كان كذلك فينبئني أن يعظم الأجر في كل ما ينادى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء الكروحة وما يجري مجراه فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع بهوطن أن منفعته لكرهه الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل نفسه في خاصية في الدواء وليس لشكوه مرارته وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا محاسنة العلماء ومن جوع نفسه مصداق لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة النفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً ولكننا نترحم لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى لا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول في الجوع عشر فوائد : الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحه وإيقاد البصيرة فان الشبع يورث البلاهة ويصمى القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوى على معادن السكر فيثقل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث الطعام تخدم .

[١٠] يث جاه : يا أقسكم لم يخرجه العراق .

في المارين والصوفى
كلما رأى عس صاحبه
ظاهرة قلبها بالقلب
وإذا قولت النفس
بالقلب ذهب الوحشة
وانطفأت الفتنة قال
الله تعالى قلبا لسانه
- ادفع بالتي هي أحسن
فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولى
حميم ولا يزعج الرأى إلا
من هموس زكية انتزع
منها الغل ووجود الغل
في النفوس مراد الباطن
وإذا انتزع للرأى من
الباطن ذهب من
الظاهر أيضاً وتديكون
الغل في النفس مع من
يشاكله وبما لله أوجوه
النافعة ومن استصمى
في تحيوب النفس بنار
الزهادة في الدنيا ينمى
القل من باطنه ولا يبقى
عنده منافسة دنيوية

الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا كثُر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطله. التهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم الساجد وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى » (١) وقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالطهر وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفتن قلبه » (٢) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » (٣) وقال الشبلي ما جمعت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والبرية ما رأيت قط وليس يغني أن غاية القصد من العبادات الفكر الوصول إلى المعرفة والاستبصار بمخاتق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فالحري أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لثيان لابنه يابني إذا امتلأت للعدة ناست الفكره وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البعد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب للساكن والدنو منهم . لا تشبعوا فتظفثوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات المحور حوله حتى يصبح » (٤) الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاء القلب به يتبأ لأدراك لذة الثابة والتأثر بالذكر فكمن من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالناجاة وخلو للعدة هو السبب الأطهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحل ما تكون إلى العبادة إذا الصق ظهري يطيني . وقال الجنيدي يجعل أحدهم بينه وبين صدره محلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة للناجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عمي وغلظ فإذا تأثر القلب بلذة الناجاة أمر وراءه تيسير الفكر واقتضاس المعرفة فهي فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشتر الذي هو مبدأ الطغيان والفلة عن الله تعالى فلا تتكسر النفس ولا تميل بشيء كما تذل بالجوع ففسده تنكس لربها وتخضع له وتأنق على هيجها وهذا إذ ضعف منها وضاعت حيالها بلقيمة طعام فانتها وأظلمت عليها الدنيا لثربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وهجره لا يرى عزة مولاه ولا فخره وإنما سعادته في أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الدل والمجزوم بلاء بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جاعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا لا لانضطرار بالقدور ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت » (٥) أو كما قال قاططن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والقلب

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى لم أجده له أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفتن قلبه كذلك لم أجده له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لعل شيء . زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب للساكن والدنو منهم . لا تشبعوا فتظفثوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات المحور حوله حتى يصبح في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومن علامة ما رواه بسنده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت .

في حظوظ عاجلة من جاء ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة للثقلين - وزرعنا ما في صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف ينبغي الفل في قلوب انتلفت بالله وانفتحت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فإن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطباع بل كحلت بنور التوفيق ضارت إخوانا فكذلك قلوب أهل التصوف والمجتبعين على السكينة الواحدة ومن الزم جروط الطريق والانكساب على الظفر بالتحقيق . والناس رجلان : رجل طالب ماعند الله تعالى ويدعو إلى ماعند الله

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .

القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد القطن لا يشاهد بلاء من غيره . إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ويسقون الصفاق والهلل فلا ينبغي أن ينسب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهب الخوف لمن لم يكن في ذلة ولاعة ولافة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يمثّل في نفسه ولم يغب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياد والأمثل فالأمثل وكذلك قيل لبوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع قد ذكر الجاعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان في غفلة عن ألم الجائع . القائمة الخامسة :

وهي من أكبر القوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارّة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لاحالة الأطعمة لتغلبها يضعف كل شهوة وقوة وإعما السعادة كلها في أن يملك الرجل شه وشقاوة في أن تملكه نفسه وكأنك لا تملك الدابة الجروح إلا يضعف الجوع فإذا شبت قوت وشردت وجمعت فكذلك النفس كما قيل لبعض مبالك مع كبرك لاتعبد بدتك . وقد أنهد فقال لأنه سريع للرح فاحش الأثر فأخاف أن يجمع بين فيروطن فلاّن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذوالنون ما شبت قط لا اغضبني وأوهمت بحمصية . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صل الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبت بطونهم جمعت بهم تقوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة هي على خزائن القوائد . ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان والكثيرة والفحش والكذب والخيلة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة يتفكك لاحالة بأعراض الناس ولا يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفى فآلتها والجوع يكفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين زنى كأن الفرج زنى فإن ملك عينه بنى الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإعما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فيصير على الخير البحث سنة لا يغلط به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة :

دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر الرديين لأننا كلوا كثيرا ففتشربوا كثيرا فتركقوا كثيرا فتخشروا كثيرا وأجمع رأى سببين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنسى الجواهر وهو رأس مال البدن فيه يتجر والنوم موت فكثيره بنقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تغني في النوم وفواتها ومهما

نفسه وغيره فالسحق
الصوفي مع هذا منافسة
ومرءا . وغل فإن هذا
معه في طريق واحد
ووجهة واحدة واخوه
ومعينة والأوثنون
كالبنيان يشد بسفه
بشا ورجل مفتن
بهي من عبدة الجاه
وللال والرياسة ونظر
الحلق فما للصوفي مع
هذا منافسة لأنه زهد
فيا فيه رغب فمن شأن
الصوفي أن ينظر إلى
مثل هذا نظر رحمة
وشفقة حيث يراه
محجوبا مفتننا فلا
ينطوى له على غل ولا
بماريه في الظاهر على
شيء لعله يظهر ورشه
الأمارّة بالسوء في اللراء
والمجادلة . أخبرتنا
الشيخ العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم للتعرب إذا نام على الشبع احتمل ويمتنع ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الفصل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيغوثه الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عنه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعدد التسلي في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع حيلة له والجوع مقطعة له . القائمة السابعة : تيسير اللواظية على العبادة فإن لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر زحامه إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات الصرورة إلى هذا لوصفها إلى الذكر وللحاجة وسائر العبادات لكثرة ربحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قلت ماحمك على هذا قال إني حسبت ما بين الضغ إلى الاستغاف سبعين تسبيحة لما مضت الحزب منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في الضغ وكل نفس من المر جوهره ثمينة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزائنه باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته . ومن جملة الصوم فإنه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقها المنافقون الذين لم يصفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا وأطمأنوا بها - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة النجاسة وتعدد حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول الساجد والشباع يدورون حول الزايل . القائمة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببا لكثرة الأكل وحصول فضلة الأغلاط في اللعنة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب وينع من الذكر والتسكّر وينقص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وتفتات لا تخلو الإنسان منها بعد التنب عن أنواع من الله صى واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي للماء الحار وقال السوادي وكان أعلمهم الإهليلج بنفس اللعنة وهذا ماء وحب الرشاد يزلق اللعنة وهذا داء والماء الحار يرخي اللعنة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء منه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهي وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي فقالوا صدقت . وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ^(١) » فحجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد ^(٢) » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذلك وقال ابن سالم :

قال أنا أبو الفتح المروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجسراحي قال أنا أبو العباس المهبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربي عن ليث عن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا خمار أسألك ولا تعد موعدا فتخلفه » وفي الخبر « من ترك للرء وهو بطل يئله بيت في ريش الجنة ومن ترك للرء وهو محق يئله في وسعها ومن حسن خلقه يئله في أعلاها » . وأخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجب قال أنا

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

من أكل خبز الخنطة بحثاً بأدب لم يمتل إلا علة لثوت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأخضر ما أدخل معدته الملح ولأن بقلل من الملح خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا »^(١) في الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطينيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة المؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاءة من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريباً ملازماً له أخذاً يخففه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيصير أو من الحلال فبذل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية القدر والقفاء والمؤمن خفيف للؤنة . وقال بعض الحكماء إن لأتقى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن استغنى من غيري لشهوة أو زيادة استغنى من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سر ما كولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مدموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادات فيكسل وإن كان مكسباً فلا يسلم من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أدبوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً واستغنى عن الناس واستراح من التعب ونحل لميادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الدين لآلئهم تجارة ولا يصح عن ذكر الله وإنما لآلئهم لاستغنائهم عنها بالتقناعة وأما المحتاج فقلبه لامحالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على النائي والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته^(٢) كما ورد به الخبر . فربما يأكله كان خزانته الكثيف وما يصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأقى أو لبس فأبلى فالصدق بفضلات الطعام أولى من التثمنة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملت العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحمِلين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسن جوزيت وإن أسأت عوقبت فقلت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال التهم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحمِلين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والمقوبة فقلت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه فقد رأيتهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آفاتاً فاذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأمنوا براذيلهم وأهزلوا دينهم وأنهبوا أنفسهم بالتدو والرواح إلى باب السلطان يتعرضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلاً^(٣) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف^(٤) حديث كل امرئ في ظل صدقته من حديث حنبل بن هاشم وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن
السروردي محمد بن
أبي عبد الله السالبي
قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن الداودي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد الحموي قال أنا
أبو عمران عيسى
السرقردي قال أنا
أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن الدارمي
قال حدثنا يحيى بن
بسطام عن يحيى بن
حمزة قال حدثنا النعمان
ابن مكحول عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
طلب العلم ليهي به
الطعام أو يحاري به
السهاء أو يريد أن
يقبل بوجوه الناس
إليه أدخله الله تعالى
جهنم » انظر كيف

للبلاء. ومن الله في عافية يقول أحدهم: تبعني أرض كذا وكذا وأزبدك كذا وكذا يسكني على
فخاله. ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته السكفة ونزلت به البطنة قال
ياغلام اتقني بئس أعضم به طعامي بالسكع أطعمك تهضم إنما دينك تهضم ابن القتيبي ابن الأرملة
أن للسكين ابن اليميم الذي أمره الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل
الطعام إلى الفقير ليسخر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضايف الورع عليه. ونظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل من البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال: لو كان هذا في غير
هذا لكان خيراً لك^(١) أي لو قدمت لأخرك وأثرت به غيرك. وعن الحسن قال والله لقد أدركت
أنوما كان الرجل منهم عسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لأجمل هذا
كله لبطني حتى أجمل بضهه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها
ولانتهاهي فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح
الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويها
وبالوقوف على تفصيل هذه القوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فإذا لم تعرف هذا
وصدقت بغضل الجوع كانت لك رتبة التلذذ في الإعيان والله أعلم بالصواب.

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على اللريد في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتهدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام فببيل الرياضة فيه التدريج فن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه العاد فان كان يأكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغبة واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا فيرجع إلى رغبة في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فان شاء فعل في ذلك الوزن وإن شاء للمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ قال إن الله استمد الخلق ثلاثا : بالحياة والعقل والقوة فان خاف البدن على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان سائما وتكلف الطلب إن كان فقيرا وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالى ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل . وسهل سهل عن بدائته وما كان يفتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدهم ديسا وبدهم دقيق الأرز . وبدهم مئنا وأخطط الجميع وأصومي منه ثلثائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها قبله فالساعة كيف تأكل قاله بغير حد ولا توقيت . ويحكى عن الراهين أنهم قد بردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم واليلة إلى نصف مد وهو رغبة وشي مما يكون الأربعة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل مدين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك أحمد ولك في استدراكه والبقى في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد .

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق القهيات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع قم أو تسع قم . الدرجة الثالثة : أن ردها إلى مقدار الدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلث البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على ذلك إلى الن ويشبه أن يكون ما وراء الن إسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تفرسوا نفي في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنسب والشخص والعمل الذي يشتغل به وهما طريق خاسر لا تقدر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه وبقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا ورغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة السكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأذى بل تأكل الحز وحده . بشهوة أي خبز كان فهما طلبت نفسه خبزا بينه أو طلبت أذى فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يسقى فلا يقع اللباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للبريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضره عن العبادة التي هو يصدها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوة توطئ الجفلة فتقدر الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتنوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمدا فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فاني سمعته يقول « أقربكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم » (١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم بخل لكم الشعير ولم يكن يخل وخبرتم الرقيق وجمعت بين إدامين واختلف عليكم بأنوا الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدامن تمر بين اثنين في كل يوم (٢) والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمته الله عليه يقول للؤمن مثل العنزة يكفيه الكف من الخشخاش والقبضة من السويق والجرعة من الماء والنافق مثل السبع الضاري بلعا ولبعا وسطا سطحا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بغضه ورجوه هذه الفضول أمامكم . والسهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخير . وفيه أيضا أربع درجات : الدرجة الأولى أن يطوى ثلاثة أيام لها فوقها وفي الريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى القدر حتى انتهى بهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عدمهم منهم محمد بن عمرو والقرني وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد الصبي والسلم ابن سعيد وزهير وسلمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى سنة أيام وحسان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقر بكم مني مجلسا يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأحبكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدامن تمر بين اثنين في كل يوم ك وصححه إسناده من حديث طلحة البصري .

حق يعلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حق يأمن جاره بوائقه ، انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه صرعوم وهم يعدون حجرا قال ما هذا قالوا هذا حجر الأشداء قال ألا أخبركم بأحد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فطلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجلا شاة فقال أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغضبك فصرير

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى في أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللسكوت أي كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر بإهاب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الفروع فلكمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لانسكون إلانسي أوصديق فقال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم فجلس لا يريح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يلفها إلا مكشف محمول شغل بشهادة ما قطعه عن طبعه وعاداته واستوفى نفسه في لفته وأنساه جوعته وحاجته . الدرجة الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدناها أن يقتصر في اليوم واليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومدامة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فضل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تقدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتفد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لعائشة «إياك والسرف» فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا أكلة في كل يوم فوام بين ذلك (٢) وهو المأمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجّد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخالو القلب لقرع العدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى المأمور فلا تتأزعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان يقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد القرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجّد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغبين مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجّد ولا يشتد بالتأثر جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجّد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما وينظر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الآدام وأعلى الطعام مع البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير متخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والخلاوة وأدناه الملح (١) حديث أبي سعيد الحدرى كان إذا تقدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتفد لم أبجد له أصلا (٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البقي في الشعب من حديث عائشة وقال في إسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان يقوم حتى ترلع قدماه رواه مختصرا كان يصل حتى ترلع قدماه وإسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فله وإنما هو من قوله فأياكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه ع من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

فأنهم قال أبو ذر لأغظن من حشك على غيظي فأعتقه . وروى الأصمعي عن أعمراني قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد غالف أقربهما إلى هوائك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الاستماع من الإمام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كل قديد يشبهه الانسان وأكله اتخفى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأتساهل ببلات الدنيا حتى يأنفها ويكره اللوث ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون للوث سبحانه وإذا منع نفسه عن شهواتها وشيق عليها وحرمتها لذاتها سارت الدنيا سجناء عليه ومضيقاته فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون اللوث إطلاقتها وإليه الإشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسهم لولية الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجرى في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بإعادته فذلك يعظم التواب في ترك الشهوات من اللباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين يأكلون مع الخنطة ^(١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يصح ومن دلوم عليه أيضا فلا يسمى بتناوله ولكن تروى عنه بالنعم فتأنس بالدنيا وتغافل اللذات. وتسعى في طامها فيجرها ذلك إلى العاصي فهم شرار الأمة لأن مع الخنطة يفودهم إلى اتحمال أمور تلك الأمور معاص وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمتي الذين غدوا بالنعم ونبتت عليه أجسامهم ^(٢) » وإنما حرم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام وأوصى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمتنع من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول قديد الأطعمة وتعمرن النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتاء فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر أمرت بأوراق زيت اشتاء فلان العابد فهدأ فنيه على أن يسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بسل وقال اعزلوا عني حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتى ممكة طرية فالتفت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فقصت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للامام لهما رغيفها وادفنها إليه فقال له اللامام أصلحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم نجد لها فادفعتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه فثمنا فقال لهما وادفنها إليه ثم قال اللامام لسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها واتي بها فوضها بين يديه وقال قد أعطيتها درهما وأخذتها منه فقال لهما وادفنها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع رغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمتي الذين يأكلون مع الخنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمتي الذين غدوا بالنعم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلًا قال الهارقي في العلل إنه أهبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث فاطمة بساند لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتى ممكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التواب بساند ضيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات

و ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند غضب والرضا والاعتصام عند الفقر والفقير وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإيهاب للرء بنفسه والحكم بالحق عند غضب والرضا لا يصح إلا من عالم بالي أمر على نفسه يصرفها بقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحتساب .
تقبل أنهم كانوا يتوضأون عن إلهاء السلم يقول بعضهم لأن أنوضأ من كلمة خبيثة أحب إلي من أن أنوضأ من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الحديث

القراح فلى الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن التصورد ألم الجوع والمطش ودفع حر رحمانون التسم ببلات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى فأعلمه فدخل عليه فحضر عشاؤه فأتوه بشريد لحم فأكل معه همهم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف همريده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أ طعام بعد طعام والذى نفس همريده لئن خالفت عن ستمه ليخالفن بك عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما خلعت لسمر دقيقتا قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يسجن دقيقه ويغفقه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يثبأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فينرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك غفرت لك وردت لك اللاء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عن كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بككة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسكن وهو جالس بناحية من الطريق فدخلت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فصادفته مرة واثنين وثلاثا فقال يا شقيق استر على قتلتي يا أخى فل ما شئت فقال لي اشتيت نفسي منذ ثلاثين سنة صكبا ففنعها جهدي حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني الناس إذ أتني شاب بيده قدح أخضر يملأ منه بخار ورائحة مكياج قال فاجتمعت بهم عن قربة وقال يا إبراهيم كل قتل ما أكل فذكرته فحز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل فاكنا في جواب إلا أني بكيت فقال لي كل رحك الله فقلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيت قبيلتي يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحما الله من طول صبرها على ما يعملها من منها . اعلم يا إبراهيم أني سمعت للانسكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قتل إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقدم مع الله تعالى ثم التفت فاذا أنا بفن آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقي حتى نمت فانتبهت وحلاوته في فمي ، قال شقيق قتل أرى كنفك فأخذت بكفه فقبلها وقلت يا من يطعم الجباع الشهوات إذا صحوا التبع يا من يقدح في الضمير البقيين يا من يشفي قلوبهم من حبه أرى لشقيق عندك حالا ثم رفسيد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه والجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال ققام إبراهيم ومشي حتى أدركنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشتهي لبنا فلما يأكله وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا فاذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواري : اشهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به إليه ففص من عضة ثم طرحه وأقبل يسكن وقال عجلت إلى شوقى بعد إطالة جهدي واشقوت قد عذمت على التوبة فأقضى قال أحمد فأرأيت أكل للنع حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن زمزم مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت نفسي لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إلا أربعين ليلة ، وسكت مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة ولا بصرة ولا بصرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بصرة فما زاد فيكم ما تنص منى ولا نص منى ما زاد فيكم وقال طلعت الدنيا منذ خمسين سنة اشتيت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوافه لا أطعمها حتى ألحق باقه تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أثبت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعت يقول نفسي اشتيت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من
فرجك وحدث من
فيك فلا يحل حبة
الوقار والحلم إلا التضب
ويخرج عن حد البدل
إلى العدوان يتجاوز
الحد في التضب يتورم
القلب فان كان التضب
على من فوقه مما يجز
عن إغاض التضب فيه
ذهب الدم من ظاهر
الجلد واجتمع في القلب
وصير منه الدم والحزن
والانكد ولا ينطوى
الصوفي على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث
والإعراض من الله
تعالى فلا يتكد ولا ينتم
والصوفي صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والتي عليه السلام
أخبر أن الدم والحزن
في الشك والسخط .
سئل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع ورغيف وكوز من اللاء القراح فلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف .

اشترت ثمرا فأكلت أن لا تأكله أبدا فسلمت ودخلت فإذا هو وحده ومرا أبو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشترها فقال لانه اشترا من هذه الفاكهة للقطوعة المنوعة لعنا نذهب إلى الفاكهة التي لامة اربعة ولا منوعة فلما اشترها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشترت وغلبتني حتى اشتريت والله لا أدتيه فبعت بها إلى يثامى من الفقراء ، وعن موسى الأشعج أنه قال تسمى تشهى ملحا جرشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال تسمى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الله حتى يموت في أوروبا ، وروى أن عتبة الغلام اشترى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استجيت من تسمى أن أداها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبر وشويتها وتركها على رفيف فلقيت صيا قتلت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فتأولته إياها قالوا وأقبل يكي ويقرأ - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتوا وأسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك وكث يشهى ثمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى ثمرا بقرط ورشعه إلى الليل ليفطر عليه قال فبعت ربع شديدة حتى أظلمت الدنيا فزعم الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا الجرامنى عليك وشرائى الثمر بالقرط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذهبك على أن لا تدويه . واشترى داود الطائى بنفس فأس قلا وبغلس خلا وأقبل ليته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا قنارا وقال عتبة الغلام يوما لبيد الواحدين زيد بن فلان نصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى فقال لأنك تأكل مع خبرك ثمرا وهو لا يزيد على الخبر شيئا قال فإن أنا تركت أكل الثمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يكي فقال له بعض أصحابه لا يبي الله عينك أهى الثمر يكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئا لم يواوده . وقال جعفر بن نصر أمرنى الجنيدي أن أشتري له الثين الوزرى فلما اشترته أخذ واحدة عند الطور فوضها في فم ثم ألقاها وجعل يكي ثم قال احمله فقلت له في ذلك قال هتب في هانف أما تستحي تركته من أجل ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي إني متكلف شيئا فلا ترد على كرامتي فقال اقل ما تريد قال فبعت إليه مع ابني شربة من سوق فدلته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الند جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فماتت ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتي فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسوؤك هذا إني قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - بتجرعه ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكيت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السري السقطي نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغشى جزيرة في ديس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا تقول له نفس أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمنى بعد ذلك شهوة أشتريها فيقول لها لا أريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فحرق إليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليخار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع أما علمت أن في الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صائفا حتى استدار من السحاب الذى يعمل الله الماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبى آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تطلبه ولا ترضيه وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثمانية وستون صائفا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكبل الماء من خزائن الرحمة ثم للانسكة التى تجرى السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاز - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - (١) و

(١) حديث لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثمانية وستون صائفا أولهم ميكائيل

عباس رضى الله عنهما
عن التم والتضب قال
مخرجهما واحد واللفظ
يختلف فمن نازع من
يقوى عليه أظهره
غضبا ومن نازع من
لا يقوى عليه كتمه
حزنا والمرد غضب
أبضا ولكن يستعمل
إذا قصد التضوب عليه
وإن كان الضب على
من يشا كله وبما الله
ممن يتردد في الاعتقاد
منه يتردد القلب بين
الاحتباس والانسياط
فتولد منه القل والحقد
ولأبأوى مثل هذا إلى
قلب الصوفى قال الله
تعالى - ونزعنا ما في
صدورهم من غل -
وسلامة قلب الصوفى
وحاله يقذف زيدا للقل
والحقد كما يقذف البحر
الزبد لما فيه من تلاطم

وقال بعضهم أتيت قاصدا الجرعى فسأته عن الزهد أي شيء هو فقال أي شيء سمعت فيه فحدثت أقوالا فسكت قلت وأي شيء تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا البعد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب بسأله عن شيء يواقه من الأكلات فقال تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكجينا ونعس سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيداجا فقال له جرهل تعلم شيئا أقل من السكجيين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال المذربا بالحل ثم قال أنصف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرنوب الشامي قال تصرف شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص يسمن البقر فيمنعه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم مني بالطيب فلم تسألني ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأتوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان للتح شهوة لأنه زيادة على الحبز وماوراء الحبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يفتل عن نفسه ولا يهتمك في الشهوات فكيف بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهي ويغفل كل ما هو عليه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم . قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما تساقطه ، وقيل إن للدوام على اللحم ضراوة كضراوة الحجر ومهما كان جائعا وتأقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجمع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل ليفسق في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيمتد التور وبقسوقه لذلك ولكن ليصل أول مجلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث « أذيو طعائم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم » (١) وأقل ذلك أن يصل أربع ركعات أو يصبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب كل ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم وأصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما أشفى شيئا من الطعام وطيب الله واه فإني أن برك الحبز وبأكلها بدلا منه لتكون قوتها ولا تكون تنكها لا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . فظهر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز ونمر فقال له أبدا بالخرقان قامت كفاتك به وإلا أخذت من الحبز جده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ جده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتها فلا تحبوها وطالب بعض أنواع الحبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ما أتينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الحبز فرأى ذلك الحبز فأكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات الباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفي البعد من شهوته يخفى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - ويقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يستمتع في الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة فازعق نفسي خبز أرز ومكافئتها قوت مغالبها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام قلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أنصف ما تلقاني به ربي من التمس والكرامات وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز ومكافؤ كل اليوم شهواتك ههنا بخبر حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا هابتا

أعواج الأنس والهية وإن كان الضرب على من دونه من يقدح على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب إذا ثار دمه يحمر ويحمر ويتصب وتذهب عنه الرقة واليباض ومنه تحمر الوجتان لأن الدم في القلب ثار وطلب الاستملاء وانتفضت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الحد فيمتد إلى الحدود حيث تد بالضرب والتم ولا يكون هذا في الصوفى إلا عند هتك الحرمان والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب إلى الله تعالى ثم يقول تحمله على أن يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيو طعائمكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم طس وابن السني في اليوم واليلية من حديث عائشة بسند ضعيف .

عسا أسلفتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أنساهم ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقسا الله لما يرشيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفرضياته واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن الطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميمة وما أردناه في فضائل الجوع ربعا يومى إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيئات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمعالة في التمتع منه على وجه يومى عند الجاهل إلى أن الطلوب مضادة ما يقضيه الطبع بقاية الاسكان والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع يبنى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعتا والشرع مانعا فيتقاربان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهى إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أبشامابدل على إسمائه كما أن الشرع بالغ في الشاء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه^(١) فإذ عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالاضافة إلى الطبع الاعتدال أن يأكل بحيث لا يحس بتقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وتقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود أن يأكل لا يبق للمسا كقول فيعثر ليسكون متشبه بالمالكة فاتهم مقدسون عن تقل الطعام وألم الجوع نغاية الانسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال عملة أقيمت في وسط حلقة محيطة على الدار مطروحة على الأرض فان العملة تهزب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لاتقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد الواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان إحاطة تلك الحلقة بالمتقابلة بالانسكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطعم للانسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالمالكة في الحلاص فأشبه أحواله بهم البعد وأبعد الواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبوا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه غير بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أو ساطها^(٢) » وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسر له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من الباقعة في إبلامها بالجوع كما يبالغ في إبلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإبلامها ولأجل هذا السر بأمر الشيخ مریده عسا لا ينطاعها هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويعتقه القوا كد الشهوات وقد لا يتنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجالح والامتناع عن العبادة كان الأصلح لها الجوع الذى تمس بألمه في أكثر الأحوال لتتسكن نفسه وللمقصود أن تتسكن حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنعسا

(١) حديث الترمي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها البرقي في الشعب مرسل وقد تقدم .

بغيران الشرع والعدل
وبتهم النفس بعدم
الرضا بالقضاء ، قيل
ل بعضهم : من أقهر
الناس لنفسه قال
أرغامهم بالمقصود
وقال بعضهم أصبحت
ومالى سرور إلا مواقع
القضاء وإذا اتهم
الصوفي النفس عند
الغضب تداركه العلم
وإذا لاح علم العلم
قوى القلب وسكت
النفس وعاد دم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وغاضت
حجرة الخلد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السم
الحسن والتسودة
والانقصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من التوبة » وروى
حارثة بن قدامة قال

يبتنع من ملازمة الجوع من سلك طريق الآخرة إما صديق وإما مفروق أحق أما الصديق فلا سقاية نفسه على الصراط المستقيم واستثنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المفروق فلفظه بنفسه أنه الصديق السخى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا مفروق عظيم وهو الأغلب لأن النفس قلما تأدب تأديبا كاملا وكثيرا ما تنظر لتتفرق إلى الصديق ومساخمتها فيه في ذلك فيسامح نفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صرع من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناثية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يظفر ويظفر حتى يقول لا يصوم (١) وكان يدخل على أهله فيقول «هل عندكم من شيء» فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم (٢) وكان يقدم إليه الشيء فيقول «أما إني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل (٣)» وخرج عليه السلام يوما وقال «إني صائم» فقال له عائشة رضي الله عنها قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه (٤) ولذلك حكى عن سهل أنه قبل له كيف كنت في بهائتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقات ورق البقي مدة ومنها أنه أكل دقائق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه أقات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين قليل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس للراد بقوله بلا حد ولا توقيت أي آكل كثيرا إلى أن لا أقدر بقدار واحد ما آكله وقد كان معروف السكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل قليل له إن أخاك بشرأ لا يأكل مثل هذا فقال إن أخى بشرأ قبضه الورع وأنا بسطت للفرقة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتحيز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزنا حوربا قليل يأبأ إسحق بهذا كله قال وبك إذا وجدنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه فقرأ يسيرا فهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يأبأ إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الاسراف في لباس والأثاث فالذي أخذ العلم من السباع والنقل تنليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للصح منذ عشرين سنة. وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يمس جزرة في ديس لها فدل فبها متناظرا فيتجبر أو يقطع بأن أحدهما مخطئ والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسممها فطن محتاط أو غي مفروق فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسمع نفسي فأبس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمفروق يقول ما نفسي بأبسى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى تقول لا يظفر ويظفر حتى تقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم وحسنه ون من حديث عائشة وهو عند من نحوه كما سيأتي (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعند من قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حبس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ البيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريه .

قلت يا رسول الله أو سني وأقل إلى أعية قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك بقول لا تنضب قال عليه السلام «إن النضب جرة من النار ألم تنظروا حمزة عنيته وانفخ أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجالس وإن كان جالسا فليضجع» أخبرنا شيخنا الشيخ عبد الوهاب ابن عيسى قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجرجاني قال أنا الجبوي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن القفضل عن قررة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فأقديهم وأرفع التقدير في ما كولي فأنا أيضا صيف في دارمولاي فإلى ولا اعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقّه وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الخلق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتباعه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل شيء كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة مزوجة بعسل جعل يدبر الأناة فيده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى بضعها اعزلوا عن حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقصر لاحتالة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يحمد متعلقا من قلبه فيأتي إليه كل ساعة إنك طرف كامل وما الذي فانك من للرفة والسكال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع الريد في كل رياضة كان يأمر بها كبل لا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبههم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مádوما بسمن فعلا بالبرة وقال لأمر لك كل يوما خبزاً ولحماً وبوما خبزاً ولبناً وبوما خبزاً وحماً وبوما خبزاً وزيتاً وبوما خبزاً وملحاً وبوما خبزاً فقاراً وهذا هو الاعتدال فأما الواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقرار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء للتعرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تصدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشبهها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشبهها فينبغي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأما قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبا أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن قوات المجاهدات بالأعمال فإن إخفاء النفس وإظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعف والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقاً لمقتل ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر الناقلين فقال تعالى - إن الناقلين في الدرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستوفى كان ستره لكفره كفراً آخر لأنه استخف بنظره سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر الخلقين فدحا الكفر عن ظاهره والعارفون يتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يتلون بالرياء والنسب والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمزله من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نساءه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد الله ليس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والواقعة مع الإخوان وترك مخالفة قاله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشداء على الكفار - رحما بينهم - وقال الله تعالى - لو أغفقت ما في الأرض جميعا ما أثقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتودد والتألف من اختلاف الأرواح على ما ورد في الخبر الذي أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى - فأصبحهم بنعمته

عن نفسه قلوب المنافقين حتى لا يشعشعوا عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد في الزهد باظهاره منده وهذا عمل الصديق فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس تقليب وجبرها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بمره فلا جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا . ليكسر نفسه باقتل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته وقصاته والصنق فيه ولا ينبغي أن يفتره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره أصلا كما تترك فاته لو قصد إصلاح غيره . لكن إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرد وبروجه الشيطان عليه في مرض إصلاح غيره . فذلك حمل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطاع عليه ليس يقتدى به في الفعل أولا ينجز باعتقاده أنه تارك للشهوات . الآية الثانية : أن لا يتدبر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرفه فيشهره بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضمنية وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شرمها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فبهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام قليلا كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصب منها شيئا سيرا ولا تمط نفسك منها فتكون قد أضطعت عن نفسك الشهوة وتكون قد نصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أعطيتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت المزوب عنها عاقبتها بالتارك ولم أتلها منها عينا وهذا طريق في عبودية النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب ونزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الوقاع ساطت على الإنسان لقائدين : أحدهما أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فإن لذة الوقاع لو دامت لسكنت أقوى لذات الأجساد كأن النار والامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة عسوسة مدركة فإن ما لا يدرك بالدوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النفس ودوام الوجود فهذه فائدتها وليس فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة الغلبة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد استند بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر محمى وجسرى وقلبي وهوى ومنى ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء حائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حيالك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمررتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أخطب به قلوب بني آدم قال فما

إخواننا - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمنين إذا التفتوا مثل البدين تسفل أحدهما الأخرى وما اتقى مؤمنا ولا استغاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لعاد إلى أخيك في الله فقال أجزر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر وقال القتي استند الذكر إذا دخل هذا حديث لا أصل له (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر محمى وجسرى وقلبي وهوى تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حائل الشيطان الأصغراني في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .

الذي إذا صنع الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجبت نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر ك
ثلاثا دخل بامرأة لا عمل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا عمل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أقتنها
وأفنها به ولا تصاهد الله عبدا إلا وفيت به ولا تخرج من صدقة إلا أمضيها فانه ما أخرج رجل صدقة فلا عضا
إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بهم ولي وهو يقول يا وليته علم موسى ما يجدر
به بن آدم . وعن سعيد بن الحبيب قال ما بث الله نبييا فبا خلا إلا لميأس إليس أن يهلكه بالنساء ولا
شيء أخوف عندى منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يتي ويث ابني أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال
بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهي الذي أرى به فلا أخطئ . وأنت موضع
سرى وأنت رسولى فى حاجى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء
وهذه الشهوة أيضا لها إفراط ونفريط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه إلى الرجال
الاستمتاع بالنساء والمجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة وأظهر الدين حتى يجر إلى اتعاطى الفواحش
وقد ينتهى إفراطها بطائفة إلى أمرين شديدين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى همواتهم إلى الاستكثار من
الواقع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للذة لتنظم شهوة الطعام ومما تال ذلك إلا أن ابلى
بسياع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الأوقات فيختل لإثارتها وتسيجها ثم يشغل بإصلاحها
وعلاجها فإن شهوة الطعام والواقع على التحقيق آلام يريد الانسان التخلص منها فيدرك لذة بسبب
التخلص . فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وشكوت إلى
جبرائيل نصف الواقع فأمرنى بأكل الهريسة (١) فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحت تسع نسوة
ووجب عليه تحميمهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبة القوه لهذا لا للتمتع .
والأمر الثانى أنه قد تنتهى هذه الشهوة ببعض الافراط إلى العشق وهو غاية الجبل بموضع له الواقع وهو
مجاوزه فى البيهية لحد البهائم لأن التشقى ليس يقع بأرق شهوة الواقع وهى أقبح الشهوات وأجسرها
أن يستحيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنفنى إلا من محل واحد والبيهية تنفنى الشهوة أين اتفق
فتكفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذل إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى
يستمر العزل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لأجلها وما
العشق إلا سمة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا م له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك
معاودة النظر والفكر وإلا فافدا استحكمت عبر دفته فكذلك عشق السال والجامع والمفار والاولاد حتى
حب اللب بالطيور والزرد والشرطي فان هله الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنفص عليهم
الدين والدنيا ولا يصرون عنها ألبنة . ومثال من يكثر سورة العشق فى أول انبثاته مثال من يصرف
عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منها بصرف عنانها ومثال من يمالجها بعد
استحكاها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنها ويجرها إلى ورأها وما أعظم
التفاوت بين الأمرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الأمور فامضى وأخرها فلا تقبل العلاج
إلا بمجهود جهيد يكاد يؤدى إلى نزاع الروح فادن إفراط الشهوة أن يظلب العقل إلى هذا الحد وهو
مدموم جدا ونفريطها بالضعف أو بالضعف عن امتناع التكوحة وهو أيضا مدموم وإنما المصمود أن تكون
ممتدة ومطبعة للعقل والشرع فى اقتباسها وانسائها ومنهما أقرطت فكسرهما بالجوع والتكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبريل نصف الواقع فأمرنى بأكل الهريسة العقيل فى الضعاف طس من
حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وم لا يزعون وغاف
الناس وم لا يخافون
وم أولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يخزون قبل من هؤلاء
يا رسول الله . قال
للتحابون فى الله . وقيل
لوعاب الناس وتعاطوا
أسباب الهبة لاستدوا
بها عن العدالة . وقيل
العدالة حليفة الهبة
تستعمل حيث لا توجد
الهبة وقيل طاعة الهبة
أفضل من طاعة الزهية
فان طاعة الهبة من
داخل وطاعة الزهية
من خارج ولهذا للمنى
كانت محبة الصوفية
مؤثرة من البعض فى
البعض لأنهم لما تعابوا
فى الله تواصوا بمحاسن
الأخلاق ووقع القول
بينهم لوجود الهبة
فاتتبع ذلك للريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فمليه بالصوم فالصوم له وجاء » (١).
(بيان ماطى للريد في ترك الزوج وصفه)

اعلم أن الريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالزواج فان ذلك يشغل عقله عن الله ولا يضره كثرة نكاح رسول الله
ويستجبره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يضره كثرة نكاح رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع مافي الدنيا عن الله تعالى (٢) فلا تقاس للامتناع
بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من زوج قد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج
فثبت على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة فأنس بها فقال لا أنسى الله بها أى إن
الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك
مشغوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث
كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فهدمه
فلذلك كان يضرب يده على غدة عائشة أحيانا ويقول كلبني بعائشة لتشتغل بكلامها عن عظيم ما هو
فيه لتصور طاعة قلبه عنه (٣) فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رافقا
يدينه ثم إنه كان لا يطبق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فإذا شاق صدره قال أرحنا بها بإبلال (٤) حتى
يسود إلى ما هو قرعة عنه (٥) فالضعف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأنفهام
تتصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فتسقط الريد العزبة في الابتداء إلى أن
يقوى في المراقبة هذا إذا لم تغلب الشهوة فان غلبته الشهوة قلبه كسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم
فان لم تنفع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج
فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فهما لم يحفظ عنه لم يحفظ عليه فكره ويفرق عليه همه
وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي إلى القرب إلى الكبيرة الفاحشة
وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام بإاكم
والنظرة فانها تزور في القلب شهوة وكفى بهاتفة. وقال سعيد بن جبير إن عاصيات الفتنة لا ود عليه السلام
من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة
وقيل ليحيى عليه السلام ما به الزنا قال النظر والتبني. وقال الفضيل يقول إبليس هو قوس القديعة
وسمى الذي لا أخطئه به يبنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظر سهم - ومومن - سهم
سهم إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه » (٦) وقال
صلى الله عليه وسلم « ما تركت بدى فتنة أضرب على الرجال من النساء » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم
« اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء » (٨) وقال تعالى
« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعبدان

بالشيخ والأخ بالأخ
ولهذا السني أمراة تعالى
اجتماع الناس في كل
يوم خمس مرات في
للساجد أهل كل درج
وكل محلة وفي الجامع
في الأسبوع مرة أهل
كل بلد وانضم أهل
السواد إلى البلدان في
الأعياد في جميع السنة
مرتين وأهل الأقطار
من البلدان للفرقة
في العمر مرة للحج كل
ذلك لحكم بالغة منها
تأكيد الألفة والمودة
بين المؤمنين وقال عليه
السلام « المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه
بعضه أخيرا تأبوزرعة
قال أنا والذى أبو الفضل
قال: أبو نصر محمد بن
سلطان العدل قال أنا
أبو طاهر محمد بن محمد
ابن عيسى الزيايدي قال

تزيان وزناها النظر واليدان تزيان وزناها البطش والرجلان تزيان وزناها الشي والعمر تزيان وزناه القبة والقلب بهم أوشى وصدق ذلك القرج أو يكذب^(١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان قال عليه السلام احتجبا قلنا أوليس بأعمى لا يصيرنا فقالوا أننا لا تبصرانه^(٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في الآثم والولائم فيجرم على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتعديق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز للنساء معاداة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكاح أولى به فإن البصر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالتكاح والنظر إلى وجه الصبي الشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بهمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللثى لم يحل له النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجليل والقيس لعلاه ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة . فاقول لست أرى تفرقة العين قط بل ينبغي أن يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى بآسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداهما بسنه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتبليها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشية الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه التبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك يميل النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجليل وبين الثبات الحسن والأنواب للثقة والسقوف الذهبية فظنوه نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرمون ذلك إلى ما يطبوم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب التامك من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبت بسلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لوطا . وعن بعض السلف لسيكون في هذه الأمة ثلاثة أصفاء لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصلحون وصنف يهملون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما محجوز للريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالتكاح قرب نفس لا يسكن توقاتها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك فأكثر الاستغاثة فأثاني شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما يجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقتك فمدتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فبا بين جنبي وصدرى فخطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع مالا يعبر به قال فترجعت فاقطعت ذلك عني وولدتني ومهما احتاج للريد إلى التكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء التكاح ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة ولئلا يورثه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فعلنا جميع ذلك في كتاب آداب التكاح فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن يسكن قفيرة متدبنة ولا يطلب

أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الكرماني قال حدثنا يحيى الكرماني قال حدثنا حماد بن زيد عن حماد بن زيد عن أبي سميد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ألا إن مثل المؤمنيين في توادهم وتحابهم وزواجهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضونه تداعى سائر بالسر والعلانية والتساقف والتودد يؤكدها أسباب الصحة والصحة مع الأخيار مؤثرة جدا . وقد قيل لقاء الإخوان لقاء ولا شك أن البواطن تلتهج ويشتهي البعض بالبدن بل مجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعبدان تزيان الحديث م هق واللفظ له من حديث أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن ت وقال حسن صحيح .

النفقة . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالة الصداق وتسوية الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على الذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الریدین بأمرأة فلم يزل يخدمها حتى استعيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت قد غيرت في هذا الرجل أنا في مؤله منذ سنين ما ذهبت إلى الحلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستعجبها فأرأهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراحهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك قبله في ذلك فقال تعددته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا فنقله قد برقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سبعة الخلق فكان يصبر عليها فتبيله لم لا تطعها فقال أختي أن يزوجه من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج الرید فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كإروى أن محمد بن سليمان الهاشمي كان ملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعادتها في امرأة يزوجهما فاجعوا كلهم على راحة البدوية رحما الله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس غنى الأيام واليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أميرك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبتي إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهي زادك وقدم لمعادك وكن نفسك ولا تجعل الرجال أو صيادك فيقتسموا ثرائك فصرم الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلأول الله تعالى خولتي أمثال الذي خولك وأستأفه ما سرتني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشتغل عن الله تعالى فهو نقصان فليظن الرید إلى حاله وقلبه فإن وجوده في العزوبة فهو الأقرب وإن هجر عن ذلك فالتكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع وغضب البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالتكاح هو الذي يستأصل مادتها فيقطع ولهذا كثر السلف يبادرون إلى التكاح وإلى تزوج البنات قال سعيد بن السيب ما أبس إليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشكو بالأخرى مائس أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فنقدني أياما فلما أتيته قال ابن كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت برحمتك الله تعالى ومن يزوجهي وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفضل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجهي على درهمين أو قال ثلاثة قال قلت وما أدرى ما أصنع من الفرح قصرت إلى منزلي وجعلت أنسك من أخذ ومن أستاذين فضليت الغرب وانصرفت إلى منزلي فأسرحت وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خيرا وزينا وإذا بأبي يفرح قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا يبين داره والمسجد قال خرجت إليه فإذا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بدا له قلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأيتك فقال لانت أحق أن تؤذي قلت لما تأمر قال إنك كنت رجلا عزا فزوجت فكبرهت أن أيتك الليلة وحده وهذه امرأة لك وإذا هي فائمة خلعه في طوله ثم أخذ بيدها

صاحوا والظفر في الصور
بؤثر أخلاقا مناسبة
لخلق النظم إلى
كدوام النظر إلى
المحزون عجزن ودوام
النظر إلى السرور
بسر . وقد قيل من
لا ينفك لخطه لا ينفك
لقلبه واجل السرود
يصيدون لا بمقارنة لجل
القول بالمقارنة لها تأثير
في الحيوان والنبات
والجماد والماء والهواء
يخسدان بمقارنة الخفيف
والثروغ تنقي عن أنواع
المسروق في الأرض
والنبات لموضع الانقراض
بالمقارنة وإذا كانت
المقارنة مؤثرة في هذه
الأشياء ففي النفوس
الشريفة البشرية
أكثر تأثيرا وهي
الإنسان إنسانا لأنه
يأس بما يراه من خير

قدومها في الباب ورده فمقطت المرأة من الجفاء فاستوتقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الحبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الحبران فجاءوني وقالوا ما شأنك قلت وبمحك زوجي سعيد بن السبب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا أوسعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فالتفت ثلاثا ثم دخلت بها لأذاهي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فكشكت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى نفرق الناس من المجالس فقال ما حال ذلك الإنسان قلت بهز يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن ربك منه أمر فدوتك والعسا فانصرفت إلى منزلي فوجهي إلى بشرين ألق درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السبب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاد العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستجبال سعيد في الزفاف تلك الليلة يفرق غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تعلقته نارها بالكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعاصها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستجني منه ويغشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما الجبر أو الخوف أو الحياء أو المحافظة على جسده وليس في شيء من ذلك نواب فانه إتيار حظ من حفظ النفس على حظ آخره . نعم من النصيحة أن لا يقدر في هذه المواقف فائمة وهي دفع الهم فان من ترك الزنا تاندفع عنه إجمه بأى سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع اللوائح وتيسر الأسباب لاسما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق نفف فكتم لمات فهو شهيد (١) » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدة منهم رجل دعت امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إلى أخاف الله رب العالمين (٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتهم معرفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق له هذه الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسأته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم يهم أشار إلى قوله تعالى - ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضا ما هو أجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزل بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليلتاع عيشا وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجها وأورعهم فصرت به أعراية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعابها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجهها كأنه فلقمة فترقوا قالت

(١) حديث من عشق نفف فكتم لمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد م قال يقال إن يعنى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي عرس ورمح غزوت سويدا ورواه الحرطلي من غير طريق سويد بسند فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تضمن .

وشروا التألف والتودد
مستجلب للمزيد وإعنا
العزلة والوحدة محمد
بالنسبة إلى أرادل
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والصفاء
والوقار والأخلاق
الجيدة فيغتنم مقارنتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كأن مجتنب حجة الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفى مع غير
الجنس كائن بأن ومع
الجنس كائن مغاير
والؤمن مرآة المؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من ورائه أقواله
وأعماله وأحواله
تجليات إلهية وتبريرات
وتلويحات من الله
الكريم خفية ثابتة
عن الأخبار وأمدكها

أهنتي فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليمطها فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهوزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في التحبب فلم يزل يكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انضخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك ؟ قال خير ذكرت صبيقي قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عندك بصيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا حق بالكأس منك لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يتكلمان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحسب شوبه فأخذته عينه فقام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز ولعلها قال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آوأم الليث إلى غار فدخلوا فاقعدت صخرة من الجبل فسدت عليهم النار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغني قباهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرجع عليهما حتى نالما غلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فمكرت أن أغني قباهما أهلا ولا مالا فلبثت والقدرح في يدي أنظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فخربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أملت بها ستة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتقي الله ولا تفتن الحاتم إلا بحقه فخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب التي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجراً وهم غير رجل واحد فإنه ترك الأجر الذي له وذهب ففعلت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرفيق فقال يا عبد الله أنهرني في فقلت لا أستعزى بك غدا فاستأقاه وأخذ كاه ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا عيشون ^(١) » فهذا أفضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة غف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ كل ما خلق الله من غير عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والأفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤخذ بها والمادة يؤخذ بها قال ^(٢) « لك الأولى وعليك الثانية ^(٣) » أي النظرة . وقال العلامة بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر بزرع في القلب شهوة وقلبا يغلو الإنسان في تردده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فهما يتخايل إليه الحسن عاضى الطبع للمادة وعنده يفتني أن يفر في نفسه أن هذه العادة عين الجهل فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجر عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر الحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر إلى الأغيار ورؤيتهم التزم من التزم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في صحبتته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً » وقال « ما معنى مال كمال أبي بكر » فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في العطاء فالصوفي في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آوأم الليث إلى غار فذكرا الحديث بطوله رواه (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة دت من حديث بريمة قاله لعل قال ت حديث غريب .

إلا التحسر وإن استعجب لم يأتد وتأنم لأنه قصد الانداز فقد فعل ما ألمه فلا يخلو في كذا حاله
عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات
فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التحسّن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى
عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أوعى بمجارة بعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم
إلى قرية أخرى فتيها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لانا أشد حباك منك لي ولكني
أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع ثائبا فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول
لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعالى حتى ندعو الله بأن نظلمنا سحابة
حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فأدع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا
الرسول وأمن هو فأظلمتا سحابة حتى اشربا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فباتت السحابة معه
فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمتا سحابة
ثم تبعتك تخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى بكنان ليس أحد من الناس
بمكانه . وعن أحمد بن سعيد المابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعب لازم للسجد الجامع
لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فظفرت إليه امرأة ذات جمال وغدل
فتغفّت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت على الطريق وهو يريد السجد فقالت لها يافتي اسمع
منى كلمات أكلك بها ثم اعمل ما شئت ففسي ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد
منزله فقالت له يافتي اسمع منى كلمات أكلك بها فأطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره
أن أكون للتهمة موضعاً فقال له والله ما وقفت موقفى هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن
يتشوف العباد إلى مثل هذا منى والذي حملني على أن لتيك في مثل هذا الأمر بنفسى لمررتى أن
القليل من هذا عند الناس ككثير وأتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شئ يسيب وجهه
ما أتوقل لك إن جوارحى كلها مشغولة بك فأنه الله في أمرى وأمرك قال ففسي الشاب إلى منزله
وأراد أن يسلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة
واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أيها
المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى العصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها
ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والحيال والشجر والدواب فمن ذا
يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلا فاني أذكرك يوما تكون السماء فيه كاهلهم وتصير الحبال
كالهبن وتجنو الأم لصولة الجبار العظيم وإلى الله قد ضمنت عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح
غيرى وإن كان ما ذكرت حقا فاني أذكرك على طبيب هدى يداوى السكاوم المرمنة والأوجاع المرمنة
ذلك الله رب العالمين فأقصديه بصدق السألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأندرم يوم الآفة
إذ القلوب لدى الحناجر كاطلعين باللقائين من حميم ولا تشعير يطاع . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور -
فأين للهرب من هذه الآفة ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد
الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يافتي لا ترجع فلا كان للتيك بعد هذا اليوم أبدا إلا غدا بين يدي الله
تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت أسألك الله الذي يده معايب فليك أن يسهل ما قد عسر من أمرك
ثم إنها تبعت وقالت آمنن على يوعظة أحلمها عنك وأوسى برصه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ
نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يشوقاكم بالدين ويعلم ما جرحتم بالئار - قال فأطرق
وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الأول ثم إنها أقافت ولزمت بينها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء يفتى عن الحلق
وبرى الأشياء من الله
حيث طالع ناصيته
التوحيد وخرق
الحجاب الذى منع
الخلق عن صرف
التوحيد فلا ثبت
للخلق منعا ولا عطاء
وبحبه الحق عن الحلق
فاذا ارتقى إلى ذروة
التوحيد يشكر الحلق
بعد شكر الحق ويثبت
لهم وجودا فى اللع
والنطاء بعد أن يرى
السبب أولا ولذلك
لسعة عليه وقوة
معرفة ثبت الوسائط
فلا يحبه الحق عن
الحق كرامة للسلبين
ولا يحبه الحق عن
الحلق كآراب الارادة
والبستدين فيكون
شكره لاحق لأنه للثم
والهلى والسبب

ذلك حق ماتت كذا فكان الفتي يذكرها بعد موتها ثم يسكن فيقال له لم يكافؤك وأنت قد أباحتها من نفسك ؟ فيقول إني قد بعثت طمعها في أول أمرها وجلست قطعيتها ذخيرة في عند الله تعالى فأنا أمتحني منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب آفات اللسان)

(وهو الكتاب الرابع من ربيع للهلاكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعده وألمحه نور الإيمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدمه به فضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمة وأسبله ثم أمده بلسان يترجمه عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه مآثره الذي أرسله وأطلق الحق مقوله وأصبح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حملة ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمته وبجله ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله وأمى فضله وبين سبيله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثرية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يتبين التكفر والإيمان إلا بهيأة اللسان وما غاية الطاعة والنسيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناولها ويتعرض له بآيات أوتني فإن كل ما يتناول العلم يرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رطب للبدان ليس له مرد ولا لحياله منتهى وحده له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرضى الغنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى هفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيد بلبام الشرع فلا يطلقه إلا فيها ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى فالتك في حاجه وأجبه وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يلزم فامض عزيز والعمل بمقتضاه من من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائه والحذر من مصالده وجباله وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الإنسان ونحن بتوفيق الله وحسن تديره نقول بجماع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمجودها وأسبابها وغوائها ونفرد طريق الاحتراز عنها ونورد ماورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت وتزوده بذكر آفة الكلام فيها لا ينمى ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة اللراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التعمق في الكلام بالتشدد وتكلف الجمع والفضاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة التضامنين للدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة الصنإما لحوان أو جواد أو إنسان ثم آفة الفناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب البيع ما يحرم من الفناء

(كتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحامدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو سحقت أو نجتأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين ذاة أهونها الجذام » وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه بنعمة حمد الله إلا كان الحمد أفضل منها » قوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يراد الحق بها شكرا ويحتمل أن الحمد أفضل منها لئلا

وما عجل فلا يخيد ثم آفة الزاح ثم آفة السخري والاستزاه ثم آفة إفشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة النية ثم آفة النتيجة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتنادين فيكم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة اللدخ ثم آفة الفضلة عن دقائق الخطأ في لغوى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أمي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجمعتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الصبر والصمت وحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجى » (١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقيل فاعله » (٢) أي حكمة وحزم . وروى عبد الله بن مسعود عن أبيه قال « قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قلت يا الله ثم استقم قال قلت فما أنقذ فأومأ بيده إلى لسانه » (٣) وقال عتبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة قال أسكت عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » (٤) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يشكف لي بما بين لحيه ورجليه أنكفئ له بالجنة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شرفه وذبحه ولطفه قد وفى التركه » (٦) التيق هو البطن والذبذبة الفرج والتعلق اللسان فلهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق وذلك اشتغلا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج « وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأبغوفان الفم والفرج » (٧) فيجتمعا أن يكون المراد بالله آفات اللسان لأنه محله ويعتدل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ قد قال معاذ بن جبل قلت « يا رسول الله أتؤاخذ بما يقول فقال ثناك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٨) وقال عبد الله التقي قلت « يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به فقال قل ربني الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف مني » فأخذ بلسانه وقال هذا » (٩) وروى أن معاذ قال « يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

- (١) حديث من صمت نجى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد
- (٢) حديث الصمت حكمة وقيل فاعله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بن مالك بسند صحيح وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان الثوري أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك الحديث صحيح وهو عنده وهو عند من ذكر
- (٤) حديث عتبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امكك عليك لسانك الحديث وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لي بما بين لحيه ورجليه أنكفئ له بالجنة رواه (٦) حديث من وفى شرفه وذبحه ولطفه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضعيف بالفظ قد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث صحيح وهو من حديث أبي هريرة (٨) حديث معاذ قلت يا رسول الله أتؤاخذ بما يقول فقال ثناك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم صحيح وهو عنده وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله التقي قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعظم به الحديث رواه أن قال ابن عساکر

تكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التي حمد عليها فإذا شكروا للتم الأول يشكرون الواسطة للتم من الناس ويدعون له . روى أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أظفر عند قوم قال « أظفر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم الكينة » . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه قال أنا أحمد بن محمد ابن أحمد البزار قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن محمد البغوي قال أنا عمرو ابن زرارمة قال ثنا عيسى ابن يونس عن موسى ابن عبيدة عن محمد بن

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه ^(١) وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائه» ^(٢) وقال ^(٣) من سره أن يسلم فليزم الصمت ^(٤) وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقمعت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا» ^(٥) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يعد لسانه يده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته» ^(٦) وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلج ويغول باللسان قل خيراً تغم ولست عن سر تسلل من قبل أن تدم قبيل له يا أبا عبد الرحمن أعذا شيء؟ قوله أوشى؟ سمعت؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه» ^(٧) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كف لسانه صر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره» ^(٨) وروى أن معاذ بن جبل قال «يا رسول الله أوصني» قال : اعبد الله كأنك تراه وعبد نفسك في اللوث وإن شئت أنبتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه ^(٩) وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق» ^(١٠) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جراك الله خيراً فقد أبلغ في التناء» ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للأخوان والسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعبوب النفس وآفاتنا وشبهاتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق وعظائمهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا للصوفى تام الحال عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وعو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كبروا ت وصحبه . وقد تقدم قبل هذا بحصة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحراطة في كلام الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليزم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رحمه ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً وإنا هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رحمه ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يعد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله ﷺ قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وعلم الدراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولاعله (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلج ويغول باللسان قل خيراً تغم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه صر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسله ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات الهدى من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليكت (١) وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبد اتسكلم فتم أو سكت فسلم (٢) » وقيل ليس عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تتلقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تتلقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلي على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فإن لم تفعل فكف لسانك إلا من خير (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك لإمن خير فانك بذلك تغلب الشيطان (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليقل الله امرؤ علم ما يقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة (٥) » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غفام وسالم وشاحب فالغفام الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكن والشاحب الذي يغوص في الباطل (٦) » وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يشكك بشيء تدبره قبله ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره قبله (٧) » وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به (٨) » .

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاووس لاني سبيع إن أرسلته أكلتي ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا لسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عذر كلامه من عمله قل كلامه إلا بما يشبهه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والنهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

(١) حدث أبي هريرة عن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليكت متفق عليه .

(٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبد اتسكلم فتم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت واليبق في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلي على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طعن من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة . من حديث أبي خلد بلقظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة وقد تقدم .

(٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غفام وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلقظ المحالي وضعفه ابن عدي ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يسكلم بشيء تدبره قبله الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الحرائطي في معارج الأخلاق من روايه الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة القلاء والبيهقي في الشعب موهوبا في عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب
الملك يتألفه بذلك
لقضاء سورج الناس .
وقال عطاء لأن برأى
الرجل سجين فيكتب
جاءه يعيش فيؤمن
أثم له من أن مجلس
العمل لنجاة نفسه
وهذا باب غامض
لا يؤمن أن يفتن به
خلق من الجهال
الدعين ولا يصلح هذا
إلا لبيد اطلاع الله على
باطنه فلم منه أن
لارغبة له في شيء من
الحياة والمال ولو أن
ملوك الأرض وقورا
في خدمته ما طعن ولا
استطاع ولو دخل إلى
أمون يوقد ما ظهرت
نفسه بصرح الانكار
لهذا الحال وهذا
لا يصلح إلا لأحد من
الحلق وأنفراد من

لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد
 ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن بن سعيد
 عند معاوية رحمه الله والأخنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بكر لا تسكلم فقال له أخشى الله إن
 كذبت وأخشاك إن حدثت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين
 وكسرى وقصر. فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقول. وقال الآخر إن إذا تسكلمت
 بكلمة ملكتي ولم أملكها وإذا لم أتكلم به أملكها ولم تعلمكني. وقال الثالث بحيث لتسكلم إن رجعت
 عليه كنه ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقول أقدر مني على رد ما قلت.
 وقيل أقام التصور بن العزلم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة. وقيل ما تسكلم إليه من
 خيتم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقد افكل ما تكلم به كتبته ثم عاسب
 نفسه عند الساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسيه ؟ فاعلم أن سبه كثرة آفات اللسان
 من الخطأ والكذب والنية والهمة والرياء والتفاني والفحش والراء وتزكية النفس والحوض في
 الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات
 كثيرة وهي سبابة إلى اللسان لا تنقل عليه ولها حلالة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن
 الشيطان والحائض فيها فما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب وبكفه مما لا يجب فان ذلك من
 غوامض العلم كما سيأتي تفصيله في الحوض خطر وفي الصمت سلامة فذلك عظمت فضيلته. وهذا مع
 ما فيه من جمع الملم ودوام الوقار والفرافغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا
 ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلقظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وبذلك على فضل
 لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض. وقسم هو نفع محض. وقسم فيه
 ضرر ومنفعة. وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه
 وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع
 زمان وهو عين الحشران فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربيع وهذا
 الربع فيه خطر إذ يمزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنية وتزكية النفس وفضول الكلام
 امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا. ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم
 قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجاة » (١) فلهذا أولى
 والله جواهر الحكم قطعا وجوامع السكلم (٢) ولا يعرف ما نعت أحادكاته من بحار المعاني إلا خواص
 العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن
 الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ بأخفها وترقى إلى الأغلف قليلا ونؤخر السكلم في النية والهمة
 والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترعد بعون الله تعالى .

(الآفة الأولى : السكلم فيما لا ينبيك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألسانك من جميع الآفات التي ذكرناها من النية والهمة
 والكذب والراء والجidal وغيرها وتتكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك
 تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على حمل لسانك

(١) حديث من صمت نجاة تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أدنى جوامع السكلم م من
 حديث أبي هريرة وقد تقدم .

(الآفة الأولى السكلم فيما لا ينبيك)

الصادقين يسلخون
 عن إرادتهم واختيارهم
 ويكشفهم الله تعالى
 برأيه منهم فيدخلون
 في الأشياء بمراد الله
 تعالى فإذا علموا أن
 الحق يريد منهم الخاطلة
 وبذل الجاه يدخلون
 في ذلك بنية صفات
 النفس وهذا لأقوام
 ماتوا ثم حشروا
 وأحكموا مقام القناء
 ثم رقا إلى مقام البقاء
 فيكون لهم في كل
 مدخل ومخرج برهان
 وبيان وإذن من الله
 تعالى فهم على بصيرة
 من ربهم وهذا ليس
 فيهم ارتياب لمصاحب
 قلب مكاشف بصريح
 المراد في خفي الخطاب
 فيأخذ وقته أبدا من
 الأشياء ولم تأخذ
 الأحياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى القصر ربما كان ينفع لك من نعمات رحمة الله عندنا فكم ما يعظم جدواه ولو هلك الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كثيرا من الكونز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بباح لا يبنى فانه وإن لم يأثم قد خسر حيث فاته الربيع العظيم بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون محبته إلا فكريا ونظريه إلا عبرة ونقطة إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بلداس مال البعد أوقاته وسعها صرفها إلى ما لا يبنى ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة قد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يبنى » بلورد ما هو أحد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني قال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لله كان يشكم في لا يبنى وبمنع ما لا يبنى » وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أخبر يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه الثالثة على الله ؟ قال هي أي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كبا قال ملاينيه أو منع ما لا يبنى (٢) ومعناه أنه إنما تبنى الجنة لمن لا يحاسب ومن تشكم في لا يبنى حوسب عليه وإن كان كلامه في مبل فلا تبنى الجنة مع للتأفة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام قدام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوتى عمل في نفسك تزجوه فقال إني لضيف وإن أوتى ما أرجو به السلامة الصدر وترك ما لا يبنى (٣) وقال أبوذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بسبل خفيف على البدن ثقل في التزنا ؟ قلت لي يا رسول الله قال والصمت وحسن الخلق وترك ما لا يبنى (٤) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم الوافقة لا تشكم في لا يبنى فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تشكم في يبنى حتى تجده لم موضا فانه رب تشكم في أمر يبنى (٥) حديث المؤمن لا يكون محبته إلا فكريا ونظريه إلا ذكرا لم أجده له أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطقى ذكرا وصمتى فكريا ونظري عبرة (٦) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يبنى ت وقال غريب و من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لله كان يشكم بما لا يبنى وبمنع ما لا يبنى من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ الصنف بسند ضيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كبا قل ملاينيه أو منع ما لا يبنى ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن جحرة بأسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوى عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوتى ما أرجو به السلامة الصدر وترك ما لا يبنى ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نجيح اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر « ألا أعلمك بسبل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يبنى إن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من
الأقطار إلا واحد
متحقق بهذا الحال .
قال أبو عبيان الحبري
لا يكمل الرجل حتى
يستوى قلبه في أربعة
أشياء : للتح والعطاء
والعز والقد ولثل هذا
الرجل يصلح بذلك
الجاه والدخول فيها
ذكرناه . قال سهل
ابن عبد الله لا يستحق
الإنسان الرياسة حتى
تجتمع فيه ثلاث
خصال : يصرف جهده
عن الناس ويعمل
جهد الناس ويترك
ما في أيديهم ويذل
ما في يده لهم وهذه
الرياسة ليست عين
الرياسة التي زهد فيها
وتعين الزهد فيها
لضرورة صدقه
وسلوكة وإنما هذه

قد وضعه في غير موضعه فنت ولأعز حلما ولا سفيها فان الخليم بقلبك والسفيه يؤذيك واذا ذكر أخاك
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه بما تحب أن يفيك منه وعامل أخاك بما تحب أن
يملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالأحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل لقمان الحكيم ما حكمتك
قال لأسأل عما كفت ولا أنكلف ما لا يبينني . وقال موري السجل : أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يبينني . وقال عمر رضي الله عنه
لا تعرض لما لا يبينك واعتزل عدوك واحذر صدقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي
الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من لجوره ولا تظلمه على شرك واستشر في أمرك الدين يخشون
الله تعالى . وحده الكلام فيما لا يبينك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستغربه في حال ولا مال .
مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع
وما استحسنته من الأطعمة والياب وماتعتبت منه من مشايخ البلاد ووقائهم فهذه أمور لو سكت
عنها لم تأثم ولم تستغربه وإذا بالت في الجهاد حتى لم يخرج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس
من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا الغيابة لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآتي تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلنا أن تسأل غيرك
عما لا يبينك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضيق هذا إذا
كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأمثلة فيما آفات فانك تسأل غيرك عن
عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا
وإن سكت كان مستغفرا لك وتأذيت به وإن احتال لدافعة الجواب افتقر إلى جهد وقب فيه قد
عرضه بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستعفاف أو للتب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر
عبادته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يغني ويصحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك
فتقول له ماذا غول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرجما بمنه مانع من
ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل
عن مسألة لا حاجة بك إليها والشئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجب عن غير بصيرة
ولست أعني بالتكلم فيما لا يبين هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يبين
ماروي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو سرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم
فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فنهت حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فما فرغ
قام داود ولبسه ثم قال نعم البرع للعرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعه أي حصل العلم به من
غير سؤال فاستغنى عن السؤال ونيل إنه كان يردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال
فهذا وأمثاله من الأمثلة إذا لم يكن فيه ضرر وهناك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا يبين
وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه
أوليا سطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك
كله أن يعلم أن لثوث بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاه رأس ماله وأن لسانه حبة
يقدر على أن يقتنس بها الحور العين فاهله ذلك وتقصيه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم
وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصح حصة في فيه وأن يجرم نفسه السكوت بها عن بعض ما يبينه
حتى يتبادر اللسان ترك ما لا يبينه وضبط اللسان في هذا على غير المثال شديد جدا .

رياسة أقامها الحق
لصالح خاقه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشكر نعمها لله
تعالى .

[الباب الحادي
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانه من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أدبى ربى
فأحسن تأديبى »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فالأدب تهذيب
ظاهر البعد وباطنه
صار صوفيا أدبيا وإنما
سميت للتأدية مأدبة
لاجتماعها على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
البعد إلا بتكامل كلام
الأخلاق ومكلام
الأخلاق مجموعها من
تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيها لاجئ والزيادة فيها يعني على قدر الحاجة فإن من بينه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يمدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا به معروف أو نهيا عن منكر أو أن تنطق بمجانتك في مبيتك التي لا بد لك منها أنتكرون أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن العيين وعن الثعالبي قيد ما يلفظ من قول الإلهيه رقيب عتيد . أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفة التي أملاها صدر نهاره كان أكثرها ليس من أمر دينه ولادنياء . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكتب في الكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف لمعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكتب والجار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا يتحصر بل اللهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله ^(١) » فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل اللسان وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر قالوا أنت والذنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجنة الثراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستويكم الشيطان ^(٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخس أن يستويه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما باع به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت إنه يقول أتباع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن يا ابن آدم بسط لك صحيفة ووكّل بها ملسان كرميان يكتبان أعمالك فاعمل ما نشئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام يث بعض غفاريته ويث قهرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مرّ في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هببت من اللاتكة على رموس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم لظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من كثّر كلامه كثّر كذبه ومن كثّر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأتقى الفضل من ماله البخاري وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البخاري لأدري مع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا نعرف له حجة ورواه البراء من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر قالوا أنت والذنا وأنت سيدنا الحديث د في اليوم والليلة يلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا يلفظ الصف

سورة الانسان
والخلق معناه فقال
بعضهم الخلق لاسبيل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد « فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل » وقد قال تعالى
« لا تبدل خلق الله »
والأصح أن تبدل
الأخلاق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الانسان
وهيأ لقبول الصلاح
والقصاد وجعله أهلا
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
ألم الانسان ومكة

«كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسأني قال أما كان لك في ذلك ما يرد كلامك (١)» وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستمر في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شراً من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه إنه ليعنى من كثير من الكلام خوف الباهة . وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليستك وإن كان ساكناً فأعجبه السكوت فليستك وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكتبه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزوين وزيادة وشقاق . وقال ابن عمر إن أحق ما ظهر الرجل لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساً كان خير لها . وقال إبراهيم يهلك الناس ثلثان فضول اللال فضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسيئه إليّ الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيها لا ينفي .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في العاصي ككتابة أحوال النساء ومجالس المحر ومقامات التساق وتتم الأغنياء ونجبر للوك ومراسمهم للذمومة وأحوالهم السكروية فإن كل ذلك مما لا يغل الحوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا ينفي أو أكثر مما ينفي فهو ترك الأولى ولا تخبرم فيه ثم من يكثر الكلام فيما لا ينفي لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفريج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفتك بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وغناها فذلك لا تخلف منها إلا بالاعتصار على ما ينفي من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقها فقد قال بلال بن الحرث قال دعول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة (٢)» وكان علقمة يقول كم من كلام منتهيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الدنيا (٣)» وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن لها بالاهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن لها بالارفعه الله بها في أبي الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل (٤)» وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخاشعين - وبقوله تعالى - فلا تهمدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في عصية الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توشعوا فإن بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث هـ وت وقال حسن صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الدنيا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن ولشيوخين وت إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً في النار فقط وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفًا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالترية إلى أن يصير النوى غلًا والزناد بالملاج حتى يخرج منه نار وكأ جعل في نفس الإنسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الإصلاح والإفساد فقال سبحانه وتعالى - وتقى وما سواها فألمها بفجورها وثقوها - فتسويتها بصلاحيها للشيعين جميعاً ثم قال عز وجل - قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها - فإذا تزكت النفس تدبرت بالفعل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهدبت الأخلاق وتكونت الآداب فلا أدب استخرج مافي القوة إلى الفعل وهذا

وراء ماسياتي من النية والنجمة والقبح وغيرها بل هو الخوض في ذكر عظومات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها وبدل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطين في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون باطقه وكرمه .

(الآفة الرابعة لراء والجدال)

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأوا أخاك ولا تمازحه ولا تعلمه موعدا فخلفه »^(١) وقال عليه السلام « ذروا لراء فإنه لانفهم حكته ولا تؤمن فتنته »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم من ترك لراء وهو مبطل بن له بيت في رضى الجنة^(٣) وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال »^(٤) وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل »^(٥) وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراعي أن كان محقا »^(٦) وقال أيضا « ست من كن في بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصبر على الصديقات وإسباغ الوضوء على الكرامة وترك لراء وهو صادق »^(٧) وقال في الصلاة في اليوم الحج والعبادة والصلوات وإسباغ الوضوء على الكرامة وترك لراء وهو صادق^(٨) وقال في الأثر لرب لائه لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطعمهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التقل . وقال مسلم بن يسار يا كرم لراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها ينتهي الشيطان زلته . وقبل ماضل قوم بعد أن هداهم الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجدل من الدين في شيء . وقال أيضا لراء يقضى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمعتوك وقل بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا بمساربا معجبا برأيه قد تمت خسارته وقال سفيان لولخات أن في رمانة فقال حاوة وقلت حامضة لسمي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليرميك بداهية تمنحك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أمارى صاحبي فيما أن أكذبه وإنما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثمًا أن لا تزال محاربا

(الآفة الخامسة لراء والمجادلة)

(١) حديث لا تمارأوا أخاك ولا تمازحه ولا تعلمه موعدا فخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث ذروا لراء فإنه لانفهم حكته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك واثلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله لانفهم حكته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك لراء وهو محقق بن له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطيراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في الراسيل من حديث عروة بن روم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل تمن حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره النصف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يفر لراء وإن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بإلفظ لا يؤمن بالله حتى يترك الكذب في اللزاحة والراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك لراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بإلفظ ست خصال من الخبر الحديث .

يكون لمن ركب
السجدة الصالحات فيه
والسجدة فصل الحق
لا قدرة للبشر على
تكوينها كتنكون
النار في النار إذ هو
فصل الله الخضر
واستخراجه بكسب
الأمم فهكذا الآداب
منعها السجدة الصالحة
والنعم الإلهية ولها
الله تعالى بواطن
الصوفية بشكل
السجدة فيها تواصلوا
بحسن التماسه والرياضة
إلى استخراج ما في
النفوس وهو ماركوز
خلق الله تعالى إلى
القلم تصاروا مؤدبين
مهيدين والآداب تمنع
في حق بعض الأشخاص
من غير زيادة بمسارسة
وربانية القوة مأدوع
الله تعالى في غرائزهم كما

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركتان (١) » وقال عمر رضي الله عنه لا تتم العلم ثلاث ولا تركه ثلاث لا تعلمه لقنارى به ولا تلباهى به ولا تترأى به ولا تركه حياء من طلبه ولا زهاده فيه ولا رضا بالجلل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاحت الرجال سقطت مروءته ومن كثرهم سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقول لبيد بن ربيعة بن مهران مالك لا تترك أخاك من قلى قال لأنى لأشأر يولأ مار يولأ وما ورد في ذم الراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحده الراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في صدق التكليم وترك الراء بترك الانسكار والاعتراض فكل كلام صمته فان كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فانسكت عنه والظن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة المعنى أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما في المعنى فأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فقل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس صدقك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس أن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدول وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لاحت وجه العناد والتكلمة أو التلطف في التعريف لافي مرض الظن وأما المجادلة فبارة عن قصد إظهار الغير وتعيجه وتقبضه بالقدح في كلامه ونسبه إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه لحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو للظهير لخطأه بل يفضل نفسه وشخص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأنم به لو سكنت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهمج على الغير باظهار قصه وما شؤن باطنان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعة فانه يقتضى أن يعزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما الراء والجدال فالواجب على الراء والجدال مقلد هذه الصفات الهلكة وهذا مجاوز حد الكرامة بل هو مصيبة مما حصل فيه إيذاء الغير ولا تفك الممارسة عن الإيذاء وتضييع الغضب وحمل العرض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدس في قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين الثأرين كاثور الحراش بين السكبين بقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعلم نكبة وأقوى في الخافه والجامه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعة الباعث له على تقيص غيره ككليات ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة بما طغى سببها وسبب الراء والجدال ما ذكرناه ثم للواظبة عليه نعمة عادة وطبعه حتى يتمكن من النفس وبسر الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمه الله عليه قال لداود الطائي لم آثرت الا تزواء قال لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر الجاهلس واستمع ما يقال ولا تكلم قال فعملت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد لم يهاوهم وكافأ لأن من مع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه فصر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك الراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يقبل ذلك في اللذاهب والعقائد فان الراء طبع فاذا ظن أن له عليه ثوبا اشتد عليه حرمة وتماون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لفنصان قوى أصولها فى التفرقة فلهذا احتاج للربودن إلى محبة للشيخ لتكون الصعبة والتسلل عوناً على استخراج ما فى الطبيعة إلى القمل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قه يوم وأدب يوم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى بكارم الأخلاق . فقال - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - » قال يوسف بن الحسين

(١) حديث تكفير كل لحاء ركتان الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال ينجل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا قسّمتم البدعة في قلبه بالجدل وتأكّد فاذا عرفوا أن النصح لا ينفذ اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا جميع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد نفسه بسببه عزاً وقبولا لقوت فيه هذه الهللكات ولا يستطيع عنها نزوعاً إذا اجتمع عليه سلطان النضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزّز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجادلتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

وهي أيضاً دمومة وهي وراء الجدال وللراء فالراء ملن في كلام الغير بظاهر خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق بظهور للذاهب وتقرّرها والحصومة لجأح في الكلام ليستوي به مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً وللراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق قد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بشيء لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تمحق الدين ويحال ماخاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتبية مري بن عبد الله ابن أبي بكره فقال ما يحسبك منها قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي بدا وإنّي أريد أن أجزيك بها وإنّي والله مارأيت شيئاً أذهب للدين ولا أبغض للرودة ولا أصبح للذة ولا اشتغل لقلب من الخصومة قال فسمعت لأتصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخاسمك قال إنك هرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئاً هو لك . فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تدم خصومته ، فاعلم أن هذا التهم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بشيء علم مثل وكيل القاضي فانه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بشيء علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الابداء ويتناول الذي يزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة بعض العناد قهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحضر ذلك القدر من اللال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإنّي أخذت منه هذا اللال ربحاً مريباً به في شر ولا بألى وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جداً فأما اللطام الذي ينصر حجة بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجأح على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلقظ رحم الله امرأ كلف لسانه عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جداً .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم وع وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بشيء لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصفهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور .

بالأدب يغم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة والحكمة بالجدل يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى . قيل لما ورد أبو خنيس العراق جاء إليه الجنب فرأى أصحاب أبي خنيس وقفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا خنيس أدبت أصحابك أدب للسلوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين التورى ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط منها

وإيذاء قعله ليس بمحرم ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في المحسومة على حد الاعتدال متعذر والمحسومة توغر الصدر وتبيح الضرب وإذا هاجم الضرب نسي للتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمسامة صاحبه ويحزن بجرسته ويطلق اللسان في عرضه فمن بدأ بالمحسومة فقد تعرض لهذه المهدورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يتيق الأمر على حد الواجب فالمحسومة مبدأ لشر وكذا للرأاء والجدال فيبني أن لا يفتح بابا إلا للضرورة وعند الضرورة يبنى أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات المحسومة وذلك متعرجا فمن انحصر على الواجب في خصوصته سلم من الآثم ولا ندب خصوصته إلا أنه إن كان مستغنيا عن المحسومة فيها خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما، ثم أقل ما يغوته في المحسومة والرأاء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذا أقل درجات طيب الكلام إظهار الواقعة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي نحاسه إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيغوث به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يتمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) «وقد قال الله تعالى - وقولوا قائلنا حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فأردده عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا حينم تحبوا أحبوا بأحسن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لوقال لفرعون خيرا الردت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعد لها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام» (٢) «وروي أن عيسى عليه السلام من به خير فقال مر بسلام فقبل ياروح الله أنقول هذا الخبز قال أكره أن أعود لسان الشر وقال نبينا عليه السلام «السكاسة الطيبة صدقة» (٣) «وقال «أضوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فيسكاسة طيبة» (٤) «وقال عمر رضي الله عنه البرئ هين وجهه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جايبك فلا تكن به عليه بخيلا فإنه له عوضك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل الكلام العليب وتضاده المحسومة والرأاء والجدال والاعتجاج فإنه الكلام المستكره الوحش المؤذي للقلب النقص للعيش فلهيج للغضب الوغر لا صدر نساء الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالتشديق وتكاف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالمشبهات والقدمات وما جرت به عادة التفتيحين المعين للخطابة وكل ذلك من التصنع للذموم ومن التكلف المعقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتباعي أمقي برآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أنبضكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفتيحون للتشديقون في الكلام» (٥) «وقالت فاطمة رضي الله عنها (١) حديث يمتنعكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لا أعرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة من حديث أبي هريرة (٤) حديث أضوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام والتشديق)

(٥) حديث إن أنبضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفتيحون التشديقون أحمد من حديث

آداب التسمية وآداب التسمية حاية الظاهر والله تعالى لا يبيع تمطيل الجوارح من التحل بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة . أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد هذاه السكبة وربما كنت أستلق وأمد رجلي لجأتي عائشة السكبة فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لا تنالها إلا بأدب وإلا فيمحي اسمك من ديوان القربى قال أبو عبيد وكانت من العارقات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شرار أمي الذين غدوا بالنميم بأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «ألهلك التنظون ثلاث مرات^(٢)» والتطلع هو التصديق والاستعانة. وقال عمر رضي الله عنه: إن شئت أشق الكلام من شقاق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فحكم بين يدي حاجته بكلام قال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بأنسهم كما تتخلل البقرة الكلا^(٣)» وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والقدمة للصنوعة للتكفة، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع منكلف وكذلك التغاصيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات وإذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجنبين قال بعض قوم الجاني: كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل قال أسجما كسجع الأعراب^(٤)، وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم لغرض وما وراء ذلك تصنع مدموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن المقصود منها تحريك القلوب وتنشيقها وقبضها وبسطها، فلهذا الفظ تأثير فيه فهو لا يلقى به، فأما المحاورات التي تجري لتضاد الحاجات فلا يلقى بها السجع والتشديق والاشتغال به من التكلف المدموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار النصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مدموم يكرهه الشرع ويزجر عنه.

(الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مدموم ومنه عنه ومصدره الحبث والألوم. قال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش^(٥)» ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتل يدر من الشركين قال: «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء ألوم^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم: «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم: «أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه باعظ إن أنقضكم إلى^(٩)» حديث فاطمة شرار أمي الذين غدوا بالنميم الحديث وفيه ويتشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك التنظون من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد بن أبي وقاص على الناس زمان يتخللون الكلام بأنسهم كما تتخلل البقرة الكلا بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث من حديث النفيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلهما عند أخيه أيضا.

(الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث النبي عن سب قتل يدر من الشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات وللنساء من حديث ابن عباس بإسناد صحيح إن رجلا وقع في أب للباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ث باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروى موقوفًا قال الدارقطني في الملل والوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبث
مأمور بملزمة الأدب
والنفس تجري بطباعها
في ميسدان الخفلة
والعبث يرد بها بمجده
إلى حسن اللطافة
فمن أعرض عن
المجد قد أطاق
عنان النفس وغفل
عن الرعاية ومهما
أعانها فهو شريكها وقال
الجنيد من أعان نفسه
على هواها قد أشرك
في قتل نفسه لأن
العبودية ملزمة الأدب
والطغيان سوء الأدب
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المسعودي قال أنا
أبو النصر الترياق قال
أنا أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس المصنوعي
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجسيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قيحا ودما يقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قدعة خبيثة فيستلها كما يستلث الرث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال **عنه** « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشفهما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا اللبابة في الإيضاح حتى يتسنى إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجالا إلى أصماغ العوام أولى من اللبابة في بيانه إذ قد يثور من غايه البيان فيه شكوك ووساوس فافلا أجملت بآذنت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للراديه المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه فان الأولى في منه الإخماس والتخاضل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش للتفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة قال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن مسيرة يقال يؤتى بالفاحش للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحنف ابن قيس الأخيركم بأدوا الداء اللسان الذي والخلق الدني ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التمييز عن الأمور المستبحة بالمبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الواقع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يبارها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حيي كريم يعفو ويكفو وكفى بالفسى عن الجماع فالليس والفسى والدخول والصعبة كتابات عن الواقع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستفيع ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه المبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أغشى من بعض ، وربما اختلف ذلك بمادة البلاد وأوالها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يخص هذا بالواقع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التنوط والحراء وغيرهما فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحي منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه أغشى وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قبل في الهجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصرع فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقروح والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلها كما يستلث الرث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مانع واختلف في محبة فذكره أبو نعيم في الصعابة وذكره ع حب في التابعين (٢) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي الثضر عن أبي سلفة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله وللقطرباني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش للتفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا باسناد صحيح .

قال ثنا خثية قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح من سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤذي الرجل ولله خير من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما نحل والد ولا من نحلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو علي الدقاق البغدادي بطل بطلته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

جراه فالصرح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العماد بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يحتفظ في منطقتة غفرج تحت إبطه خراج فأثنيها نساءه لثرى مايقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتقاد بالحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث والثوم ومن عادتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء بطله عليك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وبالاً عليه وأجره لك ولا تسب شيئا قال لما سببت شيئا بعده ^(١) » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال للفتيان شيطانان يتعاونان وبهتانان ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « للفتيان ما قالا فلي البادى منهما حتى يمتدئ للظلم ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ملعون من سب والديه ^(٥) » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه » .

(الآفة الثامنة اللعن)

إما لحوان أو مجاد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تلعنوا جلنة الله ولا بضيه ولا بجهنم ^(٢) » وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوها فاعروها فانها ملعونة ^(٣) » قال فكأنني أنظر إلى تلك الناقة تمنى بين الناس لا يترس لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما لئن أحد الأرض إلا قالت لمن الله أعصانا لله . وقالت عائشة رضي الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلحن بمن رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولعائنين كلا ورب السكبة مرتين أو ثلاثا ^(٤) » فأعق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء بطله عليك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قبل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أتصر منه فقال للفتيان شيطانان يتكاذبان وبهتانان د الطيالسي وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث السببان ما قالا فلي البادى حتى يمتدئ للظلم ، م من حديث أبي هريرة وقال ما لم يمتد (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو (الآفة الثامنة اللعن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس للمؤمن بالطمان ولا للامان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللمتدنى وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٧) حديث لا تلعنوا بلعنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقه لها فضجرت منها فلعنتها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وهو يلحن بمن رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعائنين وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضمنه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الاستاذ أبو يعلى لا يستند إلى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأني رأيت غير مستند فتشيتني عن الوسادة قليلا فتوجهت أنه توقي الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فطعت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصري التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعوذ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المائتين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » (١) وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بير فلحقه بيرة فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسرع معي على بير ملعون » (٢) وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والنظم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أهدى للملوك وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات للتعزية للثلاثة الكفر والبدة والنفس واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبدعيين والفسقة. الثانية اللعن بأوصاف أحسن منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والحوارج والرافضين أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لعن أوصاف البدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بثله ويشير نزاعا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص اللعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجاوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء مأثورا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه مأمونا . فإن قلت يلحق لكونه كافرا في الحال كما يقال المسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبت الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر وللعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري والطلاق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد البدعي أولى قلن الأعيان فيمخطر لأن الأعيان تغلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » (٣) وذكر جماعة قتلوا على الكفر يدر حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه إذ روي « أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قوته شهرا فأنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - أو يتوب عليهم أو يذنبهم فاتهم » (٤) يعني أنهم ربما يسلمون لكن إن تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن المائتين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ممن حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بير فلحقه بيرة فقال يا عبد الله لا تسرع معي على بير ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قوته شهرا فأنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - البياض من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكو ان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة التجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم الصن الحيان ورعا الحديث

ظاهرا وباطنا فأساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوبت ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوبت باطنا . قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت إلى غلام أمرد فخطر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال كجند غيبا ولو بعد سنين قال فوجدت غيبا بعد عشرين سنة أنسيت القرآن . وقال سري صليت ووردى لي من البالي ومددت رجلي في الحسزاب فوديت بإسرى هكذا تجالس الأولك تخسعت رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي أبدا وقال الجند في سنين سنة مامد رجلي ليا ولا نهرا . قال عبد الله ابن المبارك من تهاون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز له وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجر
 كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد
 الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو
 ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أظلم للطعام وأضرب للهام من أي ثقافة قال أبو بكر
 يكادني هذا يا رسول الله ينال هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن أبي بكر فانصرف
 ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فسموا فانكم إذا خصمتم غضب الأبناء
 للأباء فكفف الناس عن ذلك (١) وشرب نهبان الحمر لخم مرات في مجلس رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال بعض الصحابة لئن الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لأنكن عوناً
 للشيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله فقام عن ذلك وهذا يدل على
 أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجملة في لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في الكوث عن لمن
 إليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن يزيد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً
 فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به مالم يثبت فضلاً عن القتله لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير
 تحقيق ، ثم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة حمير رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً
 فلا يجوز أن يرمي مسلم بنسب أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمي رجل رجلاً بالكفر
 ولا يرمي بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال عليه السلام «ما شهد رجل على رجل
 بالكفر إلا بآء به أحدهما إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفره إياه (٤)»
 وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر يدعه أو غيرها كان غلطاً لا كافراً وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ليس لك من الأمر شيء - لفظ (١) حديث أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على
 الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث في التراويل من رواية علي بن ربيعة
 قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر
 ومعه ابن سعيد بن العاص فقال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص قال أبو بكر لمن
 الله صاحب هذا القبر فانه كان مجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سيمت الشركين فسبوا جميعاً
 (٢) حديث شرب نهبان الحمر لخم مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة
 لئن الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأنكن عوناً للشيطان على أخيك
 وفي رواية لا تغل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار
 من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا ومحمد هذا ولدى حياته صلى الله عليه وسلم ومعه محمدًا وكناه
 عبد الملك ولبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه
 غيد الله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جله في الشراب فأتى به
 يوماً فأمر به فجعل فقال رجل من القوم اللهم الله ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تلتصوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه
 لا تصبوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمي رجل رجلاً
 بالكفر ولا يرمي بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه واللباق للبخاري
 من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما
 إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بكفره إياه أبو منصور الهيلي في مسند الفردوس
 من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان
 بالسنة عوقب بحرمان
 القرائن ومن نهاون
 بالقرائن عوقب
 بحرمان العرفه . وستر
 السرى من مسئلة
 في الصبر لجعل يتكلم
 فيها فذهب على رجله
 عقرب فجعلت تضربه
 بأبرتها قيل له ألا
 تدفعا عن نفسك
 قال أستحي من الله
 أن أتكلم في حال
 ثم أخالف ما أعلم فيه
 وقيل من أدب
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنه قال
 «زيت لي الأرض
 فأريت مشارفها
 ومغاريها» ولم يقل
 رأيت . وقال أنس
 ابن مالك الأدب
 في العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتعرض للاموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضيت الله عنها فقالت ما فعل فلان لئله الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أبها الناس أحفظون في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبهم أبها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لئله الله أو الأمر بقتله لئله الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لئله الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فان وحشياً قاتل حزمة عم رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلحق والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها وللؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس العروفين بأوصافهم دون الأشخاص البينين فلاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن في السكوت سلامة قال يحيى بن إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي رردة فقبلوا بلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما نذكرك لما ارتكب منك فقال إنما هاكتان تخرجان من صيفتي يوم القيامة لإله إلا الله ولئن الله فلائن فلائن يخرج من صيفتي لإله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لئله الله فلائن. وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لا تكون لعناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أفضى الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لمن يؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لمن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً مدفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرّب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صلح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم . وفي الخبر «إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وع في ذكر العصف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن الباركة في رهد و لرفائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذي من حديث الثوري بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين الثوري وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أبها الناس أحفظون في أصحابي وإخواني وأصحابي ولا تسبهم أبها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري أحفظون في أصحابي وأصحابي وإسناده ضيف ولشيعتين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائي من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لعناً أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الأحاد والثاني من حديث جرير بن الحارث وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث لمن يؤمن كفتهه متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبق للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصله وللترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد اسعمر .

المعمل . وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قبل مامته قال أن تعامل الله سرا وعلنا بالأدب فإذا كنت كذلك كنت أدياً وإن كنت أعجبياً ثم أشد :

إذا نطقت جاءت بكل ملحة

وإن سكنت جاءت بكل مليم

وقال الجرجري منذ عشرين سنة ما مدت

رجلي في الخلوة فان حسن الأدب مع الله

أحسن وأولى . وقال أبو علي ترك الأدب

موجب للطرده من أساء الأدب على البساطرد

إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب ردة

(الآفة التاسعة القناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يحرم من القناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام حسن محسن وفيه قبيح إلا أن التجرد له مضموم قال رسول الله ﷺ « لأن يتلى جوف أحدكم قبيحا حتى يريه خير له من أن يتلى شعرا » (١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بمرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة » (٢) نعم مقصود الشعر للدخ والهدم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في الدخ (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالبيان من صفة الشعر فلا يقصد منه أن يشتد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ثبتت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر إلى فقال مالك بهت فقلت يارسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لم أنك أحق بشعره قال وما يقول بإعائشه أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غبر حيفة وفساد مرضعة وداء مغيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض التهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا بإعائشة ما سررت من كسروري منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم القنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما حكان بدر ولا سابس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون لمرى منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة القناء والشعر)

(١) حديث لأن يتلى جوف أحدكم قبيحا حتى يريه خير من أن يتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص واضق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر ، ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السباع (٣) حديث أمره حسانا أن بهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان إهجم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرا من كل غبر حيفة وفساد مرضعة وداء مغيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض التهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة الهذوب .
[الباب الثاني
والثلاثون في آداب
الحضرة الالهية لأهل

القرب]

كل الآداب تتلنى من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه عليه
السلام مجمع الآداب
ظاهرا وباطنا وأخير
الله تعالى عن حسن
أدبه في الحضرة بقوله
تعالى - مازاغ البصر
وما طفى - وهنـه
غامضة من غوامض
الآداب اختص بها
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخبر الله
تعالى عن اعتدال
قلبه القدس في

الاعراض والاقبال
أعرض عما سوى الله
وتوجه إلى الله وترك
وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أَرْضِ النَّاسِ فقال له صلى الله عليه وسلم أنقول في الشعر فجعبل يتندر إليه ويقول باني أنت وأمي إلى لأجد للشعر ديبا على لسانى كديب التلثم يقرصنى كايقرص الخمل فلا أجد بدا من قول الشعر فقبس صلى الله عليه وسلم وقال لا تمنع العرب الشعر حتى تدع الابل الخنثى (١).

(الآفة العاشرة للزاح)

وأصله ممدوم منهى عنه إلا قدر يسير يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم «لا تمسأر أخاك ولا تمأرحه» (٢) فان قلت المأرحه فيها إيذاء لأن فيها تكديرا للأخ والصديق أو تبهيدا له ، وأما الزاح فطافية وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه ؟ فاعلم أن النهى عنه الإفراط فيه أو الدائمة عليه أما الدلومة فلا تنة اشتغال باللبس والحزل فيه والحب مباح ولكن لا واطبة عليه ممدومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط الهابة والوقار فما يغلو عن هذه الأمور فلا يدم كما روى النبي ﷺ أنه قال «إني لأمرح ولا أقول إلا حقا» (٣) إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا قص باب الزواج كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لينسككم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من التريا» (٤) وقال عمر رضى الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على التفكه عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لبكينكم كثيرا ولضحكنكم قليلا» (٥) وقال رجل لأخيه يا أخي هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فبم الضحك ؟ قيل فمارؤى صاحبا حتى مات. وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلى أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فضل الشاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فضل الحائنين . وكان عبد الله بن أبي جيل يقول أنضحك ولعل أكفناك

(١) حديث لما قسم الفتناء أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعرة :

وما مكان بدم ولا حابس يسودان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم أقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعبيدة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهبي ونهب العيب هدين عينة والأقرع
وما مكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال فأنم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علفمة بن علانة مائة وأما زيادة إقطعوا عنى لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة للزاح)

(٢) حديث لا تمسأر أخاك ولا تمأرحه الترمذى وقد تقدم (٣) حديث إنى أمرح ولا أقول إلا حقا تقدم (٤) حديث إن الرجل لينسككم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا تقدم . (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكينكم كثيرا متفق عليه من حديث أنس وعائشة .

والدار المأرجة محظوظها
والسموات وهادر
الآخرة محظوظها فمسا
التفت إلى ما عرض
عنه ولا لجنه الأسف
على الشاب في إعرائه
قال الله تعالى - لئلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للموم
وما زلغ البصر إخبار
عن حال النبي عليه
السلام بوصف خاص
من معنى ما خلط به
الموم فكان ما زلغ
البصر حاله في طرف
الاعراض وفي طرف
الاقبال تلقى ما ورد
حليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهية
وإجلالا وطوى نفسه
بغراره في مطاوى
انكساره وانقاره

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يضحك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلا يضحك استعجب من بكائه ؟ قيل بلى قل قال الذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أحب منه فمذه آفة الضحك والذموم منه أن يستغرق ضحكا والمعمود منه التبسم الذي يكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على نفوس له صب فلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرار ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه فلو صرعه قد هلك فقال نعم وأقواهم ملائمة من دمه (٢) وأما أداء الزاح إلى سقوط الوفاق فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قالت لى أبى يابن لأعازح الصبيان قرون عندهم وقال سعيد بن العاص لآبى يابن لأعازح الشريف فيجعد عليك ولا اللهنى فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح محمد بن النكدر قال وأما السوا به فإن قولك عليكم خذت حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أندرون لى المزاح مزاحا ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور العداوة الزاح وقال الزاح حلبة لى معلقة للأصداة . فان قلت قد قيل الزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن مزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذى قلبا ولا تضرب فيه وتقتصر عليه أحيانا على الدور فلا تخرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان الزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور به مع النرج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد وهو خطأ إذ ذن الصغار ما يصير كبيرة بالأصاار ومن الباحات ما يصير صغيرة بالأصاار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا (٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن دأبتكم لأتولوا لاحقا (٤) وقال عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ قال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كما ذات يوم امرأة من نسائه ثوابا فقال لها البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس (٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكاه الناس مع نسائه (٦) وروى أنه كان كثير التبسم (٧) وعن الحسن قال أنت مجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مجوز فكنت فقال إنك لست بمجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهم إنشاء فجعلناهم أبنكارا - (٨) وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على نفوس له صب فلم فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته فقيل يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه فلو صرعه فلهلك قال نعم وأقواهم ملائمة من دمه ابن المبارك في الزهد والرائق وهو محصل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن دأبتكم فلا أقول إلا حقا الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث قد ذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسيه واحدى وجرى منه ذيل كذيل العروس لم أقص عليه (٦) حديث أنس قال من أفكاه الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة مجوز

لكيلا يتبسط النفس
فقطني فان الطغيان
عند الاستثناء وصف
النفس قال الله تعالى
- كلا إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى -
والنفس عند اللواهب
الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع
ومنى نالت قسطا من
النح استغنت وطنت
والطغيان بظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يد باب
الزبد وطغيان النفس
لضييق وعائها عن
للواهب فوسى عليه
السلام صح له في
الحضرة أحد طرفي
مازاع البصر وما تنفت
إلى مافاته وما طغى
متأسفا لحسن أدبه
ولكن امتلا من النح
واستترقت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «قالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بيته يياض قالت والله ما بيته يياض فقال بل إن بيته يياض قالت لا والله قال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا وبيته يياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة^(١) وجاءت امرأة أخرى قالت «يا رسول الله احملي على بئر فقال بل نعملك على ابن البئر فقالت ما أصنع به إنه لا يعملني فقال ﷺ : مامن بئر إلا وهو ابن بئر^(٢) فكان مزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول «أبا عمير ما مثل النخير^(٣)» فخير كان يلعب به وهو فرخ الصنوبر وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا قمنا عليه واستبقنا فسبقتي وقال هذه مكان ذى المجاز^(٤)» وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد يئس أبي بشي فقال أعطينيه فأيتت وسيت وسعى في أثرى فلم يدركني وقالت أيضا «سأبقي رسول الله ﷺ فسبقتني فلما حملت اللحم سأبقي فسبقتي وقال هذه بتلك^(٥)» وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فتمت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لأحبتي قلت والله لنا كلن أو لألطنخ به وجهك فقالت ما أنا بذاتة فأخذت يدي من الصفحة شيئا منه فلفطخ به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فغضض لها رسول الله ركبتيه لتستقيم مني فتناولت من الصفحة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك^(٦)» وروى وأن الضحاك بن سفيان السكلاي كان رجلا دميًا قبيحا فلما باعه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميًا^(٧) . وروى عاتمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن علي عليهما السلام فيري الصبي لسانه فيرش له فقال له عينة بن بدر الفزاري والله ليكونن الترمذي في الثمال هكذا مرسلًا وأسند ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بيته يياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم التهمري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استسجنته نعملك على ابن البئر الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الذاقة (٣) حديث أنس بأعمير ماضل النخير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقتها صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقتها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجده له أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سابقة فسبقتني النساء وابن ماجه وقد تقدم في السكاح (٦) حديث عائشة في لطف وجه سودة بحريرة ولطف سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان السكلاي قال عندي امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميًا الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو مفضلًا وللهارقي نحو هذه القصة مع عينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطلعت إلى القسط والخط فلما حظيت الشمس استغثت وطفح عليها ما وصل إليها وصاق نطاقها تتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرى أنظر إليك فتح ولم يطلق في قضاء للزيد وظهر الفرق بين الحبيب والسكيم عليها السلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية فشكل قبح يوجب عقوبة لأن كل قبض سدى وجبه باب الفتح والعقوبة بالقبض أوجبت الإفراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ماوجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط بإيقاف التازل من اللع على الخرج

لى الابن قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم »^(١) فأكثر هذه الطائيات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معاملة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصوب وبه رمد وهو يأكل تمرا وأنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل بالشق الآخر يارسول الله فبسم صلى الله عليه وسلم^(٢) قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى « أن خواتم بن جبير الأنصاري كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتان مغترا بلجل لي شرود قال فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أنفرد منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت للدينة وبعد ما قدمت للدينة قال فرأى في السجد يوما أصلى فجالس إلى فتولت فقال لا تطول فاني أنظرك فلما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أنفرد منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قلت والذى يشك بالحق ما شرد منذ أسلت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أباعبد الله قال فحسن إسلامه وهداه الله^(٣) وكان نعيان الأنصاري رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنده ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قاله رجل من الصحابة لملك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يارسول الله هذا قد اشترته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم نهده لنا فيقول يارسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بشئ^(٤) فهذه مطايات

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيرش إليه فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أو يعلى من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب في اللبهات قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثاني أنه الأقرع بن حابس وعنه مسلم من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم^(٢) حديث قال لصوب وبه رمد وأنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أكل على الشق الآخر فبسم النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خواتم بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتان مغترا بلجل لي شرود الحديث الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خواتم بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خواتم ربيعة ابن عمرو (٤) حديث كان نعيان رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الثمن ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحيى صاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار في الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسل وقد تقدم أوله .

والقلب والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تقييب النفس في مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظي به رسول الله عليه الصلاة والسلام لما قول بالقبض فدام مرده وكان قاب قوسين أو أدنى وبشاكل الشرح الذي شرحناه قول أبي العباس بن عطاء في قوله تعالى - مازاغ البصر وما طغى - قال لم يره بطغيان يميل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه

يباح مثلها على الدور لاطى الدوام وللواظبة عليها هزل مدموم وسبب للضحك الميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كآل قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولا تشاء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبية على العيوب والنقص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والأيحاء وإذا كان بخسرة السهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى التنية قالت عائشة رضي الله عنها حاكيت إنسانا قال لي النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا » وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا أولئنا لهذا الكتاب لا تغادر صفيرة ولا كبيرة إلا أحصاهن - إن الصغيرة التيسم بالاستهزاء بالؤمن والكبيرة التهمة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبد الله بن زعمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فوعظهم في ضحكهم من الضربة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « لا إن السهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة يقال لهم هل فعل فبيح بكبريه وعنه فإذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر يقال لهم هل فعل فبيح بكبريه وعنه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له هل فعل فلا يأتبه ^(٢) » وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « لمن غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله ^(٣) » وكل هذا يرجع إلى استحقاق الغير والضحك عليه استهانة به واستصغار له وعليه نيه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا تستحقه استصغارا قلله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة الزناح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به السهزأ به لمسا فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطئه وعلى صنعه أو على صورته وخلفته إذا كان قصيرا أو ناقصا لئيبا من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية للنهي عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق الدارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا أبو داود والترمذي وصححه (٢) حديث عبد الله بن زعمة وعظهم في الضحك من الضربة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل منفى عليه (٣) حديث إن السهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم هل فعل فبيح بكبريه وعنه فإذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في السمعت من حديث الحسن مرسلا وروياه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هذبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من غير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذي دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده متصل قال الترمذي قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكنيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن علي

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة »^(١) وقاله طائفاً الحديث بينكم أمانة^(٢) وقال الحسن إن من الحيانة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال لأبيه بأيت إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثاً وما أراه يطوى عنك ما يسطه إلى غيرك قال فلا تخدني به فإن من كنتم سره كان الخيار إليه ومن أفتشاه كان الخيار عليه قال فقلت بأيت وإن هذا ليخدرني الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذل لسنانك بأحدث السرقة فأثبت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعنتك أبوك من رقى الخطأ فأفتشاه السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار . ولزم إن لم يكن فيه إضرار ، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتاب السرق في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة .

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فإن الإنسان ساق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمع بالوفاء فبسر الوعد خلقا وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « المدة عطية »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل »^(٤) « والوأى الوعد وقد أنشأ الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد قيل إنه وعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فيقي اسمعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره . ولما حضرت عبدالله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابني رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لألقى الله بثلاث التناق أشهدكم أني قد زوجت ابنتي وعن عبد الله بن أبي الحنفية قال « بابت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتية بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال بافتي لقد شقت على أنا هنا منذ ثلاث أنتظره »^(٥) « وقيل لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل للعباد فلا يحصى . قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تسمى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعداً قال عسى^(٦) وكان ابن مسعود لا يعدو عدلاً أو يقول إن شاء الله وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يشذرقان كان عند الوعد عذراً ما على أن لا يفي فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان »^(٧) « وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل .

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو يعقوب الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والحرط الطي في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسل (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لمية مرسل وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنفية بابت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته أن آتية بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا بني قد شقت على أناهما منذ ثلاث أنتظره رواه أبو داود واختلف في إنشاده وقال ابن مهدي ما أظن لإبراهيم بن ملهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعداً قال عسى لم أجده أصلاً (٧) حديث أي هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا أبو الطيب السكي عن أبي محمد الجريري قال الترسع إلى استدراك علم الاقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحصار نجاه والاباد بالحرب من علم الدنو وصلة واستباج ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الإقبال مساءة والإصغاء إلى تلقى ما يفصل عن معدته بعد والاستسلام عند التلاقي جراءة والاتباسط في محل الأنى غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفي قوله تعالى - سبازغ

ومن كانت فيه حلة منهن كان فيه حلة من التفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منه من الوفاء لم يكن منافقا وإن جرى عليه ما هو صورة التفاق ولكن ينبغي أن يجتزأ من صورة التفاق أيضا كما يجتزأ من حقيقته ولا يبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة قد روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن النخعيان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يدي قد ذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف يوعدي لأبي الهيثم (٢) » فسأله به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدبر الرحي يدها الضميمة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحكم ثمانين ضائنة وراعيا قال هي لك وقال احتكمت بسيرا (٣) وأصاحبه موسى عليه السلام التي دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام قالت : حكى أن تردى شاة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يصفون ما أحكم به حتى جعل مثاقيل أشنع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) » وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلاثم عليه ».

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بسد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا أيكم والكذب فانه مع الفجور وما في النار (٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب التفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من التفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعدل والدخل والمخرج وإن الأصل الذى بنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كفى فيه كان منافقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن النخعيان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف يوعدي لأبي الهيثم فسأله به على فاطمة قد ذكر موعده لأبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبه موسى الذى دلت على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلاثم عليه أبو داود والترمذى وضعه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثانى إلا أنها قالوا فلم ينف .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال يا أيكم والكذب الحديث ابن ماجه والتمسائى في اليوم والليلة وجهه للصف من رواية اسمعيل بن أوسط عن أبي بكر وإيماءه أوسط بن اسمعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب التفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طغى -
وجه آخر ألفت عما
سبق : مازاغ البصر
حيث لم يتخلف عن
البصيرة ولم يتفاصر
وما طغى لم يسبق البصر
البصيرة في تجاوز حده
ويتعدى مقامه بل
استغنام البصر مع
البصيرة والظاهر
مع الباطن والقلب مع
القالب والنظر مع القدم
ففي تقدم النظر على القدم
طغيان والمعنى بالنظر
علم وتقدم حال القالب
فلم يتقدم النظر على
القدم فيكون طغيانا
ولم يتخلف القدم عن
النظر فيكون تقصيرا
فلما اعتدلت الأحوال
وصار قلبه كقالبه
وقالبه كقلبه وظاهره
كباطنه وباطنه
كظواهره وبصره
كبصيرته وبصيرته

النفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وتثله به كاذب»^(١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويخترى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٢) . «ومرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا يزيدك على كذا وكذا فرب الشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة»^(٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم القجار هم الفجار قيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع؟ قال نعم ولكنكم علفون فبأثوم وعمدون فيكذبون»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : الثمان بغيته والتفقي سلعته بالخلف القاجر والسبل إزاره»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكسة في قلبه إلى يوم القيامة»^(٧) وقال أبوذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحرم الله رجل كان في فئة فصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فقتلوا فتحنى يصل حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلف والفقر الختال والبخل للثان»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي قم قممت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يمد القمام كلوب من حديد يلقه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله الوجهي ضئيف جدا ويخفي عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا فإلحق بكل منهما وإذا حدث كذب وها في الصحيحين وقد تضمنها في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث مغيان بن أسيد وصفه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث النوايس بن سحمان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب كذباً عند الله كذاباً متفق عليه (٣) حديث مربي بن بتيان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن سحمان وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصهبانيين من حديث أبي هريرة وروناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم القجار الحديث وفيه وعمدون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم الثمان بغيته والتفقي سلعته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكسة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصححه إسناده من حديث عبد الله ابن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحرم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البائع الخلف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلقط آخر بإسناد جيد وللنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضيهم الله البيع الخلف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية جيز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبره خيانة
نظره وعلمه قارنه
قدمه وحاله ولهذا المعنى
انعكس حكم معناه
ونوره على ظاهره وآتى
البراق ينتهي خطوه
جث ينتهي نظره
لا يتخلف قدم البراق
عن موضع نظره كما
جاء في حديث للمراج
فكان البراق بخاله
مشا كل لسانه ومنعما
صفته لقوة حاله ومعناه
وأشار في حديث للمراج
إلى مقامات الأبياء
ورأى في كل سماء
بعض الأنبياء إشارة
إلى تمويهمهم وتخلفهم
عن شأوه ودرجته
ورأى موسى في بعض
السموات فمن هو في
بعض السموات يكون
قوله أرني أنظر إليك
تجاوزا للنظر عن حد

ثم يحذبه بيقعته الجانب الآخر فيمده فإذا مدده رجع الآخر كما كان فقلت للذي ألقى ما هذا ؟ قال هذا رجل كذاب يذب في قبره إلى يوم القيامة ^(١) . وعن عبد الله بن جراد قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال قد يكون ذلك قال باني الله هل يكذب للؤمن ؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى - إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - ^(٢) » وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر ^(٤) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت إنما أقول أما إنك لو لم تضل لكنت عليك كذبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني غيلا ولا كذبا ولا جبانا ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدین ثم قد قودوا قال : ألا وقول الزور ^(٧) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد للكل عنه مسيرة ميل من ثنن ما جاء به ^(٨) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « قبلوا إلى يست أقبل لكم بالحجة فقالوا وما هن ؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا اتعنت فلا يخن وغشوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم قمست معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يد القام كلوب من حديد يلقعه في شدة الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من الزنا وزاد ومحمي من الرياء وعيني من الحيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت إنما أقول إن لم تضل لكنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجلها ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعمة عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني غيلا ولا كذبا ولا جبانا رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليهن حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد للكل عنه مسيرة ميل من ثنن ما جاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس قبلوا إلى يست أقبل لكم بالحجة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحراطي في مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعه أحمد والنسائي وثقه ابن معين ورواه الحاكم نحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

القدم وتخلها للقدم عن النظر وهذا هو الاخلال بأحد الوصفين من قوله تعالى « ما زال البصر وما طفى - فرسول الله حل مقترنا قدمه ونظاره في حجال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قادما على نظاره ولو خرج عن حجال الحياء والتواضع ونظاير بالنظر متعبدا حد القدم تعوق في بعض السموات كتنوق غيره من الأنبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم متجاسا حجاله في خفارة أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا واشتمت عنه صحائب الحبب حجابا حجابا حتى استقام حتى

« إن للشيطان كلا ولموقا ونشوقا أما لموقه فالكذب وأما نشوقه والغضب وأما كله فالنوم »^(١) وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبا في هذا فيكم فقال « أحسنوا إلى أصحابي ثم الدين يلونهم ثم يغشوا الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد »^(٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يأتها ليقطع بها مال امرئ مسلم بنير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان »^(٤) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها السلم إلا الحيانة والكذب »^(٦) وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها »^(٧) . وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يغتر قلبه ولا يزني فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فانه شئ كبحم الصغور عماقيل بقلاه صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنن فيك لا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه »^(٨) وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فبنا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال « عليكم بالصدق فانه مع البر وما في الجنة »^(٩) وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح »^(١٠)

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولموقا الحديث الطبراني وأبو يعين من حديث أنس بسند ضيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجاية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صححه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على يمين مأنم ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل وموسى روى معمر عنه منكر قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في الصنف من حديث أنس أمامة ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفًا والوقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في الملل (٧) حديث ما كان من خلق الله شئ أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والخراطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبي بكر عليك بالصدق فانه مع البر وما في الجنة ابن ماجه والنسائي في اليوم واليلة وقد تقدم بضه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - مازاغ البصر
وما طعى - فمركب البرق
الحافظ إلى مدح
الوصل واللطائف وهذا
غاية في الأدب ونهاية في
الأرب . قال أبو محمد
ابن روم حين سئل
عن أدب السافر فقال
لا يجاوزهم قدمه فليث
وقف قلبه يكون مقره
أشبرنا شيخنا شيا
الدين أبو النجيب إجازة
قال أنا عمر بن أحمد قال
أنا أبو بكر بن خلف
قال أنا أبو عبد الرحمن
السفي قال ثنا القاضي
أبو محمد يحيى بن
منصور قال حدثنا
أبو عبد الله محمد بن
علي الترمذي قال حدثنا
محمد بن زمام الأبل قال
حدثنا محمد بن عطاء
المجيبى قال حدثنا
محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إبراهيم ، وقال عمر رضي الله عنه : أحبكم إلينا ما لم تركم أحسنكم إما فاذأ رأيانكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اخترناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف إن أنا كتبت زيفت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكك ما رأيت أوجر على ترك الكذب لأني إنما أدعاه أنفة ، وقيل لحال بن صبيح أيسى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فإن كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفته بمقاريض من نار كما قرضنا نبتا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يثيب صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لعنه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فإن أقل درجاته أن يستعد الخبير الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يشلق به ضرر غير موبٍ جهل فيمنفعة ومصلحة فالكذب يحصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض اللواتن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا صلى خلف إنسان بالسيف لقتله فدخل دارا فأتى إليه فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألتست تقول لم أراه وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى القاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان القصد واجبا كما أن عصمة دم السلم واجبة فكلها كان في الصدق سفك دم أمره مسلم قد احتفى من ظاهرا فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصودا للحرب أو إصلاح ذات البين أو استألة قلب المجنى عليه إلا بالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخذي أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضى في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والرجل يحدث زوجها (١) وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بكذاب من أبلغ بين اثنين فقال خيرا أو نعي خيرا (٢) وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما (٣) وروى عن أبي كاهل قال : وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فقتل أحدهما قتل مالك وقلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال : لا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية تدرب أرفى أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرى حتى إلى ما تولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرضى في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أبلغ بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحد زيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعت بحسن عليه السلام ثم أثبت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطاحتم قلت أعالجك نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس ^(١) أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم « أكذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعددها وأقول لها قال لا جناح عليك ^(٢) » وروى أن ابن أبي عمرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يجمع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوهن يكرهها فطاعه بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لاسرائة أنتدك بالله هل تبخني قالت لا تشدني قال فأتى أنتدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم لتجدون أني أعظم النساء وأخمنهن فأسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عمرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبخيني فقالت بئى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فخرجت أن أكذب أفأكذب بأمر للزمين ؟ قال نعم فأكذبي فإن كانت إبدا كن لا أحب أحدنا فلا تحبته بذلك فإن أول البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يمشون بالإسلام والأحساب ، وعن النواص بن سمعان الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت القراش في النار كل الكذب يكذب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحنة أو يجمع بينهما أو يحدث امرأته يرضها ^(٣) » وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا ما دفع به من أجل ما دفع عنه ضرر أو قال على رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تن آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معانيها ما دعاها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره . أما ما له فقل أن يأخذ ظاهرا وباطنا عن ماله فله أن يذكره أو يأخذ سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زينت وما سرت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القادورات فليستر بستر الله ^(٤) » وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فلا رجل أن يحفظ دعوته ماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بعد لا يقدّر عليه فيعدها في الحال تطيبا لقلبه أو بمنزلة إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بالنكر ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحديث أن الكذب محذور ولو صدق في هذه الواضع توله منه محذور فينبغي أن يقابل أحدها بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذي يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يدرج (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أكذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعددها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو في الوطاع صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواص بن سمعان مالي أراكم تهافتون في الكذب تهافت القراش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تنابعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبراني وفيهما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القادورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القادورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وإسناده حسن .

والحاجات الدنيوية حتى رضى الحق مقامها في القرب وأذن له في الانبساط وقال الطلب متى ولو لمعا لمعينك فلما بسط انبسط وقال - رب إني لما أزلت إلى من خير فقير - لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحفرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحفرات ولهذا مثال في الشاهد فان للكب العظيم يسأل المحفرات ويحتشم في طلب المحفرات فلما دفع بساط حجاب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحفريات قال ذو النون المصري أدب العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح للضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم تجوز إليه ولأجل غموض إدراك مراتب القاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بفرض غيره فلا يجوز الساعه خلق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم فهو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى إن للرأفة لتعكس عن زوجها ما يضر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي عالم يفعل أضرارها بذلك فهل علي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: التشيع عالم يضل كلأس نوب زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بما لا يعلم أو قاله وليس له أو أعطيت ولم يسط فهو كلابس نوب زور يوم القيامة ويدخل في هذا قسوى العالم بما لا يتحققه (٢) » وروايته الحديث الذي لا يثبت له إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف من أن يقول لأدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعده أو وعيد أو تخوف كاذب كان ذلك مباحا ، نعم روي في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب للباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه ثم معنى عنه لأنه إنما أيسح بقصد الإصلاح وبطريق إليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستثن عنه وإنما يشمل ظاهرها بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه لأن خبره واجب بحيث لا يجوز تركه كالمو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانوا أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا للضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فقبول ومن الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الأسباع وسقط وقصه وما هو جدي فوقفه أعظم فهذا هو من إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح باب إلى أمور تشوش الشريعة فلا تقاوم خير هذا شره أصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا تقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحذر من الكذب بالعاريض)

قد نقل عن السلف أن في العاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما في العاريض ما يكتفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما أرادوا بذلك إذا اضطرب الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جعلا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فقتل بعرض وقال ما رقت جنبي مذفارت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لا يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تعلم بما لا يعلم أو قاله وليس له أو أعطيت ولم يسط كان كلابس نوب زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تضمن في العلم .

لأن معروفة مؤدب قلبه . وقال بشيم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أئتمته القيام مع أسألى وصفاني أئتمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتي أئتمته العطب . فاختار أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأسماء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لمعان نور عظيمة الذات ثلاثي الأثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقال أبو علي الدقاق في قوله تعالى - وأيوب

الأمير إلا مارضى الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرق نفي عند السمع وعنده للإهم. وكان معاذ بن جبل عاملا لمصر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتى به الصال إلى أهلهم وما كان قد أتاهما شيء فقال كان عندى ضابط قالت كنت أمتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضى الله عنه فبث عمر معك ضابطا قالت بذلك بين نساءها واشتكت عمر فلما بلغته ذلك دعا معاذا وقال بشت معك ضابطا قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضابطا جنى رقيقا وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكرا بل يقول أرايت لو اشتريت لك سكرا فإنه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال لجارية قولى له اطلبه في المسجد ولا تخولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعى الأصبع فمأوفولى ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا غريم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فخرجت وهى توب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي أبى يابى اتقى الكذب وما أشبهه فتهام عن ذلك لأن فيه تفريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض للفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه ، ثم الماريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم «لا بدخل الجنة مجوز»^(١) وقوله «لا أخرى»^(٢) الذى في عين زوجك يياض» وللأخرى «عملك على ولد البعير» وما أشبهه وأما الكذب المصرح كإفشاء نيران الأنصارى مع عثمان في قصة الضرب إذ قال له إنه نيران وكما ابتاده الناس من ملاعبة الحق بتزويرهم بأن أمرأته قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايئته فلا بوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكفل للمرأة الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وحتى يجنب الكذب في مزاحه^(٣) وأما قوله عليه السلام «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من التريا»^(٤) وأراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح . ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في الباطنة كقوله طابنتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مرة فانه لا يربده تفهيم الرات بعدهما بل تفهيم الباطنة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كذبا وإن كان طلبه مرات لا يمتد مثله في الكثرة لا يأنه وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالباطنة فيها لخطر الكذب وما يجتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عيسى «كنت صاحبة عائشة في الليلة التى هيأتها وأدخلها على رسول الله

(١) حديث لا بدخل الجنة مجوز وحديث في عين زوجك يياض وحديث عملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن لإيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحديث يجنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة التمارى وقال فيه نظر ولما شيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولقد ارتضى في المؤلفات والمختلف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها أبعد من التريا تقدم في الآفة الثالثة .

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت قولا ما وجدنا عند قري الإقحاش من ابن خرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لأردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فخرت منه ثم قال ناولي صواحبك قلن لا نشربه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا شيء فضنيه لأشنيه أيسد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليس يكتب كذبا حتى تكتب الكذبة كذبة (١) « وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماس مثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت عينك فيقول وأين قول الطبيب لأمس عينك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر. وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خنيم عائدة لابن له فأنكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضنيه قالت لا قال ماعليك لو قلت يا ابن أخي صدقت ومن العادة أن يقول صلى الله عليه وآله لا يلعن الله من قال ما لم يرو أو يقول ما لم يسمع قال الله أن يقول العبد إن الله يعلم لحالنا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والنام فيه عظيم إذا قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام ما لم يرو أو يقول ما لم يسمع (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعذب بين شمرين وليس يعاقب بينهما أبدا (٣) ».

(الآفة الخامسة عشرة القية)

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مقدمة القية وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يفتب بهضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعمره (٤) » والقية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو رزة قال عليه السلام « لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا تتاجشوا ولا تداربوا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا كافر والقية فان القية أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فينوب الله سبحانه عليه وإن صاحب القية لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيئتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبيشة لكن في طبقات الأصبهانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زفقتا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام ما لم يرو أو يقول ما لم يسمع قال الله أن يقول العبد إن الله يعلم لحالنا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والنام فيه عظيم إذا قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه في المنام ما لم يرو أو يقول ما لم يسمع (٣) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعذب بين شمرين وليس يعاقب بينهما أبدا (٤) ».

(الآفة الخامسة عشرة القية)

(٤) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعمره مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يفتب بهضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصبغة (٦) حديث جابر وأبي سعيد يا كافر والقية فان القية أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن جبان في الصفاء وابن مردويه في التفسير.

خرب إلى الله تعالى بأدب فضل منحه محبة القلوب. قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بمنزلة النوبة للمستأنف وقال الزوري من لم يتأدب لاوقت فوقه مفت وقال ذو النون إذا خرج البرد عن حد استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجبل فإذا عرف النفس صاف نور القرآن على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظفارهم قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يتأبون الناس ويقيمون في أعراضهم »^(١) وقال سليم بن جابر « أنبت النبي عليه الصلاة والسلام قلت علفي خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من اللروف شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء السقي وأن تلقى أخاك يبشر حسن وإن أدبر فلا تتأبه »^(٢) وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجمع العوائق في يوتهن فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا السليدين ولا تتجوا عوراتهم فانه من تابع عورة أخيه تابع الله عورتهم من تابع الله عورته يفضحه في جوف يته »^(٣) وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تأبى من الدنيا فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا على ما هو أوله من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم قال لا يفطرن أحد حتى أذن له فصام الناس حتى إذا أسوا جعل الرجل يحجى فيقول يا رسول الله ظلمت صائما فأذن لي لأفطر فأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فأتان من أهلك ظلمت صائمتين وإنيهما يستحبان أن يأبياك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنيهما يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره بأكل لحم الناس اذهب لفرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيتا فرجع إليهما فأخبرها فاستأفا فقامت كل واحدة منهما علة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار »^(٤) وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله والله إنيهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم للتوتى بهما فبدأتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدح فقال لإحداهما قئى فقامت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القبح وقال للأخرى قئى فقامت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس »^(٥) وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنها الرجل وأرأى الربا عرض للسلم »^(٦) وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يذهب صاحباهما فقال إنيهما يمدبان وما يمدبان في كبير أما أحدهما فكان يخطب الناس وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مستندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت علفي خيرا أنتفع به الحديث أحمد في السنن وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحد وإذا أدبر فلا يتأبه وفي إسناده ضعف (٣) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتأبوا السليدين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى أذن له فصام الناس الحديث في ذكر للرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقامت كل واحدة منهما علة من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه وزيد ضعيف (٥) حديث للرأتين المذكورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرأى الربا عرض الرجل السلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه قد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجماله إلا وقسمها بصرح العلم وحيث يتأدب ومن قام بأدب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر .

[الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدمتها]

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب للمتطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا ومن الأحداث والجنابات والتجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأبدان بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا يأمون بالليل على

فكسرها ثم أمر بكل كسرة فترست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابها ما كانتا رطبتين أو مالم ييسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص الكلب فرمى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انشأ منها قالاً يا رسول الله نهش جيفة فقال ما أصعباً من أخيكاً أنتن من هذه (٢) . وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يخشون عند التوبة وبرون ذلك أفضل الأعمال وبرون خلافة عادتنا للتائبين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتاً كما أكلته حياً فإنه يفتنح ويكبح (٣) وروى مرفوعاً كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدین عند باب من أبواب المسجد فرمى رجل كان مختاراً ذلك قالاً لقد بقي فيعته شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا فصلياً مع الناس خالف في أنفسهما ما قالاً فأبى عطاء فسأله فأمرهما أن يجيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائعين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل حمزة لمزة - الحمزة الطعان في الناس والهمزة الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من التيقن وثلث من الخيفة وثلث من البول وقال الحسن والله لئنية أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في السكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصير أحدكم التقذى في عين أخيه ولا يصير الجلع في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك . وحتى تبدأ صلاح ذلك العيب فصلاحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مرّ عيسى عليه السلام ومعه الخواريون بجيفة كلب فقال الخواريون : ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أعدت يا بني أسنانه لكانه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونهيم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . ومع على بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يثاب آخر فقال له إياك والنية فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى التوبة وحدودها)

اعلم أن حد التوبة أن تذكر أخطأك بما يكرهه ولو بلغه سواء ذكرته بنفسك في بدنه أو نسه أو في خلقه أو في ضله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في نوبه ودار مواعده . أما البدن فكذلك العشى والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأقح على قبرين يذب صاحباهما فقال أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يثاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في السمعت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النية بدل التوبة . وللطائفي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكر بن عجمه باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق اللحوم هذا أقص كما يقص الكلب فرمى بجيفة فقال انشأ منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتاً كما أكلته حياً الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعاً وموقوفاً وفيه محمد بن إسحاق رواه بالضعفة .

الجنة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الحلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الإبتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء . قيل لسلطان قد علم نبيكم كل شيء حتى الحرادة فقال لسلطان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بناائط أو بول أو نستنجي بالطين أو نستنجي أحدهما بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي بربيع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسقي أو خديسي أو إسكافي أو زنالي أو شيء مما يكرهه كقوله كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سبي الخلق يغيل منكبر مرأه شديد الغضب حبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه . وأما في أفعاله للتعاقة بالدين فسكوكه هوساقي أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يجتريز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الركاة موضعا أو لا يحسن قسمها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله للتعليق بالدنيا فكذلك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ثم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فسكوكه إنه واسع السك طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ماذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي ودمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار »^(١) وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها غيلة فقال « فإخيراها إذن »^(٢) فهذا قاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا عجاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيها ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد القية وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قبل أن رأيت إن كان في أخى ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته »^(٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أبجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قامت مائيس فيه فقد بهتموه »^(٤) وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبنيها »^(٥) وقال الحسن ذكر القبر ثلاثة القية والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالقية أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما لمالك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني أراي قد اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل لأعور وقالت عائشة لا يفتان أحدكم أحدا فاني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه أطول بولة الله بل قال لي « الفظي الفظي فلفظت مضنة لحم »^(٦)

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها غيلة قال فإخيراها إذن الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل وروياه في أمالي ابن فضال هكذا (٣) حديث هل تدرون ما القية قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ بن جبل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أبجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبنيها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند الصنفين عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحيحين لابن أبي الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلفظت مضنة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لأعقرها .

عظم . حدثنا شيخنا
شياه الدين أبو الجيب
إسلام قال أنا
أبو منصور الحريري
قال أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو الهامسي
قال أنا أبو علي القؤولي
قال أنا أبو داود قال
حدثنا عبد الله بن محمد
قال حدثنا ابن المبارك
عن ابن محلان عن
القنقاع عن أبي صالح
عن أبي هريرة رضى
الله عنه أنه قال : قال
صلى الله عليه وسلم
« إنما أنا لكم بمنزلة
الوالد أعلمكم فإذا
أتى أحدكم الغائط
فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يستطيب يديه » وكان
يأمر بثلاثة أحجار
ويبني عن الروث
والرمة . والفرض في

(بيان أن التوبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تنهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالصريح والعدل فيه كالقول والإشارة والإيعاء والقمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم التصود فهو داخل في التوبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أو ماتت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتنبها »^(١) ومن ذلك الحاككة كأن يعشى متدارجا أو كما يعشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصور والتفهم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاككة امرأتها قال « ما يسنن أنى حاككة إنسانا ولي كذا وكذا »^(٢) وكذلك التوبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر الصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعذار الموجهة إلى ذكره كإسائه يائه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما التوبة التبرؤ لشخص معين إما محي وإماميت ومن التوبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيتنا إذا كان مخاطب بينهم منه شخصا معينا لأن المذخور تنهيه دون ما به اتفهم فأما إذا لم يفهم عنه جاز . كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئا قال « مال أقوام يفعلون كذا وكذا »^(٣) فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأحيث أنواع التوبة غيبة التبرؤ للرائين فانهم يفهمون التصود على صيغة أهل الصلاح ليعظروا من أنفسهم التعفف عن التوبة ويفهمون التصود ولا يدرون بفهمهم أنهم جموع بين فاحشئين التوبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقول نودى بالله من قلة الحياء نساء الله أن يصمتنا منها وإنما قصده أن يفهم غيب التبرؤ فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتره فتور وأبلى بما يتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره فيضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بال صالحين بأن يذم نفسه فيكون مقننا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين الثلاث فواضح وهو يجمله بظن أنه من الصالحين المتعففين عن التوبة ولذلك باب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكائده ومخامره ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر غيب إنسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصحى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم الله له في تخفيف خبته وهو يفتن على الله عز وجل يذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول صافى ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاعتقاد وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوة تعقيب صلاته ولو كان يفتن به لا غنى أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك السكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لفت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا . ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط القلب

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومأت يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتنبها » ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن غماري عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم

هات (٢) حديث ما يسنن أنى حاككة ولي كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال مال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعبره ورجاله رجال الصحيح .

الاستنجاء شيئا إزالة الخبث وطهارة اللزيل وهو أن لا يكون رجيما وهو الروث ولا مستملا مرة أخرى ولا مرة وهي عظم البتة ووتر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحجون أن يتطهروا - ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا تبسع للساء الحجر والاستنجاء بالسهال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وزاها طاهرا . وهكذا الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ووضعه على مقدم الفرج قيل

في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول يجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عاقلنا الله من بلاءه فإن كل ذلك تصديق للعتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك العتاب قال صلى الله عليه وسلم «الستمع أحد الثنائين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لشوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ ليا كلاً به الحزن فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتما فقالا ما نعلمه قال بل إنكما أكلمتا من لم أحيكما» (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أمص الرجل كما يقمص الكلب «إنهما من هذه الحيفة» (٣) جامع بينهما فالستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن يسكر بلسانه أو يقبله إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام كلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مستمع لذلك يقبله فذلك شاق ولا يخرج من الإثم ما لم يكرمه قبله ولا يكتفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجيبه فإن ذلك استعقار للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذلق عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على نصره أدله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رد عن عرض أخيه بالريب كان حقا على الله أن يرد عن عرسته يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذب عن عرض أخيه بالريب كان حقا على الله أن يحقنه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردها في كتاب آداب الصعجة وحقوق المسلمين فلا تطول إعادتها.

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا تحاسب منها تطرد في حق العامة وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة. أما الخامسة : فالأول أن يشفي القبيح وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشفي بذكر مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وإزار وقد يتبع تشفي القبيح عند الغضب فيحرق الغضب في الباطن فيصير حقدًا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة. الثاني موافقة الأقران ومعاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فاتهم إذا كانوا يتصكروا بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استنفقوه ونفروا عنه فيساعدتهم ويرى ذلك من حسن الماشرة ويظن أنه

(١) حديث السمع أحد الثنائين الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الأسباع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتما ؟ فقالا ما نعلمه فقال بل ما أكلمتا من لم أحيكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلناغوه (٣) حديث أنس من هذه الليلة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أمص كما يقمص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذلق عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أدله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن أبي عمير (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالريب كان حقا على الله أن يرد عن عرسته يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شرح بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلغه ظرده الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجان من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذب عن عرض أخيه بالريب كان حقا على الله أن يحقنه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسباط بن محمد يزيد.

ملافة النجاسة وعمره بالمشح وبذر الحجر في مره حتى لا يتقل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهي إلى مؤخر الحرج وبأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح إلى القدمة وبأخذ الثالث ويدبره حول السربة وإن استجمر بعجر ذي ثلاث شهب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق ثلاثا يتدفق بقية البول ثم يثره ثلاثا ويغتسل في الاستبراء بالاستنفاء وهو أن يقبض ثلاثا لأن العروق متحدة من الخلق إلى الذكور وبالتالي تنحصر

مجملة في الصلابة وقد يضرب رقابهم فيحتاج إلى أن يضرب لفضيهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوي . الثالث أن يستشعر من إنسان أنه سيصدده ويطول لسانه عليه أو يفسح حاله عند محنتهم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يسبح هو حاله ويطعن فيه ليستطأ أثر شهادته أو يتدنى . يذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن عادي الصكذب فأتى أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فبريد أن يتراء منه فيذكر الذي فعله وكان من حق أنه يرى نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل لمجرد بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباظة وهو أن يرفع نفسه بتفتيس غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وبرهيم أنه أعلم منه أو يحذر أن يحطم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحمد وهو أنه ربما يحمد من يفتي الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فبريد زوال تلك التهمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فبريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكتفوا عن كرامته والثاء عليه لأنه يفتل عليه أن يسع كلام الناس وتنام عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحمد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جنابة من الغضب عليه والحمد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الوافي . السابع اللب والهزل واللاطية وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل الحكاية ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقاقا له فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في التوبة ومنشؤه التكبر واستصغار السنهزأ به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغضبها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الحيرات وفيها خبى ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تثبت من الدين داعية التعجب في إنكار النكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب طرأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من النكر ولكن كان حقه أن تعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به متنايا وأتعا من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يتم بسبب ما يتلى به فيقول مسكين فلان قد غنى أمره وما يتلى به فيكون صادقا في دعوى الاعتناء وطلبه التمس عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به متنايا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتناء يمكن دون ذكر اسمه فيهجه الشيطان على ذكر اسمه ليبتل به ثواب اعتناؤه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر المعروف والتبهي عن النكسر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يضمن دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل الرخص في التوبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن واثقه أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبش ما قلت والله لتنبهت ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره . بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له فدعا وسأله فقال قد قلت ذلك

وتغذف ما في مجرى البسول فان متى خطبوات وزاد في التمتع فلا بأس ولكن برأى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الله كثر ثلاث مسحات أو أكثر إلى أن لا يرى الرطوبة . وشبه بعضهم الله كثر بالفرع وقال لا يزال تظهر منسه الرطوبة مادام يجد فبرأى الحد في ذلك وبرأى الور في ذلك أيضا وللحديث تكون على الأرض الطاهرة أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لضره فلأخذ الحجر باليمين والله كثر اليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم يتغصه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه للكتوبة ذل فأسأله يارب الله هل رأيته آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أركع أو السجود فيها فسأله قل لا لاقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الصبر الذي يصومه البر والقاجر قال فأسأله يارسول الله هل رأيته قط أفطرت فيه أو قصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكيا قط ولا رأيته ينق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤذيها البر والقاجر قال فأسأله يارسول الله هل رأيته قصت منها أو ما كنت فيها طالبا الذي بسأله فسأله فقال لا قال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن التثنية)

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها إنما تعالج بمحبون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بضادة سببها ، فلتفحص عن سببها . وعلاج كلف اللسان عن التثنية على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فممن يعلم تعرضه لخطأ الله تعالى فيبغته بهذه الأخبار التي تدويها وأن يعلم أنها عبطة لحسناته يوم القيامة فأنزل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرشه فإن لم تكن له حسنات قل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لقت الله عز وجل ومثبه عنده بأكل التبة بل البعد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجعان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد الحاصصة والطالبة والسؤال وال جواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في اليأس بأسرع من التثنية في حسنات البعد » (٢) وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتاني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتك فهما آمن البعد بما ورد من الأخبار في التثنية لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفذه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بسبب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس » (٣) ومهما وجد عيا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويدم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن هجر غيره عن نفسه في التزم عن ذلك العيب كمجزه وهذا إن كان ذلك عيا يتماق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالتم له ذم للخلق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل لحكيم يا قبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد البعد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلون نفسه بأعظم العيوب فإن لئب الناس وأكل لحم التبة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب جمل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفذه أن يعلم أن تألم غيره بغيته كآله بغيته غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن ينتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره مالا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جليلة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على التثنية فإن علاج العلة يقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما التثنية فيعالجها بناسيات في كتاب آفات التثنية وهو أن يقول : إنى إذا أمزيت غضيبي عليه فظلم الله تعالى بغي غيبي على بسبب التثنية إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

(١) حديث عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال الرجل منهم إنى لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فقله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليأس بأسرع من التثنية في حسنات البعد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس البراز من حديث أنس بسند ضعيف .

بجزءه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شق غيظه بمصيبة الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشق غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الجور شاء (٣) » وفي بعض الكتب النحلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحكك فيمن أمحك . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توفّر غيرك وتخفّر مولاك فتترك رضاه لرضام إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للتذوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رقائك إذا ذكروه بالسوء فاتهم عصوا ربك بأغشى الذنوب وهي التوبة . وأما تزني النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فعالمه بأن تعرف أن التعرض لقت الخالق أشد من التعرض لقت المخلوقين وأنت بالنية متعرض لسخط الله بقينا ولا تدرى أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخاص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحققة ويحصل لك ذم الله تعالى فقدما وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخطيئة . وأما عندك كقولك إن أكلت الحرام قتلان يأكله وإن قبلت مال السلطان قتلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقنّدي به كالناس من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقته لسفه عقلك فقيا ذكرته غيبة وزيادة معصية أعفها إلى ما اعتذرت عنه وسجأت مع الجلع بين الصبيتين على جهلك وغياوتك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى تردى نفسها من قمة الجبل فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعدو وصرحت بالعدو وقالت العزى أكرسى مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفضل لكنك تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تفضحك من نفسك . وأما قصدك الباهظة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تشدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نفس اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعثت ماعتد الخالق بقينا بما عند المخلوقين وهما ولوحصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكنك لا يغنون عنك من الله شيئا . وأما التوبة لأجل الحسد فهو جمع بين عداوين لأنك حصدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما كتعت بذلك حتى أخفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصررت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين السكاكين فقد قصدت محمودك فأصبحت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صدقته وعدو نفسك إذ لا تضربه غيبتك وتفرك وتنفه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تتفكك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقد حكك سبب انتشار فضل محمودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حסود

وأما الاستمراء لمقصودك منه إخراج غيرك عند الناس بإخراة نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شق غيظه بمعصية الله البراز وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشق غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الأربعين البدائية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يعد من الميرون . روى جابر رضي الله عنه وأن النبي عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد . وروى للقيمة بن شعبة رضي الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأتاني النبي عليه السلام حاجته فأبعدني الذهب » وروى « أن النبي عليه السلام كان يقبض حاجته كما يقبض الرجل للسرل ، وكان يستتر بهائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل براحتيه في الصحراء أو بذيئه إذا حفظ التوب من الرعاش ويستحب البول في أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت في حسرتك وجنائتك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به ونساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخوانك صاحبك ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذوك يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كاليساق الحمار إلى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إيمانه فهو حسن ولكن حسدك لإبليس فأصلك وإستغفرك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبرا لإثم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتغلب أنت مستعفا لأن تكون مرحوما إذا حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك التغلب لله تعالى لا بوجب القية وإنما الشيطان جب إليك القية ليحبط أجر غضبك وتصير معصيا لقت الله عز وجل بالقية . وأما التعجب إذا أخرجك إلى القية فتعجب من نفسك أنت كيف أهلك نفسك ودينك بدين غيرك أوديانا . وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله سترك كما هتكك بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك للفرقة قط والتحقق هذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن القية لاحتالة .

(بيان محرم القية بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك عساوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وسوء الظن بأخيك ولست أثنى به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه ولكن للنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركزن إليه النفس ويعيل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يأيتها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فصد ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ماعلمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه أذنك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقيه إليك فيبغى أن تكذبه فانه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى - يأيتها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بذي قبيلوا أن تصيبوا قوما بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم محلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجوز أن تصدق به لأن الماسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الحمز لا يجوز أن يحد إذ يقال يمكن أن يكون قد تخلص بالحر ومجرما وما شرهما أو حمل عليه قهرا فكل ذلك لاحتالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء » (١) فلا يستباح ظن السوء إلا عايشا به المال وهو نفس مشاهدته وبينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس الظن فيبغى أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وأن ما رأيت منه بمحمد الخير والنور . فان قلت فهذا يعرف عقد الظن والتكوه فتخرج والنفس تحدث . فقول : أماراة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه كما كان فيغيره عنه قهرا ما وبسته فله ويعتر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه والاعتناء بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتعميقه وقد قال

(١) حدث إن الله حرم من السلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :
وكت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فأراد أن يول فأتى
دمثا في أصل جدار
فقال ثم قال : إذا أراد
أحدكم أن يول
فليرتد ليله ويبنى
أن لا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يستقبل الشمس والقمر
ولا يكره استقبال القبلة
في البنيان والأولى
اجتنابه للهباب بعض
الفقهاء إلى كراهية
ذلك في البنيان أيضا
ولا يرفع توبه حتى
يدنو من الأرض
ويجنب مهابة الريح
احترازا من الرشاش
قال رجس لبعض
الصعابة من الأعراب
وقد خاصمه لأحبك
تحسن المرأة فقال

صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فخرج منهن سوء الظن أن لا يحق له (١) أي لا يحق له في نفسه بقدر ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فينتبه إلى التفرد والكرهية وأما في الجوارح في العمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأذى محبة مساة الناس وبلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذلك لأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق: نظر بنور الشيطان وظلمته. وأما إذا أخبرك به عدل فإلّا ذلك إلى تصديقه كنت معذوراً لأنك لو كذبت له لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضاً من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتساء به بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاربة وتحت فتطرق التهمة بسببه فقد رد التبرع شهادة الأب العدل للولد للتمعة ورد شهادة العدو (٢) فلك عند ذلك أن توقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تسكده ولكن تقول في نفسك للذكر حاله كان عدو في ستر الله تعالى وكان أمره محجوباً عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهراً العداة والقولاً محاسنة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فإن الغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتناء تساهلوا في أمر التوبة ولم يكثروا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوءه على مسلم فينبغي أن تزيد في مراقبته وتدعوه بالخير فإن ذلك يهبط الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك الحاضر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فاصحه في السر ولا تجذبتك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت سرور باطلاعك على نفسه لينظر إليك بعين التعظيم وتظهر إليه بين الاستحقاق وترفع عليه بأبداء الوعد وليكن قصدك تخلصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك قصاص في دينك وبنين أن يكون تركه لك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالصيغة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعد وأجر القم بحصيته وأجر الاعانة له على دينه. ومن نحرمت سوء الظن التجسس فإن القلب لا يتبع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالنية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الإطلاع وهناك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم قلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته.

(بيان الأعداء الرخصة في التوبة)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوئ الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فبذلك إثم التوبة وهي ستة أمور: الأول التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والحيانة وأخذ الرشوة كان مقتاباً عاصياً إن لم يكن مظلوماً، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسب إليه الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن صاحب الحق مقال» (٣) وقال عليه السلام

(١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة العدو الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها أنجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجهود حدا ولا ذي غمراً لأخيه وفيه ولا ظن في ولا ولا قرابة ولا بن داود وابن ماجه باسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الصغر على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة.

إلى وأيسك إلى بها لحافق قال صفها لي قال أبعاد البشر وأعداء للدرو استقبل الشيخ واستدبر الرع وأضى إساء الظني وأجفل إجمال النعام يعني استقبل أصول النبات من الشيخ وغيره واستدبر الرع احترازاً من الرعاش والإساء ههنا أن يستوفى على صدور قديمه والأجفل أن يرضع حمزة. و يقول عند الفراغ من الاستجماء: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي من الرياء وحسن فرجي من القواحيش ويكره أن يبول الرجل في الفضل. روى عبد الله ابن مفضل أن النبي عليه السلام: «نهى أن

« مطلق النبي ظلم » (١) « وقال عليه السلام » « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه » (٢) « الثانى الاستماتة على تغيير النكر ورد العاصى إلى منهج الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا جندل قد عاقر الحرة بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم - ثم نزل الكتاب من الله العزيز العظيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم يرد ذلك عمر ممن أبانته غيبة إذ كان قصده أن يشكر عليه ذلك فينصفه نفسه ما لا ينصفه نصيح غيره وإنما باحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو القصد وكان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتى ظلى أنى أزوجنى أو أخى فكيف طريقى في الخلاص والأسلم التبرع بأن يقول : ما قولك فى رجل ظله أبوه أو أخوه أو زوجته ولكن التبرع مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت لنبى صلى الله عليه وسلم « إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكفينك ووليك بالمعروف » (٣) « فقد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولأبى جبرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها الاستفتاء . الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تعدى إليه بدعته وفسقه ذلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سرية البدعة والفسق لا غيره وذلك موبع الضرر إذ قد يكون الحسد هو الباعث وليس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى عموكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن فى سكوتك ضرر للشرى وفى ذكره ضرر للعبد وللشرى أولى بمراعاة جانبك وكذلك الزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطعنا وكذلك المستشار فى الزوج وإبداع الأمانة أن يذكر ما يرفعه على قصد النصح للمستشير لاعتى قصد الوقتة فإن علم أنه يترك الزوج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وإن علم أنه لا يزوج إلا بالصرح ببيعه أنه يصرح به إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعون عن ذكر القاجر اهتسكوه حتى يبرفه الناس اذكروه بما فيه حق يحذره الناس » (٤) « وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الامام الجائر واليبيع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بقلب يبرع عن عيبه كالأعرج والأعمش فلائم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يجرى مجراه فقد فعل الملاء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف ببراءة أخرى فهو أولى ولذلك يقال للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالحث وصاحب الساخور والمجاهر بجرى البحر ومصادرة الناس وكان ممن يظهر به بحيث لا يستكشف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يظهر به فلائم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطلق النبي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد يحل عرضه وعقوبته أبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الثريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هذا قالت إن أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر القاجر اهتسكوه حتى يبرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبرانى وابن جبان فى الفضلاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يبرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن أبى الدنيا فى الصحة .

يول الرجل فى مستحبه
وقال : إن عامة الوسواس
منه وقال ابن المبارك :
يوسع فى البول فى
الستح إذا جرى فيه
الباء وإذا كان فى
البينان يقدم رجله
اليسرى لدخول الخلاه
ويقول قبل الدخول :
باسم الله أعوذ بالله
من الخبث والخبائث .
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردى قال أنا
أبو منصور للقرى قال
أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو
الحاشى قال أنا أبو حنيفة
المؤلى قال أنا أبو داود
قال حدثنا عمر وهو
ابن مرزوق البصرى
قال حدثنا شعبه عن
قادة عن النضر
ابن أنس عن زيد

« من أتى جلباب الحياء عن وجهه فلا غية له » (١) وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به المهر بفسقه دون للستر إذ الستر لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق اللعن بفسقه وذكرى له بما فيه غية له قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غية لهم صاحب الهوى والفاسق اللعن بفسقه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم ينظرون به يوم بما ينظرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يظهر به أنهم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج عن اغتابة كاتبته من الحجاج بل ظله وإنك إذا قلت الله تعالى فدا كان أصغر ذنب أصبه أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

(بيان كفارة التية)

اعلم أن الواجب على التائب أن يتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستعمل للتائب ليحل به فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستعمله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ للرأي قد يستعمل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد رافق معصية أخرى . وقال الحسن بكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبت أن تستغفر له » (٢) وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تئق عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من التية قال أن تئق إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمت وأساءت فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد التدف وتبث الطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه عليه السلام قال « من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنساق خذمن حسنة فإن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فزبدت على سيئاته » (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخري إنها طويلة القيد قد اغتبت بافاستحلها فأذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فإن قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسيل العتد أن يبالغ في الشاء عليه والتودد إليه وبلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة التية في القيامة . وكان بعض السلف لا يعمل . قال سعيد بن المسيب لأجل من ظفنى وقال ابن سيرين إنى لم أحرمها عليه فأحلها له إن الله حرم التية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فإن قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فتقول للراد به العفو عن المظلمة لأن ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل التية فإنه لا يجوز له أن يحل لغيره التية . فإن قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كآبي فمضمم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت برضى على الناس » (٤) »

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غية له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة ذنوب من اغتبت أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظنة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كآبي فمضمم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت برضى على الناس البزار وابن السني في اليوم والآلية والعلبي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

ابن أرم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش مهتضة فإذا أتى أحدكم الحلاء فليقل أعوذ بالله من الحث والجأث » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة التخل الكنف كانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله مهتضة أى يحضرها الشياطين وفي الجفوس للحاجة يحمى على الرجل اليسرى ولا يتوكل يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم قد ورد أن رسول الله صلى الله

فكيف يصدق بالمرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تفد صدقة لما معنى الخث عليه فنقول معناه إن لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخاصمه وإلا فتصير القيامة حالاً لا به ولا تسقط المظلة عنه لأنه غفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا أخاصم فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوقي أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح النذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالغفو أفضل . قال الحسن إذا جثت الأم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقيم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العاقون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى : **يَرْجِزُ الْغَوَّ وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ماهذا الغفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تغفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك ^(١) » . وزوي عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبث إليه ربطاً على طبق وقال قد بلغني أنك أهدبت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فاني لأفدر أن أكافئك على تمام .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هاز مشاء بنعيم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنب - قال عبد الله بن المبارك الزنب ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومضى بالنجعة دل على أنه ولد زنا استبطا من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنب - والزنب هو الدعي ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لم يقل الحمزة التمام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت غامة حمالة للحديث وقال تعالى - ثقاتهما فم يضيأهما من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيغان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نسام ^(٢) » وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة ثقات » والثقات هو النسام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجبك إلى الله أحاسنكم أخلاقاً للوطثون أكفأ الذين يأتونهم ويؤثرون وإن أفضلكم إلى الله الشاؤون بالنجعة للفرقون بين الأخوان للنعسون للبراء الثقات ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال الشاؤون بالنجعة المفسدون بين الأئمة الباغون للبراء الصيب ^(٤) » وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ^(٥) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصعابة قلت وإسماها ورجل من كان قبلنا كأعد البزار والمقبلي (١) حديث نزول - خذ الغفو - الآية قال يا جبريل ماهذا فقال إن الله يأمرك أن تغفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في ريادة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نسام وفي حديث آخر ثقات يستنق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأجبك إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوطثون أكفأ الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصيحة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال الشاؤون بالنجعة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في معارج الأخلأ وفيه عبد الله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة فهو منبري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان القائط كاشفين عورتها يتحدثان فإن الله تعالى يفت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ولا يستصعب معي شيئاً عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضي الله عنها عن أبيها أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: استحيوا من الله فاني لأدخل الصكيف فأزرق ظهري وأعطى رأسي استحياء من رب عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراؤه] إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فلينبأ مقدمه من النار ^(١) » وبه ل: إن ثلث عذاب القبر من القيمة . وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها اتكلمي فقلت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية فمر من الناس : لا يسكن مدمن خمر ولا مصر ^(٢) على الزنا ولا قنات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غث ولا رقيق ولا قطمير ولا حديد ولا يولد على الفطرة إلا على الفطرية : الإسلام أو اليهودية أو النصارى » وروى كعب الأحبار أن بنى إسرائيل أصابهم حبط فاستنق موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه : إني لأستعجب لك ولئن معك وفيك نمام قد أصر ^(٣) على القيمة فقال موسى يارب من هو دلتى عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن القيمة وأكون نماما فخابوا جميعا فسقوا . ويقال اتبع رجل حكما سبعانة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال : إني جشك لذي آتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أنزل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أبقى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أدل منه فقال له الحكيم : البهتان على البرى . أنقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تتجبر أبرد من الزمهرير وقلب السكارف أقى من الجبر والتمام إذا بان أمره أدل من اليتيم .

(بيان حد القيمة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم القيمة إنما يطابق في الأكثر على من يتم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يشكم فيك بكذا وكذا وليست القيمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كدفعه سواء كرهه الثقل عنه أو الثقل إليه أو كرهه ثلث وسواء كان الكشف بالقول أو بالسكينة أو بالزمر أو بالإنعام وسواء كان الثقل من الأعمال أو من الأنوال وسواء كان ذلك عينا وتقصا في التولد عنه وإمكان بل حقيقة القيمة إفشاء السر وهتك السر مما يكره كدفعه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكاية ذليلة مسلم أو دفع لمصيبة كما إذا رأى من يتناول مال غيره فليبه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رآه غني مالا لنفسه فدكره فهو نجمة وإنشاء السر فإن كان ما يتم به قصا وعيبا في المحكى عنه كان قد جمع بين القية والقيمة فالباعث على القيمة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو النفرج بالحديث والحوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه القيمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبرني إفساد أمرك أو في لغة عدوك أو تقيح حالك أو ما يجري مجراه فليبه ستة أمور : الأول أن لا يصدق لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بليغتيه أو أن تصيدوا أو ما يجملها الثاني أن ينهه عن ذلك وينصح له ويحبس عليه فله قال الله تعالى - وأمر بالمعروف ونه عن المنكر الثالث أن ينفذ في الله تعالى فإنه يفيض عند الله تعالى ويجب بغض من يفيض الله تعالى . الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم الخامس أن لا تجعلك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق ابتعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نيته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتسكون به بما ما يغتاب وقد تسكون

يبتدئ بالسوء .
حدثنا شيخنا
أبو النجيب قال أنا
أبو عبد الله الطائي
قال أنا الحافظ الفراء
قال أنا عبد الواحد بن
أحمد اللطاعي قال أنا
أبو منصور محمد بن
أحمد قال أنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن عبد
الجبار قال شاحدين
زنجويه قال ثنا علي
ابن عبيد قال ثنا محمد
بن إسحق عن محمد بن
إبراهيم عن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن عن
زيد بن خالد الجهلي
قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لولا
أن أشق على أمتي
لأخبرت العباد إلى ثلث
الليل وأمرتهم بالسوء »
عند كل مكتوبة »

ورواه الطبراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فلينبأ مقدمه من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها اتكلمي

قد أثبت ما عنه نهيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بليغ ذنبوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية هازم شاء بنهم - وإن شئت عفونا عنك فقال العفو يأمر المؤمنين لأعود إليه أبدا . وذكر أن حكيم من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكميم قد أبطأت في الزبارة وأثبتت ثلاث جنابات بضت أختي إلى وشملت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا لعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان بلني أنك وقعت في وقعت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذي أخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون الحسام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من ثم إليك ثم عليك وهذا إشارة إلى أن الحسام يذني أن يفيض ولا يوقى . وبوله ولا يصدقته وكيف لا يفيض وهو لا ينفك عن الكذب والفيية والفساد والحياة والقل والحسد والثفاقي والإفساد بين الناس والحديبة وهو ممن يسمون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض - وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق - والحمام منهم . وقال صلى الله عليه وسلم إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشرة ^(١) . والحمام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع » قبل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس ^(٢) . وهو الحمام وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضى الله عنه أن رجلا سمى إليه رجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا فمتكنا وإن كنت كاذبا عاقبك وإن شئت أن تبتلك أفذك قال أفأنت يا أمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظي أمتي خصال المؤمنين أوضع ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن عاصم وكان أميرا بالقي أن فلانا أعلم الأمير أي ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرني عما قال لك حتى أظهر كذبه عنده قال ما أحب أن أضمت نفسي بسائى وحسي أتى لم أصدق فيما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم يقوم بمحمد الصادق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه فأفهم الساعى فلو كان صادقا في قوله لكان ليما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النعمة لأنهم إذا كانت إلى من يخاف جانبها سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى الناس إلى الناس لغير رشدة ^(٣) »

فالت سعد من دخلني قال الجبار وعزى وجلالى لا يمكن فيك ثمانية فذكر منها ولاقتات وهو الحمام جده هكذا بنه وأحمد لا يدخل الجنة عاقى الله ولا يورث ولا نفسا من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاقى ولا مدمن خمر وللشيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهمان حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب التردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسكني تزني قريبات قالت طوبى لمن دخلني ورضى عنه إلهي فقال الله عز وجل لا تسكن عنت ولا نائمة ^(١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشرة منهم في حديث علي بن حديث عائشة نحوه ^(٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم ^(٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة أو فيه شيء منها وقال له أسانيد هذا أمثها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن جبان في الثقات سهل بن عطية ورواه الطبراني بلقط لا يسعى على الناس إلا وله بئى وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للقم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوش فاه بالسواك » والشوش : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير القم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لأن الأسنان تطبق وبذلك يتغير القم ويكره الصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجملة وعند القيام من الليل ويندى

يعني ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في السلام وقال إني مكلّمك
 يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال قل فقال يا أمير المؤمنين
 إنه قد اكتشفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك
 فلا تأمنهم على ما اتهمتك الله عليه ولا تصخ إليهم فيها استخفك الله إياه فانهم لن يأثروا في الأمة خسفا
 وفي الأمانة تضديعا والأعراض قطعاً وانهاكا على قريهم البني والبيعة وأجلّ وسائلهم النية والوقعة
 وأنتم مثول عما أجرموا وليسوا للشوليين عما أجبرتم فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم
 الناس غيبا من باع آخرته بدنيا غيره ، وصلى رجل يزيد الأعمى إلى سليمان بن عبد الملك لجمع
 بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتهمتك خاليا غثت وإما قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الحيانة والام

وقال رجل لمعرو بن عبيد إن الأسواري ما زال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعبت
 حق بحالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولأدت حق حين أغلقتني عن أخى ما كره ولكن
 أعلمه أن الموت يمنا والقبر يضنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين
 ورفع بعض الساعة إلى صاحب بن عباد رقعة فيه فيها على مال يتيم يجعله على أخذه لسكرته فوق
 على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجربها بجرى النصح غشراك فيها أفضل
 من الربح ومعاذ الله أن قبل مهتوكا في مستور ولولا أنك في خفارة عينك لقالناك بما يقتضيه
 فذلك في مثلك حق يملعون العيب فإن الله أعلم بالنيب ، الليت رحمه الله والبقم جبره الله والسال
 ثمره الله والساعي لئنه الله ، وقال لقمان لابنه يا بني أوصيك بخلاف إن تمسكت بهن لم تزل سيدا أبسط
 خلقك للقریب والبعد وأمسك جملك عن الكرم والاتباع واحفظ إخوانك وصل أقربك وأنهم
 من قبول قول ساع أو صاع باع يرد فسادك وروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك
 لم تبعهم ولم يبيعوك . وقال بعضهم النخبة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الدل وقال
 بعضهم لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والنقول عنه أولى بجلك لأنه
 لم يقابلك بشتمك وعلى الجلة خسر التمام عظيم يعني أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا
 وقال للدشترى ما فيه عيب إلا النخبة قال قد رضيت فاشتره فهكث الغلام بإمانه قال زوجة مولا من
 سيدي لا يحبك وهو يريد أن يفسر عليك نخدي الواسي واحلق من شعر رقاه عند نوم مشرات
 حتى أسجره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك أخذت خذلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى
 تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها بأهل المرأة فقتلوا
 الزوج ووقع القتال بين القليلين ، فقال الله حسن التوفيق .

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقفا يغلو عنه
 من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة (١) وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذي اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخاري

في كتاب الأدب الفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء

ويستاك عرضا وطولا

فإن اقتصر فمرضا فإذا

فرغ من السواك فبسه

وجلس لا وضوء

والأولى أن يكون

مستقبل القبلة ويبتدىء

بسم الله الرحمن الرحيم

ويقول لسبأ عوذ بك

من همزات الشياطين

وأعوذ بك رب أن

يحضروني - وقوله عند

غسل اليد : اللهم إني

أسألك الجن والبركة

وأعوذ بك من الشؤم

والهاسكة ويقول عند

الضمضة : اللهم صل

على محمد وعلى آل

محمد وأعني على تلاوة

كتابك وكثرة الذكر

فك ويقول عند

الاستسقاء : اللهم صل

على محمد وعلى آل

محمد وأرشدني راحة

صلى الله عليه وسلم « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بعديت وهؤلاء بعديت ^(١) » وفى لفظ آخر « الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وقال أبو هريرة لا يلقى الله الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والشكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخواتهم فى صدورهم فإذا لقوهم تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء ، وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا ^(٢) » وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة ؟ قال الذى يجرى مع كل ريح واضفوا على أن ملاقاته الاثنين بوجهين ثقاق وللتفاق علامات كثيرة وهذه من جملة ما وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال بأمر اللؤمين إنه منهم فقال نصدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا تؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فإن الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنهى إلى حد الآخرة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصبغة والآخرة ، نعم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من الخيعة إذ يصير غما ما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فإذا قل من الجانبين فهو شر من الخيعة وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من الماداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا ودع كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده بضمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه فى غيبته وفى حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لابن عمر رضى الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا ثقاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) وهذا ثقاق مهمال كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو ثقاق لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك فإن كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك اللال والجاء فدخل لضرورة الجاء والثنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاء يبتنان التفاق فى القلب كما يثبت الساء البقل ^(٤) » لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومرا آتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن يثنى فهو معذور فإن انقضاء الشر حائز قال أبو الدرداء رضى الله عنه إنا لنشكر فى وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والشكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخواتهم فى صدورهم فإذا لقوهم تملقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قبل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك ثقاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاء والمال يبتنان التفاق فى القلب كما يثبت الساء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الثناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض
ويقول عند الاستئثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويصلى
وجهى يوم تبيض
وجوه أوليائك
ولا تسود وجهى يوم
تسود وجوه أعدائك،
وعند غسل اليدين:
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وآتى كتابى
يمينى وحاسبتى حسابا
يسيرا ، وعند غسل
الشمال : اللهم إني أعوذ
بك أن تؤتيتى كتابى
بشئى أو من وراء
ظهري ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذروا له فيس رجل المشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم انقاء شره (١) » ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثل كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

(الآفة الثامنة عشرة للدع)

وهو منهي عنه في بعض اللواضع ، أما الدع فهو التوبة والوقية وقد ذكرنا حكمها. والمدح بدخله ست آفات أربع في السادح والثنان في المدح . فأما السادح : فالأولى أنه قد يفرط في تهنئته به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بئس الله يوم القيامة يتنثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا متافكا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو معهما ما أقنع ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دعا أخاه ليقبل أحسب فلان ولا أزيكي على الله أحدا حسبه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) » وهذه الآفة تنطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق وورع وزاهد وغير وما يجري مجراه فأما إذا قال رأيتني بيلي بالليل ويتصدق ويحج فهذا أمور مستبينة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي أن يحزم القول فيه إلا بعد خيرة باطنة . مع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أسألفته في الباطنة والعاملة قال لا ، قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا ، فقال والله الذي لا إله إلا هو لأراك تحرفه . الرابعة أنه قد يفرح بالمدح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق (٣) » وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يلدم ليعتم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن النضر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعا عمرو بن حوله وسمعا الجارود فلما دنا منه خفقه بالدره فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما قد سمعنا قال سمعنا له قال خشيت أن يغاططك منها شيء فأجبت أن أطأه منك . الثاني هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وقروا رضي عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذروا له فيس رجل المشيرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكرم انقاء شره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها.

(الآفة الثامنة عشرة للدع)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بحوه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ لاصف (٣) حديث إن الله يغضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت والبهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضيف ورواه أبو يعلى الوصلي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في البرزبان منكر وقد تقدم في آداب السكب .

وغشني برحمتك وأنزل على من ركانك وأظلي تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند منحن الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنتع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فك ربقي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدم المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تنزل

ومن أعجب بنفسه فلما تشمره وإنما ينشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعنا ما ألقه » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا (١) » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ما سمعت قطبنا ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي وقال زياد بن أبي سلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا ترامى له الشيطان ولكن للؤمن رابع قال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل يسكن مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه (٣) » وقال عمر رضى الله عنه للصحبة هو الشيخ وذلك لأن للذبح هو الذي يفتن من العمل وللدح يوجب القصور أو لأن للدح يورث العجب والكبر وما مهلكان كالذبح فذلك شبه به فان سلم للدح من هذه الآفات في حق السادح وللمدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح (٤) » وقال في عمر « لو لم أبت لبثت يا عمر (٥) » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبسيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وهيبا وخورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦) » أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن اختاره صلى الله عليه وسلم كان بالله وبالقراب من الله لا بولده آدم وتقدمه عليهم كما أن للقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يتنخر بقبوله إليه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه ويتفصيل هذه الآفات فنقد على الجمع بين ذم للدح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت (٧) » لما أنشأوا على بعض اللوى وقال مجاهد إن لبنى آدم جلساء من للناكسة فإذا ذكر الرجل للسلم أخاه للسلم غير قالت للناكسة ولك بثله وإذا ذكره بسوء قالت للناكسة يا ابن آدم للسنور عورتك اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات الدح .

(بيان ما على المدوح)

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة القصور ولا ينجونه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الحانعة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه السادح ولو انكشف له جميع أسرارهم وما يجرى على خواطره لكف السادح عن مدحه وعليه (١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل يسكن مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح خديم في السلم (٥) حديث لو لم أبت لبثت يا عمر أبو منصور القديلى في مسند القردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عتبة بن عامر لو كان يمدى نبي لكان عمر بن الخطاب واهل الترمذى وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله أنشأوا على بعض اللوى مثق عليه من حديث أنس .

قدى عن الصراط يوم
زل فيه أقدام الناس
وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء
ويقول : أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله سبحانه
اللهم وبمحمدك لا إله
إلا أنت عملت سوأ
وظلت نفسى أستغفر
وأثوب إليك فاغفرلى
وتب عسى إنك أنت
التواب الرحيم اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلنى من
التوابين واجعلنى من
المطهرين واجعلنى
صورا شكورا واجعلنى
أذكرك كثيرا وأصبحك
بكرة وأصبيلا .
وفرائض الوضوء :
الثبة عند غسل
الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للدخ بالذلال للباح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوهكم للداخين^(١) » وقال سفيان بن عيينة لا يضرب للدخ من عرف منه وأثنى على رجل من الصالحين قال اللهم إن هؤلاء لا يبرقوني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلى عتقتك وأنا أشهد بك على مقتته . وقال علي رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يحيطون ولا تؤاخذني بما يقولون واجلسني خيرا مما يطنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أتهلكني وتهلك تسك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في تسك .

(الآلة التاسعة عشرة)

النفقة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام لا سافيا يتلقى بالله وصفاته ويربط بأموال الدين فلا يخسر على تحويم اللفظ في أمور الدين إلا الطاء الفصحاء فمن قصر في علم أو صاحب غل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يغفر عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن يقل ماشاء الله ثم شئت^(٢) » وذلك لأن في العطف للطلق تسميكا وتسمية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلني لله عديلا بل ماشاء الله وحده^(٣) . » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصعبهما فقد غوى فقال قل : ومن يصعب الله ورسوله فقد غوى^(٤) فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصعبهما لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم بكروه أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك وبجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعظمنا من النار وكان يقول المتقي يكون بعد الورود وكانوا يستجيبون من النار ويتعبدون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن قصيه شفاععة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة إن الله يضي المؤمنين عن شفاععة محمد وتكون شفاعته للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمزة يا خير من قبل له يوم القيامة حمزة راأيتني خاتمه ، خنزيرا راأيتني خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم لا يشرك حتى يشرك بكابه فيقول لولاه لسرقا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت^(٥) » قال عمر رضي الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسموا العنب كرمنا إنما الكرم الرجل السليم^(٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقولن أحدكم عبيدي ولا أمي كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليلعل غلامي وجاريي وفاتي وفاتي ولا يقول الملوك رب . ولا ربي وليلعل سيدي وسيدي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

وحد الوجه من مبتدأ
تسطيح الوجه إلى
منتهى الدقن وما ظهر
من اللحية وما استرسل
منها ومن الأذن إلى
الأذن عرضا ويدخل في
الفصل البيضاء الذي
بين الأذنين واللحية
وموضع الصلع
وما تحسر عنه الشعر
وهما الزعنجان من الرأس
ويستحب غسلهما مع
الوجه ويوصل الماء
إلى شعر التحذيف وهو
القدر الذي يزيله النساء
من الوجه ويوصل
للساء إلى الصدفة
والشارب والحاجب
والغدار وما عدا ذلك
لا يجب ثم اللحية إن
كانت خفيفة يجب
إصلاح الساء إلى البشرة
وحد الخفيف أن ترى
البشرة من تحته وإن

(١) حديث احتوا في وجوه للداخين التراب مسلم من حديث القداد .

(الآلة التاسعة عشرة في النفقة عن دقائق الخطأ)

(٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح

(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وشئت فقال أجعلني لله عديلا بل ماشاء الله وحده . النسائي في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث

خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصعبهما فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدي بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله بها كإن تحلفوا بآبائكم متفق عليه

(٦) حديث لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل السليم متفق عليه من حديث أبي هريرة

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفاسق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم قد أسخطم ربكم^(١)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كإمام قال وإن كان كاذبا فإن يرجع إلى الإسلام سالما^(٢)» فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أورده من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يعلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما^(٣)» لأن هذه الآفات كلها هالك ومعايب وهي على طريق للشك فأن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواقع لسانه فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراعاة لازمة ويقل من الكلام فسهل يعلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا يفتك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم ففهم فكف عن سكت فسلم فالسلامة إحدى التقيتين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وإثباته بعبادة أو محدثين من حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك تهل على النفوس والفتور خفيف على القلب والعمى يفرح بالحوش في العلم إذ الشيطان يحيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كثر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العمى فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإثبات شأن العوام الاشتغال بالعبادات والایمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون بالعلة من الله عز وجل وبشرطون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار اللوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فيه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إليه عمى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فأنا هلك من كان قبلكم يكثر سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاتشكروا عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استغفتم^(٤)» وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي قال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبوكا الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمتك الله إنك ما علمت لمونق^(٥)» وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للفاسق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كإمام الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فأنا هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، وسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي قال أبوكا لمولى شيعة . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث العفيرة بن شعبة .

كانت كشيعة فلا يجب وبجهد في تنقية مجتمع السكك من مقدم العين . الواجب الثالثة غسل الدين إلى للرقين وبجهد إدخال للرقين في السكك ويستحب غسلها إلى أنصاف المضدين ، وأن طالت الأظافر حتى خرجت من ردوس الأصابع يجب غسل ما غلب على الأصابع . الواجب الرابع : مسح الرأس وبكفي ما يطلق عليه اسم المسح واستيحاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يمسح رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضمهما على مقدم الرأس ويعدّهما إلى الخلف ثم يردّهما إلى الوضع الذي بدأ منه وينصف

الناس يشاءون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تخموا السورة ثم لينفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستد بالله من الشيطان الرجيم ^(١) » وقال جابر: ما زالت آية الثلاثين إلا لكثرة السؤال ^(٢) . وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على اللع من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فإن اجتنبتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذني بمساكنيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فدوال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثيرات اللعنت فيجب قمعهم ومنهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حاد من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمور غم يشغل بشي منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضيق العاصي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أمي قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

﴿ كتاب ذم النضب والحقد والحسد ﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكت من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي لا يشك على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر يوم غضبه وسلطوته إلا الخائفون ، الذي استدرج عباده من حيث لا يلبون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلاهم بالنضب وكلفهم كظام القبط فيما يغضبون ، ثم فقههم بالمكاره والذلات وأمل لهم لا ينظر كيف يعملون ، وامتنح بهم حبيب ليل صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بغتوهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذي يسر تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة للرضيين ، صلاة يوازي عددها عددا كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأوكون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن النضب شعله نار اقنبت من نار الله اللقودة التي تطلع على الأنفة ، وإنها مستكة في طي القواد ، استكتان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها السكر الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد ، وقد انكشف للتأخرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استغوته نار النضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقته من نار وخلقته من طين - فإن شأن الطين الكون والوقار وشأن النار النظم والاستعار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج النضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وقد من فسد وبفضهما مضنة إذا صلت صلب معا حائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والنضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن الطب ، فمأجوجه إلى معرفة معاطيه ومساويه ليحذر ذلك وينقيه ، ويحيطه عن القلب إن كان وينقيه ، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه ، فإن

بلل الكفين مستحلبا
ومستدبرا . والواجب
الخامس: غسل القدمين
ويجب إدخال الكفين
في القدر ويستحب
غسلهما إلى أنصاف
الساقين ويقنع غسل
القدمين من الكمين
ويجب تخليل الأصابع
للثقة فيخلل بخنصر
يده اليسرى من طين
القدم ويبدأ بخنصر
رجله اليمنى ويغشم
بخنصر اليسرى وإن
كان في الرجل شقوق
يجب إصصال الماء إلى
باطنها وإن ترك فيها
عجينا أو شحما يجب
إزالة عين ذلك الشيء .
الواجب . السادس :
الترتيب على النسق
للكور في كلام الله
تعالى . والواجب السابع :
التتابع في القول القديم

(١) حديث يوشك الناس يشاءون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زالت آية الثلاثين إلا لكثرة السؤال والبراهمة إجماعا جيد

﴿ كتاب النضب والحقد والحسد ﴾

من لا يعرف الضرب يقع فيه . ومن عرفه فالمرقة لا تسكب . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويضمه . ونحن نذكر ضم الضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبمجموعها يان ضم الضب ثم يان حقيقة الضب ثم يان أن الضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم يان الأسباب للهبية للضب ثم يان علاج الضب بمد هيجاته ثم يان فضيلة كظم النيط ثم يان فضيلة الحلم ثم يان القدر الذي يجوز الاتصاف والتسفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وشأنه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ضم الحسد وفي حقيقة وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزائته ثم يان السبب في كثرة الحسد بين الأمتثال والأقران والإخوة وبين الم والأقارب وتأ كده وقلته في غيرهم وصفته ثم يان السواء الذي به ينش مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(يان ضم الضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حبة الجاهلية فأزل الله سكة من رسولهم وعلى اللؤنين - الآية . ضم الكفار بما تظاهروا به من الحية الصادرة عن الضب بإبطال ومسد اللؤنين بما أزل الله عليهم من السكة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله من يعمل وأقل قال لا تضب ثم أعاد عليه قال لا تضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقله لم لي أعتله فقال لا تضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تضب (٢) » وعن عبد الله ابن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يتخذ من غضب الله قال لا تضب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ما تدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا نصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يأنى إليك وكثرة الضب فإن كثرة الضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدوا حصورا - قال السيد الذي لا يلبس الضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلي على عمل يدخل الجنة قال لا تضب (٧) » وقال يحيى لميسر عليهما السلام لا تضب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال : لا تخن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم (٩) » وقال له رجل « أى شيء أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله من يعمل وأقل قال لا تضب ثم أعاد عليه قال لا تضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقل الحديث نحوه أبو يعلى بإسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمدني من غضب الله قال لا تضب الطبراني في معجم الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ما تدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وضم الضب وفي المسند وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلي على عمل يدخل الجنة قال لا تضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العمل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم الطبراني وابن عدي من حديث ابن عباس لئن أرباب لا يدخله إلا من شق غيظه بمصيبة

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحدث التفرقة الذي يقطع التابع نشف الضم مع اعتدال الهواء .

[وسن الوضوء ثلاثة عشر]

التسمية في أول الطهارة . وغسل اليدين إلى الكوعين والضمضة والاستنشاق والبالغة فيها فينغر في الضمضة حتى يرد الماء إلى الفاصحة ويستمد في الاستنشاق للماء بالنفس إلى الحياض ويرفق في ذلك إن كان سامحاً وتخليل القحية الكحة وتخليل الأصابع التفرجة والبسادة باليأس وإطالة الفرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال فما يعنى عن غضب الله قال لا غضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ووشك أن تثب وثبة فتقع في النار وعن ذى القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال عني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا غضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكته بالثؤدة وإياك والمجبة فانك إذا مجلت أخطأت حظك وكفى سهلا لنا للقرىب والبعيد ولا تسكن جبارا عيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يدخله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يفتح فقال افتح فاني إن ذهبت ندمت فلم يفتح إليه فقال إني أنا المسيح قال الراهب وإن كنت المسيح فما أسع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم قبله منك قال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجئت لتسألني عما شئت فأخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدبر فقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعونك عليهم قال الحمد إن الرجل إذا كان حديدا فقلبتا كما قلب السياف الكرة وقال خيصة الشيطان يقول كيف يظني ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طردت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائمة الغضب ومن رضى بالجلل استغنى عن الخلو والخلو من ومنفعة والجلل من ومنفعة الشبهة والسكرت عن جواب الأحق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فإن يجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا غزامة قد دناء حيث شئنا وعمل لنا بما أحبينا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبله بما في يده ونعنه بما لا يقدر عليه ويقول لحكم ما أمك فلان لنفسه قال إذا لاذت الشهوة ولا يصبره الهوى ولا يقبله الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يغسد الإيمان كما يغسد الصبر العدل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما عليك بحلمه إذا لم يغضب وما عليك بأمانته إذا لم يطعم وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاجبه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قرشي لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بعز السلطان فأقال منك اليوم مات الله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحى في التناير للسجورة فأقل الناس غضبا أغفلهم فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للأخرة كان حلما وعفا فقد قبل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات السلم قوة في دين وحزم في دين وإيمان في عينين علم في حلم وكسب في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتحميل في قوة وإحسان في قوة وعمل في رفاة وصبر في شدة لا يقبله الغضب ولا تجمع به الحية ولا تقبله شهوة ولا تضعه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فيفسر الظلوم ورحم الضعيف ولا يخل ولا يذروا ليرسروا ولا يقتربوا من الظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عنا والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه من يشكلك لى أن لا يغضب فيكون

والثالث ، وفي القول الجديد المتابع ويحجب أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يشكك في أثناء الوضوء ولا يلمس وجهه بالماء لعلما ، ويجدد الوضوء مستحب بشرط أن يصل بالوضوء ما تبصر وإلا فسكره .

[الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء]
آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أديهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السجود فيه دخلت

الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أي شيء أشد على قال غضب الله قال فما يعنى من غضب الله قال لا غضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشرط الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

معى فى درجى ويكون بعدى خلى فى قتال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه قتال الشاب أنا وأنى به
فلم مات كان فى منزله بعده وهو ذوالكفل معى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن
منه لكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرّضاً لفساد والوئان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة
أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم مما فى كتابه . أما السبب الداخلى
فهو أنه ركب من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة
تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزأها بخاراً يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة منعدم
التذاء يجبرها لتحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان خلق الله الغذاء للوافق لبدن الحيوان وخلق
فى الحيوان شهوة تبته على تناول الغذاء كالموكل به فى خير ما نكسر وسد ما أكل لئلا يكون ذلك حافظه
من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسم والسنان وسائر
الهللكات التى يقصد بها فانخر إلى قوة وحية ثور من باطنه فتدفع للهللكات عنه خلق الله طبيعة
الغضب من النار وغريزها فى الإنسان ومجها بطبته فهما صد عن غرض من أغراضه ومقصوده من
مقاصده اشتعلت نار الغضب وثار ثوراناً على به دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع إلى أعلى
البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه
والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكى الرجا جاتون ما فيها وإنما ينسبط
الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس
من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون
وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب
وبالجملة قوة الغضب محلها القلب ومناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإعطاء وجهه هذه القوة عند
ثوراتها إلى دفع المؤذات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة
وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من
التفريط والإفراط والاعتدال . أما التفريط ففقده هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال
فيه إنه لاجمى له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية
أصلها فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب البرية بالشقوق والجملة فقال أشداء على الكفار
رحماء بينهم - وقال عليه صلى الله عليه وسلم : جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم - الآية وإنما الغلظة
والشدّة من آثار قوة الحمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن قلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياحة
المقل والدين وطاعته ولا يلقى للرد معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة المضطر
وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن
صورته فى الفطرة صورة غضبان وبين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال
صلى الله عليه وسلم وإنما برودة المزاج تطفئه وتكسر صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو
أن يخاطب قوماً ينجحون بشقى الفيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولة فيقول الواحد
منهم أنا الذى لا أسير على الكفر والهمال ولا أحتل من أحد أمراً ومنا لا عقل فى ولا حلام ثم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف الغضب حمرة فى قلب ابن
آدم ولأبى داود من حديث عطية السعدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار .

الو-وسة فى الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
المؤمن والمجوارح إذا
كانت فى حياة الوضوء
الذى هو أنشر على
طروق الشيطان عليها .
قال عدى بن حاتم
ما أقيمت صلاة منذ
أسلمت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك « قدم النبى
عليه الصلاة والسلام
المدية وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لى : يا بنى إن استطعت
أن لا تزال على الطهارة
فافعل فانه من أتاه
الووت وهو على الوضوء
أعطى الشهادة فشأن
العاقل أن يكون أبداً
مستعداً للموت ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن المصرى

في معرض الفخر بجهله فمن حمله رسيخ في نفسه حسن الضرب وحسب التشبه بالقوم فيقوى به الضرب ومهما اشتدت نار الضرب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا عظم لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق بنور العقل وينمحي في الحال بدخان الضرب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الضرب من غليان دم القلب بدخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معدن السكر وربما يتعدى إلى معدن الحسن فظلم عنه حتى لا يرى بينه وتعود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود وجوه وحشي مستغرة

وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضيف فاحمي أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل وامن خارج بل ينفي أن يصير إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يقبل الضرب بالقلب والدماغ وربما نقوى نار الضرب فنفى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهدأ أعاليه على أسفله وذلك لا يبطل النار ما في جوانبه من القوة للسكا الجامة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الضرب والحقيقة فالسفة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس للضطربة غيظا إذ في السفة من محال لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفة وقد سقطت جبلته إذا عمها الضرب وأصمه ومن آثار هذا الضرب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الرعدة في الأشدق وتعمر الأعداق وتقلب الناخر وتستحيل الحلقة ولورأى الغضب في حالة غضبه فيصير صورته لكن غضبه حياء من فيصير صورته واستحالة خلقته وتبع باطنه أعظم من قبض ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما أصبحت صورة الباطن أولًا ثم انتشر فيحيا إلى الظاهر ثانياً فيغير الظاهر ثمرة تغير الباطن قصى الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذوالعقل ويستحي منه قاله عند خور الضرب وذلك مع تحيط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والهجم والتزريق والقتل والجرح عند التحكك من غير مبالاة فان هرب منه المضروب عليه أوقاته بسبب وهجر عن التشفي رجح الضرب على صاحبه فزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويسود عدو الواله السكران والمدهوش التاجر وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والهوش بسبب شدة الضرب ويحترق مثل الفسفة وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكرس السائمة إذا غضب عليها ويتماطي أفعال المجانين فيشتم البرهة والجمادات ويغاطها ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يغاطب عقلا حتى ربما رفسته دابة فيفرض الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في القلب مع المضروب عليه فالخفق والحسد وإضمار السوء والشبهة بالناسات والحزن بالسرور والعزم على إنشاء السروءات والستر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الضرب للفرط وأما ثمرات الحجة الضعيفة فقلة الألفة مما يؤثف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخصاء وصغر النفس والقناعة وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم القبرة على الحرم وهو خنونة قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لثبور وأنا أغبر من سعد وإن الله أغبر مني» (١) وإنما خلقت القبرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أم قوم من القبرة

أنه قال فيها أتيتهم من الليل لا يحملني النوم إلا بسد ما أقوم وأجدد الوضوء فلا يسود إلى النوم وأنا على غير طهارة وصحت من صعب الشيخ على بن الهيثمي أنه كان يقدد الليل جبهة فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكما اتجه يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلا عند صلاة العجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة» قال ما عملت عملا في الاسلام

(١) حديث إن سعدا لثبور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث القبرة نحوه وتقدم في السكاح

في رجالها وضمت الصيانة في نساها ومن ضف الغضب الحور والسكوت عدم مشاهدة للنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها » (١) يعني في الدين وقال تعالى - ولا تأخذكم بهما أحقق دين الله - بل من قد الغضب هجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يضرب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الحسية فتفقد الغضب مفهومه وإنما الحموم غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاحتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها » (٢) فمن مال غضبه إلى القنور حتى أحس من نفسه بنصف الضيرة وخسة النفس في احتمال الدل والضم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى الهور وإقحام التواضع فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فإن هجز عنه فيطلب القرب منه قال تعالى - ولئن تستطيما أن تمدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتدروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الاثني بالخير كله يبنى أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهله حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن طائون أنه يتصور هو الغضب بالسكلة وزعموا أن الرياضة إلى توجهه وإياه فتصعد وطلن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكر وهو أنه ما بقى الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا تخلو من القبط والغضب وما دام يوافقته شيء ويخالقه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقته ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بتركه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن واللبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لمطشه فهذه ضرورات لا تخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجلاء والمال الكثير والنفان والذواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن يترك الإنسان عن أصل القبط عليه فإذا كانت له دار زائلة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجلاء والصيت والتصدرفي المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا صاح من التصرف في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه المعادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكراهه فأكثرت غضبه وكما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن فضال عن زناد الدين إذا غضبوا رجوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب من سلافة تقدم.

أرجى عندي أي لم
انظر طهرا في ساعة ليل
أونهار إلا سليت لري
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لي أن أصلي
ومن أديهم في الظهارة
ترك الاسراف في الساء
والوقوف على حد العلم.
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو القمح
المروزي قال أنا أبو نصر
الرياني قال أخبرنا
أبو محمد الجرجاني قال
أنا أبو العباس الحنوب
قال أنا أبو عيسى
الترمذي قال حدثنا
محمد بن يشار قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن بن عجي
ابن ضمرة السعدي عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أحمق رتبة وأقص لأن الحاجة صفة قص فهما كثر كثر القص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب القم والحزن حتى يتسنى بسن الجاهل بالمعادات الروية ومخالطة قرناء السوء إلى أن يضبط لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشرطي ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالتضبط على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيضبط على من يحرفه ويصرفه وكذلك أدوات الصناعات في حق للكتيب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب بصير ضروريا ومحبوها وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وقوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها » (١) « ومن كان بصيرا عفا في الأمور وسلم هذه الثلاثة بتصور أن لا يضبط في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه لتعديم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع التضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتمال مدح حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل النظم من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سوره وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه التيط في الباطن ويتسنى منه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا ينعمه من التيط استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الاعتكاف عن التضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الله ينامع به جبر عليها ويترود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويحسب حبا عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا يضبط إذا ضربه غيره فالتضبط تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل التضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى النعم من استعمال التضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضروري من القسم الأول التألم بغوات المحتاج إلى المدون التضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فامت لا يضبط على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة أو ليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يضبط على الفصد والحجامة فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يضبط على أحد من خلقه إذ يرغم مسخرين في قبضة قدرته كالتلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يضبط على القلم فلا يضبط على من يذبح شاة التي هي قوته كما لا يضبط على « وتها إذ يرى القديح واللوث من الله عز وجل فيندفع التضب بقلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن السكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخير : وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يضبط كما لا يضبط على الفصد والحجامة لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد له هذا الحد إلى اعتكافه يكون كالبقي الحاطف قلب في أحول محتطفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوساوس رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها فيهما الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن حصن دون قوله بحذاقها قال الترمذي حسن غريب.

صل الله عليه وسلم أنه قال وللنفس شيطان يقال له الهمان فاتقوا وسواك للساء قال أبو عبد الله الرودباري إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يزال أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيها أمروا به أو ينقصوا عنه . وحكي عن ابن الكربي أنه أصابه جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة فخبنة غليظة فجاء إلى الفدجة وكان برد شديد فخرت نفسه عن الدخول في الساء لشدة البرد فطرح نفسه في الساء مع المرقعة ثم خرج من الساء وقال عقدت أن لا تزعمها من بدني حتى تجف على فسكنت

فانه كان ينضب حتى تحمر وجنتاه (١) حتى قال «اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأعيا مسلم سببه أولمته أو ضربته فأجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقرية تحربه بها إليك يوم القيامة (٢)» وقال عبد الله بن عمرو بن العاص «وإرسول الله أكتب عنك كل ما قلت في النضب والرضا قال أكتب فوالله بئس بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق» وأشار إلى لسانه (٣) فلم يقل إن لا أغضب ولكن قال إن النضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب النضب «وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك قالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمري إلا بالخير (٤)» ولم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان النضب لكن قال لا يعناني على الشر» وقال علي رضي الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينضب للدين فإذا أغضب الحق لم يفره أحد ولم يتم تشبه شيء حتى يتصرفه (٥)» فكان ينضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو الثبات إلى الوسائط على الجملة بل كل من ينضب على من يأخذ ضروره قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأعيا غضبه لله فلا يمكن الأشكال منه . نعم قد يفقد أصل النضب فيها هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع لغضب لا يشغله بغيره فان اشتراق القلب ببعض الهمات يمنع الاحساس بمساعدته ، وهذا كما أن لسانا لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن قلت موازيني لم يضرك ما تقول قد كان مضمم صروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خنيم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبه إن قطعني لم يضرك ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسيد جل أبا بكر رضي الله عنه قال ما سر الله عنك أكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تصوير نفسه عن أن يبقى الله حتى تفاته ويرفعه حق معرفته فلم ينضب نسبة غيره إياه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لملكك بن دينار يأمري أن أقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بأن يبنى عن نفسه آفة الرياء ومتكررا على نفسه ما يلقى الشيطان إليه فلم ينضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعي قال إن كنت صادقا ففخر الله لي وإن كنت كاذبا ففخر الله لك فزده الأقويل دالة في الظاهر على أنهم لم يفضوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم وبمحمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض الهمات لا يبعد أن يمنع هيجان النضب عند فوات بعض الهباب فإذا تصور قد العيظ بإمباشتغال القلب بهم أو بضلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يتأذ في طغي شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار النضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولما ذكر الساعة أحمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلته بدل ضربته وفي رواية اللهم يا محمد بشر ينضب كما يغضب البشر وأمه متفق عليه وقد تقدم وسلم من حديث أنس إنما تأبش أروحي كآروحي البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أو ضربته (٣) حديث عبد الله بن عمرو بإرسول الله أكتب عنك كل ما قلت في النضب والرضا قال أكتب فوالله بئس بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث علي كان لا ينضب للدين الحديث الترمذي في الثبائيل وقد تقدم .

عليه شرها شغافها
وغلظها أدب بذلك
نفسه لما حرت عن
الاعتبار لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبد الله كان يحث
أصحابه على كثرة شرب
النساء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
النساء منفع النفس
وإمالة الشهوات وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفية الاحتياط في
استيقاظ النساء للوضوء
قيل كان إبراهيم
الحواص إذا دخل
البادية لا يجعل معه
إلا ركوة من الماء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ للنساء
لوضوءه وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
السكوة ولا يحتاج إلى

موجب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كلساني في كتب دَم الدنيا ومن أخرج حب الزنا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب وما لا يمكن هوه يمكن كسره وتضعفه فيضف الغضب بسببه وبهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بطلقه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب للهجة للغضب)

قد عرفت أن علاج كل علة جسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب ، وقد قال يحيى ليسي عليها السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فأيدي الغضب وما يذنه قال عيسى : الكبر والقهر والتعزز والحيوة والأسباب للهجة للغضب هي الزهو والمعجب والزاح والمزول والمزهو والتعير والمارة والضادة والتدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجدها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن تحمت الزهو بالتواضع وتحت المعجب بمعرفة نفسك كلساني ياته في كتاب الكبر والمعجب وتزيل التعير بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلوا في القتل اشتبا فبنوا آدم جنس واحد وإنما التعير بالاضائل ، والقهر والمعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تحل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تتختر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما الزواح فتزيله بالتشاغل باللهجات الدينية التي تستوعب العمر وتغسل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزول فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة . وأما المزهو فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخفر عن القول القبيح بصيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لمر الاستغناء وترضا عن دل الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يغتر في علاجها إلى رياضة وتعمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها ثم الرغبة النفس عنها وتفر عن قبحها ثم اللواظبة على مباشرة أضرارها مدة مدبرة حتى تصير العادة مألوفا هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهية وتقليبه بالألقاب الممودة غباوة وجهلا حتى يميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فبرز الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لصف النفس وتقصانها وأتباعا لصف النفس أن الرضا أسرع غضبا من الصبر والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيوخ الضعفاء أسرع غضبا من السكهل وذو الجأش السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته الناقمة ولبخله إذا فاتته الحبة حتى إنه يغضب على أهله وولده وأصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) بل ينبغي أن يسأل هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك القضاة وعند ذلك منقول عن الأكابر والأحرار والجهلاء والأغنياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

التبسم يحفظ للاء
لغوضه ويغنى بالقليل
لشرب . وقيل إذا
رأيت الصوفي ليس معه
ركوة أو كوز فاعلم أنه
قد عزم على ترك الصلاة
شاء ثم أبى . وحكى عن
بعضهم أنه أدب نفسه
في الطهارة إلى حد أنه
أقام بين ظهراني جماعة
من النساء وهم
يجمعون في دار فاراء
أحد منهم أنه دخل
الحلاء لأنه كان يقضي
حاجته إذا خلا للوضع
في وقت يريد تأديب
نفسه ، وقيل مات
الحواس في جامع
الري في وسط الماء
وذلك أنه كان به علة
البطن وكما قام دخل
الماء وغسل نفسه
فدخل مرة ومات فيه
كل ذلك لحفظه على

(١) حدث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

(بيان علاج النضب بعد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد النضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجانه فندمه بحسب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه للذموم وإنما يعالج النضب عند هيجانه بمجموع العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول ينشكر في الأخبار التي تنوردها في فضل كظم النبط والنفو والحلم والاحتيال فيرغب في ثوابه فتدفعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التفتي والانتقام وينظمي عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحداد غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت بأمر للثومنين - خذ النفو وأمر بالفرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ النفو وأمر بالفرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان واقفاً عند كتاب الله مهماتاً عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وغل الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين النبط - فقال لفلانة خل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بكتاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمدت غضبي عليه لم آمن أن يغضب الله غضبه على يوم القيامة أوحج ما أكون إلى النفو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : إياي آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعفك فيمن أعفك . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيغاً إلى حاجة فأبطل عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الاومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم السكين واخش الوت واذا كرر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والثبات به صائبه وهو لا يخلو عن الصائب فيخوفه نفسه بمواقب النضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولأنواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تقشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يمينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه . الرابع أن ينشكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب وينشكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادئ التارك للغضب للأتنياء والأولياء والعلماء والحكماء . وبغير نفسه يمين أن يشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يشبه بالعداء والأتنياء في عاداتهم لثقل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء . إن كان قد بقي منه مسكة من عقل . الخامس أن ينشكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم النبط ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يعمل منك على العجز وصغر النفس والقلة واللهانة وتصر حقيراً في أمين الناس فقول لنفسه ما يحكيك تأتقين من الاحتمال الآن ولاتأتين من خزي يوم القيامة والانتفاض إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله ولللائكة والنبيين فمهما كظم النبط فينبغي أن يكظمه لله وذلك يحظمه عند الله فعالة للناس وذلك من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يجب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان فينبغي أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تسجي من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله وبوجهك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فإن تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الفسق (١)
 « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأُذنها وقال يا عويش قولي للبهودييني
 محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » فيستحب أن تقول ذلك فإن
 لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً وانطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها قلت
 لتعرف بذلك ذلك تفكك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب
 الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جمرَةٌ توقد في القلب » ثم اتروا
 إلى اتفانخ أو داجه وحرمة عينه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان
 جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتنوضاً بالماء البارد أو يتنقل فإن النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال
 صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتنوضاً بالماء قائماً الغضب من النار » وفي رواية إن
 الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتنوضاً
 وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت » وقال أبو هريرة
 « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب
 غضبه » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جمرَةٌ في قلب
 ابن آدم » ألا ترون إلى حرمة عينه واتفانخ أو داجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق يده
 بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتعميق أعز الأعضاء من أذل الواضع وهو التراب لتستريح
 به النفس الدل وتزاييل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وزوي أن عمر غضب يوماً عندما
 بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمداً استعملت
 على العين قال لي أبي أو ليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم
 عظم خاتمتها . وروي « أن أبا ذر قال لرجل بالإن الحراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله
 (١) حديث الأمر بالتعود بالله من الشيطان الرجيم عند التلظ متفق عليه من حديث سلمان بن صرد
 قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان أحدهما احمر وجهه واستغتمت أوداجه
 الحديث وفيه لوقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأُذنها
 وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليوم
 والليلة من حديثها وتقدم في الأدكار والله عوات (٣) حديث إن الغضب جمرَةٌ توقد في القلب الحديث
 الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذا اللفظ البيهقي في الشعب
 (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتنوضاً بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السلمي دون
 قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها الصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا
 غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن
 أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع
 فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحمد بإسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر
 قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا
 إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والرفع عند أبي داود
 وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جمرَةٌ في قلب ابن آدم
 الحديث الترمذي وقال حسن .

ابن وهب عن زيد
 ابن جباب عن أبي
 معاذ عن الزهري
 عن عروة عن عائشة
 رضى الله عنها قالت
 كان لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم خرقة ينشف
 بها أعضاء يمسد
 الوضوء . وروى معاذ
 ابن جبل قال رأيت
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إذا توضأ مسح
 وجهه بطرف ثوبه
 واستنصفه الصوفية في
 تطهير البواطن من
 الصفات الرديئة
 والأخلاق الذميمة
 لا الاستنماء في طهارة
 الظاهر إلى حد يخرج
 من حدة الملوثات وأمر
 رضى الله عنه من جرة
 نصرانية مع كون
 التصاريح لا يحترزون
 عن المحرر وأجرى الأمر

صلى الله عليه وسلم فقال يا بآذر بلغني أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقته الرجل فلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بآذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحرقها ولا أسود إلا أن تغضبه بعبد ثم قال إذا غضبت فإن كنت قائما فاقعد وإن كنت قاعدا فاستقم وإن كنت متكئا فاضطجع (١) وقال الضمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فيكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بسن غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست إله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بشكك بشا فكأن بسن غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فإذا فيها أخذ الناس بحق الله فانه لا يصلهم إلا ذلك أي لا تعطى الحدود . وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سييله .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض اللذ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كلف غضبه كلف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لمضاملا الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية - ملاء الله قلبه أمنا وإيماناً » (٣) وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة يظكظمها ابتغاء وجه الله تعالى » (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجبن بابا لا يدخله إلا من غنى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يا بآذر الجراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال يا بآذر ارفع رسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في الغفوف وم الغضب بإسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمة أعجمية فميرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بآذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولا حمد أنه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فإنك لست بغير من أحر ولا أسود إلا أن تغضبه بتقوى ورجاله ثقات.

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كلف غضبه كلف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس بإسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وواء الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشر الأول من رواية عبد الرحمن ابن مهران مرسلا بإسناد جيد وللإزار والطبراني في كلام الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم من كظمكم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان يختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملاء الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمنا وإيمانا بن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكن بن أبي سراج تسلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم (٥) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجرا من جرعة يظكظمها ابتغاء وجه الله بن ماجه.

على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الأرض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يعملون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الأوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على الساهل واستتاءم في الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون في بعض الأشخاص تشدد في الطهارة فيكون مستند ذلك رغبة النفس في امتنع ثوبه تخرج ولا يتألى بما في باطن من القل والحقد والكبر

فبظله بمصية الله تعالى (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غبط كظلمها عبد وما كظلمها عبد إلا ملا » الله قلبه لربنا (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويغريه من أي الحور شاء (٣) « الآثار : قال عمر رضي عنه من اتق الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يغل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما زون . وقال لقمان لابنه : يا بني لا تلعب ماء وجهك بالماء فأولتشف غيظك فبشيحك واعرف قدرك تنفك مبيتك . وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا ، واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة البر بوعى والتفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند غضب والصبر عند الجرح . وقال رجل لعمر رضي الله عنهما أفما تخشى بالعدل ولا تطغى الجزل غضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسع أن الله تعالى يقول - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكمذا كانت ناراً فأطشمت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الإيमान بالله إذا رضي لم يدخله رحمة الله الباطل وإذا غضب لم يخرج منه غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له . وجاء رجل إلى سلمان فقال يا عبد الله أوصني قال لا تغضب قال فإني غضبت فأمسك لسانك وبك .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحمل أي تكسب الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك معقار ذلك اعتيادا فلا يبيح الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للقتل ولكن ابتداء التحمل وكظم الغيظ تكسفا قال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحمل ومن تغير الخبر يحطه ومن تروق الشر يوقه » (*) وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحمل أولا وتكسفه كان اكتساب العلم طريقه التحمل. وقال أبو هريرة ر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطربوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبارة العلماء فيغلب جهلكم حكمكم » (*) وأشار بهذا إلى أن التسكينة والتعبر هو الذي يبيح الغضب ويمنع من الحلم واللين ، وكان من دعائه عليه السلام « اللهم اغنى بالمعلم وزي بالمعلم وأكرمني بالقوي وجملي بالنافع » (*) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ابتئز الرفة عند الله قالوا وما هي يارسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عن جمل عليك » (*)

(١) حديث ابن عباس إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شق غيظه بحسبة الله تقدم في آفات اللسان
(٢) حديث مامن جرة أحب إلى الله تعالى من جرة غلط كظلمها عبدا وما كظلمها عبدا لإملاؤه
قلبه وإسماعنا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف وبتلفيق من حديث ابن عمر وحديث
الضحاحي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفقه دعاه الله على
أمره من الخلاق حتى يخبره من أي الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

(فضيلة العلم)

(٤) حديث إسماعيل بن العلاء عن أبيه عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي بصير عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ شَرِبَ مِنْ مَاءٍ بِلَا حَقِّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوْبٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(٥) صحيح - بث في هريرة وأظلم أبو داود وأمع العلم بالسكنة والحلم الحديث ابن السني في رياضة المتعلمين

(٦) حديث كان من خطابه اللهم اغنى بالمال وزي بالحلم وأكرمى بالقوى وجملني بالعافية لم أجده

(٧) حدثنا أبو الرضا عند الله قالوا ما هي فقال نزل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والعجب والرياء والنفاق
ولمسه ينكر على
الشخص لو دس
الأرض قايما وجود
رخصة الشرع ولا
ينكره عليه أن ينكح
بكلغة غيبة غروب بها
دينه وكل ذلك من فلة
العلم وترك التأديب
بضمية الصادقين من
الماء الراسخين وكانوا
يكرون كثرة ذلك
في الاستبراء لأمر بما
يستريح العرق ولا
يمسك البول ويشول
منه القطر للفرط .
ومن حكايات للتصوفة
في الوضوء والطهارات
أن أبا عمر وأل جابي
جاور بمكة ثلاثين سنة
وكان لا يخطو في الحرم
ويخرج إلى العل وأفل
ذلك فرسخ . وقيل
كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم «خس من سئل الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطير» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه يكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته» (٢) وقال أبو هريرة «إن رجلا قال لرسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان كانوا فلكناهم تسفهم لل ولأبرال معك من الله طهر مادمت على ذلك» (٣) قال يميني به الرمل وقال رجل من المسلمين «اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبغى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ «إني قد غفرت له» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «أعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظفني» (٥) وقيل في قوله تعالى - زبانية - أي حياء علماء عن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - قال علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح - يشنون على الأرض هوتا - أي حياء وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكلا - قال السكلم انتهى الحلم. وقال مجاهد - وإذا سمروا بالنوم وكرما أي إذا أودوا صفحوا. وروى «أن ابن مسعود مر بلفوم مرصفا في الدرسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما» (٦) ثم تلا إبراهيم بن مسيرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا يدركني ولا أدرك زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم قلوبهم قلوب المعجم والستهم ألسنة العرب» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «لبينى منكم ذوو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تغفلوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيات الأسواق» (٨) وروى «أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم والأصح فأتاه راحلته ثم عقها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العية ثوبين - حين قلبهما ذلك بين

(١) حديث حسن من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتطير أبو بكر بن أبي عاصم في الثنائي والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية ملبح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده والترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث على بن أبي هريرة إن رجلا قال لرسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٣) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبغى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسنادين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أنه أباضضم قلت وليس بأبي ضمضم إنما هو علي بن زيد وأبو ضمضم ليس له حجة وإنما هو مقدم (٤) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم الحديث تقدم في آفات اللسان (٥) حديث إن ابن مسعود مر بلفوم مرصفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصفة (٦) حديث اللهم لا يدركني ولا أدرك زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضيف (٧) حديث لبينى منكم ذوو الأحلام والنهى الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تغفلوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

فروح لم يسدبل انتهى عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجعبد الوضوء عند كل فريضة وبضمهم نزل في عينة للماء فغفلوا إليه الداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليدأويه فقال الداوى يحتاج إلى ترك الوضوء فأباما ويكون مستلقيا على قدام فلم يفعل ذلك واختار فذهب بصره على ترك الوضوء .

[الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها]

روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك بأشجع خلقين مجيئهما الله ورسوله قال ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة قال خلتان تخلفتهما أو خلفان جبلت عليهما قال بل خلتان جبلت الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين مجيئهما الله ورسوله ^(١) وقال ^(٢) «إن الله يحب الحليم الهلبي الذي يتصف بأبواب النفاق» ويضئ الفاحش الذي السائل للتحف التي ^(٣) وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منها فلا تندوا بشيء من عمله تخوى تحجزة عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به الشبه وخلق يبيش به في الناس ^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم الناس وهم يسرون فيقولون سرنا إلى الجنة فتقام لللائكة فيقولون لهم إننا نراكم سرنا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظفنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجبر العالمين ^(٥) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم البكيت والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علك ويكظم حلمك وأن لا يباهي الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صفي دعاية العقل الحلم وجماع الأمور الصبر . وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لاشوك فيه فأصبخوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم قدوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تعرضهم عن عرشك يوم قترك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عاوض الحليم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرئي حق غلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية للمعروني الأهم أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا ففخر الله لك وإن كنت صادقا ففخر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة ظلم على فاستعبدني بها زمنا . وقال معاوية لعروة بن أسبم سدت قومك بإعراة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسنى في حوائجهم فمن فعل فعل فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتفضها ففسك الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لمعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سب رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمره بالثبوت فلم يردم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم والإحسان الذي يغلب الرجل محاميد من الله عز وجل وحمله على التسامح والتوبة

(١) حديث بأشجع إن فيك خصلتين مجيئهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منها فلا تندوا بشيء من عمله تخوى تحجزة عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به الشبه وخلق يبيش به في الناس (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم الناس وهم يسرون فيقولون سرنا إلى الجنة فتقام لللائكة فيقولون لهم إننا نراكم سرنا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظفنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجبر العالمين (٤) . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم البكيت والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علك ويكظم حلمك وأن لا يباهي الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صفي دعاية العقل الحلم وجماع الأمور الصبر . وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لاشوك فيه فأصبخوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم قدوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تعرضهم عن عرشك يوم قترك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عاوض الحليم من خلقه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرئي حق غلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية للمعروني الأهم أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا ففخر الله لك وإن كنت صادقا ففخر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة ظلم على فاستعبدني بها زمنا . وقال معاوية لعروة بن أسبم سدت قومك بإعراة قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسنى في حوائجهم فمن فعل فعل فهو مثلي ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتفضها ففسك الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لمعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سب رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمره بالثبوت فلم يردم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم والإحسان الذي يغلب الرجل محاميد من الله عز وجل وحمله على التسامح والتوبة

ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب جر قال لها تسكمني قنات - قد أطلع للؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للصالحين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل لأدرك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» اشتقاق الصلاة قيل من الصل وهو التار والحشية الموجة إذا أرادوا توجها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود قسه الأمانة بالسوء وسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرفت من أدركته بسبب بها

ودرجوعه إلى مدح بعد القم اشترى جميع ذلك شيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإن أريد أن أتركه فأخشي أن يقال لي إن تركه له ذلك فنادى جعفر إنما الدليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أسماء فأحسن إليه قد جمل له حاجز من قلبه برده عن مثل إسماعيل وقال الأحنف بن قيس كنت جليماً ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم برحمهم وصمت يسم ومن يجهل يثلب ومن يسجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلّم ومن لا يدع للراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن عفى الله يأمن ومن يتول الله ينجح ومن لا يسأل الله يفتر ومن يأمن نكر الله يخلد ومن يستن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من قسي إن إذا فعلت ذلك أهديتك حسني . وقال بعض العلماء العلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى بموقال رجل لبعض الحكماء والله لأستبكتك بما يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي وصم السليح ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيراً قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيراً فقال كل ينفع مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند الضرب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ لا عند الحاجة إليه. ودخل علي بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاماً فغرقت امرأة الحكميم وكانت شيخ الخلق فرضت للسائدة وأقبلت علي شتم الحكميم فخرج الصديق مضياً فبصحه الحكميم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطمع فستقط دجاجة علي للسائدة فأفسدت ما عليها فلم يضرب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكميم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يضرب قيل له في ذلك فقال أقم مقام جبر تمترت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق:

سأزوم قسي الصنع عن بكل مذنب وإن سكثرت منه علي الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل معاوم
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت هن إجابته عرضي وإن لأم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا فغضت إن الفضل العلم حاكم

(بيان التقدم الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من غرض فلا يجوز مقابلة بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص والقرامة علي قدر ما ورد الشرع به وقد فضلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن امرؤ شتمك بما فيك فلا تعبره بما فيك» (١) وقال «للسب أن ما قاله فهو علي البادي ما لم يجد الظالم» وقال «للسب أن شيطانان يتهاوران» (٢) «وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتصرعه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكناً لما شتمني فلما تكلمت قلت قال لأن الملك كان يجب عليك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان» (٣)

(١) حديث إن امرؤ شتمك بما فيك فلا تعبره بما فيك أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث للسب أن شيطانان يتهاوران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ يتصرعه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلاً ومرسلاً قال البخاري للرسول أصبح .

الصل من ومع
السلوة الإلمية
والعظة الربانية
ما يزول به اعوجاجه
بل يشقق به اعوجاجه
فالصل كالصلى بالنار
ومن اصطلى بنار الصلاة
وزال بها اعوجاجه
لا يمرض علي خارجهم
إلا نعمة القسم . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أحمد بن إسماعيل
القزويني إجازة قال أنا
أبو سعيد محمد بن أبي
العباس بن محمد بن أبي
العباس الخليلي قال أنا
أبو سعيد الفريزاني
قال أنا أبو إسحاق أحمد
ابن محمد قال أنا
أبو القاسم الحسن بن
محمد بن الحسن قال أنا
أبو زكريا يحيى بن محمد
الغبري قال أنا جعفر
ابن أحمد بن العافظ

وقال قوم يجوز للقبالة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التشير بمثله
 نهى تنزيهه والأفضل تركه ولكنه لا يصبى به والذي برخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلا من
 بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى
 أمية ومثل قوله بالحق قال مطرف كل الناس أحق قبا بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حفاة
 من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حقي في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
 بأجاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله بإسحق الحاق بإصفيق الوجه
 بالطلا لأعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحقرتك في عيني بما
 فعلت وأخزأك الله وأنتم سلك . فأما النجعة والنجية والكذب وسب الوالدین حرام بالاتفاق لما روى
 أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد له إن ما بيننا لم يبلغ
 ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقول والدليل على جواز ما ليس
 بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في
 ابنة أبي قحافة والتي صلى الله عليه وسلم تأثم فقال يا بنية أعينين ما أحب قالت نعم قال فحي هذه فرجعت
 إليهن فأخبرتهن بذلك قلن ما أغيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسميني
 في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر لما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني قال النبي صلى الله عليه
 وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) . يعني أنك لا تقاومينها في الكلام فطوقوها سيبتها ليس الراد به الفحش
 بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم «السببان ما قالوا فضل
 الياضي منها حتى يتدى الظلوم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يتدى فهذا القدر هو الذي أباحه
 هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا بعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
 تركه فإنه يجره إلى ماوراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيموال السكوت عن أصل الجواب لله أسير
 من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدح على ضبط نفسه
 في فورة الغضب ولكن يمود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يهتدي على الدوام والناس
 في الغضب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوفود سريع المحود وبعضهم كالنصابي الوقود بطي المحود
 وهذا هو بطي الوقود سريع المحود وهو الأحمق ما يمتد إلى تنوير الحجة والقيمة وبعضهم سريع الوقود
 بطي المحود وهذا هو شرهم وفي الخبر «الؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذا بذلك (٤)» وقال
 الشافعي رحمه الله من استخضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال
 أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات حتى
 فتم بطي الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى فتم بذلك ومنهم سريع
 الغضب بطي الرضى ألا وإن خيرهم البطي الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطي الرضى (٥)»

قال أنا أحمد بن نصر
 قال ثنا آدم بن أبي
 إياس عن ابن مسعود
 عن الصلاء بن
 عبد الرحمن عن أبيه
 عن أبي هريرة رضي
 الله عنه أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال يقول
 الله عز وجل فسمت
 الصلاة بيني وبين
 عبدي نصيبين فإذا قال
 العبد بسم الله الرحمن
 الرحيم قال الله عز وجل
 محبتي عبدي فإذا
 قال الحمد لله رب العالمين
 قال الله تعالى محبتي
 عبدي فإذا قال
 الرحمن الرحيم قال الله
 تعالى آتني على عبدي
 فإذا قال مالك يوم
 الدين قال فوض إلى
 عبدي فإذا قال إياك
 نعبد وإياك نستعين
 قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حقي في ذات الله تعالى
- (٢) حديث عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني أزواجك يسألك العدل في ابنة أبي قحافة فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في ابنة أبي بكر وبنت أبي بكر لما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني قال النبي صلى الله عليه وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) . يعني أنك لا تقاومينها في الكلام فطوقوها سيبتها ليس الراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم «السببان ما قالوا فضل الياضي منها حتى يتدى الظلوم (٣) » فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يتدى فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا بعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل تركه فإنه يجره إلى ماوراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيموال السكوت عن أصل الجواب لله أسير من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدح على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يمود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يهتدي على الدوام والناس في الغضب أربعة فبعضهم كالخلفاء سريع الوفود سريع المحود وبعضهم كالنصابي الوقود بطي المحود وهذا هو بطي الوقود سريع المحود وهو الأحمق ما يمتد إلى تنوير الحجة والقيمة وبعضهم سريع الوقود بطي المحود وهذا هو شرهم وفي الخبر «الؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذا بذلك (٤)» وقال الشافعي رحمه الله من استخضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات حتى فتم بطي الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى فتم بذلك ومنهم سريع الغضب بطي الرضى ألا وإن خيرهم البطي الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطي الرضى (٥)»
- (٣) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات حتى فتم بطي الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى فتم بذلك ومنهم سريع الغضب بطي الرضى ألا وإن خيرهم البطي الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطي الرضى (٥)»

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يماقب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يبدى الواجب ولأنه ربما يكون متخطيا عليه فيكون متشتتا لتيظه ومرمحا نفسه من ألم التبط فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويضربه فشمته السكران فرجم عمر قبيل له بأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرتك لكان ذلك لنفسي لنفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حبة لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لعاقبتك .

(القول في معنى الحقد وتأثيره وفضيلة النفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لم كظمه لميجز عن الشقي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقا ومعنى الحقد أن يثلم قلبه استتقاله والبغضاء له والنفاق عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم «لأؤمن ليس بمحقد» (١) فالحقد ثمرة الغضب والحقد بشرع ثمانية أمور: الأول الحسد وهو أن يحسدك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتمنى نعمة إن أصابها وتسر بحسنة إن زلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشتم بما أصابه من البلاد . الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استغفاره . الخامس أن تسلك فيه بما لا يحل من كذب وغية وإفساد وهرتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنه حقه من قضاء دين أو صلح رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الخسائية للذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما يمسى الله به ولكن تستقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمنع عما كنت تقطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمبالاة معه على ذكر الله تعالى والعناية على اللغة له أو برك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويعول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يبرئك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينطق على مسطح وكان نفيه لكونه تكبرا وإفعلا لأنك نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال للذين فللمحقد ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفى حقه الذي يستحقه من غير زيادة وقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالنفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو احتياح الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحقا فيسقطه ويرى عمن قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث لأؤمن ليس بمحقد تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينطق على مسطح نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

التيظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ الصلوة وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقال الله تعالى - وأن تمسوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلالاً لحلفت عليهن مائة من مال من صدقة تصدقوا ولا عفا رجل عن مظلة بيتنى بها وجه الله لإزاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا نتج رجل على نفسه باب مسألة إلا نتج الله عليه باب فقر (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لازيد البعد لإراضة قواضوا برهكم الله والعلو لازيد البعد لإعزاز فاعفوا بمنكم الله والصدقة لازيد اللال لإكثرة تصدقوا برحمتكم الله (٢) » وقالت عائشة رضى الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظله قط مالم يتهكم من محرم الله فإذا انتهك من محرم الله شيء كان أشد من ذلك غضباً وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثمًا (٣) » وقال عقبه « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فابتدرته فأخذت يده أو بدرى فأخذ يدي فقال : يا عقبية ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرملك وتمسح عن ظمك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا (٥) » وكذلك مثل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذى يصفو إذا قدر فاعفوا بمنكم الله « وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذه بظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن الظلمة بين هم للفلاحون يوم القيامة (٦) » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر اللوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بفسحكم عن بعض (٧) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها التيسان قال الله تعالى - لا تحموا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قال ولا يعلم ما يقول كيف صلى وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الذى لا يحضور عقل والتأمل صلى لا يحضور عقل فهو كالسكران وقيل فى غرائب التفسير فى قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى - قيل نعليك همك بإمرائك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر فى الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفضون أبحارهم إلى السماء فى الصلاة وينظرون بينا وشالا فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذى نفسى بيده إن كنت حلالاً لحلفت عليهن مائة من صدقة من مال الحديث الترمذى من حديث أبي كبشة الأنمارى ومسلم وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لازيد البعد لإراضة قواضوا برهكم الله الأصمغاني فى التريغ والترهيب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلة ظله قط الحديث الترمذى فى الشهاب وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبية بن عامر يا عقبية ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرملك والطبرانى فى معارج الأئمة فى الحديث الترمذى فى الشهاب وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أي عبادك أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا الحارثى فى معارج الأئمة من حديث أبي هريرة وفيه ابن أبي شيبة (٦) حديث إن الظلمة بين هم للفلاحون يوم القيامة وفى أوله قصة ابن أبي الدنيا فى كتاب الغفر من رواية أبي صالح الحنفى مسنداً (٧) حديث أنس إذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر اللوحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بفسحكم عن بعض أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم القرطبى فى كتاب البصيرة والذكر بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان فى قلبكم فقد وهبه لكم وبقيت التبعات فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي وإسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ ينادى مناد يا أهل الجمع تارحكوا الظالم بينكم وثوابكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوحيد ليوم بفسحكم عن بعض وعلى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب قال ما تقولون وما تقولون قالوا قولنا نحن قالوا ذلك فلما قال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تثرب عليكم اليوم بغير الله لكم وهو أرحم الراحمين ^(١) قالوا فخرجوا كأنما ضربوا من القبور فدخلوا في الإسلام . وعن سويل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا بشر قريش ما تقولون وما تقولون ؟ قال قلت يا رسول الله تقول خيرا ونظن خيرا أمع كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أنى يوسف - لا تثرب عليكم اليوم بغير الله لكم - ^(٢) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجركم على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي على الله أجر ؟ قال المأفون من الناس فيقوم كذا وكذا أيما فدخلونها بغير حساب ^(٣) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى عهد إلا أقامه والله عز وجل عبثا ثم قرأ - وليفروا وليمنحوا - الآية ^(٤) وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من المحور العين حيث شاء من أذى ديننا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مررات وغواهن فأنه قال أبو بكر وأحداهن يا رسول الله قال أو إحدىهن ^(٥) . الأثر : قال إبراهيم التيمي إن الرجل ليلظن فأرحمه وهذا إحسان وراءه الفؤ لأنه يشتغل قلبه بترحمه لمصية الله تعالى بالظلم وأنه يطلب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتصف عبدا فيض له من يظله ويدخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيسأل يشكو إليه رجلا ظلمه وضع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظنتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصمتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت ندعو من على ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمت فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسلكا عفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظلمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعاك عليه إلا أن يتداركك بعمل ولكن أن لا يعمل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقيم فيقوم أهل الفؤ فيكافئهم الله بما كان من عفوم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن النضر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فضا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فضا به وقال :

نحو للولك عن المظلمين من الذنوب فضلا
وقد تهاق في اليسير وليس ذاك لجهلها

(١) حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزي في الوفاء من طريق أبي الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجركم على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي على الله أجر ؟ قال المأفون عن الناس الحديث الطبري في معارج الأخلاق وفيه الفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينبغي لوالى أمر أن يؤتى عهد إلا أقامه والله عز وجل عبثا ثم قرأ - وليفروا وليمنحوا - الآية (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء والحدوث الحديث الطبري في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف .

- الدين في صلاحهم
خالصون - جنوا
وجوههم حيث
يسجدون وما روي بهد
ذلك أحد منهم
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« إن البعد إذا قلم إلى
الصلاة فانه بين يدي
الرحمن فإذا انتفت قال
له الرب إلى من تخلصت
إلى من هو خير لك منى
ابن آدم أقبل إلى فانا
خير لك ممن تخلصت
إليه » وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يبت بليته في
الصلاة فقال لو خضع
قلب هذا خضعت
جوارحه » وقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا ملئت

إلا يعترف حلها وغاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال: فكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله قتل رجل من السليين وأنا حاضر فقات أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن قال وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا قال والله لقد سمعته من الحسن قتل والله لسمعته منه قال خابنا عنه. وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتياط حتى تمسككم الفرسة فإذا أمكنكم فليكنم بالصفح والإيفال. وروى أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك قال للراهب أرايت ذا القرنين؟ كان نبيا؟ فقال لا ولكن إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لعد. وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا. وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بين الحقد والغضب. وأتى هشام رجل بلفه عن أمر فلما أقبل بين يديه جعل يشكك بحجته فقال له هشام وتسلم أيضا؟ قال الرجل يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفتجادل الله تعالى ولا تسلمك بين يديك كلاما. قال هشام بلى وحكم تسلم. وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بسفين قبيح له أقطعه مائة من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة. وجلس ابن مسعود في السوق يتابع طعاما فابتاع ثم طلب الدرهم وكانت في عمامته فوجدتها قد حلت فقال لقد جلست وإني لم أجد في جيبها. يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم اقل به كذا قال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جرامة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه. وقال الفضيل ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إلى في السجدة الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنائير كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدنيا نير تبكي؟ فقال لا ولكن مثنائتي وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجة فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فبا كناسع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من يعمهم بإياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا أخاهم وأحزوا أباهم وذكر مالفى من كيد النساء ومن العجس ثم قال يا أيها الأمير ماذا صنع الله به آداله منهم ورفع ذكره وأعلى كفته وجعله على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكل له أمره وجمع له أهله - قال لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - مرض للحكم بالغو عن أصحابه قال الحكم فأنأ أقول لا تشرب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبي هذا لو أريتكم نعمته وكتب ابن القنقع إلى صديق له يسأله الغو عن بعض إخوانه فلان هارب من زله إلى غفوك لا تزد منك بك. واعلم أنه لن يزداد الذنب عظما إلا ازداد الغو فضلا. وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ماغب من الظفر فأعط الله ماغب من الغو صفا عنهم. وروى أن زيادا أخذ رجلا من الحوارج فألقته منه فأخذ أخا له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرايت إن جئت بك بكتاب من أمير المؤمنين نخل سبيل قال نعم قال فأنأ أتيتك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهد من إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يقبأ بما في صعب موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزروا الزرقوز راخرى - فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد هين حجه. وقيل مكتوب في الإعجل من اسمع من ظله قد هزم الشيطان.

فصل صلاة مودع
فالصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودينه وكل شيء سواه والصلاة في اللغة هي الدعاء فكان الصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعوها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والقلب والهيئات في غلقات يتضرع سائل محتاج فإذا دعا بقلبه أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادعوني استجب لكم - كان خالد الراسي يقول عجبت لهذه الآية - ادعوني استجب لكم - سأمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة

(فضيلة الرقي)

اعلم أن الرقي محمود ويضاد العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرقي واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سبب شد الحزم واستيلاء بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من الثبات فالرقي في الأمور مخمزة لا يشرها إلا حسن الخلق ولا يمن الخلق إلا بسبب قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرقي وبالغ فيه فقال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرقي قد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»^(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله لمعطى على الرقي ما لا يعطى على الحرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرقي وما من أهل بيت يحرمون الرقي إلا حرموا محبة الله تعالى»^(٣) وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رفيق يحب الرقي ويسطى عليه ما لا يعطى على العنف»^(٤) وقال عليه السلام «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دهم على باب الرقي»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من حرم الرقي حرم الخير كله»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أبسا والى فرقي ولان رقي الله إلى يوم القيامة»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل حين لين سهل قريب»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بمن والحرق شؤم»^(٩) وقال عليه السلام «التأني من الله المعجزة من الشيطان»^(١٠) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمراً قدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمنه وإن كان بسوء ذلك فاته»^(١١)

(فضيلة الرقي)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرقي قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والقبلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر الليثي وضعفه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرقي في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرقي أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله لمعطى على الرقي ما لا يعطى على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بن سناد ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرقي الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة أرفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دهم على باب الرقي أحمد من حديث عائشة وفيما انقطاع ولأن داود يا عائشة أرفقي (٦) حديث من يحرم الرقي يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير بن سناد قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أبسا والى فلان ورفقي رفق الله بيوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن لى من أمر أمي شيئا فرفقي بهم فالرقي به (٨) حديث تدرون على من تحرم النار على كل حين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في آداب المحبة (٩) حديث الرقي بمن والحرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلامها ضعيف (١٠) حديث التأني من الله والمعجزة من الشيطان أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد لم يلق الأمانة من الشوق قد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحمد لله وفيه فإذا أردت أمراً قدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمنه الحديث ابن المبارك في الزهد والرفق من حديث أبي جعفر

هي قود دعاء البعد
فان الداعي الصادق
العالم بمن يدعو بنور
بفيه تخرق المحجب
وتقف الدعوة بين
بدي الله تعالى متضامنة
للحاجة وخسر الله
تعالى هذه الأمانة
فاتحة الكتاب وفيها
تقديم الشاء على الدعاء
ليكون أسرع إلى
الاجابة وهي تعليم الله
تعالى عباده كيفية
الدعاء وفاتحة الكتاب
هي السبع والثاني
والقرآن العظيم قبل
سميت مثاني لأنها زلت
على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرتين مرة
بمكة ومرة بالمدينة
وكان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
بكل مرة زلت منها فهم
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فقبلت تصرفه بينا وهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه » (١) . الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عمله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالتيب والمعاونة على الخير ، أيها الرعاة إن فريضة عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية من هودونه . وقال وهب بن منبه الرفق شيء الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للمؤمن والحلم وزير للعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده » (٢) . وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينة العلم وما أحسن العلم بزينة العمل وما أحسن العمل بزينة الرفق وما أضيق شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله : ما الرفق ؟ قال أن تكون ذا أنف فلا تبين الولاة . قال فما الخرق ؟ قال معاداة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا بل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعها والسب في موضعها والوسط في موضعها ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج العظيمة باللين والقطاظة بالرفق كما قيل :

وضع التدي في موضع السيف بالهلا مضر كوضع السيف في موضع التدي

فالمحمود وسط بين العنف واللين كافي سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة تأميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فذلك كثرة الشراء الشرع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في عمله حسنا كما أن الرفق في عمله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فتدو الق الحق الموهى وهو ألد من الزبد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التهم في الخبر زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الحجاب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أوكاد أن يكون مصيبا وإن العجل خطيئ أوكاد أن يكون مضطوا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفه التجارب لا يدرك العلم ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها . وقال أبو حمزة السكوني لا تتخذ من الحدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا وأعلم أنهم لا يبطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كطاطب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تنفع ولكن على التدور وإنما السكالم من غير واقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن التجحجج معه في الأكثر .

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على التمداد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا الصلوات المهفتون من أمته ينكشف لهم مجائب أسرارها وتنفذ لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مائة لأنها استثبتت من الرسل وهي سبع آيات وروى ثم رومان قالت رآني أبو بكر وأنا أتأمل في الصلاة فزجرت زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليكن أطرافه لا يشتمل على اليد وفان تكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

هو السمي عبدالله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فقدر عاقبه وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه (٢) حديث العلم خليل للمؤمن والحلم وزير للعقل دليله والعمل قائمه والرفق والدهم أبو الشيبخ في كتاب الثواب فضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القاضي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء في هريرة وكلامه ضعيف .

(القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج القصب فهو فرع فرعه والقصب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع القديمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه ونمراته « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تبدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار بنفض لحيتين وضوئه قد علق نعليه في يده الثمال فلم فلما كان القد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لأحيت أبي فأقسمت أن لأدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فقلت فقال نعم فأتته ثلاث ليل فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا اغلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يتم حتى يقوم لصلاة العج قال غير أبي ما سمعته يقول إلا خيرا فقامت الثلاث وكردت أن أحضر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا مارأيت فلما وليت دعائي فقال ماهو إلا مارأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطبق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجونهن أحد الظن والبغضاء والحسد وسأحدثكم بالخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحققي وإذا تطيرت فامضي وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهم أحد قتل من ينجو منهم » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب اليك داء الأم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الخالفة لأقول خالقة الشر ولكن خالقة الدين والله نفس محمد يده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما ببث ذلك لكم أفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تبدابروا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه الألبان وصححه الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لميعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهم أحد الظن والظن والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهم ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفهما الجمهور والرواية الثانية يرواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف ولطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب اليك داء الأم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع النفاق قبل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب » أما عبد اليهود قبل كان موسى يامل بن إسرائيل على ظاهر الأمور لفة ماني باطنهم فكان يهي الأمور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن بحى التوراة بالقصب ، ووقع لي والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال متاجانه فيروج به باطنه كبحر ما كن نهب عليه الريح تتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نجات

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يغلب القدر » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم » إنه يصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتعاسد حتى يكون البني ثم المهرج » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم » لا تظهر الثمالة بأخيك فيما فيه الله ينيلك » (٣) « وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش جلا فلقطه بمكانه فقال إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يعسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يبق والده به ولا يمشي بالنيمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمى متسخط تقضاني غير راض بقسمي التي قسمت بين عبادي . وقال صلى الله عليه وسلم » أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم للسالك فيتعاسدون ويقتلون » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم » استنبوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم » إن لكم الله أعداء قبل ومن ثم فقال الدين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم » بنته يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجوهر والعرب بالصبيحة واليهود بالثكبر والتجار بالحيانة وأهل الرستاق بالجيلة والمسلماء بالحد » (٧) « الآثار : قال بعض السلف أول خطبة كانت هي الحمد حمد إبليس آدم عليه السلام على ربه تعالى أن يسجد له فغلبه الحسد على الصبيحة . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الهلب وكان يومئذ على واسط فقال لي أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إياك والسكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا فلتأمنوا بالسكتة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والحرص فإنه أخرجه آدم من الجنة أنكره الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهى الله عنها فأكل منها فأخرجته الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد فإنه أقتل » (٨)

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يغلب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس وبزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر يلفظ كادت الحاجة أن تسكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه يصيب أمتي داء الأمم فليكن قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثمالة بأخيك فيما فيه الله وينيلك الترمذي من حديث وثالة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا في ربه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم السالك فيتعاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحمد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت جله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد إن محمدا أخاف عليكم من عدى ما فتح عليكم من دهر الدنيا وزينتها ولها من حديث عمرو بن عوف البصري والله ما الفقر أختى عليكم ولكي أختى أن تسلط عليكم الدنيا الحديث ولهم من حديث عبد الله بن عمرو وإداهت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتعاسدون ثم يتداربون الحديث وأحمدوا الزار من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استنبوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث إن لكم الله أعداء قبل ومن أولئك قال الدين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل الم حسادا فأخذروم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجوهر الحديث وفيه والمسلماء بالحد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية قهرا بالاستعلاء وللقلب بها تشبك وانزعاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فيها يلا من غير حظ لبواطم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الوسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاها » واعلم أن الله تعالى

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأتل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فأسكت وإذا ذكرت النجوم فأسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يمشي بطن للوك فيقوم بمخاء لللك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن للسى سيكفك إساءته لحسده رجل على ذلك للقام والكلام فسمى به إلى اللك فقال إن هذا الذي يقوم بمخاءك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال له اللك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نامك وضع يده على أفه ثلاثين ربح البخر فقال له انصرف حتى أنظر غفرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطمعه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بمخاء لللك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فإن للسى سيكفك إساءته فقال له الملك أدن مني فدنا منه فوضع يده على فيه عفاة أن يشم لللك منه رغبة الثوم فقال لللك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان لللك لا يكتب غظه إلا بجائزة أوصله فكتب له كتابا غظه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فأذبه واسلخه واحش جلده تبنا وابش به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سمى به فقال ما هذا الكتاب قال خط اللك لي بصلة فقال به لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فأنه الله في أمري حتى تراجع اللك فقال ليس لكتاب اللك مراجعة فذبحه واسلخه وحشا جلده تبنا وابش به ثم عاد الرجل إلى اللك كعادته وقال مثل قوله فصجب لللك وقال ماض الكتاب فقال لثني فلان فاستوجه مني فوجهه له قال له الملك إنه ذكر لي أنك زعم أني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضمت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى للسى إساءته. وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة إلى الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بن يقوب نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضره ما لم تعد به بدا ولا لسانا. وقال أبو الدرداء ما أكثر عبيد ذكر الموت إلا قل فرحوا قل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولقد لك قبل :

كل العداوات قد ترجى إيمانها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يليق. وقال أعراي ما رأيت ظالما أشبه عظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك تقمة عليه. وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لك امرأته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار. وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المبالى إلا منة وذلا ولا ينال من الثلاثكة إلا لعة وبضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الوقف إلا فضيحة ونكالا.

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراحبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أتم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان : أحدهما أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حدة كراهة النعمة فوجب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثله وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم للنافسة وقد تسمى للنافسة حسدا والحسد منافسة ووضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حبر في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يبط

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الخمس
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد
كفر » وبالصلاة تحقيق
العبودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائل إلى
تحقيق سر الصلاة .
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتكامل
القرائن ويحتاج إلى
النوافل لتكامل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتكامل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والذي ذكره
سهل هو معنى ما قال
عمر على النسيب إن
الرجل ليشيب عارضاه
في الإسلام وما أكل
قد صلاة قبل وكيف

والنافق محمد ^(١) ، فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فانيرو أو كافر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات الدين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراحتك لها وعجتك لرواها فانك لا تحب زواها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فسادهم بضعك بنعمته وبدل على تحريم الحسد الأخبار التي قلناها وأن هذه الكراهة تسقط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عنده فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراحتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسك حسنة تؤم وإن تصب كسيرة فيرحوها - وهذا القرح شامة والحسد والشهامة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن جميع زوال نعمة الإيمان حسد وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فكفروا نكثون وسواؤك كراهة تعالى حسداً أخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبنائنا ونحن عصبه إن أبنا لفي ضلال مبين - اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أيكم - قلوا كرهوا أحب أيهم له وسأهم ذلك وأحبوا زواله عنه فقبضوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يضيق صدورهم به ولا يفتنون فأنشئ عليهم بدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يحدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أوتوا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - سوما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتأنقوا بالعلم فتحاسدوا واختلقوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله وبالكتاب الذي نزله إلا ما نصرتنا ^(٢) . فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما آتاهم الله بغياً - أى حسداً . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاءني وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة ^(٣) فهذا حكم الحسد في التحريم . وأما النافقة فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافقة والثالثة بدل الحسد

ذلك قال لا يمتدحونها وتواضعا وإقباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار « إن المبدأ قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت لللائكة من لدن منكيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلى ليقتر عليه البر من غنان الجاه إلى مفرق رأسه ويناديه منادو علم للمصلي من يناجي ما التفت أو ما اعتدل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات فلهما لائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرفسون من

(١) حديث المؤمن يخطب والنافق يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساك بالنبي الذي وعدتنا أن يرسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاءني وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمى ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن إسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فقد ذكره نحوه وهو منقطع أيضاً

ذلك ثم بن الناس لما أراد هو والفضل أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرها على الصدقة قال لم^١ حين قال لها لاذهبا إليه فانه لا يؤمر كما عليها قتالا له ما هنالك إلا نفاة والله لقد زوجك ابنة لما نسنا ذلك عليك^(٢) أي هذا منك حسد وما حسدك على تزويجه إليك فاطمة والثانفة في اللغة مشتقة من النفاة والذي يدل على إباحة الثانفة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مفر من ربكم - وإباحة السابقة عند خوف الموت وهو كالبدن يتسابقان إلى خدمة مولاها إذ يجزع بكل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولا بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ولا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلّم الناس^(٣) ثم فسّر ذلك في حديث أبي بكشة الأنصاري قال « مثل هذه الأمت مثل أربغر جل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلومه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بثل عمله فمعا في الأجر سواء » وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال « ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتفقه في مثل ما أتفقه فيه من المعاصي فمعا في الوزر سواء^(٤) » فقدمه دخول الله صلى الله عليه وسلم من جهة غيبه للصبي لامن جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا أخرج على من يشط غيره في نعمة وبشئ نفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه للثانفة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمحبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالغنى الأموال في السكرام والصدقات فالثانفة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يقدم بها على وجه مباح فالثانفة فيها مباحة فكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق في به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للتم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخليفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه وبحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه وتقصانها في الباحات ، نعم ذلك ينقص من التفاضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن القامات الرفيعة ولكنه لا يوجب الصيان. وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أبس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه وتقصانها فلا محالة يحب زوال النقصان وإحباط زوال نقصانها إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها إذ يزولها يزول تخلفه وتقصان غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان يحب لو أنق الأمر إليه ورد

(١) حديث قال ثم بن الناس لما أراد هو والفضل أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرها على الصدقة قال لم^١ الحديث هكذا وقع للمصنف أنه ثم والفضل وإحما هو الفضل والطلب ابن ربيعة كما رواه مسلم من حديث للطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب قتالا والله لو بشنا هذين القلابين قال لي والفضل بن عباس اتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما فذكر الحديث (٢) حديث لاحسد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث أبي بكشة مثل هذه الأمت مثل أربغر جل آتاه الله مالا وعلما (٤) حديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والتمود والبدن لليقظ ينصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينشئ للمصل أن يعكث في ركوعه مثلهذا بالركوع غير مهم بالرفع منه فإن طرقة سامة بحكم الهيئة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة وينطلق أن يلقو الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة ورمعا يترأى للراكم الحق أنه إن سبق منه في حال الركوع أو السجود إلى

إلى اختياره لشيء في إزالة النعمة عنه فهو حسد حسا مضموما وإن كان تدفعه التقوى عن إزالة ذلك فيضي عما يجدد في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بقوله ولله المثلن بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يفتك للؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة (١) ثم قال : وله منهن مخرج إذا حدث فلا تبغ ، أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تصل به وبمبدأ يكون الإنسان مرهبا للحاق بأخيه في النعمة فيمجز عنها ثم يفتك عن ميل إلى زوال النعمة لإيجد لهالة ترجيحها على دوامها فهذا الحسد من التنافس يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من إنسان إلا هو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد يجر ذلك إلى الحسد المخطور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان محرر خوف التفاوت وظهور قصصه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للتموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لا يقدّر هو أن يرتقي إلى مساواته بذراة النعمة وذلك لارخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن معنى في ذلك ما يصل به إن شاء الله تعالى وتكون كرامته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه . وأما ما اجتهد أربع : الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينقل إليه وهذا غاية الحب . الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لاتتم غيره بها . الثالثة : أن لا يشبه عينا لنفسه بل يشبه مثلها فان عجز عن مثلها أحببها والمسا لا يظهر التفاوت بينهما . الرابعة : أن يشبه نفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو اللغو عنه إن كان في الدنيا والتدوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة الأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه يجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بكم على بعض خلقه لئلا يفتك ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم .

(بيان أسباب الحسد والتنافس)

أما التنافس فسيبها حب ما فيه التنافس فان كان ذلك أمرا ينافي فيه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسيبها حب مباحات الدنيا والتعتم فيها وإنما نظرنا الآن إلى الحسد للتموم ومداخلة كثيرة جدا ولكن يحصر حملتها سبعة أبواب : العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخورف من قوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس ومخلفها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يخفى بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إسماة إليه أو أولى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطبق احتمال كبره وتفاخره لمزاة نفسه وهو الراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يشكر على المحسود ويمتدح ذلك عليه لنعمته وهو الراد بالتعجب وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو الراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصد بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لمعاد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأبواب . السبب الأول : العداوة والبغضاء وهذا أحد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي المنة
حفا فيكون هم
الهيئة مستغفرا فيها
مشغولا بها عن غيرها
من الهيات فذلك
يتوفر حفظه من بركة
كل هيئة فان السرعة
التي يتقاضى بها الطبع
تسد باب الفتح ويقف
في مهاب النعمات
الإلهية حتى يتكامل
حظ العبد فتسبح
آثاره بحسن الاسترسال
ويستقر في مقعد
الوصال . وقيل في
الصلوات أربع هيات
وسنة أذكار فلهيات
الأربع القيام والقعود
والركوع والسجود
والأذكار الستة التلاوة
والتسبيح والحمد
والاستغفار والدعاء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا يفتك للؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة .

(بيان أسباب الحسد والتنافس)

فان من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشتي والانتقام فان حيز النفس عن أن يشتفي بنفسه أحب أن يشتفي منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فلهما أصابت عدوه بيلة فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغيته وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراد محروما يحظر له أنه لا مغفرة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل إنهم عليه. وبالجملة الحسد يورث البغض والعدوة ولا يفرقتها وإنما غاية التقي أن لا يبنى وأن يذكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنسانا لم يستوى عنده مسرته ومساوئه فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار بما عصى الحسد بالعدوة إذ قال الله تعالى - وإذا لقوكم قالوا آتنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور - إن تمسك حصة تؤثم - الآية - وكذلك قال تعالى سودوا ما عنتم قد بدت البضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يغشى إلى التنازع والتقاتل واستحقاق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزير وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بسبب أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يشكبه عليه وهو لا يطيق تشكبه ولا تسمح نفسه باحتال صلفه وخفاظه عليه وليس من غرضه أن يشكبه بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساوئه مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: الكبر وهو أن يكون في طبعه أن يشكبه عليه ويستصغره. ويستخدمه ويتوقع منه الاتياده وللناقة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تشكبه ويترفع عن متابعتها أو ربما يشوف إلى مساواته أو إلى أن يضع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ومن التشكبه والتزك كان حسدا كثر الكفار لرؤس الله ﷺ إذ قالوا كيف يقدم علينا غلام ينم وكيف نطأ على رؤسنا هذا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ^(١) أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له وتبته إذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كالاستحقار لهم والأنفة عنهم. السبب الرابع: الحجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا لما أتهم لإبراهيم أن يقولوا - نؤمن بربنا ولكن نريد أن نعلم ما تقول - ولئن أطعتم جبرائلكم إنكم إذا لحاسرون - فخبجوا من أن يغوز ربية الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم لحسودهم وأحبوا زوال النبوة عنهم جزأ أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لآعن قصد تشكبه وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من مائر الأسباب وقالوا متعجبين - أبست الله جبرا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى سأوحى إليهم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية - السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد وذلك ينحصر بتمترحين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عون له في الأفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرائف في الزحام على مقاصد الزوجات وتحاسد الإخوة في الزحام على نيل اللزقة في قلب الأبوين لتوصل به إلى مقاصد الكرامة والسال وكذلك تحاسد التلميذ بن لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماء الملك وخوفاه في نيل اللزقة من قبله لتوصل به إلى السال

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قال ذلك الوليد بن النيرة قال أنزل على محمد وآرك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن ميمر الثقفي سيد ثقيف فحس عظماء القريتين فأزل الله قبا بطنى هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن ميمر الثقفي وهو صحيح .

عشرة كلمة خرق هذه العشرة على حدة صفوف من اللاتكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركبتين ما يخرق على مائة ألف من اللاتكة .

[السبب السابع واللاتون في وصف صلاة أهل القرب] وتذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بها وأدائها الظاهرة والباطنة على الكمال بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال في كل شيء من ذلك إنفي ذلك كثرة وبخرج عن حد الاختصار والايجاز القصود فتقول وبالله التوفيق : ينبغي لعبد أن يستمد الصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل ليلة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول وعدم وكذلك تحاسد العالمين المزاحمين على طائفة من للتفقيه محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم لتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجلاء لنفسه من غير توصل به إلى القصد وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من القنون إذا غلب عليه حب الشان واستغفزه القرح بما يجد به من أنه واحد المحر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظيره في أقصى العالم لسأله ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في النزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد به ويشرح بسبب تخرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوف من فوات القصد سوى محض الرياسة بدعوى الإغراء وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجلاء والنزلة في قلوب الناس لتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود يشكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستبقاعهم منها نسخ عنهم . السبب السابع : خبث النفس وشحها بالحقد لبياد الله تعالى فإنك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنتم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وقوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويحسد بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخل من يدخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يدخل بمال غيره فهذا يدخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقت الجيلة ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة تصور زوالها فقطع في إزالتها وهذا خبث في الجيلة لا عن سبب عارض فحسد إزالتها إذ يستحيل في العبادة إزالتها فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعا في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة بل ينبتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمسكفة وأكثر المحامدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وتلقا يتجر سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمتال والأقران والإخوة وبين الم والأقارب)
 وتأكد وقلة في غيرهم ومنه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تسكن بينهم الأسباب التي ذكرناها وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتظهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يتبع عن قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض قهر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقه ويتكبر عليه ويكائه على مخالفته لفرسه ويكره تمسكه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متباعدتين فلا يكون بينهما محاسنة وكذلك في محلتين ، ثم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتنافس فيها أغراضها فيثور من التنافس التنافر والبغاص ومنه ثور فيه أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتناع في الحرمة وحسد الرجل أخاه وابن عمه كثر ما يحسد الأجانب

تقبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها وبحاج في معرفة الوقت إلى معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره وبغير الزوال بأن الظل مادام في الانتعاش فهو النصف الأول من النهار فإذا أخذ الظل في الزيادة فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وإن الشمس على كم قدم نزول برفه أو الوقت وآخره وقت العصر وبحاج إلى معرفة التنازل ليعلم طلوع الفجر ويصلم أوقات الليل وشرح ذلك بطول وبحاج أن يرد له باب فإذا دخل وقت الصلاة

والرأى تحسد خسرتهما وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يترامون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون وإنما يترامعه فيه برز آخر إذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجبار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشهر بها ويفرد بهذه الحصة ولا يترامه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ قواعظ أكثر من حسد لفقير والطبيب لأن التزامهما على مقصود واحد أحدهما فأسهل هذه الحاسدات المدواة وأصل المدواة التزامهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متقاربين فذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يساهمه في الحصة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على التزاحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملأته وأنيابته وملكوته سموا بمراميه ثم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن للمرعة لا تضيق عن العارفين بل العلوم الواحد يملأ ألفا ألف عالم ويخرج بحرته ويلتذ به ولا تنقص منه واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ونجوة الاستفادة والإفادة فذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تضيق فيه وغرضهم للذة عند الله ولا تضيق أيضا فيها عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لله تعالى وليس فيها محافاة ومزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرة نعمه ، نعم إذا قصد العلماء العلم للال والجاه فحاسدوا لأن للال أعيان وأجسام إذا وفتت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب وهما المتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو قص عنه لعمالة فيكون ذلك سببا للحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يعتل قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرح بين العلم والال لأن الال لا يعمل في بد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ومحل في قلب غيره بتسليمه من غير أن يرتحل من قلبه والال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفسك في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسأله صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحم فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من ذاته بل زادت ذاته بمؤانسة فتكون للذة هؤلاء في مطالعة محاسن الملوك على العلوم أعظم من للذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجته معرفته التي هي صفاته بآمن زوالها وهو أبدا يبنى ثمارها فهو بروحه وقلبه منتد بما كنهه عليه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل تقطفها حانية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من خلق إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فإذا نظر بهم عند انكشاف النطاء ومشاهدة المحبوب في العقب فأن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسد ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مسابقة فيها ولا مزاحمة ولا تال لا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآه من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدم السنة الراتبة في ذلك سر وسكينة وذلك والله أعلم أن العبد تشعث لظنه وتفرق همه لما يلي بمن الخاطمين الناس وقيامه بهام للماش أو سهو جري بوضع الجلبة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بقتضى العادة فإذا قدم السنة يجذب بإطله إلى الصلاة ويشبها للداجلة ويذهب بالسنة الراتبة أثر التفتة والكدورة من الباطن فيصالح الباطن ويصير مستعدا للفرصة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجد التوبة مع الله تعالى عند القرينة على كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر

صفات البعدين عن سعة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ماخص به من الاجتهاد ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى فقد عرفت أنه لاحد الإلتواء على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا يرى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لعمدة الأنظار وافية بجميع الأنصار فلم يكن فيها تراحم ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لازمة فيها ولنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وهما لب ملكوت السموات والأرض ولا يزال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة. أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقر عينك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العنين لا يشاق إلى لذة الواقع والعنى لا يشاق إلى لذة الملك فإنّ هذه لذات يخص بأدراكها الرجال دون الصبيان والمثنيين فكذلك لذة المعرفة يخص بأدراكها الرجال - رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأنّ الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يشاق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أنّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تدوى أمراض القلوب إلا بالله والعمل والعلم والذائع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقّقاً أنّ الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوك فارتقت الحسد لعمالة أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنّك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكته فاستكرت ذلك واستبشمت به وهذه جناية على حققة التوحيد وقضى في عين الإيمان وتأهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غشيت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحتك وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الحجة لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلا يؤزوال النعم وهذه خبايا في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب ونحوها كما يحرق الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تألم بحسدك في الدنيا أو تعذب به ولا تزال في كمد وغمّ إذا عداؤك لا يغلب الله تعالى عن نعم يغضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتألم بكل بلية تتصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً مشعب القلب يضيق الصدر قد تزل بك ما يشيه الأعداء لك وتشبهه لأعدائك فقد كنت تريد الهمة لعدوك فتجزت في الحال محتك وغمك قدما ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة لما تنجب من العاقل كيف يتعرّض لسخط الله تعالى من غير تقع يناله بل ضرر بحسده والم يقاسيه فهل يذنبه ودياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه وديار فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يذوق إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شككنا من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تنقض أيامها أي ما قدره الله في الأزل

والصغار مما أواماً إليه
السرع وتطلىق به
الكتاب والسنة
والخاصة ذنوب حال
الشخص فكل عبد
على قدر مقامه حاله له
ذنوب تلائم حاله ويعرفها
صاحبها وقيل حسنات
الأبرار سيئات للقرينين.
ثم لا يصلح إلا جملة فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تفضل
صلاة الجماعة صلاة
الفرد بسبع وعشرين
درجة ثم يستقبل
القبلة بظاهره والخضرة
الإلهية ياطنه ويقرأ
- قل أعوذ برب
الناس - ويقرأ في نفسه
آية التوجه وهذا
التوجه قبل الصلاة
والاستغفار قبل الصلاة
لوجه الظاهر بالضرارة
إلى القبلة وتخصيص

لا يسيل إلى تشيئه فأصبر حتى تنقضي اللذة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتت به أولا لنفسك فأنك أيضا لأتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحدون للمؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - إذ ما يريد الله - الحسد - ولا يكون ، نعم هو يضل بأراده الضلال لليرة فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبه أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بعد : الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بعد غيرك فهذا غاية الجهل والقباحة لكل واحد من حقى الحساد أيضا يشتهى أن يهضم بهذه الحامية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تسكرها . ووأمان المحسود يستنفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالنية والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فنهض هدياً تهديها إليه : أعني أنك بذلك تهدي إليه حسانتك حتى تلقاه يوم القيامة مغلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وثقت للחסنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساة الأعداء ونهمهم وشقاوتهم وكونهم معذنين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمان أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد ضلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد تنتظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسداً ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا نيك الذي يكمد

لازلت محسوداً على نعمة فأنما الكامل من محسد

ففرح عدوك بنسك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند الخالق والخالق شقياً في الحال والمآل ونعمة المحسود دائماً شئت أم أبيت باقية ثم لم تنص على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس القوي هو أعدى أعدائك لأنه لما رأيته محروماً من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تعجب ذلك له فتشارك في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك غف لإبليس أن تعجب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فيفضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كالم تلحقه بهماك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب »^(١) وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها ؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم يرفع
يديه حذو منكبيه
بحيث تكون كفاه
حذو منكبيه وإيمانه
عند شحمة أذنيه
ورءوس الأصابع مع
الأذنين ويضم الأصابع
وإن نشرها جازواضم
أولى فانه قبل التشر
نشر الكف لا نشر
الأصابع ويكبر ولا
يدخل بين يديه أكبر
ورائه ألفاً ويجزم أكبر
ويجعل للد في الله ولا
يبالغ في ضم الماء من
الله ولا يتسدى
بالتكبير إلا إذا
استقرت اليدين حذو
التكبير ويرسلهما مع
التكبير من غير تقص
فالقول إذا سكن القلب
تشككت به الجوارح
وتأيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنتم من أحببت (١) قال أنس لما فرح للحدود بعد إسلامهم كفرهم يومئذ بإشارة إلى أن أكبر بيتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فحدثني نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصلوات ولا يصوم ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن امتطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متصفا فإن لم تستطع أن تكون متصفا فأحبه فإن لم تستطع فلا تنفذه فقال سبحانه الله قد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حصدك إبليس قنوت عليك ثواب الحب ثم لم يفتح به حتى بنى إليك خاك وحملك على الكراهة حتى آتت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين الله تعالى ويكتشف خطؤه ليفتنح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأنى يتم يزيد على ذلك فليكن إذ فأنك الحق به ثم اغتممت بسببه سلت من الأمم وعذب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : الحسن والحبيب والكاف عنه » (٣) أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض فانظر كيف أبدلك إبليس عن جميع للداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة فقد نفذ فيك حصد إبليس وما نفذ حصدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في بقطة أو منام رأيت نفسك أيها الحاسد في صور من يرى سها إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حديقته التي فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعمها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشحه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرية العائنة تنفوت إلا العينين ولو بقيتا لقاتتا بالوت لاهالة والحسد يعود بالآثم والأثم لا ينفوت بالوت والله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها الحبيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال التهمة عن المحسود فلم يزها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الآثم نعمة والسلامة من التهم والسكدة نعمة قد رأتنا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحق للكراسي إلا بأهله - وربما يتل بعين ما يشتهيه لعدوه ولما يشمت شامت بمسامة إلا ويبتل بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها : ما عنت لثمان شيئا إلا نزل بي حتى لو عنت له القتل لقتلته ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجز إليه الحسد من الاختلاف وجعود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقوا حتى في التنشئ من الأعداء وهو الماء الذي فيه هلك الأمم السالفة ، فهذه هي الأموية العلية فيها تنسكر الانسان فيها يذهن صاف وقلب حاضر انطقت نار الحسد من قلبه وعلم أنهم هلك نفسه ومفرغ عدوه ومسخط ربه ومنفص عيشه . وأما العمل الدافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه تقيته فإن بث الحسد على الدخ في محسوده كلف لسانه الدخ له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بثه على كذب الإنعام

والأدب وجمع بين
نية الصلاة والتكبير
بحيث لا يبغي عن قلبه
حالة التكبير أنه يصلي
الصلاة بينها . وحكي
عن الجليل أنه قال
لكل شيء منقذ وصنوة
الصلاة التذكيرة
الأولى وإنما كانت
التكبيره منقذ لأنها
موضع النية وأول
الصلاة . قال أبو نصر
السراج صحت ابن سالم
يقول التوبة بالله لله
ومن الله والآفات التي
تدخل في صلاة العبد
بعد النية من العدو
ونصب العدو وإن كثر
لا يوازن بالنية التي هي
الله بالله وإثر قل .
وسئل أبو سعيد الخراساني
كيف الدخول في
الصلاة ؟ فقال هو أن
تجسد على الله تعالى

- (١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب الصلوات ولا يصلي الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلغظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال الرءوس مع من أحب .
- (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : الحسن والحبيب له والكاف عنه لم أجده أصلا .

عليه أكرم نفسه الزيادة في الانعام عليه لهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه الحسود طاب قلبه وأجبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأجبه وتوفد من ذلك الواقعة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والتناء وللدخ وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب للنم عليه ويسترقه ويستطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير مائتلفاً أولاً طبعاً آخره ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو نواضت وأنتيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذل ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاهدة تكلفاً كانت أو طبعاً تنكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد ونغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا إنها ممرضة على القلوب جدولة ولكن النفع في الدواء الرقيق لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلالة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والتناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحسب ما أحبه وعزة النفس وترفضها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إلا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات الراد دلالة وخسرة لا لطريق إلى الخلاص من هذا القل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون مائتد أو بأن يزيد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل لتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتخصيله بالرياضة ممكن فيجب تخصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السلكي فأما الدواء الفصلي فهو يتبع أسباب الحسد من الكبور وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يخفى وسياق تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا المرض ولا يتقنع المرض إلا بقمع السادة فإن لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء موادها فإنه مادام محباً للعزاء فلا بد وأن يحسد من استأثر بإيجاء والفرقة في قلوب الناس دونه وبغمه ذلك لا محالة وإنما غايته أن يهون النتم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلق عنه رأساً فلا يمكنه والله الوفق.

(بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن الؤذي محموت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبتغى غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تسكرها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثب على إظهار الحسد يقول أو فعل بحيث يبرف ذلك من ظاهرك بأفعال الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالسكينة إلا أنك ياطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لصفة الفعل قال الله تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواء - وقال - إن نسكتم حسنة نسؤم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو موصبة بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأثر متع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تحب نفسك على ما في طبعك فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فامتتير الطبع ليستوى عنده الؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا بطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تتأجبه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه للالك العظيم . وقيل لبعض العارفين كيف تكبر التكبير الأولى فقال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الألف والمهيسة مع اللام والمرافقة والتقرب مع الهاء . واعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء وامتلاً بطله نوراً وصار السكون بأسره في فضاء شرح صدره تكردة بأرض فلا

ملفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله قد يتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بين واحدته وهي عين الرحمن يرى الكل عباد الله وأصنامهم أضاللة وبرايم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منزلته أعنى الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فيها قابل ذلك بكرهاته وأزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتى إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه مثل من الحسد فقال غمه فإنه لا يضرك ما لم يبد . وروى عنه موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وثلاثة لا يخلو منهن للؤمنين وله منهن مخرج لمخرجه من الحسد أن لا ينفى « والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنع من البنى والإبداء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد أثم ثم الحسد عبارة عن صفات القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه أثم بما يجرد دسده القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث اللغى إذ يعد أن معنى عن البعدى إرادته إساءة مسلم واشتبهه بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن ذلك في أعدائنا ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتسكره حيك لذلك وميل قلبك إليه فقلبك تفت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا مغف عنه قطعا لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثانى أن تحب ذلك وتظهر القبح عساهته إما بساكنك أو بحوارك فهذا هو الحسد المحظور قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع الهلكتات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدنا وآياتنا ووزنوا بحسناتها سيئاتها فدلوا أنه يزيد منسكها على معروفها ولا ينى مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورته أمثلة تستميل الناس بحملها لها أسرار سوء فبأن تلك الراغبين في صلاحها ثم هى فرارة عن طلابها شجيرة ياقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شمرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فمؤامر إقبالها على التفارب دائرة وتجارة بنيا خاسرة بأثرة وآفاتنا على التوالى لصمود طلابها راشقة وجمارى أحوالها بدل طالبها ناطقة فسلك مفروها إلى الفشل مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الحرب من طالبها والطلب لها ربها ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واتته لا تخلو صفوها عن شوائب السكودرات ولا ينفك سرورها عن اللذات ملاتها تحب السقم وشبابها يدوق إلى الحرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والنم ففى خداعة مكاراة طيارة فرارة لأنزال تترين لطلابها حتى إذا صاروا من أحيائها كثرمت لهم عن أتيانها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشعت لهم عن مكنون محابها فأذاقهم قوالب حمامها

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

ثم تاتى الحردة لما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من الكون الذى صار بمثابة الحردة فألقت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالعة العظمة والقيوبة في ذلك كون التبة غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب بتميز بالتية فتكون التبة موجودة بألطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده التنى يده اليسرى ويجهلها بين السرة والصدر والخصى

ورحمتهم بصواب جهنم، يئس أصحابها منها في سرور وإنعام إذولت عنهم كأنها أضلعت أحلامهم عكرت عليهم بدواها، فطعنهم طعن الحصيدوارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكك واحدا منهم جمع ما طمعت عليه للقصص جلته جسيما كان لم يخن بالأس نعى أصحابها سرورا وتقدم غرورا حتى يأملون كثيرا وبينون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجميعهم بورا وسعيهم هباء مشورا ودعائهم ثبورا هذه مفتاواكان أمراءه قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله للرسول إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهير وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداءه الله أمعادوتها لله لأنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأمعادوتها لأوليائه الله عز وجل لأنها تزيت لهم زيتها وعصمت زهرتها ونضارتها حتى تجرعوامرارة الصبر في مقاطعتها، وأمعادوتها لأعداءه الله لأنها استندرجتهم بمكرها وكيدها واقتصرهم بشبكها حتى وثقوا بها وعوتلوا عليها غفلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتوا منها حسرة تقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآبaid فهم على فراخا يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يخاتون بل يقال لهم - اخسؤا فيها ولا تسكاهون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وما الحسكة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشروورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو اللعين على ما يرتضيه .

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتعل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يمتثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستدعاء بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها بقدر دوى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هو أنها أتقوها قال والذي نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن للؤمنين وجنة للكافرين ^(٢) » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فميتها ^(٣) » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما يبيى على ما يفي ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(٥) »

(١) معديت مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث الستورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن للؤمن وجنة للكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاىوعالم ومنظم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرب آخرته الحديث أحمد والبراز والطبرانى وابن جبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهقى في شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا .

لكرامتها تجعل فوق

اليسرى وبعد للبيعة

والوسطى على الساعد

ويقبض بالثلاثة

البواقى اليسرى من

الطرفين وقد فرأى

الؤمنين على رضى

الله عنه قوله تعالى

- فصل ربك وانحر -

قال إنه وضع اليمنى على

التيال تحت الصدر

وذلك أن تحت الصدر

عرفا يقال له الناحر

أى ضع يدك على الناحر

وقال بعضهم وانحرأى

استقبل القبلة بنحرك

وفى ذلك سر خفى

يكشف به من وراء

أستار التيب وذلك أن

الله تعالى بلطف

حكته خلق الأذى

وشرفه وكرمه وجهه

على نظره ومورد حبه

ونحية ما فى أرضه

وقال زيد بن أرم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعدا جراب فأني بماء وصل فلما دنا من فيه بي حتى أبكى أصحابه وسكوا ولمسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يجدرون على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا بأخليفة رسول الله ما بك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يدي عن نفسه عينا ثم أرمعه أحدا قتل يارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال ههه الدنيا ثلاث لي قلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أقلت لي مني بخلت مني من بدك^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها كل العيب للصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القرور^(٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال « ههه إلى الدنيا وأخذ خرة قد بليت على تلك الزبلة وعظما قد نخرت فقال هذه الدنيا^(٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا متشقق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تستعير عظما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حاوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا وسهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والنياب^(٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا تتخذكم عبيدا اكثروا كرمكم عند من لا يضمه فان صاحب الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كثر الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الخواريين إنني قد كببت لكم الدنيا على وجعها فلا تتعشوها بصدى فان من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تاتمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة وأورث أهلها حزنا طويلا وقال أيضا : بطمت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا يزال عنكم فيها اللوك والنساء فأما اللوك فلاننازعهم الدنيا فأهم لن يمرضوا لكم ما تركتموهم ديناهم وأما النساء فانهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فتطالب الآخرة فتطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا فتطلبه الآخرة حتى يجي الموت يأخذ بعنقه . وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها^(٥) » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن بيته وحماله قال فرى باءد من بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال : لتسديح في صحيفة مؤمن خير ما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسديح تبتي وقال صلى الله عليه وسلم « لما حكم الشكار يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأغيت أو لبست فألبيت أو صدقت فأبقيت^(٦) »

(۱) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فعدا شراب فأتى بماء وعسل فلما أذناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأته يدفع عن نفسه شيئا للحديث البراز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصححه إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بإلفظه (۲) حديث أبي جابر الكلبي الجب للصديق بدار الخلود وهو يسمى لدار التوراة ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسل (۳) حديث إته وقف على منبة فقال هلوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في فم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون القتيبي مرسل وفيه بقية بن الوليد وقد عنفه وهو مدلس (۴) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بني إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسل بالزيادة التي في آخره (۵) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقهم ينظر إليهم ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (۶) حديث الحاكم

وصحائبه روحانيا
وجسائير ميناو سماويا
منتصب القامة مرتفع
المخية فصفه الأعلى
من حد القو اذ يستودع
أسرار السموات ونصفه
الأسفلى مستودع
أسرار الأرض ففعل
نفسه ومركها الصف
الأسفلى ومحل روحه
الروحاني والقلب
الصف الأعلى لجواب
الروح مع جواب
النفس يتطاردان
ويتحاربان وباعتبار
تطاردهما وتغالبهما
تكون له الملك وله
الشیطان ووقت الصلاة
يكثر التطارد لوجود
التجاذب بين الإيمان
والطبع فيكأنف
للنفس الذى صار قلبه
سماويا مرتددا بين
القضاء والقائه لجواب

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامل له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يصادى من لا علم له وعليها يحسد من لا قه له ولها يسعى من لا يقين له ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال: ما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يضر عنه أبدا وقرأ لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منه أبدا ^(٢) » وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جيدها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيها ره وس أناس وعفراء وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرهوس كانت تحرم كرمكم وتأمل كآسكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العفراء هي ألوان أطمعتم أكتسبوها من حيث أكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الحرق البالية كانت رباشهم ولباسهم فأصبحت والريح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان بها كيا على الدنيا فليك قال فصا برحنا حتى اشتد بكؤنا ^(٣) » وروى أن الله عز وجل لما أنهب آدم إلى الأرض قال له ابن الخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصمت وتزنت لهم إن قذفت في قلوبهم فضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صير وإلى الفناء يصير فضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم وللناسكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها يقول يوم القيامة يارب اجعلني لأدنى أولائك اليوم نصيبا فيقول استكني يا لاشيء إلى أرضك لهم في الدنيا أرضك لهم اليوم ^(٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحرك معدته فخرج التفل ولم يكن ذلك مجبولا في شيء من أطمعة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن أكلها قال لجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى مسلكا يخاطبه فقال له قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أشبع مافي بطني من الأذى فتقبل للملك قل له في أى مكان تريد أن تضع أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليجبن أنوام يوم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامل له وإسناده جيد (٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وأثم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس باسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا جيدها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزلة فيها الحديث لم أجد له أملا (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم به من رواية موسى بن يسار مرسل ولم أجد باقية

النفس متصاعدة من
مركزها ولها جوارح
وتصرفها وحركتها
مع معاني الباطن
ارتباط وموازنة
فبوضع البنى على الكمال
حصر النفس ومنع
من صعود جوارحها
وأثر ذلك يظهر بدفع
الوسوسة وزوال
حديث النفس في
الصلاة ثم إذا استولت
جوارح الروح
وتغلبت من الفرق
إلى القدم عند كمال
الأنس وتحقق قرة
العين واستيلاء سلطان
الشاهدة تصير النفس
متهورة ذليلة ويستدير
مركزها بنور الروح
وتقطع حينئذ جوارح
النفس وعلى قدر
استتارة مركز النفس
يزول كل العادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار - فقلوا يا رسول الله مصليين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا ونبوا عليه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه « للؤمن بين محافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دينه لآخرته ومن حياته لموته ومن حياته لمومه من حياته لمومه لأن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتُمْ للآخرة والذي قضى بيده ما بعده لولت من مستحب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ^(٢) » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة قطب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام ذلّ لروح عليه السلام بأطول الأبناء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لبئس عليه السلام لو اتخذت بيتا يتكك قال يكفيني حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ^(٣) » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه السمى ويجعله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمهه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيه أمهه أعطاه الله علما غير تعلم وهدى بهير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالنيل والتجبر ولا التي إلا بالخر والبهل ولا المحبة إلا بالاتباع الهوى لأن من أدرك ذلك الزمان منكم فصر على القبر وهو يقدر على التني وصر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصر على القتل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صدقا ^(٤) » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه الظمر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقفت عنه على خيبة من بعد فأتاها ذافيا أسراء غاد عنها فإذا هو يكف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه ما أوك في مستقر رحمتي لأزوجهك يوم القيامة مائة حوراء خائفتها يدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهدين الدنيا عيسى ابن مريم - وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لأصحاب الدنيا كيف يموت وتركها وما فيها وتقره وبأمنها ويثق بها وتخذل ويولل الحفترين كيف أرثهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يبعدون ويولل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل لأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « يا موسى مالك ولدار الظالمين إنما ليست لك بدار أخرجه منها هلك وفارقها بقلك فبست الدار هي إلا العامل يحمل فيها فحمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حتى أخذ منه للظالم . » وروى « أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجا بمال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمون أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويستغنى حينئذ عن
مناومة النفس ومنع
جوارها بوضع اليدين
على الخصال فيسبل حينئذ
ولعل لذلك والله أعلم
ما نقل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
صلى على مبالاهو مذهب
مالك رحمه الله ثم قرأ
سورة وحيى الآية
وهذا التوجه إقام لوجه
قلبه والذي قبل الصلاة
لوجه ذل به ثم يقول
سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى
جودك ولا إله غيرك
اللهم أنت اللهم لا إله
إلا أنت سبحانك
وبحمدك أنت ربى
وأنا عبدك ظلمت
خفى واعترفت بخفى
فاغفرلى ذنوبى جميعا
إنه لا يفر من الذنوب إلا
أنت واهدنى لأحسن

فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فترضوا له فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
راهم ثم قال اظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بئى قالوا أجل يا رسول الله قال فأشربوا وأملوا
ما بيسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت
على من كان قبلكم فتناقصوها كما تناقصوها قبلكم كما أهلككم ^(١) وقال أبو سعيد الخدري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض
قليل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا ^(٢) » وقال ^(٣) « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا ^(٤) » فنهى عن
ذكرها فضلا عن إصابه عنها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى
في الأقبية والطرق فقال يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك
لندفنوا فقالوا ياروح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسال الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فادهم
بجيوك فلما كان الليل أشرف على نشر ثم نادى بأهل القرية فأجابهم جيب لبيك ياروح الله فقال
ما حالكم وما قستكم قال بننا في عافية وأصبحنا في المصاوية قال وكيف ذاك ؟ قال بجنا الدنيا
وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حيكم الدنيا ؟ قال حب الصبي لأنه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا
أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيئوني قال لأنهم ملجئون بلغم من نار بأبدى
ملاشكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما
نزل بهم العذاب أصابى معهم فأنما ملقى على شفير جهنم لأدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال
السيح للحواريين لأكل خبر الشعر بالملح الجريش ولبس السوح والتوم على الزبال كثير مع
عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضباء لاتبقت فجاء
أعرابي فباقة له فقبضها فشق ذلك على السدين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرفع
شيئا من الدنيا إلا وضعه ^(٥) » وقال عيسى عليه السلام من التقى ببنى على موج البحر دار تلحم
الدنيا فلا تخذوها قرارا وقل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا مجنا الله عليه قال أبغضوا
الدنيا عكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله ^(٦) « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ^(٧) » ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم
لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها
إلا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملاك
بأعمالكم وصرت كالفن لا يملكون فينضمكم شر من البهائم التي لا تدع هواها عفاة عما في عافيتهم لكم
لأنها يرون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا بخت سرائركم ولو اجتمعتم

(١) حديث بث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بهال من البحرين فسمعت الأنصار يقولون أن عبيدة متفق
عليه من حديث عمرو بن عوف البدرى (٢) حديث أبي سعيد إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله
لكم من بركات الأرض الحديث متفق عليه (٣) حديث لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا الباقى في
الشعب من طريق ابن أبي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثى مرسل (٤) حديث أنس كانت
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضباء لاتبقت الحديث وفيه حق على الله أن لا يرفع شيئا من
الدنيا إلا وضعه البخارى (٥) حديث أبي الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبرانى دون قوله ولهانت الجوزاد ولخرجتم إلى الصعدات
الحديث وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث أبي ذر وما تلهذتم بالنساء على الفرس وأول الحديث
متفق عليه من حديث أنس وفى أفراد البخارى من حديث عائشة .

الأخلاق فانه لا يهدى
لأحسنها إلا أنت
واصرف عن سيئها
فانه لا يصرف عن
سيئها إلا أنت لبيك
وسمعتك فالخير
كله يديك تباركت
وتعالتى استغفرك
وأثوب إليك ويطرق
رأسه في قيامه ويكون
نظيره إلى موضع
السجود وبكل القيام
باتصاب القامة ونزع
يسير الانطواء عن
الركبتين والحواسير
ومعطف البدن
ويقف كأنه ناظر
بجميع جسده إلى
الأرض فهذا من
خشوع سائر الأجزاء
ويتكئون الجسد
يتكون القلب من
الحشوع ويراوح بين
القدمين بمقدار أربع
أصابع فان ضم الكمين

على البر لتحايثهم مالمك تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفقون بخير الآخرة وشرها كما توفقون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للأجل منها تسجدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لملك لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققت إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالتوتا لبين لكم ولربكم من النور ما قطعتم إليه قلوبكم وانه ما أنتم بالمتقوصة عقولكم فتعذركم إنكم تسببون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالمكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسير منها يغوتكم حتى يبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها الصائب وتقيمون فيها للآتم وعانتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا يغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم بقلبي بفسادكم بسا بالسرور وكلكم بكمرا أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بثله فاصطحب على القل وبنت صراعيكم على الدمن وتضافتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يباركم فان كان فيكم خير فقد أصعبتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدهو بسيروا بالله استعين على تقى وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنى الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدى الدين قد فعلوا وما أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا اللوك كما استغن اللوك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا تبرأ ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولئن بينكم بىدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ^(١) ، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لانركن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها وموسى عليه السلام رجل وهو يكره ويرجع وهو يكره فقال موسى يارب عبدك يسكن من عفافك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فصاه وعرف الحق فآتبه وعرف الباطل فأنهه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فقطها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم ودعة فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك خافسه ومن نافسك في دنياك فآلتها في نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينةك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو ومما أراك تاجيا ، وقال الفضيل طالت فكرنى في هذه الآية - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ماعليها صيدا جزا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداة يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربها النار وقول لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يغشى الأبدان ويجدد الآمال ويقرب للنية ويعد الأمانة . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

هو الصند للهى عنه
ولا يرفع إححدى
الرجلين فانه الصنف
للهى عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن الصنف والصنف
وإذا كان الصنف منيا
عنه ففي زيادة الاعتماد
على إحدى الرجلين
دون الأخرى معنى
من الصنف فالأولى
رعاية الاعتماد في
الاعتماد على الرجلين
جميعا، ويكره اشتغال
الصياء وهو أن يخرج
يده من قبل صدره
ويحجب السدل وهو
أن يرخى أطراف
الثوب إلى الأرض فيبه
معنى الخلاء، وقيل هو
الذى ياتف بالثوب
ويجعل يديه من داخل
فيركع ويجد كذلك
وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث لئن بينكم بىدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

ومن يحمّد الدنيا لم يهمل بسرّه . فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على الرء حصرة . وإن أقبلت كانت كثير إهمومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إلا رفان عيشها
نكد وصفوها كدر وأهالها منها على وجل إما بنعمة زائلة أولية نازلة أو بنية قاصية . وقال بعضهم :
من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص . وقال سفيان الثوري
التم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على
الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الحبة لها لم يسط منها شيئا إلا أراد
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حبّ الدنيا وليست لي بدار فقال انظر
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ إلا من حلّه ولا تضعه إلا في حقه ولا يفرّك حب الدنيا وإنما قال
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتبعه حتى يترجم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ :
الدنيا حانوت الشيطان فلا تشرق من حانوته شيئا فيجىء في طلبه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت
الدنيا من ذهب ينفى والآخرة من خرف يبقى لكان يذنبني لنا أن نختر خرفا يبقى على ذهب ينفى
فكيف وقد اخترنا خرفا ينفى على ذهب يبقى ، وقال أبو حازم إياكم الدنيا فإنه ينفى أنه يوقف العبد
يوم القيامة إذا كان مغظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من
الناس إلا وهو ضيق وماله غارية فالضيق من محل والغارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع . ولا بدّ يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها قالوا استكوا عن ذكرها قالوا لموقع من قلوبكم
ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره . وقيل لأبراهيم بن آدم كيف أنت فقال :

ترفع دنيانا بتزويق دنيا . فلا دنيا يبقى ولا مارتع

فطوبى لبيد أثر الله ربه . وجاد بدنياء لما يتسوق

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره . وثال من الدنيا سرورا وأثما

سكان يني بنيانه فأقامه . فلما استوى ما قد بناه تهديما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا . أليس مصير ذاك إلى انتفال

وما دنياك إلا مثل فيء . أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بأخرتك ترعهم جميعا ولا تبع أخرتك بدنياك تخسرهم جميعا .
وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفص عيش الملوك ولين ريشهم ولكن انظر إلى سرعة ظمهم
وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للنافق وجزء
للكافر فالؤمن يتزود والنافق يتزين والكافر يستمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا
فليصبر على معاشره الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى تسها . تنح عن خطبتها تسلم

إن التي تحطب غدارة . قرية العرس من اللأثم

وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله أنه لا يصح إلا بما ولا يئال ما عنده إلا بتركه ، وفي ذلك قيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تسكت . له عن عدو في ثياب صدي

يده داخل القميص
ويجنب الكف وهو
أن رفع ثيابه يديه
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يجعل يده على الخصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جميعا على
الحصرين ويجعل
الصدين فاذا وقف في
الصلاة على الهيئة
ذكرناها تجنبنا للكاره
فقد تم اقيام وكله
فقرأ آية التسوية
والدعاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ويقولها
في كل ركعة أمام
القراءة وغرا فاتحة
وما بعدها محضو قلب
وجمع ثم وهو طاعة بين
القلب واللسان يحفظ
وافر من الوصلة والدنو
والهية والخشوع

وقيل أيضا : ياراند الليل مسرورا بأوله
أفنى القرون التي كانت منعمة
كم قد أبدت صروف الدهر من ملك
قد كان في الدهر ثقاها وضراها
يا من يسانق دنيا لابقاء لها
يحيى ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معاقبة
حتى تعاقب في الفردوس أبقارا
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها
فيبغى لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أنت إليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لأن كانوا يحبون الدنيا ما بالي أن لا يبدوا الأوثان
وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ السال من غير حق وإنفاقه في غير حقه وإسباكه عن
حقه والشر كله من هذا نبه . وقال رجل لعل كرم الله وجهه يأمر المؤمنين صف لنا الدنيا قال :
وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن آمن فيها نعم ومن اخترق فيها حزن ومن استغنى فيها الفتن
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومقتضاها العتاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم
أقصر قبل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار قالوا السحرة فاتها تسحر
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا زاحمها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم زاحمها الآخرة لأن الآخرة ككرة والدنيا لثية ، وهذا تشديد عظيم ونرجو
أن يكون ما ذكره سيابن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يهتمان في القلب فأيهما غلب كان
الآخر تيمنا له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما عجزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما عجزن
للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربان فبدر ما مرضي إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أتواما
كانت الدنيا آمون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يالون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت
إلى ذا أودعته إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويوصل منه
أيجن له أن يتبع في ؟ يعني يتنعم فقال لانو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاية يقدم
ذلك ليوم قمره ، وقال الفضيل لو أن الدنيا عهدا فبها عرضت على حلالا لأحاسب عليها في الآخرة لكنت
أفندرها كما يتفكر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بحمل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه
ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو أخذت متاعا فقال يأمر المؤمنين إن هذا يلنا القيل وقال سفيان
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله قد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بعهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغلبة الجبال
لم يرفوها حتى خرجوا منها فسلوا الرجة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابن أبيه إنك استدرت الدنيا
من يوم زلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تغرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت البعد تزدد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك للقبول الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص عن النبي : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له (١)
(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم ومعه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والخشبة والتنظيم
والوقار والشاهدة
والمناجاة وإن قرأين
العامة وما يترابها
إذا كان إماما في
السكنة الثانية : اللهم
باعديني وبين خطايي
كما بعدت بين الشرق
والغرب وتوفي من
الخطايا كائني التوب
الأبيض من العنفس
اللهم اغسل خطايي
بالماء والتابع والبرد
طهر ، وإن قلها في
السكنة الأولى طهر
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام قال
ذلك وإن كان مفردا
يقولها قبل القراءة
ويعلم البعد أن تلاوته
تطيق اللسان ومنها
نطق القلب وكل
محاطب للشخص
يتكلم بلسانه ولسانه

وقال الحسين بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرحكم الحياة الدنيا - من قبل ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب غفل إلا أوشت ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحراسها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بصيته في دينه ويحزح من مصيته في دينه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه لوث قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك باللهنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال النضيل بن عباس الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن اللوث حق كيف يفرح وهيبا لمن عرف أن النار حق كيف يضحك وهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وهيبا لمن علم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائة سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيت بلا . وسنيت رخا . يوم قيوم وليلة قليلة بولود وبولوديهك هالك فلولو للولود لباد الحلقى ولولو الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قدره أو أجل حضر فندسه قال لأملك ذلك قال لاحاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله ابن آدم فرحت يولوغ أملك وإنما بلغت باقتضاء أجلك ثم سوفت بملكك كأن منغته لنيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فأنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ماني الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئا يسودك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمثل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض الباطنية قلت قال إنما تال الغنى من عتق من رق الدنيا . وقال أبو ساليان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلاحنا على حب الدنيا فلا يأمر بضنا بضنا ولا ينهى بضنا بضنا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أى عذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوأنها ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهانها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يسك فإذا قد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا محسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكسر أرايت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله ويواجه في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ماصرفه الله وصرف في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقرقنا من الذنوب والحطايا وقال أبو حازم اخذت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فأنك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فأنك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تتادى ربهما منذ خلقها إلى يوم يفتنها يارب يارب لم ينضى فيقول لها اسكتي يا انتهى . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احترشته فلي صل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه جنى من الدنيا قد أخطأ الحسكة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وكروا أبو بامن البر قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض إلى النفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال من تركها قبل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخراب

يسر حسا في قلبه ولو
أمكن لشككم إضمار
من يكلمه من غير
لسان فعل ولكن
حيث تنظر الاقحام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجما نأذا قال باللسان
من غير مواطاة القلب
فما اللسان ترجما تاولا
القارى متكلما قاصدا
إسباع الله حاجته
ولا مستمعا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما يحاط به وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
غائب عن قصد
ما يقول فينبغي أن
يكون متكلما متاجيا
أو مستمعا راعيا فأقل
مراتب أهل الخصوص
في الصلاة الجمع بين
القلب واللسان في
التلاوة ووراء ذلك
أحوال الغفوس يطول

منها قلب من يصرها والجنة دار عمران وأمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيدي كان الشافعي رحمه الله من الرديين اللاطعين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخي إن الدنيا حوض مزلة ودور مذلّة عمراتها إلى الحراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على القرفة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إفسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وابرض برزق الله لا تتسلف من دار فتأثك إلى دار فتأثك فإن عيشك في دارك زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأتصر من أملاك. وقال إبراهيم بن آدم لرجل أدرم في التمام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة قال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في التمام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنا يا خزيرة فلو وجدوا لها أحما أقبح من هذا لسموها به. وقال كعب لتجيبن إليك الدنيا حتى تبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله القلادة ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالفه قبل أن يلقاه. وقال أيضا الدنيا باع من شؤمها أن تمنحك لما يهلك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كسفي* النار بالبين وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يشككون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها حتى الحمرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقت نيران التوحيد فصار جوهرًا لاحتقنته. وقال علي كرم الله وجهه إنما الدنيا ست أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم فأشرف الطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والقاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف النكوحات المرأة وهي مبال في مبال وإن المرأة لرزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشغومات للسك وهو دم.

(بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تتفوتوا بالأمل ونسيان الأجل ولا تتركوا إلى الدنيا قاتها غداة قد تزخرت لكم بفرورها وتشتكم بأمانها وتزينت لحظاتها فأصبحت كالمرس الحجابة الميول إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطعمين إليها خذلت فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير يوانقها وذمها خالقها جديدها يبل وملكتها يغنى وعزيزها يذل وكثيرها يذل ودعا يموت وخيرها يغتو فأنفقوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان هليل أو مدفق جميل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يجرى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولما له أحصى ثم يقال قد قتل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أينك وثبت غينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وطمعك لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا إنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى الساء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتفائك فسلوكك وكسوفك فاقطع عوادك واستراح حساك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك. وقال بعضهم لبعض للولك إن أحق الناس بدم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تصد

شرحها. قال: بعضهم ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أول وقيل لمار بن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئا من أمور الدنيا فقال لأن تخاف على الأئمة أحب إلى من أن أجدي الصلاة ما تجدون. وقيل بعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا في الصلاة ولا في غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتعقق بمعنى الإنابة لأن الله تعالى قسم الإنابة وقال - منيين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة - فغيب إلى الله تعالى وتيق الله تعالى بالتبصر مما سواه وبهم الصلاة بصدر مشروح

على بابه فتجأحه أو على حمة فخرقه أو تأتي سلطانه فتدعه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسحقه أو تضربه بشيء هو ضئيل به بين أحبابه فالله أعلم حق بالتم هي الآخرة ما تطلو الرابسة فيها تهب بيناهي
تضحك صاحبها إذ أضحكته منه غيره ويضا هي تيك له إذ أيكث عليه وينتهي بتوسط كفها بالاعطاء
إذ بسطها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غداسوا عليها ذهاب مذهب
وبقاء ما بقي تجد في الباقي من القذهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصري إلى
عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظنن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من
الجنة إليها عقوبة فاحذرهما يأمر للؤمنين فإن الزاد منها تركها والتقى منها قهرها لما في كل حين قليل
تذل من أعزها وتفق من جمعها هي كالسهم يأكله من لا يعرفه وفيه حذفة فكن فيها كالدهوى جراحه
يحتس قلبي عناية ما يكره طويلا ويصبر على مدة البقاء عناية طول الداء فاحذر هند الدار القدارة
الحنانة الحداثة التي قد تزيغت بخدمتها وتخت بفرورها وحلت بأمانها وسوت غطائها فأصبحت
كالمرس الجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب على الوالهة والنفس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية
فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما ذكر
فما شق لها قد ظفر منها حاجته فاغترى وطنى ونسى للماد فتشغل فيها له حق زلت به قدمه فخطمت
زمامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوت وتألم وحسرات القوت بفضته وراغب فيها
لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بنير زاد وقدم على غير ما قد فاحذرهما يا أمير المؤمنين
وكن أسرا مائكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كما أطمأن منها إلى سرور وأشغته
إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار وقد وصل الرخاء منها إلى البلاء وجعل البقاء فيها
إلى فناء فسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ولا يدري ما هوأت فينتظر ، أما فيها
كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من
النساء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الحاقق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكنت
الدنيا قد أظلمت الناس ونهت العاقل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ
فرأها عند الله جل ثناؤه قمر ومانظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم
عنائها وحزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح يموسة فأبى أن يقبلها ^(١) إذ ذكره أن يخالف على الله
أمره أو يحب ما يفضله خالقه أو يرفع ما وضع ملكه فزواها عن الصالحين اختاروا وبسطها لأعدائه
اغترارا فيظن للفرور بها لتقدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه
وسلم حين شد الحجر على بطنه ^(٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لوسى عليه
السلام : إذا رأيت النفي مقبلا قل ذنب حملت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا قل مرجيا شعار الصالحين
وإن شئت اتقيت بصاحب الروح والسكينة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إداى الجوع
وشعارى الخوف ولياسى الصوفى صلاتى في الشتاء مفارق الشمس وسراجى القمر ودايق رجلاى

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم
وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاروا وأحمد الطبراني متصلا من حديث
أبي مويبة في أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزائن الدنيا والحلهم الجنة الحديث وسنده صحيح
ولترمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليجمع لي بطعنا مكة ذهب الحديث (٢) حديث
الحسن مرسل في شد الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا والبخارى من حديث أنس رفعا
عن بطون ناعن حجر حجر فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرين وقال حديث غريب .

بالاسلام وقلب منفح
بنور الإنعام فتخرج
السكينة من القرآن
من لسانه ويسمعها
بقلبه فتقع الكلمة
في فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتمسكها القلب
بحسن الفهم وقدي
نمة الإسماء
وتشربها بحلاوة
الاستماع وكال الوحي
ويدرك لطيف معناها
وتشرب لغواها معاني
تلطف عن تفصيل
الذكر وتتشكل مخفى
الفكر ويصير الظاهر
من معاني القرآن قوت
النفس فالنفس للعاشة
متوعدة بمعاني القرآن
عن حديدتها لكونها
معاني ظاهرة متوجة
إلى عالم الحكمة
والشهادة تهسرب
مناسبتها من النفس

وطمأني وفاكهي ما ثبتت الأرض أيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض
أحد أغني مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون
قال لا بروعنكما لباه الذي ليس من الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يطرّف ولا يتنفس
إلا بأذني ولا يبيحكما مائع به منها فأنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة الترفين فلو شئت أن أزيّنكما
بزينه من الدنيا يصر فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتا فلعنت ولكني أرغب مكا
عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أقفل بأوليائي إلى لأودوم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق
غنمه عن مراتع الهلكة وإن لأجنهم ملاذها كما يحب الراعي الشفيق إله عن منازل الغرة وما ذاك
لهوائهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يترين لي أوليائي بالقل والحواف
والخضوع والالتوى ثبت في قلوبهم ونظير على أجسادهم فيسبهم التي يلبسون ودارهم الذي يظهرون
وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي يافوزون ودارهم الذي يباهمون ومجدهم الذي يفتخرون
وسبام التي بها يعرفون فإذا قليتهم فأخضع لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنهم من أخاف لي
وليا قد بارزني بالهاربة ثم أنا التائر له يوم القيامة . وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة قال فيها:
اغشوا أنسكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تترسكم
الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالعناء معروفة وبالفقر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين
أهلها دول وسجل لاندوم أحوالها ولا يسلم من شرها زوالها بينا أهلها منها في رخاوسرور وإدام
منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة ونارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما
أهلها فيها أغراض مستبدقة ترميم بسامها وتنصميم بحماها وكل حنفة فيها مقدور وحظه فيها
موقوف . واعلموا عباد الله أنسكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى بمن كان أطول
منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أوصاتهم هامة خادمة من بعد طول
قلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم غاية واستبدلوا بالفنور للشيدة والسرور
والتمارق للمهدة الصخور والأحجار المستندة القبور الثلاثة للجنة فقلها مقرب وساكنها مقرب
بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغبين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون توصل الجيران
والإخوان على ما بينهم من قرب للسكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم
بكاسكه البلاء وأكلتهم الجنائذ والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفانا فحج بهم
الأحباب وسكدوا تحت التراب وطمعوا فليس لهم إياب هيئات هيئت - كلا إنها كلمة هوة تلها ومن
وزائهم برزخ إلى يوم يعثون - فكأن قد صرتم إلى ماصاروا إليه من البلاء الوحدة في دار اللوى
وانتهتم في ذلك الضجع وضكم ذلك السدود فكيف بكم لو عايتم الأمور ومعثرت القبور وحصل
ما في الصدور وأوقفتهم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب
وهتكت عنكم المحجب والأشتار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزي كل نفس بما
كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى -
وقال تعالى - ووضع الكتاب قري المهجرين مشفقين بما فيه - الآية جعلنا القلوب كما علمين بكتابه
متبين أوليائه حتى جعلنا وإياكم دار القناعة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام
سهم والناس أغراض والدهر ريمك كل يوم بسامه ويحترمك بلاليه وأيامه حتى يسترق جميع
أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة اللبالي في يدك لو كشف لك عما أحدثت
أيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يا عليك واستغفلت بممر الساعة بك ولكن تدير الله

للجنة لاقامة رسم
الحكمة تومئ القرآن
الباطنة التي يكشفها
من للكلوت قوت
القلب وتخلص الروح
للقدس إلى أو ثل
سراقات الجبروت
عطالة عظيمة للتكلم
ومثل هذه للطاعة
يكون كمال الاستراق
في ليج الأشتاق كما
قل عن مسلم بن يسار
أنه صلى ذات يوم في
مسجد البصرة فوقت
أسطوانة تسمع
بسطها أهل السوق
وهو واقف في الصلاة
يعلم بذلك ثم إذا أراد
الركوع بفصل بين
الفرادة والركوع ثم
يركع منظو القامة
والصف الأسفل بحاله
في القيام من غير انطواء
الركعتين ويجافي

فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لدانها وإنها لأمر من الملقم إذا سمعها الحكيم وقد أعيت الواصف ليوها بظواهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرعدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر جأتها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضي عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مبتل تمام ليلته وتطو به ساعاته وأحداثه تنال على الإنسان بالخير والنقصان والدهر موكل بثشت الجماعات وانخرم الشغل وتقل الدول والأمل طويل والعسر قصير وإلى الله تعير الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه قال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حق وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكت إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تغفلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شراب تصفولكم نعمة تسرون بها الإغراق أخرى تذكرون فراقها فاعلموا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التارك لك وإن كنتم لأعجبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تعبدونها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنهم بلفوه وهم عسى أن يجري الجري حتى يتنهي إلى الناية وهم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا إليه أوضرتها فانه إلى اشتطاع ولا تفرحوا بتعاقبها وتناهيها فانه إلى زوال هيمت لطالب الدنيا وللوث بطلبه وغافل وليس يغفل عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأهانهم رضا لأولياؤه وأنها عندهم حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من خفتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخفوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أذناهما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فترددوا من الدنيا كراذل الركب غر بوا الدنيا وعمر بوا الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم ضلوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علوا أنهم سيرتحلون إليها بأبصارهم تنبوا قليلا وتعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكروهوا ما كره لهم .

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سرية الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيقا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصرة الباطنة ولهذا كرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أشد وقال :

أحلام نوم أو كظلم زائل إن اليبس يمثلها لا يندع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لقات دنيا لبقاء لها إن اغترارا بظلم زائل حق

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أغرايا نزل يقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة فلم يبق هناك فانتقلوا الخيمة فأصابته الشمس فالتب وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظلم فنية ولا بد يوما أن يظلم زائل

وكذلك قيل : وإن امرا دنياه أكبر همه لستمك منها بجمل غرور

[مثال آخر لدنيا من حيث التفرير بخيالها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] تشبه خيالات المنام وأمنات الأحلام قال رسول الله ﷺ والدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعايرون ^(١) وقال يونس بن عيسى ما شئت حسى في الدنيا إلا كر جل تام قرأ في منامه ما يكره وما يحب فيها هو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس ينام غافدا ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء ما شئ ما أعجب بالدنيا قال أحلام النائم [مثال آخر لدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكا لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كراماة تترين للخطاب حتى إذا نسكتهم ذهب عنهم وقد روى أن عيسى عليه السلام كشف بالدنيا فرآها في صورة هجوز هباء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قلت لأحبيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يمترون بأزواجك للساكنين كيف نهلكينم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر لدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرار وهي شبه هجوز مزينة تخضع الناس بظواهرها فإذا تقوا على باطنها وكشفوا التنازع عن وجهها تمثل لهم قبايعها فقدموا على اتباعها وخجلوا من ضيف عقولهم في الغرار بظواهرها وقال العلاء ابن زياد رأيت في التام هجوزا كثيرة متعسبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها بشت ونظرت وتسببت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتلت لها وملك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفي . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قتلت أعود بالله من شر لك قالت إن أحببت أن تعاذ من شري فابضى الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في اليوم هجوزا مشوهة شحطاء تصفق يديها وخلفها خلق يقيمونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بعدائي أقبلت على فقالت لو نظرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤذني الدنيا يوم القيامة في صورة هجوز شحطاء زرقاء أتاها بأبادة مشوه خلقها فيفسر على الخلائق فيقال لهم أنصفون هذه فيقولون نؤذيها فمن معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تاحرنم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدنم وتباغضتم واخترنتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي أي رب أين أتباعي وأشياعي فيقول الله عز وجل : الحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأته على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الخلق والياباب وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء . رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء . رآه الناس هجوز شحطاء زرقاء عشاء قال قتلت أعود بالله منك قالت لا والله لا يبيدك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قتلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر لدنيا وعبور الإنسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لتستكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفست له شجرة فقال نحت ظلها ساعة ثم راح وتركها » ^(٢) ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدبه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعقلي وعني وعصي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . مع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فإذا استوى فثمنا محمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعايرون لم أجده أصلا (٢) حديث مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

ولم يال كيف انتضت أيامه في ضر وضيق أوفى سمة ورفاهية بل لا يبق لبنه على لبنه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنه على لبنه ولا قصبة على قصبة (١) ورأى بعض الصحابة بين بيتان من جس قال : وأرى الأمر أهبل من هذا وأنكر ذلك (٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قطرة غابروها ولا تمروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا مبر إلى الآخرة وللهدهو الليل الأول على رأس القنطرة والجد هو الليل الآخر وبينهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة معدنها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائف فيها أن حلوة خفضا كحلوة الخوض فيها وهيئات فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان القارسي بمثلها قال المثل الدنيا مثل الحياة ابن سبأ وقتل معها فأعرض عما يجيبك منها قال ما يجيبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحسن ماتكون لها فإن صاحبها كالماتن منها إلى سرور أو شخصه عن مكره والسلام [مثال آخر للدنيا في تندر الخلاص من تحتها بعد الخوض فيها] قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالماشى في الماء هل يستطيع الذي يتقى في الماء أن لا يبتل قدماء (٣) وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقاتها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا معاهم فيه لكانوا من أعظم التنجسين فإرهاقها فكأن الشيء على الماء يقتضى بللا لاحتها يلتصق بالقدم فكذلك ملاعبة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تركب وتحتنن تصعب وينخر خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم ينخرق أو يثقل بوشك أن يكون وعاء لفصل كذلك القلوب مالم تنخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يفسد بها النعم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله (٤)» [مثال آخر لما بقى من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما سبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بغيره في آخره فيوشك ذلك الحيط أن ينقطع (٥)»

(١) حديث ما وضع لبنه على لبنه الحديث ابن حبان في الثقات للطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضيف من سأل عن أسرته أن ينظر إلى فلان ينظر إلى أمث مثاب مشعر لم يضع لبنه على لبنه الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه بين بيتان من جس فقال أرى الأمر أهبل من هذا الحديث إمام مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شيء بعد ثم يقول أهل الثناء والمجد أحق ما قال الصديق لما وجد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما مننت ولا ينفع ذا الجدم منك الجد فان أطال في النافذة القيام بعد الرغ من الركوع فليقل لربى الحمد مكررا ذلك مباحا شاء فأما في الفرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويتنعم في الرفع من الركوع بشام الاعتدال بإقامة الصلابة ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا ينظر الله إلى من لا يقم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوى ساجدا ويكون في هوى مكبرا

[مثال آخر فتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى المحلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله [مثال آخر لخالفه آخر الدنيا أولها ولنخارة أوائلها ونخبث عواقبها] أعلم أن شهوات الدنيا في القلب قد بينت كشهوات الأطماع في المعدة وسيجد العبد عند اللوث لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنزوة التبع ما يجد ولا قطعة للذينة إذا بلغت في المعدة غايته وكان الطعام كلما كان أده طعما أو أكثر دسا أو ظهر خلالة كان رجيحه أقدر وأشد تنافسا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وأده وأقوى فتشبهوا كراهياتها والتأذي بها عند اللوث أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده فكأن مصيبته وألمه ونفجه في كل ما قد يقدّر له وجه له وحرمة عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأقوى عند القدر أدهى وأمر ولا معنى للوث إلا قد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحك بن سفيان الكلبي : ألت تؤذي بطعامك وقد ملح وقرح ثم تخرّب عليه اللبن والساء قال بلى قال فإلام يصير قال إلى ما قد علقت بآرسل الله قال فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١) » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما مخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه إلام يصير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قدحه وملحه ^(٣) » وقال الحسن قد رأيتهم يطويونه بالأفاويه والطيب ثم يرمونه به حيث رأيتهم وقد قال الله عز وجل - فلينظر الإنسان إلى طعامه - قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إن أريد أن أأكل وأستحي قال فلا تستحي واسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته قام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما خلعت في انظر إلى ماذا صار . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حق أربكم الدنيا فذهب بهم إلى زقة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وحملهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه ^(٤) » [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] أعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم اللّاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القام وخوفهم مرور السفينة واستمعوا لها ففرقوا في نواحي الجزيرة ففرض بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف السكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألبها وأوقفها لمراعاة وبضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها المعينة وغياضها للتلذذ ونعمات طيورها الطيبة وألحائها الوزونة الغريبة وصار يلاحظ من ربها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة النظر المعينة النقوش الداللة على الناظرين ^(١) حديث أنه قال للضحك بن سفيان الكلبي ألت تؤذي بطعامك وقد ملح وقرح الحديث وفيه فإن الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه ^(٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن حبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زيادته بلفظ جعل ^(٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشرط الآخر هو الذي تقدم من حديث الضحك بن سفيان إن الله ضرب ما مخرج من بني آدم مثلا للدنيا ^(٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يحمل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرجع إليه مسلم من حديث الشنود بن شداد .

مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله فن الساجدين من يكشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متبليا في أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبرائيل عليه السلام تدبر خافية من جناحه حياء من الله تعالى . ومن الساجدين من يكشف أنه يطوى بساطه بالصكون والسكان ويرس قلبه في فضاء الكشف والعيان قهوى دون هوىه أطباق السموات وتنسحق قوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف

بحسن زيرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر موات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكامنا ضيقا
خرجوا فاستقر فيه وبضمهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجب حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها
فانصب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ماحله من الحجارة ضيقا وصار ثقيل عليه
ووبالا فندم على أخفه ولم يقدر على رعيه ولم يجد مكانا لوضعه فجعله في السفينة على عنقه وهو متأسف على
أخذه وليس بنفسه التأسف وبضمهم تولى الفياض ونسى للركب وبعد في متفرجه ومتفرجه منه حتى
لم يبلغه نداء اللوح لاستشائه بأكل تلك الفخار واستنجام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو
مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والتكبات ولا منفك عن شوك ينشب بشيابه
وغصن يجرح بدنه وشوكه تدخل في رجله وصوت هائل يزعج منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك
عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراد فلبث نداء أهل السفينة انصرف متحلا بما معه ولم يجد في
الركب موضعا يقي في الشط حتى مات جوعا وبضمهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فلتهم من أقرسته
السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأحوال ومنهم من نهشته الحيات
ففرقوا كالخيف المنقعة ، وأما من وصل إلى الركب ينقل ما أخفه من الأزهار والأحجار فقد استقرته
وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكدت
تلك الألوان والأحجار فظهرت رأتحتها فصارته مع كونها مضيقا عليه مؤذية بنتها ووحشتهم فلم يجد
حيلة إلا أن أقامها في البحر هربا منها وقد آثر فيه ما أكل منها فميتته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه
الأقسام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته إلا سعة المثل فتأذى ضيق المكان مدة
ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا
مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمخطوطهم الماحلة ونسيانهم مودهم ومصدرهم وغفلتهم عن غاية أمورهم
وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تراه أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم الثبت وهي زينة
الدنيا ونسي من ذلك لا يصعبه عند اللوث بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له الحزن
والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصاه الله عز وجل [مثال آخر لا عتار الخلق الله بنا وضف
إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إنا مثل ومثلكم
ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا امنها أكثر أو ما بقي أقدموا الزاد
وخسروا الظهر وبوا بين ظهري المفازة ولا زاد ولا حيلة فأبغوا بالملك فبيناهم كذلك إذ خرج
عليهم رجل في حلة تطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بربك وما جاءكم هذا إلا من قريب فقامت
إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام أمت فقالوا على ما ترى فقال أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء
ورياض خضر ما تعلمون ؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهودهم ومواثيقهم
بالله لا يصونه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فسكت فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا
يا هذا قالوا الرجل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كالنخس وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكرم
والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما نصنع جيش خير من هذا قالت طائفة منهم أقامهم لم تعطوا
هذه الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تصوء شيئا وقد صدقكم في أول حديث فوائده لا صدقكم
في آخره فراح فيمن اتبته وتخلف بقتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقيل ^(١) [مثال آخر نتم

رداء العظمة وذاك
أنقى ما ينهى إليه
طائر الهمة البشرية
وتقى بالوصول إليه
القوى الانسانية
ونفاوت الأنبياء
والأولياء في مراتب
العظمة واستثمار
كنها لكل منهم على
قدره حفظ من ذلك
وفوق كل ذي علم عليم
ومن الساجدين من
يقنع عاؤه وينتشر
ضباؤه ويحطى
بالصنمين ويبسط
الجناحين فيتواضع
بقبله إجلالا ويرفع
بروحه إكراما وإفضالا
فيجتمع له الأنس
والهنية والحضور
والنية والقرار والقرار
والإسمرار والجمار
فيكون في سجوده
ساجدا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إنا مثل ومثلكم ومثل
الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبراء والطبراني من
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام فيها يرى الناس مكان الحديث وفيه قال

الناس بالدنيا ثم تعجبهم على فراقها [أعلم أن مثل الناس فيها أعطوا من الدنيا مثل رجل هباً داراً وزينياً وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلمسه لا يملكه ويأخذه فجعل رحمه وعظي أنه قد وهب ذلك منه فطلب به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه شجر وضع ومن كان طالباً برحمته انتفع به وشكره ورده بطبق قلب وانتسرح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة طيلة على المجتازين لا على المقيمين ليزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع السافرون بالمواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتنا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

(بيان حقيقة الدنيا وما فيها في حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تنفعك ما لم تعرف الدنيا للذمومة ما هي أو ما الذي ينبغي أن يحتجب منها وما الذي لا يحتجب فلا بد وأن تبين الدنيا للذمومة للأموار باعتبارها لكونها عدة قاطعة لطريق الله ما هي فنقول ذمها وأخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الذي منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والترحال للتأخر يسمى آخرته وهو ما جدد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إلى الميل وفيه نصيب وحظ فليس بعموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرة جد الموت وهو شيان العلم والعدل فقط وأعلى العالم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وسماته والعلم بجرمة نبيه وأعلى بالعمل العبادة الخالصة لوجهه تعالى وقد يأمن العالم العلم حق صير ذلك إلى الأشياء عنده فيمجر التوهم والطعم والتسكع في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك قد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا للذمومة لم نجد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا يأمن الآخرة وكذلك العابد قد يأمن بعبادته فيستلها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما خلف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لساناً في الدنيا للذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة » (١) بنجل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والشهادة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتعريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فذلك أمثالها إلى الدنيا إلا أن لساناً في هذا الكتاب تتعرض إلا للدنيا للذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو المقابل له في الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كاللذذ بالمعاصي كلها والتمتع بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرزونات كاللذذ بالقنابر القنطرة من الذهب والفضة والحيل للسومة والأنعام والحراث والتلسان والجواري والحيل والواشي والتصوير والدور ورفيع الثياب ولقد أئد الأطمعة لحظ العبد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيها يندفع أولاً في حل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدداء على حصن فأخذ كتباً افتق أي أحد للكئين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر اتهموا إلى مفازة قد كرمه أخسر منه وإسناده حسن (١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث النساء وقرعة عيني في الصلاة النساء والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سواي وخيالي - وفيه يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكراهة الطوع للروح والقلب لما فيها من الأهلية والكراهة من النفس لما فيها من الأجنبية ويؤول في سجوده : سبحان ربّي الأعلى ثلاثاً إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأفعه ويكون ناظراً نحو أذنية أنه في السجود ظهر أبلغ في الخشوع للساجد ويأشتر بكفيه الصل

عليه درهين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا قد سبر لك في دمشق وأنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رأي فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا يد منه لئلا يلقى الإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فهما تناول البعد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يقيم مع البعد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أغنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والوفاة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا يحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجاة للسعدات بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين البعد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال البعد تنازل عنه فإذا جاء العذاب بين قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه» (١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السعدات وهما موصولان للبعد إلى لغة القاء والشاهدة وهذه السعادة تجعل عيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت المواقف تملأه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت المواقف وأقلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من اللوائح آمنا من العواقب وكيف لا يكون حب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غلب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق الحبيب الذي قد قدم على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة والواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يغطيه عن شهوات الدنيا ويغنى إليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتأهل إلا بقوت وميلين ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الله جات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الوقف في عرصات القيامة لأجل الحساب أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب (٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب» (٣)

(١) حديث مناضلة أعمال البعد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل فدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن حمزة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزرجي منه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أنس بن مالك إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحضره عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في التمعين طريقه

ولا يلحقها في الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويدها حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما ويقول بسم الله التسبيح: اللهم لك سجدت ولك آمنت ولك أسلفت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. وروى أمير المؤمنين على رضي الله عنه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك «وإن قال سبح قدوس رب الملائكة والروح لحسن روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده ذلك ويحافى مرقبيه عن

وقد قال أيضا: حلالها عذاب. إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما غوت من الدرجات الملا في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على غيوبها لحظوظ حقيرة خسيسة لا لبقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بصعادات دينية كيف يقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنما سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنصفة بكدورات لاضفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بظلمتها وتقطع الدهور دون مايتها فكل من تم في الدنيا ولو بسع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أشد منه وهو النقص بقوله صلى الله عليه وسلم لمرضى الله عنه «هذان النعم الذي تسئل عنه» (١) أشار به إلى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو اعني حسابا حين كان يعطش ففرض عليه ماء بارد بسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها مملوئة إلا ما أمان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأخبر كان حله من نعم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثله إبليس وقال رغبت في الدنيا وحتى إن سلجان عليه السلام في ملكه كان يطم الناس لذا نذا الأطمعة وهو يأكل خبز الشعير فجعل للكل على نفسه هذا الطريق امتنا وشدة فان الصبر عن لذائذ الأطمعة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما» (٢) «وكان يشدا الحجر على بطنه من الجوع» (٣) ولهذا سلط الله البلا والحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفروا من الآخرة عظم كآمتهم والوالد الشفيق ولد له القوا كه ويقوم ألم القصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرف بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت لما الذي هو لله فأقول الأشياء الثلاثة تمام: منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يجز عنه بالمعاصي والمخطورات وأنواع التعمات في الباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورية ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله فهو ثلاثة الفسكو والد كروا الكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان العرض من الفسكو طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار للعرفه أو كان العرض من ترك الشهوة حفظ السال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بآزده قد صار هذان الدنيا بالمعنى وإن كان بظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والنسكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاؤه فان كان القصد - حظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكثرا فمخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفا عن السألة موقفا على علي بن أبي طالب باسناد منقطع بلفظ وحرماها النار ولم أجده مرفوعا (١) حديث هذا من النعم الذي تسئل عنه تقدم في الأطمعة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله هبنا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق اسحاق معناه ولترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت القبايل للثابتة طائوا وأهله الحديث قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث كان يشدا الحجر على بطنه من الجوع تقدم.

جنيه ويوجه أصابه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يغرض ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى ويضع اليمنى موجهة بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفرججهما ويقول: رب اغفر لي وارحمي واهدني واجبرني وعافني وعاف عني ولا يبطل هذه الجلسة في القريضة أما في الثالثة فلا بأس معها أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكرر الإقضاء في التعمود وهو ههنا أن يضع

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) فانظر كيف اختلف ذلك بالتصديق في الدنيا حفظ نفسك العجل الذي لاحاجة إليه لأمر الآخرة وسبر عنه بالموى وإليه الإشارة بقوله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي التأوى - وبجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر اللقطة من الذهب والفضة والحيل للسومة والألعاب والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا - قد عرفت أن كل ما هو في فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو في إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لتبر الله وبين التتم والضرورة درجة يبرعها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حدا الضرورة فلا يضرب أن الاقتصاد على حدا الضرورة غير ممكن وطرف يراحم جانب التتم ويقرب منه وينبئ أن يحذر منه ويهينها وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما يمكن اتداه بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أوياسا القرنى كان يظن أنه لو أنه مجنون لشدة تضيقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنو السنتان والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط الثوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع الثوى واشترى بشنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزبال من قطع الأكسية فيفسلها في القرائن ويلقى بعضها إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صغار فأتى أخلف أن تدموا عني فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن» (٢) «إشارة إليه رحمه الله ولما أوى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقيم قال ققاموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال تعرف أوياس بن عمر القرنى فوصفه له؟ فقال نعم وما ذلك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما بينا أحقق منه ولا جن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر» (٣) «قال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أوياسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ القرائن نصف النهار يتوسأ ويغسل ثوبه قال فرفقه بالتمت الذي نمت لي فاذا رجل لحيم شديد الأدمة مخلوق الرأس كثر اللحية متغير جدا كره أوجه متعيب النظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حلالا مكثرا مفارها لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به إلى أوياس القرنى قدم في قواعد العقائد إجله أصلا (٣) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أوياسا ورويناه في جزء ابن السكيت من حديث أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأوياس بل في آخره فكان الشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

فسلمت عليه فرد عليّ السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصاخه فأبى أن
 يصاخي قلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خففت العبرة من حي إياه
 ورفق عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله ياهرم بن حيان كيف
 أنت بأخي ومن ذلك عليّ قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا -
 قال فضيحت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيي قلت من أين عرفت اسمي واسم أبي
 وما رأيتك قبل اليوم ؟ قال بنأى الصليم الحبيب - وعرفت روحى وروحك حين كنت نفسى تشك إن
 الأرواح لها أنفاس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتعاونون بروح الله وإن لم
 يلتقوا يتعارفون ويشككون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم النازل قال قلت حدثني رحمك الله
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث اسمه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولم تكن لى معه محبة بأبى وأبى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد حموه وبلغنى من حديثه كابلتك
 ولست أحب أن أتبع على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن
 الناس ياهرم بن حيان قلت يا أخى اقرأ عليّ آية من القرآن أممها منك وادع لى بدعوات وأوصنى
 بوصية أحفظها عنك فأبى أحبك فى الله حبا شديدا قال قام وأخذ يدي على شاطئ القرات ثم قال
 أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربى والحق قول ربى وأصدق
 الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بيمين.
 ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله إنه هو العزيز الرحيم - فشق شقة
 ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشع أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى
 نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي
 الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين
 ومات أبو بكر خليفة السلفين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفى ثم قال يا عمر ما بعمره قال قلت رحمك
 الله إن عمر لم يمت قال قد ناهى إلى ربى ونهى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى اللون كأنه قد كان ثم
 صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتى إليك ياهرم بن حيان
 كتاب الله وسننك الصالحين المؤمنين قد نعت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر اللوت لا يفارق قلبك
 طرفة عين ما بقيت وأنت قومك إذا رجعت إليهم وانصت للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة فتدشبر
 فتفارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ونفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم
 أنه يعزى إليك وزارى من أجلك فصرفى وجهه فى الجنة وأدخله لى فى دارك دار السلام واحفظه
 مادام فى الدنيا حيا كان وضم عليه ضيقته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره
 له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عى خير الجزاء ثم قال استودعك الله
 ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فأبى أكره
 التهمة والوحدة أحب إلى إبنى كثير اللهم شديد العلم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عى
 ولا تطلبنى واعلم أنك مئى على إله وإبنى لم أرك ولم ترى فاذا كرتى وادع لى فأبى سأذكرك وأدعوك
 إن شاء الله أنطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فخرست أن أمشى معه ساعة فأبى لى وفارقه
 فبكى وأبكأنى وجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا
 يخبرنى عنه بشئ رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المرصين عن الدنيا وقد عرفت
 مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما ظلمته الحسرة وما أظلمته التبراة

والخاصية القطرية ووضع
 يده اليمنى على غنقه
 اليمنى مقبوضة الأصابع
 إلا للسبحة ورفق
 السبحة فى التمسادة فى
 إلا الله لا فى كلمة التنى
 ولا يرضها متصبة بل
 مائلة رأسها إلى الفخذ
 منطوية فهذه هيئة
 خشوع السبحة ودليل
 سراية خشوع القلب
 إليها ويدعو فى آخر
 صلاته لنفسه والمؤمنين
 وإن كان إماما ينفى
 أن لا يفرغ الدعاء بل
 يدعو لنفسه وللمن
 وراءه فإن الامام للتيقظ
 فى الصلاة كما جددخل
 على سلطان ووراءه
 أصحاب الخواص يسأل
 لهم ويحرض حاجتهم
 والمؤمنون كالبيان
 يشد بعضه بعضا وهذا
 وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان له عز وجل من ذلك وعند الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى بما يؤخذ بقدر
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويثبت هذا بثالث وهو أن الحاج
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وحلف الجمل
وخز الرقوية وكل ما لا بد للحج منه لم يثبت في بيته ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن
مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالمع والصل
هو من الآخرة لا من الدنيا ، ثم إذا قصد تلك الدنيا وتسمه بهي من هذه الأسباب كان منحرفا عن
الآخرة ونحى على قلبه التسوية قال الطناسي : كنت على باب بني شيبه في المسجد الحرام سبعة أيام
طاولا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج
إليه أحمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حرك فاعلم ذلك تردد إن شاء الله تعالى .

(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأعفائها التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم

وخالقهم ومصدرهم وموردهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها غفل فلهذه ثلاثة أمور
قد يظن أن الدنيا عبارة عن أحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها
فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى : إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبؤهم أيهم أحسن عملا -
فالأرض فراش للأدبيين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنكح
ويجمع ماعلى الأرض ثلاثة أقسام : للمعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الأدنى للاتقيات
والتناوي وأما المعادن فيطلبها للالات والأواني كالبحاس والرماس ولتقده كالذهب والفضة وغير
ذلك من الناقص وأما الحيوان فيقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكـل
وعلفها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الأدنى أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم
ويستخدمهم كالغلمان أو ليمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليلبسها بأن يفرس
فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يبر عنه بإجلاله إذ معنى الجاه ملك قلوب الأدنى فيفهمه الأعيان
التي يمر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذه
من الإنس - والقطاير للقطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها
من الآلى والبواقيت وغيرها من الجمل السومة والاعنام وهي البهائم والحيوانات والخرشوشوه والنبات
والزروع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع البدن علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها واضراف هم إليها حتى يصير قلبه كاليد أو الحب السهر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع
صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن والادعوتوجب التناء
وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها. العلاقة
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم وأبهمهم منقلبهم بالدنيا لها تين
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا
وسرها علم أن هذه الأعيان التي حبتها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأغنى
بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا يعلم ومشرب وملبس ومسكن كلابي في الجمل في طريق الحج إلا بطف سوما وجلال
ومثال البدن في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يحلف
الناقة ويتسبها وينطقها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويردها للساء بالتج حتى

كلامه بقوله سبحانه -

كانهم ببيان مرموس -

وفي وصف هذه الأمة

في الكتب السابقة

صفهم في صلاتهم

كصفتهم في قتالهم

حدثنا بذلك عينا

ضياء الدين أبو النجيب

السهروردي إمامه قال

أنا أبو عبد الرحمن محمد

ابن عيسى بن شعيب

لنأبى قال أنا أبو الحسن

عبد الرحمن بن محمد

الظفر الواقع قال

أنا أبو محمد عبد الله

ابن أحمد السرخسي

قال أنا أبو همران

عيسى بن همر بن

الباس السمرقندي

قال أنا أبو محمد عبد الله

ابن عبد الرحمن

الدارمي قال أنا محمد

ابن موسى قال تاسم

هو ابن عيسى أنسأل

تقوته القاطنة وهو غافل عن الحِجْجِ وعن مرور القاتلة وعن بقاءه في البادية فريسة لسباع هواناته
والحاج البصير لاهيه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على الشئ فيتمسك بقلبه إلى الكعبة والحج
وإنما يلتفت إلى القاتلة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشغل به البدن
إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت النساء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها
من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن ههنا ما يدخل بطنه قبيحة متعرجة منها أو أكثر
ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر للسكن ولللبس أهون ولو عرفوا
سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصبروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا
وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابت أشغال الدنيا عليهم وأصل بعضها يحض
وتداعى إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل أشغال
الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف
صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنشغلهم أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف
والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الانسان مضطر إلى
ثلاث القوت والسكن واللبس فالقوت للغذاء والبقاء واللبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر
والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل وللبس غنى الله القوت والسكن واللبس ملصقات بحسب
يستغنى عن صنعة الانسان فيه ، ثم خلق ذلك للبهايم فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبعه والحر
والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن
اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل
الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فلم يسكن ، والحياكة
وما يكتسبها من أمر المنزل والحياطة فللملبس ، والفلاحة للطعم ، والرعاية للمواشي والحيل أيضاً للطعم
والركب ، والاقتناس نهي به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالصلاح يحصل
النباتات والرعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والقتنص يحصل ما نبت وتنتج بنفسه من غير صنع
آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونهي بالاقتناس ذلك ويدخل
تحت صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تنقسم إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء
والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها
أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات التجارية الحداد والحرف
وهؤلاء هم عمال الآلات ونهي بالتجارة كل عامل في الحطب كيفما كان والحداد كل عامل في الحديد
وجواهر المعادن حتى النحاس والبرص وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة .
وأما الحرف فنقسم به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الانسان
خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما
حاجته إلى النقل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الله كروا الأثني وعشرتهما . والثاني
التعاون على تهية أسباب الطعم واللبس ولتربية الولد فإن الاجتماع يغني عن الولد لاهماله والواحد
لا يشغل غنظ الولد وتهية أسباب القوت ثم ليس يكفي الاجتماع مع أهل والوالد في المنزل بل لا يمكنه
أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة لا يشك كل واحد بصناعة فإن الشخص الواحد كيف
يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها ويحتاج الآلة إلى حداد وتجار ويحتاج الطعام إلى طهوان
وخياض وكذلك كيف يتفرد بتحصيل اللبس وهو يغتنر إلى حراسة القطن والآلات الحياكة

كعب الأجر كيف
نجد نعم رسول الله
صل الله عليه وسلم في
التوراة قال نحمد محمد
ابن عبد الله يولد بمكة
وبهاجر لطيفة ويكون
ملكه بالشام وليس
بغضاض ولا صخاب في
الأسواق ولا يكاني
بالسيرة السيرة ولكن
يعفو ويغفر ، أمته
الهادون يمدون الله
في كل سره ويكبرون
الله على كل نجس
بوشون أطرافهم
ويأتون في أوساطهم
يصفون في صلاتهم كما
يصفون في قتالهم
دوهم في مساجد
كدوى النحل يسبح
منادهم في جو السماء
فالإمام في الصلاة مقدمة
الصف في محاربة
الشيطان فهو أولى

وآلات كثيرة فذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتماعهم صراء مكشوفة تأخذوا بالحر والبرد والطر والصوص فاقتروا إلى أبنية حكمه وسازل بفرد كل أهل بيت به وبمعاينه من الآلات والآثان وللنازل تدفع الحر والبرد والطر وتدفع أذى الجيران من العوصة وغيرها لكن للنازل قد تصدعا جماعة من الصوص خارج النازل فاقتروا أهل للنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع النازل فحدثت البلاد فحدثت الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في النازل والبلاد وتماثلوا تولدت بينهم خصومات إذ تحمت رئاسة ولاية للزوج من الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام بهومها حصلت الولاية على عاقل أفنى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فالمرأة لخاصة الزوج والولد لخاصة الأبوين هذا في للزول ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاونون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والبلاد وهي لا تنفى بأغراضهم فيتنازعون لاحالة ثم قد يميز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بسمى أومرض أوهرم وتعرض عوارض مخافة ولترك صناعتا هلك ولو وكل تفقدت إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب بخصه لكان لا بد من له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة للساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتحكم القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينص أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العائلات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بد منها ولا يشغل بها إلا خصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتجيز والهداية وإذا اشتغلوا بهائم يتفرغوا لصناعة أخرى ومحتاجون إلى العاش ومحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تحطت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تحطت البلاد عن الحراس واستمر الناس فست الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مال لك لها إن كانت أو تصرف الضائم إليهم إن كانت المداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة وورع قتموا القليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوسع خمس الحاجة لاحالة إلى أن يعدم أهل البلد بأموالهم ليدوم بالحراسة فتحدثت الحاجة إلى الحراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الحراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الحراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم المعامل وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللفرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو القارض للمساكر وهذه الأعمال لتوطلوها عدد لا تحصى رابطة انخرم النظام فتحدثت منه الحاجة إلى ملك يدرهم وأمير مطاع يمين لسكل عمل شصا ويختار لسكل واحدا مابق به وورامى النصفه في أخذ الحراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد حتى كل طاقة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالدين السكائتو يدرهم الحاجة إلى السكتاب والخزان والحساب والجباه والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشغال بالحرف فتحدثت الحاجة إلى مال القرع مع مال الأصل وهو السسمى فرج الحراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترقون بوانثانية الجندية الحاة بالسيف، والثالثة الترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم المعامل والجباة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتدا الأمر من حاجة القوت والملابس

السليل بالمقصوع
والايمان يوظائف
الأدب ظاهرا وباطنا
والصلون التي غطون كما
اجتمعت ظواهرهم
تجتمع بواطنهم
وتناصر وتعاقد
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
وبركات بل جميع
اللعين للصلين في
أقطار الأرض بينهم
تعاقد وتناصر بحسب
القابول ونسب الاسلام
ورابطة الايمان بل
تدعم الله تعالى بالملائكة
الكرام كأمير رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بالملائكة السومين
بحاجاتهم إلى محاربة
الشیطان أسمن من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهذا كان
يقول رسول الله صلى

وللكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنتهي إلى غير حدٍّ محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهوالة مناهضة منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تنم إلا بالأموال والآلات والوسائل بغير متعدين أعيان الأرض وما عليها مما يقتضيه به وأعلاهها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي المور ثم الأمكنة التي يسمى فيها لتجميع كالحيوانات والأسواق وللزراعة ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات مملوحيوان كالكلب آلة الصيد والبرق آلة الحرق والقرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن القلاح ربما سكن قرية ليس فيها آلة القلاح والحداد والتجار يسكنون قرية لا يمكن فيها الزراعة لضرورة احتياج القلاح إليها واحتياجنا إلى القلاح فيحتاج أحدهما أن يذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق للمواصلة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من القلاح الغذاء يأكله رجلا لا يحتاج القلاح في ذلك الوقت إلى آتة فلا يبيعه والقلاح إذ يطلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتوَقَّر الأفراس فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يحمل القلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل القلاح الجيوب فإذا لم يصادف محتاجا بأعماه بمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الأمكنة والأموال ثم يحدث للمالحة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات ويشغلون ذلك ويتعيشون به لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيجوز إلى أهل فيحدث التجار للتشككول بالنقل وباعهم عليه حرص جمع المال للمالحة فينبون طول الأجل والتأخر في الأسفار فحرص غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله للمالحة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالتفوق خسة المدة ولو عقل الناس وارتفعت همهم لزهودوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت الماشي ولو بطلت لمسكوا لملكوا لهما أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فيحتاج إلى دواب تحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدين فإن من يريد أن يشتري طعاما يذهب فمن أن يدرى المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كإيعاد ثوب بطما وحيوان يثوب وهذه أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل بتوسطيين للتباين بدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال بطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدمر وأقوال الأموال العادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصدارة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرة إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يشغل عن ذلك في الصبا فلا يشغل بأوعيته عنه ما تع فيق حاجزا عن الاكتساب لجزءه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرقان خبيثان البهيمية والكداية إذ يجمعهما أهما بأكلان من سعى غيرهما ثم الناس عجزون من العصور والسكدين وعقظون عنهم أموالهم فاضطروا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم ورجعنا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر
فتداركهم الأملاك
بل بأغاسم الصادقة
تسلك الأفلاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة سلم على عبده
ونوى مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على الملائكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمنات الجن ومجمل
خدا. مينا على عبده
إلى الواء عنقه وفضل
بين هذا السلام
والسلام عن يساره
قد ورد النبي عن
الواصله، والواصله
خمس اثنتان تخص
بالامام وهو أن لا يوصل
القراءة بالتصكير
والركوع بالقرعة
والثتان على المأموم وهو

الحيل والتدابير . أما الصوم : فتم من بطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون
ويشكرون ويقطعون الطريق للأعراب والأكراد . وأما الضعفاء منهم فيغزون إلى الجبل إما بالقب
أو التسلق عند انتهاء فرصة التفتة وإما بأن يكون طرارا أو سلا إلى غير ذلك من أنواع التماس الحادثة
بحسب ما تنجبه الأفكار الصروفة إلى استباطها . وأما السكدي فإنه إذا طلب ماسي في غير موقبله
أصب واهمل كما عمل غيره فالك والبطالة فلا يحط شيئا فانتفر وإلى حيلة في استخراج الأموال الوعبد
القدر لأخسهم في الطاعة فاحتالوا لقتل البعز إما بالحفرية كجماعة جمون أولادهم وأخسهم بالحيلة
ليعدروا بالمسي فمطون وإما بالتامس والتفالج والتجائن والتفارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع
بيان أن تلك حيلة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلمسون قوا والأولاد
يتعجب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخرها برفع اليد عن قليل من المال في حال
التعجب ثم قد يندم بعد هوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالسخر والمها كأداة التشيعة
والأفلاك للشحكة وقد يكون بالأشعار الثرية والكلام الثور السجع مع حسن الصوت والشعر اللوزون
أشد تأثيرا في النفس لاسي إذا كان فيه تعجب يخلق بالمذاهب كأشعار مناب الصحابة وضائل أهل
البيت أو الذي يحرك داعية المتقي من أهل المجاعة كصحة الطالبين في الأسواق وصنما يشبه العرض
وليس بموض كبيع التوديدات والحشيش الذي يغيل بآثمه أنها أدوية فيجذب بذلك الصبيان والجهال
وكأصحاب القرعة والقائل من للجمعين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والسكدون على رؤوس الناس
إذا لم يكن وراهم طائل على وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدبة وأنواعها
تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استبطن بدقي الفكر لآجل البشة فهذه هي أشغال الخلق
وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوة والكسوة ولكنهم نسوا أن الله
ذلك أنفسهم ومقصودهم ومقلبهم ومآبهم فاهوا وضلوا وسبق إلى عفوهم الضيقة بعد أن كدرتها
زحمة الاختلالات بالدنيا خيالات فاسدة فاهست مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة
غلبهم الجهل والتفتة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا القصد أن نعيش أياما في الدنيا
فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيا كلون ليكسبوا
ثم يكسبون لياكلوا وهذا مذنب الفلاحين والمترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فإنه
يتب نهارا لياكل ليلا ويأكل ليلا ليتب نهارا وذلك كبير السواني فهو سفر لا يتقطع إلا بالموت
وطائفة أخرى زعموا أنهم يخطئوا لأمر وهو أنه ليس المقصد أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتعمق في
الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فعولانا سوا أنفسهم
وصرفوا همهم إلى اتباع النساء وجمع لذة الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام وينظرون أنهم إذا
نالوا ذلك فقد أدرخوا غاية السعادة فتعلم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن
السعادة في كثرة المال والاستثناء بكثرة الكسوز فأسهروا ليلهم وأصبوا نهارهم في الجمع فهم يتسبون
في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يكون إلا
قدر الضرورة شحما ومخلا عليها أن تنقص وهذه قدرتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم
لثوت فيبقى تحت الأرض أو ينظر به من يأكله في الشهوات والذلات فيكون للجامع تعب ووباله
وللاكل لذة ثم الدين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يسيرون . وطائفة ظنوا أن السعادة
في حسن الاسم والطلاق الألسنة بالثناء واللدح بالتجمل والروعة فهو لاء يتسبون في كسب اللماش
ويشتقون على أنفسهم في اللطم والشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة
الاحرام بتكبيره
الامام ولا تسليمه
بتسليمه واحدة على
الامام والمأمومين وهو
أن لا يوصل تسليم
الفرض بتسليم النفل
ويجزم التسليم ولا يعد
مدا ثم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودنياه
ويدعو قبل التسليم
أيضا في سلب الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات المحسنة
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
الحسنة في جماعة وهي
سر الدين وكلمة
المؤمن وتجميع
للخطايا على ما أخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام

النفيسة ويزخرفون أبواب السور وما يقع عليها أبحار الناس حتى يقال إنهم وإنه ذوروة ويطنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في نهارهم وليلهم في تمهيد موقع فطر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وإشباع الخلق بالتواضع والتوفير صرخوا بهم إلى استرجار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات ونقل الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس ويزعمون أنهم إذا اتست ولا بينهم واتحدت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الناس من الناس فقولاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف بطول صرخوا بهم على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرحهم إلى جميع ذلك حاجة للطعم واللبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وأجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهال لم يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يجوز في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عالم بمقصود عمله وعلم بحظه ونصيبه منه وأن غاية مقصوده تمهيد يده بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك في سبيل التقليل اندثت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت المهمة إلى الاستعداد له وإن تمهيد به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلل إلى غير نهايتها فتشعب به المعلوم ومن تشعبت به المعلوم في أودية الدنيا فلا يزال في أي وادأهلك منها فمذاشأن للتسكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدوا الشيطان لم يتركهم وأضلهم في الأمراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تمهد في الدنيا أو لم يتهد فأروا أن السواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتجهجون على النار وقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محنة الدنيا وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لابد من إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكيفية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فقد عقله وجن بعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن قطع الصفات بالكيفية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تليس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا يتقصد عبيان عاص ولا يزيد عبادة متعب فاضداد إلى الشهوات وسلكوا سلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل البعبها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت المعرفة قد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه أرفع عنهم في معرفة الله سبحانه عن أن يشتبهوا بالكيف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة بطول إحسانها إلى ما يبالغ فيها وسبعين فرقة وإنما التاجي منها فرقة واحدة وهي السالك ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكيفية ولا يجمع الشهوات بالكيفية أما الدنيا فأخضعها لأقدار الراد وأما الشهوات فقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والمقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهر وردي رحمه الله
إجازة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خبرون قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس بن زكريا قال
تأ أبو محمد يحيى بن
محمد بن صاعد قال
تأ الحسين بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت
أبي يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله
صل الله عليه وسلم
« الصلوات الخمس
كفارات للخطايا والأقرباء
إن هلكتم - إن الحسنات
يسعين السيئات ذلك
ذكرى هذا كرم » .

ومن للسكن ما يحفظ عن الاصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه وامتثل بالذكر والفكر طول المعرو ببق ملازم السياسة الشهوات ومراقب لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاعتناء بالفرقة الناجية يوم الصحابة فإنه عليه السلام لما قال : الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم ؟ قال أهل السنة والجماعة فقيل ومن أهل السنة والجماعة ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي ^(١) وقد كانوا على التبع القصد وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدنيا وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالسكينة وما كان لهم في الأمور غفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع والله أعلم .

ثم كتاب ذم الدنيا والمجد لله أولا وآخرها وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(كتاب ذم البخل وذم حب المال)

(وهو الكتاب السابع من ربيع المملكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد بزرقه البسوط ، وكاشف الضر بعد القنوط ، الذي خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على المالمين أصناف الأموال ، وأيسلهم فيها يتقلب الأحوال . ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرس والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والأسف على المنقود والإشراق والإفلاق والتوسع والإملاق والتبذير والتفتير والرضا بالقليل واستعمار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملا وينظر أيهم أثار الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا وأخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذي نسخ بعلمه ملا وطوى بشريعته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذلا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن فتن الدنيا كثيرة المشتب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمع عنها وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن قد سال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه العيشان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسرا . وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من النجيات وآفات من المهلكات وتميز خبرها عن شرها من الموصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترشحين المترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشقى النيط بحكم الغضب والحسد

(١) حديث ائمة الرأى وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبدالله بن عمرو وحسنه تترق أمق على ثلاث وسبعين مة كلهم في النار إلا مة واحدة فقالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جيد .

(كتاب ذم البخل وحب المال)

[الباب الثامن
والسلاتون في ذكر
آداب الصلاة
وأسرارها]

أحسن آداب المصلى
أن لا يكون مشغول
القلب بشيء قلا وكثر
لأن الأكل كس لم يرضوا
الدنيا إلا ليحيوا
الصلاة كما أمروا لأن
الدنيا واشغلتها لما
كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على
عمل المناجاة ورغبة
في أوطان القربات
وإذعاناً بالباطن لرب
البريات لأن حضور
الصلاة بالظاهر إذعان
نظاها وفراغ القلب
في الصلاة عماسوى
الله تعالى إذعان الباطن
فلم يروا حضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يختل إذعائهم فتخرم
عبوديتهم فيجتنب أن

بضها والكبر وطلب المال وبضها ولها أباض كثيرة وبجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من قد صدقة الفقر ومن وجوده وصف القنى وما حالان يحصل بهما الاختيار والامتحان . ثم لفتاقد حالان: الفاقة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالان طمع فيها في أيدي الناس وتشر للحرص والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللاوجد حالان إسكاف بحكم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللنفق حالان تذبذرواقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن التعموش فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تحصيل فوائد للمال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخله ثم الاثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم القنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى - فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - ألمأكم التكبر - . وقال رسول الله ﷺ - حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل ^(١) ، وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذنبا من ذنوب أرسلا في زرية غم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل السلم ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « هلك السكثرون لإيمان قال به في عباد الله هكذا وهكذا قليل مأم ^(٣) » وقيل « يا رسول الله أنى أمتك شر قال الأغنياء ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « سيأتى بدم كقوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركون

(١) حديث حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبا من ذنوب أرسلا في زرية غم بأكثر إفسادا لها من حب المال والجاه في دين الرجل السلم الترمذى والنسائى في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالا جاثمان مكان ضاريان ولم يقولوا في زرية وقالوا الشرف بدل الجاه قال الترمذى حسن صحيح وللطبرانى في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبا من ذنوب أرسلا في زرية غم الحديث وللإمام من حديث أبي هريرة ضاريان جاثمان واستاد الطبرانى فيها ضعيف (٣) حديث هلك الأكثرون لإيمان قال به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن أبى بلفظ السكثرون ولم يقل في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ سكثرون وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ هم الأكثرون فقال أبوذر من هم فقال هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أنى أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمقى الدين ولدوا في النعيم وغدوا به يأكلون من الطعام آلوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السرى في الزهد من رواية عروة بن روم مر سلا والبخارى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمقى الدين غفوا بالنعم وتلبت عليه أجسامهم .

يكون باطنه مرتها بشىء ويدخل الصلاة وقيل من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد « إذا حضر العشاء والمساء قد قدموا العشاء على العشاء » ولا يصلى وهو حاقن يطالبه البول ولا حارق يطالبه الفلفظ والحرق أيضا شيق الحنف ولا يصلى أيضا وخفه شيق يشغل قلبه قد قيل لا رأى لحارق قبل الذى يكون معه شيق وفي الجملة ليس من الأدب أن يسلى وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الأشياء التى ذكرناها وأهنام للفرط والشغب . وفي الخبر لا يدخل أحدكم في الصلاة وهو مقطب ولا يسلبن أحدكم وهو

فرم الحبل والوانها وينسكون أجل النساء والوانها ويلبسون أجل الثياب والوانها لم بطون من القليل لاشيع وأنس بالكثير لاضح ما كفون على الدنيا يندون ويروحوون إليها اغتدوها الحق من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها يتهون ولهوام يتبعون فزعة من محمد بن عبد الله لم أندكه ذلك الزمان من عقب عتبكم وخلف خلقكم أن لا يسلم عليهم ولا يودم صرامهم ولا يتبع جنازهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنفة وهو لا يشعر» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأنتيت أو لبست فألبيت أو تصدقت فأمنيت» (٣) وقال رجل «يا رسول الله مالى لأحب اللوت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله فقال قدم مالك فإن قلب للؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه» (٤) وقال رسول الله ﷺ «وأخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى عثرته فأدبى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله والذي يتبعه إلى عثرته فهو عمله» (٥) وقال الحواريون ليسى عليه السلام : مالك عشى على لئاه ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فأنى صحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه ككاتب الصراط قال له ماله ما منى فقد أدبت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه ككاتب الصراط قال له ماله وبلك ألا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور» (٦) وكل ما أوردهنا في كتاب الزهد والفقر في ذم الفنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم السال فلا نطول بشكرى ربكم وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم السال بحكم العموم لأن السال أعظم أركان الدنيا وأعمادها كرا الآن ماورد في السال خاصة قال صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف» (٧)

(١) حديث سبأى بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا والوانها وينسكون أجل النساء والوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أمى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشددون في الكلام أولئك شرار أمى وسنده ضعيف ولم أجد لباية أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنفة وهو لا يشعر الزار من حديث أنس وفيه هاتى بن للتوكل ضحفة ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالى لأحب اللوت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسى وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الملت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي الدرداء وفيه صحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا السال وهو منقطع (٧) حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

غضبان «فلا ينسى لعبد أن يلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المصل يسكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع اليدين على الشمال فما أحسنها من هيئة جسد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندنا إن الصلابة إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا مجمدا لا يتحرك منه شيء . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا الضيقة فحبوا الدنيا (١) » . الآثار : روى أن رجلا قال له
أبي القاسم وأراه سوا قال اللهم من فعل بي سوء فأصحب جسمه وأطاع عمره وأكرمه فانظر كيف
رأى كثرة السال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا يد وأن يفضي إلى الطغيان. ووضع
على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عن لا تمنعني . وروى أن عمر رضي الله عنه
أرسل إلى زب بنت جحش بطائها قالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له
ثم قلت سترا كان لها قطعته وجعته ضررا وقسمته في أهل بيتها ورسمها وأيتامها ثم رضى يديها
وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عاصي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحوقه به وقال الحسن وأه ما أمر الدرهم أحد إلا أذهه الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم
رضعها إليهم ثم وضعها على جبهته ثم قبلها وقال من أحبها فهو عبدى حقا وقال مطيع بن محمد
إن الدرهم والدينارين أزمة للناقين بقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم غريب فإن
لم نعلم رقيقته فلا تأخذ فانه إن لدغك تلك صم قتل وما رقيقته قال أخذه من حله ووضع في حقه
وقال العلماء بن زياد ثلثت إلى الدنيا وعليها من كل زينة قتلت أموي بالله من شرك قالت إن شرك
أن يملك الله منى فأبغض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما
إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيرة أن التورع عند هذا الدرهم

فإذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن نكاح حوى للسلم

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضرنك من الروم ليس رقه أو إذا زفوق عظم الساق منه رقه

أو جبين لاح فيه أرقة خلعه أره الدرهم تصرف حبه أو ورعه

وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير
المؤمنين صنت صنبا لم يصنه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من
الولد فقال عمر أقصدوني فأعدهوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فإن لم أمتعهم حقهم ولم
أعطيهم حق الغريم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فافقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص
فه فلا أأبى على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لو أدرته فلو لدك من
بعدك قال لا ولكن أدره لنفسى عند ربى وأدخره لولدى . وروى أن رجلا قال لأبي عبد الله يا أخى
لا تنهب بشر وترك أولادك فخرج أبو عبد الله من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان
لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما لعبد في ماله عند موته قيل وما هذا قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله .

(بيان مدح السال والجمع بينه وبين الله)

اعلم أن الله تعالى قد سمى السال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم السال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة
والجمع فهو ثناء على السال إذ لا يمكن الوصول إليها إلا به وقال تعالى - ويستخرجها كنزها رحمة
من ربك - وقال تعالى ممثلا على عباده - وبعدكم بأموال وبينين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

ينبغي به وقد تقدم في آداب الصفة (١) حديث لاتخذوا الضيقة فحبوا الدنيا الترمذى والحاكم
وصححه إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قرعوا (٢) حديث نعم للسال الصالح يخرج للرجل الصالح
أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث حمرو بن الماس بسند صحيح بلفظ نعموا ولا المراء .

في الجبر « سبعة
أشياء في الصلاة
من الشيطان : الرعاف
والتماس والوصوة
والثأوب والحكك
والافتات « والبث
بالقوى من الشيطان
بضا وقيل السهو
والشك « وقد روى
عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما أنه قال
إن الخشوع في الصلاة
أن لا يعرف الصل من
على يمينه وشماله . ونقل
عن سفيان أنه قال :
من لم يخشع فسدت
صلاته . وروى عن معاذ
ابن جبل أشد من
ذلك قال : من عرف
من عن يمينه وشماله
في الصلاة متعمدا فلا
صلاة له وقال بعض
العلماء من قرأ كلمة
مكتوبة في حائط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) وهو شأنا على المال ولا تخف على وجه الجلب بعد الله والملاح إلا بأن تعرف حكمة المال ومتصوره وآفاته وغوائله حتى تكشف لك أنه خير من وجهه وشر من وجوهه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للأمن جميعا وما هذا وصفه فيمدح لاهلته تارة ويذم أخرى ولكن البصر المميز يدر أن الممجد منه غير للذموم ويأتي بالاستعداد بما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتخصيل درجات النعم واقتدر للنعم فيه هو أن مقصد الأكرام وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعم الدائم وللك تقبيل والتمتع بهذا دأب الكرام والأكرام إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكيسهم فقال: أكرمهم للموت ذكرا وأنثى»^(٢) وهذه السعادة لاتزال إلا ثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالأخيرة أقلها وألها من جملة الخارجية وأدناها الدرهم والدنانير فإنها مخادمان ولا خادم لهما ورايان لغيرهما ولا يراد أن لهما من حيث هو الجوهر الفيس للطلوب سعادتها وأنها تخضع العلم وللمعرفة وكرام الأخلاق لتصلها حصة في ذاتها والبدن يخضع للنفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخضع البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن اللباس إبقاء النسل ومن البدن تسهيل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة الطعام واللباس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لذلك الثابتة ملتفتا إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع وكان ماحصل له الغرض محمودا في حقه فاذن للمال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسديس العلم والعمل فهو إذا محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد الممجد ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشتر^(٣) كأورد به الخبر ولما كانت الطبائع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطمة لصيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إلى أعظم الحطافا يزيد على قدر الكفاية فاستاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل نوح» فلم يطلب من الدنيا إلا ما ينمض خيره وقال «اللهم أحني مسكينا وأمتي مسكينا واحشني في زمرة الساكين»^(٤) واستاذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن تصيد الأصنام وعشيقها هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تمتد الإلهية في شيء من هذه المجاراة إذا قد كفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها مجامعها والاعتقار بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس وقد تقدم في كتاب ذم التضعب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكرمهم للموت ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكرس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشتر يخدم قبله بتسعة احاديث وهو بية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل نوح عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحني مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لأن ذلك عدوه محلا، وقيل في تفسير قوله تعالى - والذين هم على صلاتهم دائمون - قيل هو سكون الأطراف والطعام نية . قال بعضهم إذا حكيت التكسيرة الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وإنما ذكرنا أن تحت الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التخليل تدابرا للقلب لدفع الوسوسة . أخبرنا شيوخنا ضياء الدين أبو العجيب السهروردي بإجازة قال

إليها قال نينا صلى الله عليه وسلم « تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تتمش وإذا شيك فلا تتمش » (١) فين أن عبها عابدهما ومن عبد حرافهوا عابدهم بل كل من كان عبدا لتبر الله فهو عابدهم أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن آداء حقه فهو كما بدتهم وهو شرك إلا أن الشرك شر كان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقها بنفسك عنه المؤمنون فانه أخفى من ويب الخلل وشرك جلي يوجب الخلود في النار نموذ بالله من الجميع .

(بيان تحصيل آفات اللال وفوائده)

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وتريق فوائده تريقه وغوائه صومه فمن عرف غوائه وفوائده أمكنه أن يحرز من شره ويستند من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى دينوية ودنيوية : أما الدينوية فلا حاجة إلى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها في ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن يتفقه على نفسه إماني عبادة أوفى الاستمانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستمانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل إليها إلا بالمسال وهما من أمهات القربات والفقر محروم من فضلهما وأما فيها يقويه على العبادة فذلك هو للطم والنلبس والسكن والتسكح وضرورات العيشة فان هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفا إلى تدبيرها فلا يفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستمانة على الدين من القوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وإنها لتغني غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فتعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدينية إذ به يكتب البعد الاخوان والأصدقاء وبه يكتب صفة السخاء ويلتحق بزرمة الأسيخاء فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المروءة ويسلك سبيل المروءة والقوة وهذا أيضا مما يظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فتعني به بئذ المال لدفع هجو الشراء وتلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تجز فائدته في الحاجة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما وفي به المرء عرضه كتب له به صدقة » (٢) وكيف لا وفيه منع المتعبد عن مصيبة الشبهة واحتراز عما يشور من كلامه من العداوة التي تحمل في المسكافة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الانسان تبيته أسبابه كثيرة ولوتولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتمذر عليه سلوك سبيل الآخرة والفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيره ويحصل به غرضك فأنت متعبد إذا اشتغل به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسران

أنا عمر بن أحمد الصغار قال أنا أبو بكر ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فأمان بشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغني بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخزاز إذا ركع فالأدب في ركوعه أن يتصب ويدنو وبشدي في ركوعه حتى لا يسبق منه مفصل إلا وهو متصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل واتشش وإنما علق آخره بلفظ تس واتشكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وفي المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للساجد والقناطر والرباطات ودور للرضى ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف للرصدة للغيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدائرة بعد الموت للستجبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متبادلة وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائده المال في الدين سوى ما يتعلق بالحفظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى المز والمجد بين الحلق وكثرة الإخوان والأعوان والأسدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحفظ الدنيوية . وأما الآفات فدنيوية ودنيوية أما الدينية فلا . الأولى : أن يجر إلى العاصي فان الشهوات متفاضلة والمعز قد يحول بين الرء والصية ومن الصمة أن لا يجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من الصية لم تحرك داعيته فاذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته والمال نوع من القدرة بجر داعية العاصي وارتكاب القبحور فان اتحم ما اشتبه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتة السراء أعظم من قنة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التمس في اللباعات وهذا أول الدرجات فلي بقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس التوب الحشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتمم بالدنيا ويمرن عليها فنه يصير التمس مألوفا عنده وتحبوا لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فاذا اشتد أنه يجر بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم التبهات ويغوص في الرأاة والدعانة والكذب والافتاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقهم ويصي الله في طلب رضام فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحفظ فلا يلم عن هذه أصلا ومن الحاجة إلى الحلق ثور العداوة والصدقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والخيمة والقيية وسائر للعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن الصدى أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يتفك عنها أحد وهو أنه يلزمه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله ، قليل إن أخذ من حله ؟ قتال بضعه في غير حقه فليل إن وضعه في حقه فقال بشده إصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومعها وسرها ذكر الله والتفكير في جلالة ذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمس ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسنه وفي خصومة التركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في خياشهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانمراده بالربح وتضييره في العدل وتضييعه للعسالة وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبدها عن كثرة الشغل القند المسكون تحت الأرض ولا يزال الفكر مترددا فيها يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يجر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يناسبه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والتم والمهم والتعب في دفع الحساد ونجس المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذن تزيق للمال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك موم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن المون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله لم ير أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الحشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التسلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والموارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فاذا قاموا إلى الصلاة يحضرون القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان فم الحرص والطمع ومدح القناعة والبأس بما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون التقير قاله منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يفتح بقدر الضرورة من الطعام واللبس والسكن ويقتصر على آله قديراً وأخسه نوعاً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فانه عن القناعة وتدنس لأحالة الطمع وذلك الحرص وجبر الحرص والطمع إلى مساوى الأخلاق وارتكاب التكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا لبثي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوصى إليه أنيتاه يملأها أوصى إليه فحنته ذات يوم فقال : إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثان ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري زلت سورة نحو براءة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لفتي واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشمان منهوم العلم ومنهوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال» (٥) ولما كانت هذه جيلة للأدي مضلة وغريرة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوب لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد قهر ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتاً في الدنيا» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الفنى عن كثرة العرض إنما الفنى غنى النفس» (٨) ونهى عن هذه الحرص والمبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٩)

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا لبثي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب. بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى زلت سورة نحو براءة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث منهومان لا يشمان منهوم العلم ومنهوم المال الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد وسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أنقطع من أسلم وورق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث ما من أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتاً في الدنيا قوتاً ابن ماجه من رواية تميم بن الحارث عن أنس ونفعي ضعيف (٨) حديث ليس الفنى عن كثرة العرض إنما الفنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب السكينة والعاشي .

والفعل الذين دخلوا في الصلاة بها فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حلهم من حضور القلب فكانهم أبدا في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتبأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحداً من أصحابه يمدد عليه كم ركعة صلى . وقيل : للصلاة أربع شعب حضور القلب في المحراب وشهود العقل عند ذلك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا رتاب لأن عند حضور القلب دفع الحجاب وعند شهود العقل دفع التاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أنى عبادك أغنى ؟ قال أنعمهم بما أعطيتهم قل فأبهم أعدل ؟ قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجروا في الطلب » (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما نحب لنفسك تكن مؤمنا » (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري « أن أغريا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله عظمي وأوجز فقال : إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تمتد منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس » (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعاك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعاك فعلى ماذا نبايعك ؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتسألوا الخس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا » (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الذين يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه . الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إن الطمع قور وإن اليأس غنى وإنه من يأس مما في أيدي الناس استغنى عنهم . وقيل لبعض الحكماء : مالفى ؟ قال قلة نبيك ورضاك بما يكتفيك وفي ذلك قيل :

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تحسّر
اقنع ببشك رضه وأترك هواك تميش حرّ
فلربّ حنف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يملّ الحزب اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم ينجح إلى أحد . وقال سفيان : خير دنياكم ما لم تنبتوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم . وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك بنادى بإبن آدم قليل بكميخ خير من كثير بطنيك . وقال سميط بن محلان : إنما بطئك بإبن آدم شبر في شبر فلم يخلقك النار . وقيل لحكيم ما مالك قال النجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس . وروى أن الله عز وجل قال بإبن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت جعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود : إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهرك فأنما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مازق . وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رضع إليه حوائجه فكتب إليه قد رقت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حدث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تمتد منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وقد تقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس . مسلم من حديثه ولم يقل قال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحدهم وهي عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف

الأركان وجود الثواب
فمن أتى الصلاة بلا
حضور القلب فهو
مصلّ لاه ومن أتاها
بلا شهود العقل فهو
مصلّ ساه ومن أتاها
بلا خضوع النفس فهو
مصلّ خاطي ومن
أتاها بلا خشوع
الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاها كما
وصف فهو مصل واف.
وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا قام البعد إلى
الصلاة للكتابة مقبلا
على الله بقلبه وسمعه
وبصره انصرف من
صلاته وقد خرج من
دنوبه كيوم ولدته أمه
وإن الله لا يغفر بصل الوجه
خطيئة أصابها وبصل
يديه خطيئة أصابها
وبصل رجليه خطيئة

وما أمسك عنى قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أسر للعامل وأيعا شيء . أعون على دفع الحزن ؟ فقال أمرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بحقوق القضاء . وقد بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غما المحمود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرص وإذا طمع وأخفهم عيشا أرضهم لدينا وأعظمهم ندامة العالم الفرط وفى ذلك قيل :

أرفه يال فنى أسى على ثقة إن الذى قسم الأرزاق برزقه
فالعرض منه مصون لا يدينه والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يجلل بإحسانها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حلّ وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
وتأزح الدار لا أضحك مقربا عن الأخصية لا يدرون ما حالى
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر الوتر من حرص على بالى
ولو قنعت أنا فى الرزق فى دعة إن القنوع الثنى لا كثرة للسال

وقال جمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لثمانى وقيل وما يسنى من الظهر لحجى وعمرقى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرهم ولا بأوضهم فوالله ما أدري أعمل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها . وعاب أعرابي أخاه على الحرص فقال بأخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تقوته وتطلب أنت ما قد كفتيه وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد قلت عنه كأنك بأخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا ، وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإراء حرصا على الدنيا كأنك لا تحسوت
فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسبي قد رصيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلحك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما واحدة فأعطك وأنا فى يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت : لاتلهفن على مافاتك غفلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدفن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتى لأخرجت من حوصلى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعص على شفته وتلف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسبت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لاتلهفن على مافاتك ولا تصدفن بما لا يكون أنا لحى ودى ورشى لا يكون عشريين مثقالا فكيف يكون فى حوصلى درتان كل دة واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فنفعت وهذا مثال لفرط طمع الأدنى فانه يحميه عن ذلك الحق حتى يقتدر مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء جبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك فخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد الزيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رأى تسم قلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أمتعت إليهما ثاكلا وأنشدنى :

إذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فان قرباب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوائت الأمور اجتنابها

أصابها حتى يدخل فى
صلاته وليس عليه
وزر . وذكر السرة
عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقال أى السرة أقبح
فقالوا والله ورسوله أعلم
فقال إن أقبح السرة
أن يسرق الرجل من
صلاته قالوا كيف يسرق
الرجل من صلاته ؟
قال لا يتم ركوعها ولا
سجودها ولا خشوعها
ولا القراءة فيها .
وروى عن أبي عمرو بن
العلاء أنه قدّم للامامة
فقال لا أصاح فلما أخلوا
عليه كبر ففتى عليه
فقدّموا إماما آخر فلما
أفاق سئل فقال لما
قلت استوا هتف بي
هاتف هل استويت
أنت مع الله قط . وقال
عليه السلام : وإن العبد

ولذلك مبدلاً لحرصك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لسكيب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها ونقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرتي قول كعب قال يطعم الرجل الذي يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حق لا عجب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خزم أفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن جيك للدنيا سلت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه له عز وجل ولم تمدد له فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك ثم قال هذا خبرك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت برأهب ققلت له من أين تأكل ؟ قال من يدرى أظيف الخير الذي خلق الرعا بأنبأه بالطين وأوماً بيده إلى رعا أضراسه فسبحان القدير الخبير .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الإنفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه وبرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن كثر خرجته واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقتل من الإدام ما أمكنه وبوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في العيشة وهو الأصل في القناعة ونعم به الرفق في الإنفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفقر والمسدل في الرضا والعقب » (٣) وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قهرك رقتك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة » (٤) وفي الخبر « التدبير نصف العيشة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذرأ فقره نادى ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الثنى والفقر والمسدل في الرضا الضبط للزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف العيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهره العقيلي ووثقه ابن معين

إذا أحسن الوضوء
وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقيتها
قالت حفظك الله كما
حفظتني ثم صمدت ولها
نور حق تنهى إلى
السماء وحق تصل إلى
الله فشفع لصاحبها
وإذا أضاءها قالت
ضيمك الله كما ضيمتني
ثم صمدت ولها ظلمة
حق تنهى إلى أبواب
السماء فتغلق دونها ثم
تألف كما يلف الثوب
الحلق فيضرب بها
وجه صاحبها « وقال
أبو سليمان الداراني إذا
وقف العبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فبأبني وبين
عبدي فإذا التفت
يقول الله أرخواها فما
بين وبينه وخلوا

أحبه الله ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا وخرجاً » ^(٢) والتؤدة في الاثاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكتبه فلا ينبغي أن يكون هديدا واضطراب لأجل السنبلة وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فازدأ الحرص ليست هي السبل لوصول الرزق بل ينبغي أن يكون واتقا بوعده الله تعالى إذا قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وفلك أن الشيطان يصد الفقر ويأمرك بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تبصر وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب وضحك عليه في احتماله التعب قدما مع الثقة عن الله لنوم تعب في ثأني الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل:

ومن ينق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فإلى فضل الفقر

وقد دخل ابن خالده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « لا تبأسا من الرزق ما نهزهزت رءوسكا فان الانسان قلده أمه أحمر ليس عليه قصر ثم يرزقه الله تعالى » ^(٣) ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له « لا تسكر همك ما قدر ريك وما ترزق بأتك » ^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لبيد إلا ما كتب له ولن ينهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة » ^(٥) ولا يترك الانسان عن الحرص إلا بحسن نية بتدبير الله تعالى في تدبير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لاجلهم مع الاجمال في الطاب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يثق بالله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فاذا اتصد عليه باب كان ينظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم « أي الله أن يرزق عبده المؤمن بالإمن حيث لا يحتسب » ^(٦) وقال سفيان اتق الله لما رأيت غيا محتاجا أي لا تترك التقي وقد اضروته بل يثق بالله فلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الخراج قلت إذا صدر وافبكى وقال لو لم يبق إلا من حيث ندرى لم نعيش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنايشين شيئا منهما هو لى فلن أجهله قبل وقته ولوطيته بقوة السموات والأرض وشيئا منهما هو لعيرى فلذلك لم الله فيها مضى فلا أرجو غيا بقى يمنع الذي لعيرى منى كما يمنع الذي لى من غيرى ففى أى هذين أى عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما في القاعة من عز الاستثناء وما في الحرص والطعم من الدل فاذا تحقق عند ذلك انبعت رغبته إلى القضاء لأنه

عبدى وما اختار نفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأصرف منهما وأنا متحى من الله حياء رجل صرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأرب عنده ومعرفة كل إنسان بأبد الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بحرم بين يدك قال إن الله أصلى له أقرب إلى من الذى يحى بين يدي وقيل كان ابن العابد بن على بن الحسين رضى الله عنه إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك يقول أتدرون بين يدي

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه عمر عمران بن هارون البصرى قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أن غير منكر أى هذا الحديث ولأحمد وأبو يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله . (٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا وخرجاً رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تبأسا من الرزق ما نهزهزت رءوسكا الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالده وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر همك ما قدر ريك وما ترزق بأتك له لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف في صحته ورواه الأصمها في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو العافرى مرسل (٥) حديث ألا أيها الناس أجمعوا في الطلب الحديث قد تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث على بن اسناد واه ورواه ابن الجوزى في اللوضعات .

في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والافضل وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال ولأنهم ثم يفتونه عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثر حاجته إلى الناس فلا يترك دعوتهم إلى الحق ويلزمه الداهية وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استخاؤه عن الناس » (١) ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أميره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحقى من الأكراد والأعراب الأبلاب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصعابة والتأبين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخبر عقله بين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أوصاف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الشك والقناعة باليسير فإنه إن تتم في البطن الفجار أكثر أكلا منه وإن تتم في الوقاع فالخزير أطى رتبة منه وإن تزين في اللبس والحيل في اليهود ومن هو أطى زينة وإن قنع بالقليل ورضى به لم يسامحه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يجهل ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات السالو ما في خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الأمن والترفاح ويتأمل ما ذكرناه في آفات السال مع ما به ومنه من الدافعة عن باب الجنة إلى حسيبة عام فإنه إذ لم يفتح باب الجنة ألقى برزمة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه يقول لم تفر عن الطلب وأرباب الأموال يتممون في الطعام واللباس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتمسك فتردد أن تتبرع عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقى (٢) أى في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل الله عليه » (٣) فهذه الأمور بقدر على اكتساب خلق القناعة ومحامد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرًا طويلا فيكون كالمرضى الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن السال إن كان مفقودا فينبئني أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبئني أن يكون حاله الإثارة والسخاء وإصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بنفس منها قاده ذلك

(١) حديث عز لاؤمن استخاؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه إسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن سايان عن محمد بن عبيدة وكلامهما مختلف فيه وجهه القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوقى أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل الله عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما قبل » وقد
ورد في لفظ آخر
« منكم من يصل
ال صلاة كاملة ومنكم
من يصل النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ الشر » قال
الحواصم يفيض للرجل
أن ينسوى نوافله
لفصان فرائضه فان
لم ينوها لم يحسب له
منها شيء . بلنا أن الله
لا يقبل نافلة حتى
تؤدى فريضة يقول
الله تعالى : مثلكم كمثل
العبد السوء بدأ
بالهدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضا
انقطع الخلق عن الله

النصن إلى الجنة (١) » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بها ما استطعتم (٢) » وفي رواية « فأكرموه بها ما محبتوه » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جيل الله تعالى وليه إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) » وعن جابر قال « قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والباعة (٤) » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يفضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى حسن الخلق والسخاء وأما اللذان يفضهما الله فهو الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس (٥) » وروى للقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات النفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيّا أخذ بسنن منها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله الجنة والتشع شجرة فى النار فمن كان شحيحاً أخذ بسنن من أغصانها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله النار (٧) » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى يعبثوا فى أكناهم فأنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنى جعلت فيهم سخطى (٨) »

(١) حديث السخاء شجرة فى الجنة الحديث ابن حبان فى الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى فى الاستجداد من حديث أبي هريرة وصياتى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى فى اللوضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبو سعيد (٢) حديث جابر مرفوعاً حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الحديث الدارقطنى فى الاستجداد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جيل الله وليه إلا على حسن الخلق الحديث الدارقطنى فى الاستجداد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى اللوضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقة عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعي عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جداً (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والباعة أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن للتكدر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والباعة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والباعة وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خنابان يحبهما الله وخلقان يفضهما الله فأما اللذان يحبهما الله حسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول فى آخره وإذا أراد الله بعبده خيراً وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الأسفهانى جميع الحديث موقوفاً على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضاً من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيراً صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدم بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات النفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفى رواية يوجب الجنة الطعام وإفشاء السلام وفى رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبي هريرة السخاء شجرة فى الجنة الحديث وفيه والتشع شجرة فى النار الحديث الدارقطنى فى الاستجداد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جداً (٨) حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى يعبثوا فى أكناهم الحديث ابن حبان فى الضعفاء والحرثى فى مكارم الأخلاق والطبرانى

تعالى بخصتين إحداهما أنهم طلبوا التواضع وضيقوا الفرائض والثانية أنهم عملوا أعمالاً بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والصح لها وأنى الله تعالى أن يقبل من عامل محلاً بالصدق وإصابة الحق وفتح العين فى الصلاة أولى من ضمير العين إلا أن يثبت همه بتفريق النظر فيبعض العين للاستعانة على الحشوع وإن تشابه فى الصلاة يضم شفثيه بقدر الامكان ولا يفرق دونه بصدرة ولا يزاحم فى الصلاة غيره قبل ذهب الزحوم صلاة الزاحم وقيل من ترك الصف الأول مخافة أن يضيق

ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كما عثر^(١)» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى فروة البعير وإن الله تعالى ليأمر بمطعم الطعام للأنسكة عليهم السلام^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاهتها^(٣)» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأما رجل فسأله فأمره ببناء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يقوم أسلموا فإن محمدا يطلى عطاء من لا يخاف الفاقة^(٤)» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا يخصهم بالتمتع للأنسكة البادقن غل تلك لتنافع على البادقن قلها الله تعالى عنه وحوثها إلى غيره^(٥)» وعن الهلال قال «آى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى النضر فأمر بقتلهم وأفراد منهم رجلا فقال بنى أبي طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فبال هذا من بينهم؟ قال صلى الله عليه وسلم زل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا فإن الله تعالى شكره سخاءه^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تسبيل السراح^(٧)» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء لحظه عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غرزه ابن القطان وتابعه عليه عبد التفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لأبأس بحديثه وتسكاه فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث علي وقال إنه صحيح الاستاد وليس كما قال^(٩) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كما عثر الطبراني في الأوسط والحرثاني في مكارم الأخلاق . وقال الحرثاني أقبلوا السخي زلته وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بأسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدار قطنى^(١٠) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع إلى البيت الذي يشئ وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى ستام البعير ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة^(١١) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاهتها الحرثاني في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز وهذا مرسل ولا طبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كرم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة^(١٢) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأما رجل فسأله فأمره ببناء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة^(١٣) حديث ابن عمر إن لله عبادا يخصهم بالتمتع للأنسكة البادقن غل في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السقي وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله ابن زيد الحمصي ضعفه الأزدى^(١٤) حديث الهلال آى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى النضر فأمر بقتلهم وأفراد منهم رجلا الحديث وفيه فإن الله شكره سخاءه فيه لم أجده أصلا^(١٥) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تسبيل السراح لم أقف له على أصل^(١٦) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدار قطنى في غرائب مالك وأبو على الصدوق في عواليه وقال رجاله

على أهله قام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب نصف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء وقيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل . وروى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز للرمل حق كان يسمع في بعض سكك المدينة . ومثل الجنيد ما فرضه الصلاة قال قطع الملائق وجمع المم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يمز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض

« كل معروف ضلته إلى غنى أو فقير صدقة »^(١) وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تفتل السامري فإنه سخي وقال جابر « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادَةَ فجهدوا فخر لهم قيس تسع ركائب فخذلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعه أهل ذلك البيت »^(٢) . الآثار : قال لي كرم الله وجهه إذا أقبلت عليه الدنيا فألق منها فاتها لأنفي وإذا أدبرت عنك فألق منها فاتها لأنفي . وأنشده :

لا تَبْخُنْ بِدِينِكَ وَهِيَ مَقْبُورَةٌ فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ

وإن تولت فأحرى أن نجود بها فالجود منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن الروعة والتجعة والسكر فقال ما للروعة لحفظ الرجل دينه وحفزه لله وحسن قيامه بدينه وحسن النازعة والالزام في الكراهية . وأما التجعة فالقلب عن الجار والصبر في المواطن . وأما السكر فالترجع المعروف قبل السؤال والإطعام في الحبل والرافة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية قليل يا ابن رسول الله لو نظرت في رقتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك قال بئس الله عز وجل عن ذلك مقامه بين يدي حتى أقرأ رقتي . وقال ابن السكيت عجبت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري للأحرار بحروفه . وسئل بعض الأعراب من سيديكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى ماله لنا وأغضى عن جاهنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذل ماله لطلبه لم يكن سخيوا إنما السخي من يبتدئ بحق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه لله إلى حبال الشكره إذا كان يتيه بثواب الله تعالى . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ قال أن تجرد مالك في الله عز وجل قبل لما ألزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه . وقيل لما الأسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال لأعوان من القتل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة إلا وإن الله عز وجلية ول : إن جواد كريم لا يجاورني التيمم والاثم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه عاب في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بباحته . وروى أن الأنحرف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم قال لي قال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وروى عنه قول : أنت للمال إذا أسكتك فإذا أنقذت فامالك

وصي واصل بن عطاء النزال لأنه كان يجلس إلى التزاليين فإذا رأى امرأة ضئيفة أعطاها عيشا. وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يشترط علي إعطاء الشراء فكسب إليه خير المال ما وثق به العرض. وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالخوان والجلود بالمال. قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبث بها صريرا إلى إخوانه. وقال قد كنت

والله يحب إفاتة اللفهان الدار قطنى في الاستجاء من رواية الحجاج بن أرقطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مغرراً فالحاجة الأولى تهدمت قبله والجملة الثانية تهدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو يعلى من حديث أنس أيضا وفها زاد الحميرى ضعيف (١) حديث كل معروف فلهذا إلى غنى أو تقييد صدقة الدار قطنى فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبرانى والحرائلى كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بلسانين ضعيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فخر لهم الحديث وفيه فقال إن الجلود لمن حبة أهل ذلك البيت الدار قطنى فيه من رواية أبي حمزة الحميرى عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

أَسَأَلَ الله تَعَالَى لِأَخَوَانِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي فَأَجْعَلَ عَلَيْهِمُ الْمَالَ . وَقَالَ الْحَسَنُ بَذَلُ الْمُجْهُودِ فِي بَذَلِ
لِلْوُجُودِ مِنْهُي الْجُودَ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ قَالُ مِنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي
قَبْلَ فَاَن لَمْ يَكُنْ قَالُ مِنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ أَتَمَّكَتْ مِنْ
نَفْسِهِ حَتَّى أَضْحَ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ فَيَدِي مِثْلَ يَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ الْهَدْيُ لَتَشِيْبَ بِنُ شَبَةِ كَيْفَ
رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي قَدْ لَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِئًا وَيَخْرُجَ رَاضِيًا وَيَحْتَلِ
مِثْلَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالُ :

إِنْ الصَّدِيقَةُ لَا تَصْكَوْنُ صَنِيعَةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنِيعِ

فَإِذَا اسْطَلَمْتَ صَنِيعَةً فَاعْمَدِ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوِي الْقِرَابَةَ أَوْدَعِ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِيُخْلِلَنَّ النَّاسَ وَلَكِنْ أَمْطَرَ الْعُرُوفُ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ
السَّكْرَامُ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ اللَّثَامُ كُنْتُ لَهُ أَهْلًا .

(حكايات الأسخياء)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّكْدَرِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَحْمِلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَشَّ إِلَيَّ
بِمَالٍ فِي غُرَارَتَيْنِ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ دَعَيْتُ بِطَبِيقٍ لَجُعَلَتْ تَحْمِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا امْتَسَتْ قَالَتْ
بِاجَارِيَةٍ هَلْ فِي طُورِي فَجَاءَتْهَا بِخَبْرٍ وَزَيْتٍ قَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَلَعَتْ فِيمَا قَعَمْتُ الْيَوْمَ أَنْ أَشْتَرِيَ
لَنَا بِدِرْهَمٍ لَحْمًا فَطُفِرَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَعَلَّتْ . وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عَثَانَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ
أَنْ يَضَارَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَأَتَى وَجْهَهُ قَرِيشٌ فَقَالَ يَقُولُ لَكُمْ عَبْدُ اللَّهِ تَعْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ
حَتَّى مَلَأُوا عَلَيْهِ الدَّارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْخَبْرَ فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بِشَرَاءِ فَاكِهَةٍ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا
وَخَبَزُوا وَقَدَّمَتْ الْفَاكِهَةَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهَا حَتَّى وَضَعَتْ الْوَائِدَ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدُرَ الْوَقْدُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
لَوْ كَلَّاهُ أَوْ وَجِدَ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ قَالُوا ثُمَّ قَالَ فَلْيَتَذَكَّرْنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مُصَافٍ بْنُ
الزَّيْبَرِ حَجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَا تَلْقَهُ وَلَا تَسَلِّمْ عَلَيْهِ
فَمَا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنْ عَلَيْنَا دِينًا فَلَا يَدُ لَنَا مِنْ إِيَّانِهِ فَفَرَكَ فِي أُذُنِهِ وَلَحَقَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَمَرُوا عَلَيْهِ يَخْنُقُونَ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَعْيَا وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَاقُومَ يَسُوقُونَهُ
قَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا فذَكَرَ لَهُ فَقَالَ اصْرَفُوهُ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَاقِدِيِّ قَالَ
حَدَّثَنِي أَنَّ أَنَّهُ رَفَعَ رَقْعَةً إِلَى الْتَّامُونِ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ عَلَيْهِ فَوَقَعَ الْتَّامُونُ عَلَى ظَهْرِ
رَقْعَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أَطْلَقَ مَا فِي يَدَيْكَ
وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَنْعَمُكَ عَنْ تَبْلِغَتِنَا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَإِنْ كُنْتُ
قَدْ أَصَبْتُ فَازْدَدْ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجَنَانِيكَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْتَ حَدَّثْتَنِي وَكَنْتُ عَلَى
قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلزَّيْبَرِيِّ بْنِ
الْعَوَامِ يَازَيْبِرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ يَبِثُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدْرِ تَقَوُّهُ
فَمَنْ كَثُرَ كَثْرَتُهُ وَمَنْ قَلَّ قَلَّتْ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ^(١) قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللَّهِ لِمَا كَرِهَ الْتَّامُونُ إِيَّايَ بِالْحَدِيثِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَارَةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ
يَا هَذَا حَقُّ سَوَالِكَ إِيَّايَ بِعَظَمِ لَدِي وَمَعْرِفَتِي بِمَا يَجِبُ لَكَ تَكَبُّرٌ عَلَى يَدِي تَعَجُّرٌ عَنْ نَبْلِكَ بِمِائَةِ
أَهْلٍ وَالْكِبَرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مِلْكِي وَفَاءٌ لَشَرِّكَكَ فَإِنْ قَبِلْتَ الْبُيُوتَ وَرَفَعْتَ

قِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا
وَقِيلَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ «مَنْ صَلَّى
رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يَحْدِثْ
نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ» وَقَالَ يَسَافُ «إِنْ
الصَّلَاةُ عَسْكَرٌ وَتَوَاضَعُ
وَتَضَرَّعُ وَتَتَدَمَّعُ وَتَرْفَعُ
يَدَيْكَ وَقَوْلُ : اللَّهُمَّ
اللَّهُمَّ فَمَنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ
فَمَنْ خَدَّاجٌ» أَيْ نَاقِصٌ
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا
تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ تَبَاعَدَ
عَنْ الشَّيْطَانِ فِي
أَقْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفَانَهُ
لَأَنَّهُ تَاهَبَ لِلدَّخُولِ عَلَى
لِللَّهِ فَإِذَا كَبَّرَ حَجَبَ
عَنْهُ إِبْلِيسُ قَبْلَ
يَضْرِبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
سَرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ
وَوَاجَهُ الْجِبَارُ بِوَجْهِهِ
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرًا طَلَعَ
لِللَّهِ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدِيثُ أَنَسٍ يَازَيْبِرُ اعْلَمْ أَنَّ مِفْتَاحَ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ بَازَاءُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ وَفِي أَوَّلِهِ قَصْعَمُ الْتَّامُونِ
الدَّارُ قَطْنِي فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزَّهْرِيِّ بِالْعَنْتَةِ وَلَا يَصِحُّ .

عن مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أنسكفه من واجب حنك فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على اللع فدها الحسن بوكيله وجعل بحاسبه على ثقافته حتى استقصاها فقال العاتق الفضل من الثلاثة ألف درهم فأحضر حسين ألقا قال لما فلت بالحاجة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدرهم إلى الرجل وقال هات من يمد لك فأتاه بمالين فدفع إليه الحسن ردها لكره الخالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم فقال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لتأجر صوام قوم ينفق كل واحدنا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر قال اعملوا لعلوا فقال ابن عباس ما أصفناه أعطيتنا ما يشته عن قيامه وصيامه أرجوا بنا تسكن أعوانه على تجهيزها فليس لدينا من التدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه ومابنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فقبل وضلوا . وعنى أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحيد بن سعد أميرهم فقال والله لأعفن الشيطان أتى عدوه قال يحاولهم إلى أن رخت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل ولتجار عليه ألف ألف درهم فخرهم بها حل نسائه وقيمتهما خمسمائة ألف ألف فلما فلت عليه ارتجاعها كتب إليهم يبيها ودفع القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته . وكان أبو طاهر بن كثير شيئا فقال لرجل يحق على بن طالب لما وهبت لي ثعلبك بموضع كذا وكذا قال قد فلت وحته لأعطيتك ما يلبها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فدحه بعض الثراء فقال للشاعر : والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمي إلى القاضي وأدع على بشرة آلاف درهم حتى أقرك بها ثم احبسي فإن أهل لا يتركوني محبوسا فقبل ذلك فلم يسر حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملا على المراقين بالبصرة فحضر به شاعر فأظممده وأراد المخلول على معن فلم يتبأ له فقال يوما لبعض خدمه معن إذا دخل الأمير البستان فرفق فلما دخل الأمير البستان أعلمه فكذب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الباء الذي يدخل البستان وكان معن على رأس اللاء فلما بصر بالحبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها :

أما جود معن ناج معنا بما جنى فسأل إلى معن سواك شنيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال فأمره بشربد فأخذها ووضع الأمير الحبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حتى أن أعطيه حتى لا يبق في بيت مالي درهم ولا دينار . وقال أبو الحسن اللدائي خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حبا جافا فأتاهم لجاموا وعطشوا فرأوا بجوز في خياه لها فقالوا هل من شراب ؟ قالت نعم فانأخوا إليها وليس لها إلا هونبة في كسر الحبة قالت احلبوها واشتلقوا إليها فقبلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحكم حتى أهي لكم مأكلا كون قدام إليها أحدم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأهملوا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش تريد هذا الوجه فانأرجنا سائلين فألمى بنا فانا سامنون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بغير التوم والشاة فغضب الرجل وقال وياك تدعين شاتي قوم لاصرفنيهم ثم حولين نمر من قريش قال ثم بعد مدة ألبستها الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجلا يثقلان البر إليها ويبيحانه ويتبعان بنته

يكن في قلبه أكبر
من الله تعالى يقول :
صدقت الله في قلبك
كما تقول وتشتنع من
قلبه نور يلحق
بالحسوت العرش
ويكشفه بذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب له
حشو ذلك النور
حنات وإن الجاهل
القافل إذا قام إلى الصلاة
استوشته الشياطين كما
يحتوش الذباب على
قطعة العمل فإذا كبر
اطلع الله على قلبه فإذا
كان شيء في قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر في
قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلحق
بستان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فصرف العجوز وهي له منكسة فبعت غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يامنة الله أنصرفيني ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ، ثم أمر الحسن فاشترى الحسن شياء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعت بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بك وصلك أخي ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بثل ذلك ثم بعت بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بك وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها عبد الله بألف شاة وألف دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعكما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كرز من للسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من تقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله أنك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك نضى وحدك قلت أتيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجانحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومضى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استبق هذه فقم ماأذك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزفروا عند قبره . وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بيrole بنجي وكان السخى الليث قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بئر سمين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم بعيره بنجي فقام وقع بينهما العقد عند هذا الرجل إلى بئره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يشج من نحر بئره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئا وذكر الليث صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيرى بنجي في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيت في النوم وهو يقول إن كنت ابى فادفع بنجي إلى فلان بن فلان وساء . وقدم رجل من قريش من السفر ففر رجل من الأعراب على قارة الطريق فدأقده الدهر وأضر به المرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لسلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابى أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يجد من الضعف فسكى فقال له الرجل ما يبكى لك استغفلت ما أعطيناك ؟ قال لا ولكن ذكرت ماأأكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خاله بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بثمانين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا يكون لدمارهم فقال يا غلام ألهم فأعلمهم أن للسالى والدار لهم جميعا . وقيل بعت هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله غنمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فغضب هرون وقال أعطيه خسمائة وتعطيه ألفا وأنت من رعتى فقال يا أمير المؤمنين إن لى من غلق كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم نجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه بيتا من عدل فأمر لها بزق من عدل فقيل له إنها كانت تنزع بدون هذا ؟ قال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يصدق على ثلثائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندى فكان خيشتة بن عبد الرحمن يمودها بالعداة والشيء ويسأئنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدقوا لبنها وكان نحن لبد أجلس عليه فإذا خرج قال خذ ماأنت الببد حتى وصل إلى في عدة الشاة أكثر من ثلثائة

للكسوت فزاد ذلك الحجاب صلابة ويلتئم الشيطان قلبه فلا يزال ينفع فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى يصرف من صلاته ولا يمل ماكان فيه . وفى الخبر ولولا أن الشياطين يحومون على قلوب فى آدم لظفروا إلى ملكوت السماء . والقلوب الصافية التى كل أدها لكأل أدب قولها تصير ساءوة تدخل بالصكبير فى السماء كما تدخل فى الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب الداوى لاسيل للشيطان إليه فتبقى هوأجس نفسانية عند ذلك لا تطلع بالتحصن بالسماء كما تطلع تصرف

ديار من يره حتى تحيت أن انشاء لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأسخياء بن خارحة بللى عندك خصال طغثى بها . فقال هى من غيرى أحسن منها متى فقال عزمت عليك إلا حدثتني بها فقال يأمر للمؤمنين مامدوت رجل بين يدي جليس لى قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما لا كانوا أمن على من عليهم ولا نصب لى رجل وجهه قط بسألتى شيئا فاستكرت شيئا أعطته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان نزل بهذا البيت فقال :

إني صمت مع الصباح مناديا بأمن بين على القلق للعوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديتى قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عباد فاستبطأ إخوانه فقبل له إتهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا ينجح الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فانسكت درجته بالشيء لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت القجر فى مسجد الأعمش بالكوفة أطلب غربا لى فلما صليت وضع بين يدي حلة وثلاث قلت لست من أهل هذا للسجد فقالوا إن الأعمش بن قيس الكندى قدم البصرة من مكة فأمر لكل من صلى فى السجد حلة وتلين . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابورى رحمه الله : صمت محمد ابن محمد الحافظ يقول صمت الشافعى المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد ليضمهم مولود قال فجئت إليه وقلت له ولد لى مولود وليس منى شىء فقام معى ودخل على جماعة فلم يفتح بشىء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتضع وإنى درت اليوم على جماعة فكشفهم دفع شىء لمولود فلم يفتح لى شىء قال ثم قام وأخرج ديناراً وقسمه نصفين وتناولنى نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشىء قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لى به قال فرأى ذلك المتصعب تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال صمت جميع ما قلت وليس لنا إذن فى الجواب ولكن احضر منزلى وقل لأولادى يحضروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها حفاة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الندم تقدم إلى منزل البيت وقص عليهم القصة فقالوا والله اجلس وحضروا للوضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس رؤى أى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا تتسخى نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها ديناراً فسكره نصفين فأعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أى هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا بضائى فلما تولى بلفه خبر وفاته فحضر وقال اتوني بشكرته فأتى بها فظفر فيها فإذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكشبت على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غشلى إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى : لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سبالا وخبر وآثار الفضل قلت بلغ أثره فى الخير إليهم وظهرت بركته فهم مستبدلون بقوله تعالى - وكان أبوهما صالحا - وقال الشافعى رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبى سليمان لى . بلقى عنه أنه كان ذات يوم راكباً حمارة فحرقها فاطلع زره لى على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت قدام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها وأنشد الشافعى رحمه الله نفسه :

الشیطان والقلوب
الرادة بالقرب تدرج
بالقريب وتخرج فى
طبقات السموات وفى
كل طبقة من أطباق
السما تخلف شىء من
ظلة النفس وقدر
ذلك يقل الهاجس إلى
أن يتجاوز السموات
وغف أمام العرش
فصعد ذلك بلهب
بالكلية هاجس النفس
بساطع نور العرش
وتدرج ظلمات النفس
فى نور القاب اندراج
البلبل فى النهار وتأتى
حينئذ حقوق الآداب
على وجه الصواب .
وما ذكرنا من أدب
الصلاة يسير من كثير
وشأن الصلاة أكبر
من وصفنا وأكمل من
ذكرنا وقد غلط
أقوام وظنوا أن

يا لمف قلبى على مال أجود به على للفقير من أهل الروايات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى ما ليس عندي لمن إحدى الصيات

وعن الريع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافى رحمه الله فقال يارب أعطه أربعة دنانير
واعتذر إليه عنى . وقال الريع سمعت الحيدى يقول قدم الشافى من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف
دينار فغضب خبائه في موضع خارج عن مكة وشراها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه فيقبض
له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه ثوب . وعن أبي نؤر قال أراد الشافى
الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلبا يمسك شيئا من صاحبه قلقت له يني أن تشتري بهذا المال
شيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فأسأته عن ذلك للمال فقال ما وجدت بمكة شيعة
يمكننى أن أشتريها لمعرفى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا
حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافى رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسى تنوى إلى أمور بقصر دون مبلتنى مالى
ففسى لا تطاوعنى يعجل ومالى لا يلتقى فمالى

وقال محمد بن عباد الهلبى دخل أبى على المؤمن فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها
فأخبر بذلك المؤمن فلما عاد إليه عاتبه المؤمن في ذلك فقال بأمر المؤمنين: منع الوجود، سوء ظنى
المعبود، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سيد بن العاص فأسأه فأمر له بمائة ألف درهم
فبكى فقال له سيد ما يبكيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأيات امتدحه بها فوجده عليا فقبل منه للدحة وأمر حابية
ببيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول اللقاه فكتب
إليه يقول : إن حراما قبول مدحتنا وترك ما نرجى من الصدف
كما الدرهم والدينار في البسج حرام إلا بدار يد
فلما وصل البيتان إلى إبراهيم قال لحابيه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا
وجئت بدواة فكتب إليه :

أهجتنا فأناك عاجل برنا قلا ولو أمهلتنا لم تقل
نغد القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نعمل

وروى أنه كان لعنان على طاعة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عنان يوما إلى للسجد
فقال له طلحة قد نسيأ مالك فأقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سمى
بنت عوف دخلت على طاعة فأرأيت منه تولا قلقت له مالك ؟ فقال اجتمع عندي مال وقد غمى قلقت
وما بعمك ادع قومك فقال باغلام على بقوى نفسه فيهم فأسأت الخادم كم كان ؟ قال أربع مائة ألف .
وجاء أمراى إلى طلحة فسأله وتقرى إليه برحم فقال إن هذه الرحم ماسأنى بها أحد قبلك إن لى
أرضا قد أعطانى بها عنان ثلثائة ألف فان شئت فأقبضها وإن شئت بسأها من عنان ودفعت إليك
الغن فقال الغنى فباعها من عنان ودفع إليه الغنى : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك
فقال لم يأتى شريف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى . وآتى رجل صديقا له فدق عليه
الباب فقال ما جاء بك ؟ قال على أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكى
فقال امرأته لم أعطيه إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أصدق حاله حتى احتاج إلى منافع
فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة
ذكر الله تعالى وإذا
حصل الله كرفأى
حاجة إلى الصلاة
وسلكوا طرقا من
الضلال وركبوا إلى
أباطيل الخيال وهو
الرسوم والأحكام
ورفضوا الحلال
والحرام وقوم آخرون
سلكوا في ذلك طرقا
أدبهم إلى نقصان الحال
حيث سلكوا من
الضلال لأنهم اغترفوا
بالفرائض وأنكروا
فضل النوافل واغترفوا
ببسر روح الحال
وأهملوا فضل الأعمال
ولم يعلموا أن قد فى
كل هيئة من الهيئات
وكل حركة من
الحركات أسراراً
وحكماً لا تجد في شيء
من الأذكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحبسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى - الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة »^(٣) وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه »^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يفضي ثلاثة الشيخ الزاني والبخل اللتان والليل المحتال »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل التفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبان من حديد من لدن تديهما إلى تراقيهما فأما التفق فلا ينفق شيئا إلا سبقت أو وفرت على جله حتى تخفى بنانه وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قطعت وترت كل حلقة مكنا حتى أخذت بثراقيه فهو يوسمها ولا تنفع »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش لأن الله لا يحب الفاحش ولا التفتش وإياكم والشح فأما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالطعنة فقطعوا »^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلطف واتفقا الشح فإن الشح الحديث ولأبي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فأما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالطعنة فقطعوا وأمرهم بالتجور ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم الحاكم من حديث أبي هريرة بلطف حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا منان أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهي عند الترمذي وله ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء الملكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله يفضي ثلاثا الشيخ الزاني والبخل اللتان والقدير المحتال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل اللتان وقال فيه القتي الظلم وقد تقدم للطبراني في الأوسط من حديث علي بن الله ليضئ القتي الظلم والشيخ الجيول والمائل المحتال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل التفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنها وبالبخل فبخلوا وبالتجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرًا على ذكر الشح

والأعمال روح وجنان وما دام البعد في دار الدنيا إعراضه عن الأعمال عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره]
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر » وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد للظلم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا ينقص أحد منه شيئا . وفي الخبر « الصوم وأنا جزى به » قيل أضافه إلى

« ثم مافى الرجل شح هالع وجبن خالع ^(١) » وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت باكية قالت : واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فقله كان يشككم فيها لايتبعه أو يبخل بما لا يتقصه ^(٢) » وقال جابر بن مطعم « بينا نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خير إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة غطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالله نسي يده لو كان لي عدد هذه الضياء لقسمت بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذبا ولا جبانا ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا قلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال أنهم يخبروني بين أن يسألوني بالهش أو يخلوني ولست يا بخل ^(٤) » وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بئر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيا وقالوا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألى في مسأله متأبطها وهي تارقال عمر فلم تعطهم ما هو تار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل ^(٥) » وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجودوا بجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة طوى وشدا أغصانها بأغصان صدرة للنهي ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفصل من أغصانها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخاف البخل من مقتله وجعل رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفصل من أغصانها أدخله النار ^(٦) » وقال علي بن أبي طالب « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخيل ^(٧) »

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فقد كره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش ^(١) حديث ثم مافى الرجل شح هالع وجبن خالع أبو داود من حديث جابر بسند جيد ^(٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فقله كان يشككم فيها لا يتبعه أو يبخل بما لا يتقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف ولابن قتيبة في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت لهنك الشهادة وهو عهد الترمذي إلا أن رجلا قال له أبشر بالجنة ^(٣) حديث جابر بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة ^(٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قبا الحديث وفيه ولست يا بخل ، مسلم ^(٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأتيا وقالوا معروفا الحديث وفيه ويأبى الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبراز نحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بئر ورواه البراز من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات ^(٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدوا بجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مستنده ولم أنف له على إسناد ^(٧) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ في الجنة إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مستنده .

قسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصائمون - الصائمون لأنهم ساحتوا إلى الله تعالى بجمعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويغرض للصائم إفراغا وبخازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فد بن حنبلان من سيدكم يا بني حنبلان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه غل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأمن البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح^(١) » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال بهم تسودونه ؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنا نرى ذلك أثرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء^(٢) وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته^(٣) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل^(٤) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد^(٥) » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل^(٨) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا اغفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفة لي فقال هو أعظم من أن أمسه لك فقال وعحك ذنبك أعظم أم الأرثون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال وعحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأبني يسألني فكأنما يستغني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إلك عني لا تحرقني بئارك فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لو لقيت بين الركن واللقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دم عك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأبكك الله في النار وبئحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار وعحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فاعلموا يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون -^(٩) الآثار قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني حنبلان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بإفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن (٢) حديث علي بن الله يفيض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب القردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إلا إسنادا (٣) حديث أبي هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بإفظ والجاهل سخي وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النسائي وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأى ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتمامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت إلا اغفرت لي ذنبي الحديث في ذم البخل وفيه قال إلك عني لا تحرقني بئارك الحديث بطوله وهو باطل لا أصل له .

يحيى بن معاذ إذا
أبلى للريد بكثرة
الأكل بكت عليه
للاشكة رحمة له ومن
أبلى بحرص الأكل
قد أحرقت النار الشهوة
وفي نفس ابن آدم
ألف عضو من الشر
كها في كف الشيطان
متعلق بها فإذا جوع
بطنه وأخذ حلقه
وراض نفسه بيس كل
عضوا وأحرق بنار
الجوع وفر الشيطان
من ظله وإذا أشبع
بطنه وترك حلقه
في لذات الشهوات قد
رطب أعضائه وأمكن
الشيطان ، والشبع نهر
في النفس ترده
الشياطين والجوع
نهر في الروح ترده
للاشكة وبهزم
الشيطان من جامع تأم
فكيف إذا كان

جنة عدن قال لها تزي قزيت ، ثم قال لها أظهرى أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسنيم فتجبر منها في الجنان أنهار الجحرو وأنهار العسل والبن ثم قال لها أظهرى سرورك وحوالك وكراميك وحليك وحوالك وحوار عينك فأظهرت فخر إليها قال تسكلى قالت طوب لمن دخلنى قال الله تعالى وعزنى لأنسك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد المزن : نف للبخيل لو كان البخل قيسا مالبسته ولو كان طريقا ماسلكه . وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه : إنا نجد بأموالنا ما يجد البخله لكننا نتصبر ، وقال محمد بن للتكر كان يقال : إذا أراد الله ب قوم شرأ أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدى بخلائهم ، وقال على كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتى على الناس زمان غرض بعض اللوس على ما فى يدوملؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم - وقال عبدالله بن عمرو الشح أحد من البخل لأن الشحيح هو الذى يشح على ما فى يده غيره حتى يأخذه ويشح بما فى يده فيحبسه والبخل هو الذى يخل بما فى يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أبعد غورا فى نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تسكلم فقال خير الناس من أقى سخيا وعند التضب وقورا وفى القول متأنا وفى الرقة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا ، وقام الرومى فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم يزل النج وأهل الكذب مذمومون وأهل النجمة يموتون قترا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك فى قوله تعالى - إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا - قال البخل أمك الله تعالى أيديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان بهم عجل لمسك تلقا وعجل لمنق خلفا . وقال الأصبغى سميت أعرايا وقد وصف رجلا فقال لقد صر فلان فى عنى لعظم الدنيا فى عينه وكأنما يرى السائل ملك اللوت إذا أتته . وقال أبو حنيفة رحمه الله لا يرى أن أعدل بخيلا لأن البخل عمله على الاستصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يبين فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال على كرم الله وجهه : واقه ما انتهى كرم قط حقه . قال الله تعالى - عرّف بعضه وأعرض عن بعض - وقال الجاحظ ما بقى من اللذات إلا ثلاث ذم البخله وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخيل لاضية له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخل ^(١) » . « ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا امرأة قومة » إلا أن فيها بخلا قال لها غيرها إذا ^(٢) » وقال بشر : النظر إلى البخل يفسى القلب ولقاء البخله كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : ما فى القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا أفاعلا ولا بخله . إلا بعض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن العزى أغفل الناس بحاله أجودهم بصره . ولحق يحيى بن زكريا عليها السلام إبليس فى صورته فقال له إبليس : أخبرنى بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن والبخل وأبغض الناس إلى الفاسق السخى قال له لم قال لأن البخل قد كفانى عنه والفاسق السخى أخوف أن يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا أنك بحى لما أخبرتك .

(حكايات البخله)

قيل كان البصرة رجل موسر بخيل فدعا بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث إنك لبخل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامه قومة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم فى آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولو لم يخرج الشارح أيضا فيظهره .

فأما وصافى الشيطان شبعانا فأما كيف إذا كان تأمنا قلبه للريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب دخل رجل إلى الطيالى وهو يأكل خبزا يابس فقبله بالماء مع ملح جربى فقال له كيف تشهى هذا قال أدعه حتى أشربه وقيل من أسرف فى مطعمه ومشربه يجعل السفر والذل إليه فى دنياه قبل آخرته وقال بعضهم الباب العظيم الذى يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء وقال بشر إن الجوع بضمى الأود ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذواتون ما أكلت حتى شبع

وجعل يشرب الماء فاستخبطه ونزل به السكرب والوثج فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله
لقطيب فقال لا بأس عليك : تقياً ما أكلت فقال هاه أنفياً طباهجة بيض الوثج ولذلك، وقيل أنبل
أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين فقطى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن
من القرآن شيئاً قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كسانك . ودعا
بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئاً فحبسه إلى الصبح حتى اشتد جوعه وأخذ مثل الجنون فأخذ صاحب
البيت المود وقال له يحياى أى صوت تشهى أن اسمك قال صوت اللقي . وبكى أن محمد بن يحيى
ابن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل فسل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قال صلى الله عليه وآله
قال هي قتر في قتر وبها فمغفرة من حب الخشخاش قيل لمن يحضرها قال السكرام السكاتبون قال
فما يأكل معه أحد قال بل القذاب فقال سوانك بدت وأنت خاص بهوثوك بحرق قال أنا والله ما أقدر
على إبرة أخيطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة لم يأتهم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما
بعقوت النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي
قد من دبر مافعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه
أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له تراك لئلا تأكل إلا الروس في السيف والشتاء فلم يختر
ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فكأن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغني فيه وليس بلحم يطبخه
الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عيناً أو أذن أو خذاً وقتت على ذلك وأكل منه ألواناً عنه لونا
وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصته لونا ودماغه لونا وأكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق
وخرج يوماً ما يريد الحليفة المهدى فقالت له امرأة من أهله ما لي عليك إن رجعت بالجائزة فقال إن أعطيت
مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفاً فأعطاهما أربعة دنانير واشترى مرة لحماً بدم فدعا
صديق له فرد اللحم إلى القصاب ينتصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان
لا يزال يمرض عليه المزمل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فبأي عليه الأعمش ففرض عليه
ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فقترب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال
له رب المزمل بورك فيك فأعاد عليه السلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب وإلا والله
خرجت إليك بالعصا قال فعاد الأعمش وقال اذهب وبحك فلا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد
منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فوالله ما زلتني عليهما .

(بيان الإنثار وفضله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال
مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه لئلا يحتاج أولئير محتاج والبذل مع الحاجة
أشد وكما أن السخاوة قد تنهى إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد يقبض إلى أن
يخل على نفسه مع الحاجة فكذلك من يغفل عنك المال ويعرض فلا يندوى ويشتهى الشهوة فلا يمتنع
منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها مجاناً لأكلها ، فهذا يغفل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره
مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا بضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار
درجة في السخاء ، وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
هم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أبما امرئ» اشتبه شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه
غفر له (١) وقالت عائشة رضي الله عنها «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أبى سرجل اشتبه شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له ابن جبان في الضعفاء ، وأبو الشيخ

ولا شربت حتى رويت
بالعصية الله ومحمد
بعمية . وروى القاسم
ابن محمد عن عائشة
رضي الله عنها قالت :
كان يأتي علينا الشهر
ونصف شهر مائدخل
بيتنا نار للمصباح
ولا نصير . قال قلت
سبحان الله فبأي
شيء كنتم تمشون
قالت بالقر والساء . وكان
لنا جيران من الأنصار
جرام الله خيرا كانت
لهم متاع فرأوا سونا
بشيء . وروى أن
حفصة بنت عمر رضي
الله عنها قالت لأبيها
إن الله قد أوعى الرزق
فلو أكلت طعاماً
أكثر من طعامك
ولبست ثياباً ألين من
ثيابك فقال - إني
أخافكم إلى تسك

حق طارق الدنيا ولوشنا لشبنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا (١) و نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإطعامه السراج وجعل يديه إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صديقك القلة إلى صديقك وتزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) فالسقاء خلق من أخلاق الله تعالى والإشارة أعلى درجات السقاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صام الله تعالى عظيما فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرى بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأنته قال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليلة عظيمة فضله بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كانت تلف نفسه من أنوارها وقرنها من الله تعالى قال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصاصته به من بينهم وهو الإشارة ، يا موسى لا تأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استجيت من محاسنته وبوأته من جنتي حيث يشاء . وقيل خرج عبدا لله ابن جعفر إلى ضيعة له فزحل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الصلام بقوة فدخل الحائط كلب ودنا من الصلام فرمى إليه الصلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم أر أثر به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوى يومي هذا ، قال عبد الله بن جعفر : ألام على السقاء إن هذا الصلام لأسخني مني فاشترى الحائط والصلام وما فيه من الآلات فأعنى الصلام ووجه منه ، وقال عمر رضي الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أجوع مني إليه فبعت به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاخترارا كلاما الحياة وأجباها ، فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كننا مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول مخمخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك للملائكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يصرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاسي أنه اجتمع

في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من الواليات ولوشنا لشبنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبر برحق - ضي لسبيله وللشيعين ماشيع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على علي فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

لم يمكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لعل أصيب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما غلت لعمري دقيقا إلا وأنا له عاص . وقالت عائشة رضي الله عنها : ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبر برحق مضى لسبيله . وقالت عائشة رضي الله عنها : أدبوا قمر باب لللكوت يفتح لكم لو كيف نعيم قالت بالجوع والعطش والنظم . وقيل ظهر لأميرس ليحي بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ما ههذه قال

عنده نيف وثلاثون نسما وكانوا في قرية بقرب الرى ولهم أرغفة ممدودة لم أشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا فإشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فزغ خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذينة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمى وعمى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قتلتي أسفيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى إلى أن انطلق به إليه فجثته فاذا هو هشام بن العاص قتلتي أسفيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فجثته فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر فانه أثار رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فزغ لحيته وأعطاه إياه واستعار ثوبا فلبسات فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فبينا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بداية مينة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى لبتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فبناه إلى تلك اللبنة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في اللبنة لما زالت تأكلها وذلك الكلب فاعد ينظر إليها حتى أكلت اللبنة وبقى العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف . وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة ههنا وباقه التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحققتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهدنا شرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وماذا يصير الإنسان غيلا ؟ وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سخيا ورياءه غيره غيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقولون قوم هذا غل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حبا للسالك ولأجله يحفظ السالك ويسكبه فان كان يصير بساكا السالك غيلا فاذا لا ينفع أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك فما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وتوابعها فنقول : قد قال ثلثون حد البخل منع الواجب فسل من أدى ما يجب عليه فليس يبخل وهذا غير كاف فان من يرد الاعم مثلا إلى القصاب والحزب للخياز بقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد غيلا بالانفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضيقهم في قمعة أو زادوها عليه أو تمره أو كلوها من ماله يعد غيلا ومن كان بين يديه رغيف لحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه يعد غيلا وقال ثلثون : البخل هو الذي يستعصب العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أريد به أنه يستعصب كل عطية فكم من غييل لا يستعصب العطية القليلة كالجبة وما يقرب منها ويستعصب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستعصب بعض المطاياها من جواد أو لاقود يستعصب بعض المطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو السال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود وقيل الجود عطية بلا من وإسراف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يترى نفسه ابتغاء مرضات الله - أحمد مختصرا من حديث ابن عباس شري على نفسه قابض ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم تحق لهذه الزيادة على أصله وفيه أبو بلج مختلف فيه والحدث منكسر .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد في فيها شهوة قال لا غير أنك شبعتم ليلة فقلنا لك عن الصلاة والله كره فقال لا جرم إلى لا أشبع أبدا قال إبليس لا جرم إلى لا أنصح أحدا أبدا . وقال شقيق العبادة حرفوا حناوتها الخلوثة والآنها الجوع . وقال لقمان لانه إذا ملكت للعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لا تجتمعوا بين الأدمين فانه من طعام السائقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للزهد أن يوالي في الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤية التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأكر غيره بالبخل فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وموجهة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول : المال خلق لحكمة ومقصد وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبدل حيث يجب البذل بالإمساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الإمساك بتبذير بينهما وسط وهو الممود وبني أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يسأله فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال لإمان حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت قد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فقال الذي يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسمان واجب بالشرع واجب بالمرودة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرودة فان منع واحدا منهما فهو بخل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ومنع عياله وأهله النفقة أو يؤدها ولكنه يشق عليه فانه بخل بالطبع وإنما يسخي بالتسكف أو الذي يتيم الحديث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب المرودة فهو ترك الضيقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستمتع واستباح ذلك بختنا بالأحوال والأشخاص فمن أكثر ماله استمتع منه مالا يستمتع من الفقير من الضيقة ويستمتع من الرجل للضيقة مع أهله وأقاربه ومما يليه مالا يستمتع مع الأجانب ويستمتع من الجار مالا يستمتع مع البعيد ويستمتع في الضيقة من الضيقة مالا يستمتع في العامة فيختلف ذلك بما فيه من الضيقة في ضيافة أو معاملة وبما به للضيقة من طعام أو ثوب إذ يستمتع في الأطعمة مالا يستمتع في غيرها ويستمتع في شراء السفن مثلا وشراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستمتع في غيره من الضيقة وكذلك بمن معه الضيقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي ومن منه للضيقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرودة وذلك لا يمكن التحصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فإنا نضع الزكاة والنفقة بخل وصيانة المرودة أهم من حفظ المال والضايق في الدقائق مع من لا تحسن الضيقة معه هاتك ستر المرودة لحب المال فهو بخل ثم بقي درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المرودة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليسكون له عدة على نواب الزمان وغرض الثواب ليسكون رافعا لدرجته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نواب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتتسع بالشهوة . وقيل الدنيا بطئك فلي قدر زهدك في بطئك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لثبات يقمن عليه فان كان لإحالة ثلث لظامه وثلث لشربه وثلث لنفسه » وقال فتح الوصل : صحبت ثلاثين شبيخا كل يوصيني عند مفارقتي إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار]
جمع من الشايح

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج لمنه وقال قد أبدت الزكاة الواجبة وليس على غيره ما يختلف استتباع ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الروعة الاتفة به فقد تبرأ من البخل ، نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب القضية ونيل الدرجات فإذا اتسقت نفسه لذلك حيث لا يوجب الشرع ولا تتوجه إليه اللامعة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطاع العروف وراء ما يوجب العادة والروعة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو يبايع وليس بجواد فانه يشتري الدخ بآله وللدخ لبدب وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لترض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب قضية الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهلاك مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقه من نفع يناله من التمس عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معجلة له عليه فهو متفاضل لجواد كما روى عن بعض المتقدمين أنها وقعت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها على عمادتها وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والأيثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سحبة بها أنفسنا غير مكرهة قالت تريدون على ذلك أجرا قالوا نعم قالت وبالله أن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحانه الله فإذا أعطيت واحدة وأخذت عشرة فبأي شيء تسخيت عليه قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متعمدين متلذذين بعبادته غير كارهين لارتبذون على ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطاع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشئ إن هذا في الدنيا قبيح وقالت بعض المتقدمين أن السخاء في الدين هو السخاء في الدنيا فليس في ذلك شيء قالت السخاء عندي في الحج وقال الحامسي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل وتسخو قلبك يبذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسحاحة من غير إكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك.

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل مريه حب للدولب لئال سبيان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بآله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أوفى سنة قريب وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقدم الولد مقام طول الأمل فانه يقدر بقاوم كبقاه نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة محبة محبة »^(١) فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بجى الرزق قوى البخل لاجل الحاجة السبب الثاني : أن حب عين المال من الناس من معه ما يكتفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته ينقتمو فضل آلاف وهو شحيح بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداداة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زادني رواية محزنة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزن وترواه بهذه التريادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يدعون
الصوم في السفر والحضر
على الدوام حتى لحقوا
بالله تعالى . وكان
أبو عبد الله بن جابر
قد صام نيفا وخمسين
سنة لا يفطر في السفر
والحضر فجهد به
أصحابه يوما فأفطر
فاعتزل من ذلك أياما
فإذا رأى المريد صلاح
قلبه في دوام الصوم
فليصم دائما وبدع
للافطار جانبيا فهو
عون حسن له على
ما يريد . روى
أبو موسى الأشعري قال
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
صام الدهر صيفت
عليه جهنم هكذا وعقد
تسعين » أي لم يكن له
فيها موضع وكره قوم
صوم الدهر وقد ورد

الرض بل صار محبا للذنانير عشقا لما يلتذ بوجودها في يده وبندته عليها فيسكنها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضرع أو يأخذها أعداؤه صومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يصدق منها حاجة واحدة وهذا مرض للقلب عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوه واشتغل برسوله فان الذنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى اللذيق لم يذيقه ثم نسي الحاجات وبصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقه فهو جاهل بالإمن حيث قضاء حاجته به فالقائل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الأمل بذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تمهم في جمع المال وضياعه بعدم وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكمن ولم لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجتمع المال لو لم يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شروان ولده إن كان تقيًا صالحا فأنه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على الصبغة وترجع مظلمته إليه ويبلغ أيضا قلبه بكثره التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعده الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء وغرة الطبع عنهم واستفحامهم له فانه ما من نجمل إلا ويستحب البخل من غيره ويستعمل كل نجمل من أصحابه فيعلم أنه مستعمل ومستفذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويصالح أيضا قلبه بأن ينفكر في مقاصد المال وأنه لما ضا خلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة حاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الحاضر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصد عنه . حكى أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فعدا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن لي نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول حفة البخل إلا بالبذل تسكفا كالإيرون العشق بالإغارقة العشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تسكفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فسد ذلك الذي يريد علاج البخل فينبغي أن يبارق المال تسكفا بأن يبذله بل لورماه في الساء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يمدح نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيسكنه قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينطف بعد ذلك على الرياء بزيه بلاجه ويكون طلب الاسم كالنسيئة لنفسه عند فطامها عن المال كأفد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالصافير وغيرها لا يخلو واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فسد ذلك هذه الصفات الحبيثة فينبغي أن يسلط بعضها على بعض كالنسيئة الشهوة على الغضب وتكسر سرورته بها ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعوها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالسالم فلا فائدة فيه فانه يقع من علة ويزيد في أخرى مثلهما إلا أن علامة ذلك أن لا يتقل عليه البذل لأجل الرياء فيبدل بتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه من الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قاعه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل كل بعض البدان البعض حتى يقل عدده

في ذلك ما رواه أبو قتادة قال مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العبد بين أيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليسكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بضاحق ترجع إلى الثنتين قويتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن قلب أحدهما
الأخرى فأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جاثمة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحبيثة
يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقتلها ويجعل الأضف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة
ثم تقع النامية بمحورها وإذا بنيت بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يسلط
بقتضائها فاتها تنفض لأحالة أحمالها وإذا خولقت خدات الصفات ومات مثل البخل فانه تنفض إمساك
للال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع المجهود مرة بعد أخرى ماتت مئة البخل وصار البخل طبعيا وسقط
الصب فيه فان علاج البخل بلم وعمل العالم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع
إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يمسى وبهم فيمنع تحقيق العرفة
فيه وإذا لم تتحقق للعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فحبس المقتزمة كالمرض الذي يمنع معرفة
الدواء وإمكان استعماله فانه لأحالة فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية
في معالجة غلة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا نومه في مريد فرحه
بزائوته وما فيها نقله إلى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ممالكه وإذا رآه
يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يلبس
إليه قلبه فهذا يتخاف القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلط هذا السيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له
ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألت به مصيبة بقدر حبه فإذا مات زل
به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سابعته بل هو في حياته على خطر للمصيبة بالقتل
والهلاك . حمل إلى بعض اللوك فدمج من فيروزج مرصع بالجواهر لم يراه نظير ففرح اللوك بذلك فرحا
شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراء مصيبة أوفقرا قال كيف قال إن كسر كان
مصيبة لأجيرلها وإن سرق صرت فقيرا إليه ولم تحسب لثوقد كنت قبل أن يعمل بالك يا من من الصيبة
والفقير ثم انفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة اللوك عليه فقال صدق الحكماء إنه لم يعمل
لينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله
إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تأكل نفسها فان المال
لا يحفظ إلا بالحزائن والحراس والحرائن والحرص لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بئس الدرام والدنانير
فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى ينفى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه
إلا بقدر حاجته ومن فتح بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا
يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بتقدير الحاجة.

(بيان مجموع الوظائف التي على الصلح في ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حبة يأخذها الرقيق واستخرج منها
الترابق ويأخذها الغافل فيقتله منها من حيث لا يدري ولا يغفل أحد عن سم المال إلا بالحافظة على
خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما خلق وأنه لم يخلق إلى حبه حتى يكتب ولا يحفظ
إلا قدر الحاجة ولا يبطيه من همة فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجنب الحرام
الحض وما التالب عليه الحرام كال السلطان ومجنب الجهات السكروحة المباحة في ناروة كالهدايا
التي فيها شوائب الرشوة كالسؤال الذي فيه الذلة وهتك الرومة وما يجري مجراه . الثالثة : في التقدير
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل التقدر الواجب ومباراة الحاجة والحاجة ملبس وسكن
ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ما نال إلى جانب القلة ومنه من حد

يوما ويخطر يومين
ومنهم من كان يصوم
يوم الاثنين والخميس
والجمعة . وقيل : كان
سهل بن عبد الله يأكل
في كل خمسة عشر يوما
مرة وفي رمضان يأكل
أكلة واحدة وكان
يعطر بالماء القراح
للسنة . وحكى عن
الجند أنه كان يصوم
على الدوام فإذا دخل
عليه إخوانه أفطر معهم
ويقول ليس فضل
للساعة مع الإخوان
بأقل من فضل الصوم
غير أن هذا الاقطار
يحتاج إلى علم فقد
يكون الداعي إلى ذلك
شره النفس لا يسه
الواقعة وتحليس الية
لخص الواقفة مع
وجود شره النفس
صعب . وصحت شيئا

الضرورة كان حقا وبهي من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لامتقاه وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يرامى جهة الصبر وينتصد في الاخلاق غير مبذر . ولا مفرط كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يفضيه في غير حقه فان الام في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك والاحاقق والاسلاك فيأخذ ما يأخذ ويستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستخارا له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع مالي الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ميامين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما ميعتان على العبادة فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار وفراش وآية لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به بعد من عباد الله ولا يمتنع منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حيلة المال جوهرها وتزيقها وأقى معها فلا تنصره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رجع في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعلم إذا تشبه بالعالم في الامتنكار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى اللزوم الخائف يأخذ الحيلة ويتصرف فيها فيخرج تزيقها فيفتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وتشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فتقله في الحال إلا أن قيل الحيلة يدري أنه قليل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحيلة قيل :

هي دنيا كحيلة تنفث السم وإن كانت الحيلة لانت

وكا يستحيل أن يشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحر والطرق والشوك والفعال أن يشبه العاصي بالعالم الكامل في تناول المال .

(بيان ذم النقي ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل النقي الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأجل من النقي على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم العامة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلامه في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا عباد الله السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تصلون ماتومرون وتدرسون ولا تعملون فيأسوء ما تمحكون بتبوين بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما يرضى عنكم أن تنفوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخاله كذلك أتم يخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى القلب في صدوركم يا عباد الله كيف يدرك الآخرة من لا تنقض من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تنسى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت الشتمكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفصدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أسخر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للدجلين وتبسمون في محل التعبيرين

يقول لى سنين ما أكلت شيئا يشبهه نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم إلى النقي فأراد من فضل الله ونعمته وضله فأوافق الحق في فضله . وذكر أنه في ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم الطعام إليه قال ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت التنسور وأخذت دجاجة كانت هناك قتل هذا عقوبة لى على تصرفه في أخذ الرمانة . ورأيت الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام في اليوم مرات أى وقت أسخر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار في مأ كوله وملبوسه

كانكم تدعون أهل الدنيا لتركوها لكم مهلا مهلا وليكم ماذا ينشئ من البيت الظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوهه وحشى مظلم كذلك لا ينشئ عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متصلة بأبيد الدنيا لا كيد أضياء ولا كآمرار كرم توشك الدنيا أن تخلصكم من أصولكم فتخيبكم على وجوهكم ثم تنكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلككم إلى الملك الدنان مرارة فترادى فيوتقكم على سواكم ثم يهزكم بسوء أعمالكم ثم قال الحارث رحمة الله إخواني هؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضوا وأكروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وحين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يسلو الكرم فضله [وبعد] فأنذرت الهالك المؤثر للدين سروره بمزج بالتبصير فينتج عنه أنواع المومنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسل له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين - فإلها من مصيبة ما أنظما ورزية ما أجلا الأفرأقوا الله إخواني ولا يفرنكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالحسج الداحضة عند الله فأنهم يتكلمون على الدنيا ثم يطلبون لأخسهم للماذير والحسج وزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيزين الثرورون بذكر الصحابة ليلنهم الناس على جمع المال وقدمهم الشيطان وما يشعرون ومحك أبها القتون إن احتجاجك بحال عبد الرحمن ابن عوف مكتوبة من الشيطان ينطق بها على لسانك قبلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أرادوا المال لتكثر والفرف والزينة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أمي وأفضل من تركه قد ازدرت محمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهدة في هذا الخير الذي رغبته فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجبل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أمي من تركه قد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير لامة قد غشهم زعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل قد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يفرق الفضل في الجمع فذلك نهاهم عنه وأنت عليهم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبته في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أبها الفتون تدبر بعقلك مادهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بحال الصحابة ومحك ما ينفعك الاحتجاج بحال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يوت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن فإ ترك فقال كعب سبحان الله وما نخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأتقى طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضيا يريد كعبا فرمى بعظم لحمي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فيقبل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستنثي به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فمادخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الترمذي عن جمع المال ابن عدي من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين الحديث ولأبي نعيم والحطيف في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا يجمعوا مالا تأكلون ولا يملأون صميف .

وجميع نصاره وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان في ذلك بداية يزم مثلها حتى قل أنه كان يلى أياما لا يأكل ولا يلم أحدهما ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء وينظر فضل الحق لسياته الرزق إليه ولم يشتر أحد بحالهم من الرمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والسلامة وكانوا يشكفون الأطعمة ويأتون به إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق ولواقفة . سمعت يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم ويقص الحق على محبي الصوم غملة فأوافق الحق في فعله . وحكى عن بعض

أبي ذر قال له أبو ذر هب يا ابن اليهودية نزع من أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأنا معه فقال « يا أبا ذر قلت ليك يا رسول الله فقال : الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدمه وخلفه وقيل مائة ثم قال يا أبا ذر قلت نعم يا رسول الله بآبي أنت وأمي ، قال ما يرسني أني مثل أحد أقتنه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عبر من اليمن فنجبت للدينة شربة واحدة قالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل عبر قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسلمها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلمين يدخلون فيها ولم أر أحدا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حيا (٢) » فقال عبد الرحمن إن البير وما على سبيل الله وإن أرقاها أحررا لمن أن أدخلها معهم سبيا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيا (٣) » وبحك أيها القنون فما احتجارك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وثقواه وصنائه للمروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجره بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرسات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال فتدفع ولصنائع للمروف وأثقف منه قصدا وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع اقتراف المهاجرين وصار محبوبا في آثارهم حيا . فساظك بأمثالنا الترقى في فنن الدنيا وبعد فالجب كل السبب لك يا مفتون تترغ في تخاليف الشبهات والسمت وتشكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والرنة والباهة وتقلب في فنن الدنيا ثم تحتج ببعد الرحمن وتزعم

(١) حديث أبي ذر الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقص على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الهامسي بالنبي كاذكره للصف وقد رواها أحمد وأبو بلي أخضر من هذا لفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهبا الحديث وفيه ابن لمية (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلمين شعنا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حيا رواه أحمد عن حمزة في كون عبد الرحمن يدخل حيا دون ذكر قراء المهاجرين وللسلمين وفيه حمزة بن زاذان يختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حيا البراز من حديث أنس بسند ضيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيف فيه خالد بن أبي مالك ضفة الجمهور (٤) حديث جبر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يظهر كل يوم قبل غروب الشمس إلى رمضاني وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه الخافقة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأنه صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجموع وأن لا يتمتع برؤية الصور ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصور قد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصور وهذا تسلسل والأليق بموافقة العلم بإضفاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيها يعملون فلا يبارضون والصدق

أنت إن جمعت المال فقد جمعت الصحابة كأنك أشبهت السلف وضاهم وعلمك إن هذا من قياس
إيليس ومن خياله لأوليائه وأسأف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف ضاعتك وفضل الصحابة
ولعمري لقد كان بعض الصحابة أموال أرادوها للتخفيف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا
وأكلوا طيبا وأتقوا قصدا وندموا فضلا ولم يمنوا منها حقا ولم يخلوا بها لكم جادوا لله
بأكثرها وجاد بعضهم بمجديها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبالله أذكرك أنت والله
إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخيار الصحابة كانوا للسكينة محبين ومن خوف الفقر آمنين
وبالله في أرزاقهم والتمين وعقابر الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي
الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين يبتالوا
من الدنيا إلا الباع لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارها ونجروا موارها
وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبالله أذكرك أنت . ولقد بلغنا أنهم إذا أقبلت الدنيا عليهم
حزنوا وقالوا ذنب مجلت عقوبتي من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا
أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كشيئا حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح
فرحا مسرورا قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت
لست كذلك قال إنني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذا كان لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا
سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا ومايراد بها فكأنهم على جناح خوف
وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا وإستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونهتهم
وفهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبالله أذكرك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وأسأف لك
أحوالك أيها القتون من أحوالهم وذلك أنك تطنى عند التقي وتبطر عند الرخاء وترح عند
السراء وتقل عن شكر ذي النماء وتغضب عند الضراء وتخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء
نعم وتبغض الفقر وتأف من السكينة وذلك غر اللسليين وأنت تأف من غرم وأنت تدخر المال
وتجعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضائه وكفيه إغما وعساك
تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« شرار أمتي الذين غنوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم » (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجي
يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فالحسا حسرة ومعينة نعم وعساك
تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والرياسة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر
أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكتر بما حل بك من غضب ربك حين أردت
التكاثر والعلو نعم وعساك الملت في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تنكره
لقاء الله والله لقائنك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنياه فاته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل
سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكتر بربك من عذاب الله نعم ولكل تخرج من دينك
أحيانا لتوفير دينك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

(١) حديث شرار أمتي الذين غنوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند الحديث الرابع منه من أسف على دنياه فاته اقرب من النار مسيرة سنة .

مهود ليعنه كيف كان
والصادق في خفارة
صدقه كيف قلب وقال
بعضهم إذا رأيت
الصوفي يصوم صوم
الطوط فانه قد
اجتمع معه شيء من
الدنيا . وقيل إذا كان
جماعة متواقفين
أشكالا وفيهم مرید
يعتونه على الصيام فإن
لم يساعدهم يهتموا
لافطاره ويشكفوا له
رفاهه ولا يعملوا حاله
على حاله وإن كانوا
جماعة مع شيخ
يصومون لصومه
ويفطرون لافطاره إلا
من يأمره الشيخ بغير
ذلك . وقيل إن بعضهم
صام سنين بسبب شاب
كان يصعبه حتى ينظر
الشاب إليه فيتأذّب
به ويصوم بصيامه .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسرها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تمنى بأمور دنياك أضفاف ما تنى بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من فهاب مالك أكثر من خوفك من القنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها «العلو» والرغبة في الدنيا وعساك ترضى الخلقين مساختها لله تعالى كما تكرم وتظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إليك وعساك تخفى من الخلقين مساويك ولا تكترت بإطلاع الله عليك فيها فكانت القضية عند الله أهون عليك من القضية عند الناس فكان العبد أظن عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه الثابت فيك أفـ لك متلونا بالأنذار وتحتج بمال الأبرار هيئات هيئات ما بعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منك فيما حرم عليهم إن الذي لا يأمر به عندكم كان من اللوجات عندهم وكانوا لزللة الصغيرة أشد استظاما منك لسكائر اللصا فليت أطيب مالك وأمله مثل شهوات أموالهم ولينك أخففت من سيئاتك كما أخفقا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إنظارهم وليت اجتهادك في العبادة على مثل فخرهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهتهم ما زوى عنهم منها لن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق أمثالكم في السفالة أومعوا الله الكريم بفضلهم [وبعد] فإني إن زعمت أنك متأسف بالصحابة جمع المال للتكفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك وعملك هل تجد من الحلال في دهرك ما وجدوا في دهرهم وأوحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا. لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام ألتطمع من قصك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك وعملك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوصك بسبب البر في اكتساب الشهوات المعزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشهوات أوشك أن يقع في الحرام» (٢) أيها الفرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشهوات أظن وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشهوات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تسرى إلى لك أم لا فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشهوات وإجماع جمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله وعملك إن كنت كما زعمت بالثبات في الورع فلا تعرض للحساب فإن خيار الصحابة خافوا السألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن اكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأتقها في طاعة الله ولم يشغاني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله ؟ قال لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن السكوني أنه كان يصوم الدهر وكان مقبلا بالبصرة وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر أربع دنانير يعمل بسدده حبال اللبف ويبيعها وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم عليه إلا أن يفرط ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية في ذلك لأنه كان مشهورا بسين الناس وقال بعضهم ما خلاصه أنه عند قط إلا أحب أن يكون في جبل يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقبل أقام أبو الحسن التتيس

(١) حديث من أحب الدنيا وسرها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلاغا للحارث بن أسد الهامسي كما ذكره اللصف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشهوات أوشك أن يقع في الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

فيا كلون ويستمتون والآخرون جئاء على ركبهم فيقول قلبكم طبق أنتم حكم الناس وعلوكم فأروني ماذا صنعتم فيها أعطيتكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرتني إلى حرمانهم ولا كون في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع المؤمنين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجلبين من الخلف والاعتطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل التيقن قد بلغني « أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتى بئر من ماء وحمل فلما ذاقه خففته البيرة ثم بكى وأبكى ثم مسح السموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه البيرة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أحدني البيت غري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قتلت له فذاك أبى وأمى ما أرى بين يديك أحدا فن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها قتلت لي يا محمد خذني قلت إليك عنى قتلت إن تتبع منى يا محمد فانه لا ينجو منى من جدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « ياقوم فهو لا الأختيار بكوا وجلا أن تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نربة من حلال وبحك أنت في أنواع من التهم والشبهات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الاعتطاع أفلك ما أعظم جهلك وبحك فان تخلف في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للصطفى لنظرن إلى أهوال جزعت منها اللائكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك العحاق ولئن أزدت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تخضع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصرايح عويل ولئن رزيت بأحوال للتخلفين لتقطعن عن أصحاب الجنتين وعن رسول رب العالمين ولتقطعن عن نعيم التتمين ولئن خالفت أحوال التيقن لتكونن من الختبيين في أهوال يوم الدين قد بروحك ما سمعت [وجد] فان زحمت أنك في مثال خيار السلف فتم بالقليل زاهد في الحلال بدول المسالك مؤثر في خشك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لذلك مبغض للتكاثر والتقى راض بالفقر والبلا فرح بالثقة وللسكنة مسرور بالذل والضعفة تكاره للعلو والرفعة قوى في أمرك لا يضير عن الرشد فليك قد حبيب خشك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في السالوا ولن يحاسب مثلك من التيقن وإنما تجمع المال الحلال للبلذ في سبيل الله وبحك أيها الثرور قدبر الأمر وأمن النظر أماغلت أن ترك الاستغفال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتفكير والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمساءلة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أمعا فابلقنا عن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجرة دنائير يعطيا والآخر يذكر الله لكان الدار أفضل. ومثل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أربى وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فانه جانبها فظم طلبها ولم يتناولها فأبها أفضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها وبحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنتم لمبشك وأرضى لبالك وأقل لعمومك فاعذر في جمع المال وإن كنت بترك للمال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر نعم وعطفك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله

يصوم أيام البيض
فايض ثلث جسده
بكل يوم صامه حق
أيض جميع جسده
بصيام أيام البيض
ويستحبون صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان يصوم أو
يومين وكان يكره
بضمهم أن يصام رجب
جميعه كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم الشر من ذي
الحجة والشر من
الهرم ويستحب الخميس
والجمعة والسبت أن
يصام من الأشهر الحرام
وورد في الخبر من صام
ثلاثة أيام من شهر

- (١) حديث بدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيمتنون ويأكلون الحديث لم أر له أصلا
- (٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بئر من ماء وعمل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البرار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فدعا بهراب فأتى بماء وعمل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الأجل . [وبعد] فلو كان في جمع المال فضل عظيم
لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأسي بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما تخاره نفسه من عناية
الدنيا ومحك تدبر ما حمت وكن على يقين أن السعادة والفوز في عناية الدنيا يسرع مع لواء الصلطي سابقا
إلى جنة لأوى فانه بلنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سادات المؤمنين في الجنة من إذا
تعدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يورثه أو لم يقدر على أن يكتسب
ما يشبه بمضى مع ذلك وصحب راضيا عن ربه - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (١) » ألا يخفى متى جمعت هذا المال بهذه الأليات فأنك
مبطل فيما ادعيت أنك لله والفضل تجمعهم لأولئك خوفا من الفقر تجمعهم ولتتمم والزينة والتكاثر
والنصر والعلو والرياء والسعة والعظم والتكرمة تجمعهم ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ومحك
راقب الله واستنحى من دعوئك أيها الغرور ومحك إن كنت مفتونا بحب المال والدنيا فكأن مقرا أن
الفضل والحبر في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ، نعم ولكن عند جمع المال مزيلا يفسدك مفرقا باساءتك
وجلا من الحساب فذلك أجنى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجاج لجمع المال . إخواني اعلموا أن
دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في الباطل لهم ونحن في
دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال ، بلغ القوت وسر العورة فأما جمع المال في دهرنا فإنا عاذنا
الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا بثل ثوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل
ضائرهم وحسن نياتهم دهرنا ورب الساء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في مساعدة
المفتنين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد تسحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا
قليل وقتا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى
ولا مزيد عليه وبشهادة ذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد
وبشهادة أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني
مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال
يا ثعلبة أمالك في أسوة أمارضى أن تسكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير
معى الجبال ذهبا فضة لاسرت قال والذي يشك بالحق نبي الله أن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل
ذي حق حقه ولأفضلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا
فتمت كما ينمو الدود فضافت عليه للدبة فتحنى عنها فقول وأدبنا من أودبنا حتى جعل يصرى الظهور
والصرى في الجماعة ويدع ما واهم ثم عمت وكثرت فتحنى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تسمى كائنا و الدود
حتى ترك الجمعة وطلق بلقي الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأله رسول الله صلى
عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يا رسول الله أخذ غنا فضافت عليه الدبة فآخبر بأمره
كله فقال يا بوع ثعلبة يا بوع ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وترزقهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فيعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من جبرينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة ثم رما
يخرجا فبأخذ الصدقة من السليين وقال مرأيا بشطة بن حاطب وغلان رجلين من بني سليم وخذوا صدقتكما
وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تعدى لم يجد
عشاء الحديث عزاء صاحب مستند القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا
بلفظ سادة القراء في الجنة الحديث ولم أره في معاجم الطبراني

حرام الخبيس والحمة
والسبت بد من النار
سبحانة هام .
[الباب الحادى
والأربون في آداب
الصوم ومهامه]
آداب الصوفية في
الصوم ضبط الظاهر
والباطن وحسن
الجوارح عن الآثام
كنع النفس عن الطعام
ثم كف النفس عن
الاهتمام بالأقسام صحت
أن بعض الصالحين
بالوراق كان طرغ
وطريق أصحابهم أنهم
كانوا يصومون وكلما
فتح عليهم قبل وقت
الافطار يخرجه ولا
يفطرون إلا على ما فتح
لهم وقت الافطار
وليس من الأدب أن
يسك الزيد عن
الباح ويخطر بحرام

عرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماهذه الإجازة ماهذه الإجازة ماهذه الإجازة انطلقا حتى تغرغا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السليبي فسمع بها قام إلى خيار أسنان إليه فزها للصدقة ثم استقبلها بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بلى خذوها فغنى بها طية وإتمامي لتأخذوها فلما فرغا من صلتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فخطر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى أبي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأاهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلموا ودعا السليبي فأخبراه بأدى صنع ثعلبة وبأدى صنع السليبي فأثزل الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن^(١) ولنكونن^(٢) من الصالحين وهذا آثمهم من فضله فخلوا به وتولوا وهم معرضون فعاقبهم فحاق في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لأما لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقة فقال إن الله مني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حملك أمرك فلم أظن فلما أتى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان^(٣) فهذا طليان للال وشؤمه وقد عرفت من هذا الحديث ولأجل بركة القفر وشؤم التي آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم القفر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فقل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معه حتى وقتت ياب منزل فاطمة ففرع الباب وقال السلام عليكم أودخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي يمشك بالحق نياما على الإعياء فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف رأسي فألقى إليهما لامة كانت عليه خلقة فقال شدني بها لي رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجدة وزادني وجعا على ما بي أتى لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمني ولكي آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبي وقال لها أيسري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إن كن في بيوت من قصب لأذى فبأولاصب ثم قال لها اتقيي ابن عمك فوالله لقد زوحتك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة^(٤)

الآثم قال أبو السرهان يا حبيذا نوم الأكياس وفطرم كيف يغبنون قيام الحق وصيامهم ولذة من ذي يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال القفر ومن فضيلة الصوم وأدبهان يقال الطعام عن الحديث الذي كان يأكله وهو مفطر وإلا فاذن جمع الأكلات بأكله واحدة فقد أدرك بها ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الإلتعاض وأخذهم من الطعام بقدر الضرورة لهم أن الإلتعاض على الضرورة محظب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فقل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوحتك سيداتي الدنيا سيداتي الآخرة ثم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلوا كثرهم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت القفر وتركزت الليل ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن قد لئال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق والثوق من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغالهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل الليل ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سمعت رجلا عيسى بن مريم عليه السلام قال أكون معك وأصحبك فانطلقا فأتينا إلى شط نهر فجلسا يتعذبان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فحرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى طيبة ودعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأثام فذبحه فاشتوى منه فأكمل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف ثم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالله أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري ثم اتبها إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشبا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالله أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فمازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهابا باذن الله تعالى نصار ذهابا قسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث لي وثلاث لك وثلاث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتته إليه رجلان في المازة ومعه السال فأراد أن يأخذهما منه وبقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فأبشوا أحدهم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبشوا أحدهم فقال الذي بث لأى شيء ما قسم هؤلاء هذا السال لكنني أضع في هذا الطعام مما فأقلتهما وأخذ السال وحده قال فقول وقال ذلك الرجل لأى شيء نجعل لهذا ثلث السال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا السال بيننا قال فلما رجع إلى حاقته وأكلا الطعام فأتا بغير ذلك السال في المازة وأولئك الثلاثة عنده حتى فر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتضروا قبورا فإذا أصبحوا وجدوا تلك القبور وكسروها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترضى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتيني فأبيت فما أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراك على حالة فأرأى أمدان الأمم عليها قال وما ذلك قال ليس لكم دنيا ولا شيء . أولا أخذتم الذهب والفضة واستمتعتم بها قالوا إنما كرهناها لأن أحدنا يسطر منها دنيا إلا تأتت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتضرت قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكسستموها وصلتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منمتنا قبورنا من الأمل . قال وأراك لا طعام لك إلا البقل من الأرض أولا أخذتم البهائم من الأنعام فاستأبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا ونسألكم ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأبما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجعله طعاما كأننا كان من الطعام يسطر ملك تلك الأرض يده خائف ذى القرنين فتناول فجعة فقال إذا القرنين أتدري من هذا قال ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فشمه وظلم وعاقبهم رأى الفسبحانة ذلك منه حسنه بالموت فصار كالخجر اللقي وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرتهم تناول علما وأعظمهم علما وإسناده صحيح .

أفترت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحواله فيصير بالأكمل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته واقتضاه ولا يخفى بطل الضرورة وفائدتها وطاها بالإعبد إريد الله تعالى أن يشره ويدنيه ويصطفيه ويريه ويمتتع في صومه من ملاعبة الأهل واللامسة فإن ذلك أزه لقصوم ويتشعر استعمالا السنة وهو أدعى إلى إرضاء الصوم لمخنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على

جمعة أخرى بالية قال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدري ومن هو قال هذا ملك مملكتك الله
بعد قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من التهم والظلم والتجبر فواضع وخشع له عز وجل وأمر
بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يحزه به في آخرته ثم أهوى إلى جمعة
في القرنين فقال وهذه الجمعة قد كانت كهذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين
هل لك في صحبتي فأخذه أنا ووزيرا وشريكا فبأثنى الله من هذا المال قال ما أملك أنا وأنت في
مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم كعمدولى صديق قال
ولم قال يصدقك لما في يدك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا ينادي برضى قلبك ولما عدى
من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا بهذه الحكايات تدل على
آفات التي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم اللال والبخل بمحمد الله تعالى وعونه ، وبالله كتاب ذم الجاه والرياء .)

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للملكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كثر القنوب ، العالم بعمقه الضمائر
من خفايا القلوب ، الصبر بسرائر التيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كلو في
وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فإنه التفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه البرئين من الحيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .
[أما جد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة
الحفية التي هي أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في القبة الظلماء»^(١) ولذلك يحجز عن الوقوف
على غوائلها محاسنة العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن
مكائدها وإنما ينبت به العلماء والعباد والمشرعون عن ساق الجد لسلك سبيل الآخرة فقام به منافقهم روا
أنفسهم وجاهدوها وقطعوا عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وحملوها بالهوى على أصناف العبادات
محجرت خوهم عن الطمع في الماصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى النظائر بالخير
وإظهار العمل والعلم فوجدت هناك من مشقة المجاهدة إلى قلة القول عند الخلق ونظرهم إليه بين الوفاق
والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تنزع باطلاع الخلق وفرحت بعد الناس
ولم تنزع بمحمد الله وحدهم علمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشهات وتحمله مشاق العبادات
أطلقوا أنفسهم بالمدح والثناء والتوا في التفریط والإطراء ونظرهم إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا
بشاهد تعلقهم ورغبوا في تركه طائفة حرسوا على اتباع رأيه فاتمروا بالخدمة والسلام وأكرموا في الخافل
فاية الإكرام وسامعوه في البيع والعمالات وقدموه في المجالس وآثروا بالمطاعم واللباس وتصاغروا له
متواضعين واتقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لذة عظيمة والذات وشهوة غلب
الشهوات فاستعمرت فيه ترك المعاصي والمفورات واستنلت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

الصيام ، وروى أنس
ابن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « تسعروا فإن في
السجود بركة »
وسجل القطر عملا
بالسنة فإن لم يرد تناول
العلم إلا بعد العشاء
وبريد إحياء ما بين
المشايخ بفطر بالماء
أو على أعداد من
الزبيب أو التمر أو
بأكل لقيات إن كانت
النفس تنازع ليفعله
الوقت بين المشايخ
فاجابه ذلك له فضل
كثير وإلا فيقتصر
على الماء لأجل السنة
أخبرنا الشيخ العالم
صاحب الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
الهروي قال أنا أبو نصر
الرباعي قال أنا أبو محمد

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الحفية إن ما به والحاكم من حديث شدد
ابن أوس وقلا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيفه وهو عند
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بإفظ المصنف .

في الباطن لمة اللذات وشهوة للشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبإيمانه الرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تسمى عن مركبها القول النافذة القوية ويرى أنه محاسن في طاعة الله ومجنب لمآثم الله والنفس قد أبطلت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتمسك بالخلق وفرحاً بما نالت من الزينة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة الناقدين وهو يظن أنه عند الله من التقرين وحده مكينة لنفسه لا يسلم منها إلا الصديقون وسهولة لا يرق منها إلا القربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رحوس الصديقين حب الرياسة وإذا كان الرياء هو الساء المذيق التي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والمخبر عنه وينضح القرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجلبه والشهرة وفيه بيان فم الشهرة وبيان فضيلة المحلولة وبيان فم الجلبه وبيان حقيقته وبيان السبب في كونه محبوا أعظم من حب المال وبيان أن الجلبه كمال وهمي وليس بكل حقيق وبيان ما عيذ من حب الجلبه وما يلم ويان السبب في حب للدخ والتناء وكراهية القدم وبيان العلاج في حب الجلبه وبيان علاج حب للدخ وبيان علاج كراهية القدم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقدح في اعتبار اعتبار فصلانها منشأ معاني الرياء فلا بد من تنديدها والله الوفي للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان فم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أسلمك الله أن أصل الجلبه هو انتشار الصيت والاعتبار وهو مذموم بل الممهور المحلول إلا من شهره الله تعالى لتشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله » وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحب للرجل من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقد ذكر الحسن رحمه الله لأحدث تأويلاً ولا بأس به إذ روى هذا الحديث قبله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يمن هذا وإن ساعى به المتبع في دينه والتفاسق في دنياه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشتر ولا ترفع شخصك لئلا كروتموا كنتم واصمت تسم تسم الأبرار وتبسط التجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخزاني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام حفاة الشهرة . وعن أبي العالمة أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة أقام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذاب طمع وفراس نار . وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول أبي ابن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر قتادة بالدارة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه قلة التابع وقتنة للمتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوماً من منزله فأتته ناس فالتفت إليهم فقال علام تقيموني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله و زاد في آخره أنه لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصر على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلطف كفي بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ التبرياء من حديث ابن عمر بلطف هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالنسق وإسنادهما ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أنا اسحق بن موسى الأنصاري قال أنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرع عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبدي إلي أمهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس غير ما هموا بالفطر » والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من لبن أو مذقة من لبن

فوافقوا لو تملكون ما أغلق عليه بابي ما ابتغى منكم رجلا . وقال الحسن إن خلق النمل حول الرجال فلما ثلبث عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فأتته قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صاحب ابن عمير في سفر فلما فارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وغنى ولا تبغى إليك وتساءل ولا تمثل فاقبل . وخرج أيوب في سفر فشيء ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أن لهذا كاره لحشيت للقتن الله عز وجل . وقال مصر ماتت أيوب على طول قيمه فقال إن الشهرة فيها معنى كانت في طولها وهي اليوم في قصيرها . وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال يا كرم هذا الجار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا بكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والياب الرديئة إذ الأجار تمتد إليهما جميعا . وقال جل بنسرين الحرف أوصني قال أخذ ذكر كرو وطيب طمسك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه واتضرع وقال أيضا لا بعد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(بيان فضيلة الخول)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك^(١)». وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «الآدمي كل من أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ^(٣)» وقال أبو هريرة قال ﷺ «إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأنفوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينسكوا وإذا قالوا المنيصت لقولهم حوائج أحدهم تخليل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسمهم^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن من أمي من لو أتى أحدكم يسأله ديار الجاهل يعطيه إياه ولو سأله دهر جاهل يعطيه إياه ولو سأل غلاما يعطيه إياه ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطها إياها وما معناه إياه إلهنا وإلهو أباها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره^(٥)» وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يركب عند

(۱) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم بن حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين ثقب عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد وأبى سيم في الحلية من حديث أنس يسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (۲) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاء الجنة لولم يظعن الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو مسعود الديلمي في مسنده الفردوس بسند ضعيف (۳) حديث لأدركم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (۴) حديث أبي هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [۱] (۵) حديث إن من أمق من لو آتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولولا أنه الدنيا لم يعطه إياه أو ما تمنى إياه هو أنه عليه.

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير او قال الشارح يعني له العراقي فليعلم.

أو تمرات . وفي الخبر
« كم من صائم حظه
من صيامه الجوع
والعطش » قيل هو
الذي يجوع بالهار
وخطر على الحرام
وقيل هو الذي يصوم
عن الحلال من الطعام
وخطر على لحوم الناس
باعتية . قال سفیان
من اغتاب فصدومه
وعن معاذ خملتان
تضدان الصوم البتية
والكذب قال الشيخ
أبو طالب السكي قرن
الله الاستماع إلى الباطل
والقول بالإنم بأكل
الحرام فقال - سمعون
الكذب أكل نون
الحد - . وورد في
الحديث « أن امرأتين
صادتا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فأجهدهما الجوع

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخياء الأخياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يبرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غيراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قطع أهل الدين وكان يهازل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في بيئتهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصل ركتين أوجز فبهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فم برده يديه ولم يقطع دعاه حتى تفتت السماء وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من هفافة الغرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكفوا فارفع عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسلمني أن أضحك بدعوة ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت قال أطمت الله فم أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا بنيابيع السلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خالقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتحنون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أعبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاد فوخط من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعة في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم هز رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال مجلت منيته وقل تراءى وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغراء قيل ومن الغراء ؟ قال القارون يدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما عين به على عبده ألم انعم عليك ألم أسترأك ألم أحمل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاي صلح بمكة والدينة مع قوم غيراء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما فرت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلقي بعض مساجد قرى الشام وكان في البطن بقرى اللؤذين رجل على أخرنى من السجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضية الخمول وإيماء الطلوع بالشهرة واتشار الصيت هو الجاه والنزلة في الملوك وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول . فاعلم أن اللوم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من البذائيس بمذموم ، ثم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالترقيق الضيف إذا كان معه جماعة من الغرق فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فاتهم يتلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما الأقوى فالأولى أن يعرفه الغرق ليتنقلوا به فينجبهم ويثاب على ذلك .

(بيان فم حب الجاه)

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الإرادتين جميعا وقال عز وجل لمن كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخفاء الأخفاء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد قلت بل ضيفه فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبي أمامة إن أعبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاد الحديث الترمذي وابن ماجه بإسنادين ضعيفين .

والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلسا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تأسدانه في الانفطار فأرسل إليهما قدحما وقال قولوا لصا قيتا فيه ما أكلتا فقامت إحداهما نصفه وما عبيطا ولحما غريضا وقامت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتهما فصب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما » وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شتمه فليقل إني صائم » وفي الخبر « إز الصوم أمانة

الدنيا وزيتها توف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يخشون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها واطل ما كانوا يعملون . وهذا أيضا متناول بدمومه حب الجاه فإنه أعظم لغة من لغات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يبتان التفاف في القلب كما يبت الماء البقل » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذبان ضاربان أرسلاني زرية غنم بأسرع إفسادا من حب الصرغ والمال في دين الرجل السلم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لمن كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس بإتباع الهوى وحب الثناء » (٣) نسأل الله العفو والعافية بجنه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقيقته)

اعلم أن الجاه والمال هما ركنتا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان للتشبع بها ومعنى الجاه ملك الدولاب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن النقي هو الذي يملك الدرهم والدنانير أي يقدر عليها ليتوصل بها إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكما أنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من العائلات والاصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اتقاده وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كالا في نفسه بل يكفي أن يكون كالا عنده وفي اعتقاده وقد يستند ما ليس كالا ويدعن قلبه للموصوف به اعتيادا ضروريا بحسب اعتقاده فإن انشأ القلب حال للقلب وأحوال القلوب ناعمة لاعتقادات القلوب وعلومها ونحوها وكما أن حب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم يملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن للمالك يملك العبد قهرا والعبد منأب بطبعه ولو خشي ورأي أن يفسد عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبنى أن تكون له الأحرار عبيدا بالانبيع والطوع مع الفرح والعبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام النزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لتحت من نعت الكمال فيه بقدر ما يعتقدون من كاله تدعن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وجه الجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كاللمح والإطراء فإن المنفذ للكمال لا يكت عن ذكر ما يستند فيثي عليه وكالحمد والإعانة فإنه لا يخل يذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد في أغراضه وكالإشراق وترك الذنعة والتعظيم والتوقير بالفتاحة والسلام وتسليم الصدر في المخالف والتقدم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

(١) حديث المال والجاه يبتان التفاف الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذبان ضاربان أرسلاني زرية غنم بأسرع إفسادا من حب الصرغ والمال في دين الرجل السلم (٣) حديث إنما هلاك الناس بإتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شه مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمي ويصم .

فليحفظ أحدكم أماته

والهوى الذي لا يرجع

إلى معلوم ولا يدري

مق يساق إليه الرزق

فإذا ساق الله إليه

الرزق تناوله بالأدب

وهو دائم الرافعة

لوقته وهو في إفطاره

أفضل من الذي له

معلوم ممدد فإن

كان مع ذلك بصوم

فقد أكل الفضل .

حكى عن روم قال

اجتزت في الهاجرة

بعض سكك بغداد

فطشت فتقدمت إلى

باب دار فاستقيت

فإذا جارية قد خرجت

ومعها كوز حديد

ملآن من الماء البود

فها أردت أن أقول

من يدها قالت

صوفي وشرب بالهار

وغربت بالسكر

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يستفده الناس كالأفان هذه الأوصاف كلها تعظم عمله في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوا بالطبع حتى لا غلو عنه قلب إلا بشدide المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوا به يقتضي كون الجاه محبوا به بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدر وهو أنك تعلم أن الدرهم والدنانير لا غرض في أعيانها إلا لصلاح لطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملبس وإنما هي والحصبة بمثابة واحدة ولكنهما محبوان لأنها وسيلة إلى جميع المحاب ودرجة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يغيد قدرة توصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يغيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب يقتضي الاشتراك في المحبة ورجيح الجاه على المال يقتضي أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أبسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم والراغب الذي غرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال ليرى له أن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب وبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الخسيس الذي لا يصف صفة كمال إذا وجد كثرًا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آفة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويصعب ويطمع فيه اللوك والظلمة ويحتاج فيه إلى الحظفة والحراس والحزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عديدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي التهاب والتصاب وأثبتت الأموال العفار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن الرقابة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة مضمونة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها ، ثم إنما تصعب القلوب بالتصريف وتقيح الحال وتغيير الاعتقاد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينى ويزايد من غير حاجة إلى تب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعن لشخص واعتقدت كاله لم يعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فصف ما يعتقده لغيره ويقتضي ذلك القاب أيضا ولهذا ينبغي محب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطار في الأقطار اقتنس القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنائه إلا بتب ومقاساة والجاه أمداء الخفاء بنفسه ولا مرد لوصفه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطقت الألسنة بالشاء استحققت الأموال في مقابلته فهذه مجاميع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح ، فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذذ ودفع الضرر معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطعم أو كالتبلى بمرض أو بقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع القوبة عن نفسه إلا بمال أو جاء خبه للعال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر محبب وراه هذا وهو حب جمع الأموال والكون الكونز وإدخار الذخائر واستكثار الخزانين وراه جميع الحاجات حتى لو كان للبندوبان من ذهب لا ينبغي لهما ثالث وكذلك يحب الإنسان أساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى الإمكان التي يعلم قطعا أنه لا يطوها ولا يشاهد أصحابها يعظموه أو ليروه بمال أو ليعنوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به

على الأرض والصرفت
قال روم فاستحييت
من ذلك ونذرت
أن لا أفطر أبدا
والجماعة الذين كرهوا
دوام الصوم كرهوه
لمكان أن النفس إذا
ألفت الصوم وتمودته
اشتد عليها الإفطار
وهكذا بتعودها
الافطار تنكره الصوم
فيرون الفضل في أن
لا تركز النفس إلى
عادة ورأوا أن إفطار
يوم وصوم يوم أشد
على النفس . ومن
أدب التفقراء أن
الواحد إذا كان
بين جمع وفي محبة
جماعة لا يسوم إلا
بإذنها وإنما كان ذلك
لأن قلوب الجميع متعلقة
بخطوره وهم على غير
معلوم فان صام يأن

غاية الالتذاذ وجب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب مالا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فقول نم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلي تدركه السكافة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدفعها وأخفاها وأبدعها عن أفهام الأذكاء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الفاضلون . فاما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكثيا في الحال فانه طويل الأمل وعطش ياله أن السال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك ياله حاج الخوف من قبله ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا اللال جائحة فهو أبدا لشفته على نفسه وجه الحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستثمر الخوف من ذلك فقلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطلاقة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن للشعوق إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منومان لا يشمان منوم العلم ومنوم المال (١) » ومثل هذه الملة تطرد في حب قيام الرزق والجاه في قلوب الأباغيد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تدبير حبيب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستجيلا بإحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني بوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - وبسألوئك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أو معنى كونه ربانيا أنه من أسرار علوم الكشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ولكنك قبل معرفة ذلك قل أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والواقع وإلى صفات سبعة كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحذية والإغواء وإلى صفات ربوية كالكبر والعز والتعجب وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة بطول شرحها وتفصيلها فهو في من الأمر الرائي بحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان للشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها نفس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان مساواة أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن الية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أنظار الآفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود نفس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق آوار القدرة فيكون تابعا لا يكون متبعا فاذن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ماصرح يعفر عن من قوله - آثار كبر الأهل -

(١) حديث منومان لا يشمان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الجمع ونشع عليهم .
لا يلزمهم آخره للصائم
مع العلم بأن الجمع
القطرين يحتاجون
إلى ذلك فان الله تعالى
بأن الصائم رزقه إلا أن
يكون الصائم محتاج إلى
الرفق لتضعف حاله
أو تضعف بنيته
لشيوخة أو غير ذلك
وهكذا الصائم لا يلبق
أن يأخذ نصيبه
فبدخره لأن ذلك من
ضعف الحال فان كان
ضعيفا يسترف بحاله
وضعه فيخرجه والذي
ذكرناه لأقوام هم على
غير معلوم فاما الصوفية
القيسون في رباط على
معلوم فالأليق بعلمهم
الصيام ولا يلزمهم
موافقة الجمع في الإفطار
وهذا يظهر في جمع منهم
لهم معلوم يقدم لهم

ولكنه ليس بمجد مجالا وهو كما قال فان البودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك
لنسبة الرابانية التي أوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما هجرت النفس من
ذلك منتهى الكمال لم تسقط شهواتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية له وملتبسة به لذاته لا للمنى
آخر ورده الكمال وكل موجود فهو محب لذاته وكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته
أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بسبب أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل
الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيره منك فان لم يكن منك فأن تكون مستويا عليه
فصار الاستيلاء على السلك محبوا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه محب ذاته ومحب
كمال ذاته ويلتذ به إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة
وكونه مسخرًا كترده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجود
... إلا أن الوجودات منقسمة إلى مالا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير
ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأنلاك والكواكب وملكوته السموات وقوس لللائكة
والجن والشياطين والحيوانات فإذا انقسمت الوجودات إلى ما يقدر الانسان على التصرف فيه
وأجزائها وما عليها من اللادن والنبات والحيوان ومن جملة قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير
مثل أجسامهم وأجساد الحيوانات فاذا انقسمت الوجودات إلى ما يقدر الانسان على التصرف فيه
كالأرضيات وإلى مالا يقدر عليه كذات الله تعالى واللائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على
السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم المحاطة كالأدخل
تحت العلم والعالم كالاستولى عليه فذلك أحب أن يعرف الله تعالى واللائكة والأنلاك والكواكب
وجميع محباب السموات وجميع محباب البعاري والحيوانات وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء
نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة معينة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يسجد عن
وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة معينة في الهندسة
أو الشبنة أو جبر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عن عمله ولكنه يشتاق إلى
معرفة كيفية عمله متأم بعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي
يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي
قلوب : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرامم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادرا عليها بفعل
فيها ماشاء من الرفع والواضع والتسليم وللعن فان ذلك قدرته والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية
والربوبية محبوبة بالطبع فذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات
نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف
في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تستدركه حاله حتى يصير محبوا لها
ويقوم القهر منزلة فيها فان الحشية القهرية أيضا لثبته لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس
الآدميين وقلوبهم وهي أنفس مائل وجه الأرض فهو محب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون
مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب
إنما تسخر بالحلب ولا تحب إلا باغضاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية
والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للنسبة الربانية من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يلبس الموت
فيندمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه هل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي
إليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخره القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتبار فأما إذا كانوا
على غير ملوم قد قيل
مساعدة الصوام
للفطرين أحسن من
استدعاء اللواقة من
الفطرين للصوام وأمر
القوم مبنه على الصدق
ومن الصدق افتقاد
النية وأحوال النفس
فكل ما صحت التيقنه
من الصوم والافطار
والواقة وترك اللواقة
فهو الأفضل فأما من
حيث السنة فمن يوافق
له وجه إذا كان صائما
وأفطر للواقة وإن
صام ولم يوافق فله وجه.
فأما وجه من يخطئ
ويوافق فهو ما أخبرنا به
أبو زرعة مظهر عن
أبيه أبي الفضل الخافض
القدس قال أنا
أبو الفضل محمد بن
عبد الله قال أنا السيد

كال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجامع من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للقدورات ومادام يبقى معلوماً ومقدوراً للشوق لا يسكن والنعمان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة ونهايات الدرجات فيه غير محصور فزور كل إنسان ولذته بقدر ما يدرك من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوباً وهو أمر وراءه كونه محبوباً بالأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه الملة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما غوث عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع الجوانب والشكليات لأن في العلم استبلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوباً بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة غاليط لابد من بيانها إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقة له)

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث كثرة المعلومات ومنها فانه محيط بجميع المعلومات فذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى . الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون العلوم مكتشوفة به كشفاً تاماً فانه للمعلومات مكتوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ما هو عليه فذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى . الثالث : من حيث بقاء العلم أبد الأبد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يتقبل التغير والاضطراب كان أقرب إلى الله تعالى وللمعلومات قسطن : متغيرات وأزليات . أما التغيرات فتشملها العلم بكون زيد في الدار فانه علم بمعلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلاً فيكون نقصاناً لا كمالاً فكذلك اعتقدت اعتقاداً موافقاً وتصور أن يتقلب الاعتقاد فيه عما اعتقدته كنت بصد أن يتقلب كذلك قصاً ويوجد علك جهلاً ويتحقق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كملك مثلاً بارضاع جبل ومساحة أرض وصد البلد وتباعد ما بينها من الأميال والفراخ وسائر ما يذكر في السالك والمالك وكذلك العلم باللفات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والمادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالاً في القلب .

القسم الثاني : هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجازات ووجوب الواجبات واستحالة الاستحالات فان هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزاً ولا الجائز محالاً ولا المحال واجباً فكذلك هذه الأقسام داخلية في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفضاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نوراً للعارفين بعد الموت - يسمى بين أيديهم وبأية انهم يقولون ربنا أنعم لنا نورنا - أي تكون هذه المعرفة نوراً ما يصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستبصار ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حدوده قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن الشكندر عن أبي سعيد الخدري قال اصطلحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاماً فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعامكم أكثف لكم ثم تقول إني صائم أفطس وافض يوماً مكانه وأما وجه من لا يوافق قدور ودان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاسعادة إلا فى معرفة الله تعالى وأماما عدا ذلك من المعارف لأنها لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة مافى القرآن من كيفية البادات والأعمال التى تخيد تركية النفس ومعرفة طريق تركية النفس تحيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أطلع من زكاهما - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فىنا ليهدينهم سبلنا نستكون جمعة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وأسمائه وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات وإدراك وجودات كلها من أفعالها من عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من شكلة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم كرامة وإن لم يكن لها ما يحكم الجاه والرياء. ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال. وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقى لعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقب إرادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة بأحداث الله كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بدلولت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلهذا نم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهى وسيلة له إلى كمال العلم ككلمة أطره فوقه بعد لبطش ورجله للعشى وحواصه للدراك فإن هذه القوى آلة للوصول إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والاجاه لتوصل به إلى العلم ولشرب واللبس ولكن وذلك إلى قدر معلوم فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه أبلة إلا من حيث الفتنة الحالية التى تنقض على القرب ومن عظم ذلك كالاقتداء بخلق كثرهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بغير الحشمة وعلى أعيان الأموال بسمعة النفس وعلى تنظيم القلوب بسمعة الجاه كمال فها اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسدوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فلهذا كرامه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تمسكها بالملائكة الذين لا يستغفرون الشهوة ولا يشبهونهم الغضب فإن دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استعالة التأثير التاثير عليه فمن كان عن التأثير والتاثير بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزله عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد فى أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم نقصان فإن التغيير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كاشته وهلاكها كمال الكمال فى صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة إن عداها عدم التأثير بالشهوات وعدم الاتقياء لها كالا كمال العلم وكال الحرية وأغنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعان الأموال وعلى استمخار القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يعدمان بالموت بل يقيان كالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانتظر كيف انقلب الجاهلون وأنكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاهد والى الله وهو السكوت الذى لا يسم وإن سلم فلابقا له وأعزوا عن كمال الحرية والعلم الذى إذا حصل كان أبديا لا يقطع له هؤلاء الذين اشتروا الحياة الدنيا بالأخرة فلا حرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعرون وهم الذين لم يغموا فوله تعالى - الباقى والبنون زينة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رزقنا ورزق بلال فى الجنة فاذا علم أن هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجى من موافقة من يبتلى موافقة يفتقر بحسن البية لأحكم الطبع وشأنه فان لم يجد هذا العلم لا يبتلى أن يتأسس عليه الشراء وداعة النفس بالية. فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعة النفس لاقتضاء حق أخيه. ومن أحسن آداب التقدير الطالب أنه إذا أخطأ وتناول الطعام ربحا يمد يده متغيرا عن هيئته ونفسه متباعدة عن أداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب للتغير بأذهب التأثير عنه وبذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالطعام والحريه هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس واللذات والجاه هو الذي ينقض على القرب وهو كاشته الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيا تذروا له رايح - وكل ما تذروا له رايح للوث فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطع للوث فهو الباقيات الصالحات قد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال غنى لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مضمودا فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله : ومن ينق الساعات في جمع ماله عفاة قرقا على فعل القفر إلا قدر البلغة منهما إلى السكال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وقته الخير وهديته بطقك .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما يمل)

مهما عرفت أن معنى الجاه مالك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموث كماله والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة اللطم والشرب ولللبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة العيشة مع الخلق والآنسان كمالا يستثنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام ولذات الذي يتناوله به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمشي وأستاذ يرشده وسلطان يجرسه ويدفع عنه ظم الأشرار عليه لأن يكون له في قلب خادمه من المل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمذموم وجهه لأن يكون له في قلب رفيقه من المل ما يحسن به مراقبته ومعاونة ليس بمذموم وجهه لأن يكون له في قلب أستاذه من المل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وجهه لأن يكون له من المل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كمالا فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يغني إلى أن لا يكون السال والجاه باعياهما محبو بين له بل يؤهل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لا يستغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا للبيت السال فكل ما يراد التوصل به إلى محبوب فال محبوب هو التوصل إليه وتترك التفرقة بشال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع بيت السال فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الإنسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصعبا لتكاحها فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والسال وقد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعياهما فبا يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية ما يتوصل به إلى اكتساب كذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل إلى الجاه والسال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فإن قلت : طلبه للزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق فكيف كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام المنزلة في فلوهم باعتقادهم فيه صفة وهو متفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالمأذلة . وأما أحد الباحثين فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركلات يسليها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفار يأتى به قد ورد في الخبر « أذيعوا طعامكم بالذكر » ومن مهام آداب الصوم كتمانها مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الإخلاص فلا يبالى ظهر أم بطن .

[الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصاحبة والفسدة] الصوفي يحسن نيته ومحة مقصده ووفور عله وإتيانه بأدابه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب رفته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لبيد أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيها أخبره الرب تعالى - اجعلنى على خزان الأرض إني خفيظ علم - فانه طلب للزفة في قلبه بكونه خفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومصلحة من مصلحته حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على التبايع جائز ولا يجوز هناك السر وإظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبس بل هو سبب لطريق العلم بمالا فائدة في العلم به كالأذى يخفى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى إليه أنه ورع فان قوله إني ورع تلبس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المحسنين الحاشدين لله وهو مرء بما يفهم فكيف يكون غفلا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يملك مال غيره تلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يملك قلبه بتزوير وخداع فان ملكك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب للدخ والتناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبضها لذم وغرتها منه)

اعلم أن حب للدخ والتناء القلب به أربعة أسباب : السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فاننا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادرا كهشيد فلهما شمرت النفس بكمالها ارتاحت واحتواهزت وتلذذت والدخ يشعر نفس المدح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يغلو إيمان أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يغلو عن لذته ككثاته عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تنفعل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرت له لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذته وإن كان ذلك الوصف مما ينظر إليه الشك فاللذة فيه أعظم ككثاته عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن الطلاق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستقيما لكونه عديم النظير في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أورت ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فنظم لذته وإنما تنظم اللذة بهذه الملة مهماصد التناء من بصير بهذه الصفات خبيرها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلذذ بشاء أستاذة عليه بالكياسة والدكاء . وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وإن حذر من مجازف في الكلام أو لا يكون بصير بذلك الوصف ضمنت اللذة وهذه الملة يفيض الذم أيضا ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محقوت . والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موقوف به كإذكرناه في اللدخ . السبب الثاني : أن اللدخ يدل على أن قلب اللادخ مملوك للصدوح وأنه مرده ومعتد فيه وسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذبة وهذه الملة تنظم اللذة مهماصد التناء من تنسج قدرته ويتنفع بانتصاص قلبه كالملوك والأكابر وضف مها كان اللادخ من لا يؤبه به ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل اللدخ إلا على قدرة قاصرة وهذه الملة أيضا يكره الذم ويأتى به القلب وإن كان من الأكابر كانت نكباته أعظم لأن الغائب به أعظم . السبب الثالث : أن شاء الذي ومدح المسادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيا إذا كان ذلك من يأنف إلى قوله ويمتد به وهذا محض بشاء يقع على الملائجرام كلما كان الجمع أكثر والمشي أجدر بأن يأنف إلى قوله كان اللدخ ألد والذم أشد على النفس . السبب الرابع : أن المدح يدل

له رب العالمين -
تدخل على الصوفى
أمور العادة لموضع
حاجته وضرورة
بشريته ويحف بهادته
نور يحفظه وحسن
نيتة فتتور العادات
وتتشكل بالعبادات
ولهذا ورد « نوم العالم
عبادة وقسه تسيح »
هذا مع كون التزم
عين الفقه ولكن كل
ما يستعان به على العبادة
يكون عبادة فتناول
الطعام أصل كبير
يحتاج إلى علوم كثيرة
لاستعماله على المصالح
الدينية والدنيوية
وتعلق أثره بالقلب
والقلب ويقوم البدن
بأجراء سنة الله تعالى
بذلك والقلب مركب
القلب وبهما عمارة
الدنيا والآخرة وقد

على حشمة المدوح واضطرار اللادح إلى اطلاق اللسان بالثناء على المدوح إما من طوع وإما عن قهر فان الحشمة أيضا لينة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللينة تحصل وإن كان اللادح لا يستدق الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم فيكون لذته بقدر تمتع اللادح وقوته تحسكون لذته ثناء القوى المتمتع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربعة تجمع في مدح مادم واحد فيظلم بها الاتخاذ وقد غترق فتقص اللينة بها المألة الأولى وهي استعمار الكمال فتدفع بأن يعلم المدوح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أو متورع عن المخطورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استعمار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم أن اللادح ليس يستمد مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاءه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاد النفس بالمدح وتألمها بسبب الدم وإعما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب الممعدة وخوف اللذمة فان ما لا يعرفه سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفي بكر مولفه ووصل الله على كل عبد مصطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوبا بالتودد إليهم والرواة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يهظم منزلته عندهم وذلك بذرا التفائق وأصل الفساد ويجر ذلك لاعادة إلى التساهل في العبادات والرواة بها وإلى اتحام المخطورات للتوصل إلى اقتناس القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب اللال وإفسادها قد بنى بين ضاربين وقال عليه السلام «إنه ينبت التفائق كما ينبت الماء البقل» إذ التفائق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب التزلة في قلوبه فيضطر إلى التفائق معهم وإلى التظاهر بمخالف حبه فهو خال عنها وذلك هو عين التفائق فحب الجاه إذن من الهلكت فيجب علاجه وإزالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب اللال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره للوت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسط الأرض من المشرق إلى المغرب فولى خمسين سنة لا ينفي الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا اقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر المجاملة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بأخمر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كاتوا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن . وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لا كان الفاتم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالقوى إذ علوا أن العاقبة للضعفين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضيقة مقصورة على المجاملة لا يمتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل يؤثرون الحياة الدنيا والآخرة حير وأبى - وقال عز وجل - كلاب يحجون المجاملة وتذرون الآخرة - فن هذا حده فينبى أن يصلح قلبه من حب الجاه بالمع بالآفات المجاملة وهو أن يتشكر في الأخطار

ورد «أرض الجنة
قيان نباتها النسيج
والنضيب» والقالب
بغفره على طيبة
الحيوانات يستأن به
على حمارة الدنيا والروح
والقلب على طيبة
الملائكة يستأن بها
على حمارة الآخرة
وإجتماعها صلحا
لعمارة الدارين والله
تعالى ركب الأدمى
بلطف حكمته
من أخص جواهر
الجنائيات والروحانيات
وجمله مستودع خلاصة
الأرضين والسماوات
جسد عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

الى يستهدف لها أرباب الجلاء في الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالإيذاء وخائف على الدوام على جابه ومحتر من أن تتبر منزلته في القلوب والقلوب أهد تنيرا من القدر في غلبتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما بين على قلوب الخلق يشاهي ما بين على أمواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه يدفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غنوم طاجلة ومكسدة للذة الجلاء فلا يبقى في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يغوت في الآخرة فهذا ينبغي أن يتألم البصيرة الضعيفة وأما من تفتت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاسقاط الجلاء عن قلوب الخلق مباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفرقه لذة القبول وبأنس بالحوال ويرد الخلق ويقتنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب اللامية إذ اتفقوا القواحي في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيفسوا من آفة الجلاء وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب السليين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محذور لأجل ذلك بل له أن يفعل من الباحات ما يسقط قدره عند الناس كإروى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبجلا وأخذ يأكل بشره ويعظم القصة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يجالون أنفسهم بما لا يفي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما وليس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجره وأقوى الطرق في قطع الجلاء الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخوال فان المنزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزل التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلة فانه ربما يظن أنه ليس بجلاء الجلاء وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذروه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جرعت نفسه وتأنث وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإما طدة ذلك التبار عن قلوبهم وربما محتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبس ولا يأتى به وبه يتبين جد أنه يحب الجلاء والمنزلة ومن أحب الجلاء والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجلاء أعظم ولا يمكن أن لا يحب المنزل في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فإذا أحرز قومه من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالزفال فلا يأتى أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كالأيتالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى الشرق لأنه لا يرام ولا يطعم فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقتاعة فمن قطع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجلاء إلا بالقتاعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك : الأخبار الواردة في ذم الجلاء ومدح الخوال والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذل أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف وإشارتهم للذل على المز وغبنتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب الملح وكراهة الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف غمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من القم وذلك من المهالكات فيجب معالجته بطريقة ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استعمار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض جيبا فكونون
الطبايع وهي الحرارة
والرطوبة والسبودة
واليبوسة وحسون
بواسطتها النبات وجعل
النبات قواما للحيوانات
مسخرة للآدمي يستعين
بها على أمر معاشه وقوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المعدة وفي المعدة طبايع
أربع وفي الطعام طبايع
أربع فإذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ كل طبع من
طبايع المعدة ضد من
الطعام فأتخذ الحرارة
للبودة والرطوبة
لليبوسة فيعتدل

المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت منصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تمتنع بها اللدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق لللدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فاللدح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب حشياً تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي: أشدّ التمر عندي في سرور يقين عنه صاحبه انتقالاً

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح اللدح بها بل بوجودها واللدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق القرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحاجة غير معلومة وهذا إنما يقتضي القرح لأنه يقرب عند الله زلفي وخطر الحاجة باق في الخوف من سوء الحاجة فقل عن القرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار أحران وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاجة فينبغي أن يكون فرحك بغض الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح اللدح فإن اللذة في استثمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من اللدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلاً وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبعان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أليب الروائح التي تخرج منه إذا قضى حاجته وهو يوم ما تشتمل عليه معاًوه من الأقدار والأنتان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنا عليك بالصلاح والورع ففرحت به أو فسرطع على خباثت باطنك وغوا ائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فإذا المادح إن صدق فليكن فرحك بصفة التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن ينعك ذلك ولا يفرح به .

وأما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبباً لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طليق المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهو أيضاً يرجع إلى قدرة عارضة لا يات لها ولا تستحق القرح بل ينبغي أن ينعك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان . قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكن أحب إليك من أن يقال لك بش الرجل أنت فأنت والله بش الرجل ، وروى في بعض الأخبار فإن صح فهو قاصم للظهور « أن رجلاً أتى على رجل خيراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضراً فرضى الذي قلت فأت ذلك دخل النار » (١) وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمداح « ومحك قصمت ظهري لو سمعت ما أطلع إلى يوم القيامة » (٢) وقال عليه السلام « ألا لاتمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحتوا في وجوههم التراب » (٣) فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنه وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلاً عن شيء فقال أنت تأمير المؤمنين خير مني وأعلم فتغضب وقال إني لم آمرك بأن تركني ، وقبل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبجك الله فتغضب وقال

- (١) حديث أن رجلاً أتى على رجل خيراً فقال لو كان صاحبك حاضراً فرضى الذي قلت فأت ذلك دخل النار لم أجده له أصلاً (٢) حديث ومحك قطعت ظهري الحديث قاله للمداح تقدم . (٣) حديث ألا لاتمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحتوا في وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا تعادجوا .

المزاج وبأسن الاعوجاج وإذا أراد الله تعالى إفاء قلب وتخرب بنية أخذت كل طيبة جنبها من المأكول فتبيل الطبايع ويضطرب المزاج ويسقم البدن فلك تصدير العزير الصائم . روى عن وهب بن منبه قال : وجدت في النوراة صفة آدم عليه السلام إنى خلقت آدم وركبت جسيمه من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأنى خلقت من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء

إني لأحسبك عزالياً ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بقتك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا الفتنة خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محقون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله ينشئ إليهم مدح الخلق لأن المدح هو القرب عند الله والذموم بالحقيقة هو البعد من الله للثقل في النار مع الأشرار ، فهذا المدح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وتعالى عليه إذ ليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التعانه إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب الدح واشتغل بما يهجه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الدم)

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو عند العلة في حب للدح فلاجها أيضاً فيهمته والقول الوجيز به أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقاً ولكن قصد الأذى والتنت ، وإما أن يكون كاذباً فإن كان صادقاً وقصد النصح فلا ينبغي أن تغمه وتضرب عليه وتعدب بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فإن من أهدي إليك عيوبك قد أرعدك إلى اللهلك حتى تنبه فينبى أن تفرح به وتشتغل بالآلة الصفة الذمومة من نفسك إن قدرت عليها فأما اغنامك بسببه وكراهتك له وذلك إياه فانه غاية الجهل وإن كان قصد التنت فأت قد انتفعت بقوله إذ أرعدك إلى عيبك إن كنت جاهلاً به أو ذكر لك عيبك إن كنت غافلاً عنه أو قبحه في عينك لينبث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أضيع لك أسبابها بسبب ما صمته من اللذة فلها قصدت الدخول على ملاك وفوك ملوث بالعدرة وأنت لاتدرى ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يحز ربتك لتأويك مجلسه بالعدرة فقال لك قائل أيها اللارث بالعدرة طهر نفسك فينبى أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غيبة وجميع مساوى الأخلاق مهلكة في الآخرة والانهان إنما يفرها من قول أعدائه فينبى أن تقتنبه . وأما قصد العدو التنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تضرب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفتري عليك بما أنت برى منه عند الله تعالى فينبى أن لاتسكرك ذلك ولا تشتغل بزمه بل تتفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأشكر الله تعالى إذ لم يظلمه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برى عنه ، والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بسبب أنت برى منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك قد أهدي إليك حسنة وكل من مدحك قد قطع ظهرك ، فسا بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لمداها الحسنات التي تحريك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقتراه وتعرض لمقابله بالدم فلا ينبغي أن تضرب عليه مع غضب الله عليه فقتشت به الشيطان وتقولوا اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تبي عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومي اللهم اغفر لقومي فاتهم لا يملون^(١) ، لما أن كسروا نيتهم وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالفتنة قيل له في ذلك قال علت آتى مأجور بسببه وما نالني منه إلا خيرة فلا أرضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فاتهم لا يملون قاله لما ضربه قومه اليهودي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بهذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم يذوقون قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بأخرى منهن لذة السوداء والرة الصفراء والدم واليسلم ثم أسكت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليوسة في الرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرءة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة

هو معاقبا بسبب، وبما يهون عليك كراحة الذمة قطع الطمع فإن من استنبتت عنه مهمها منك لم يحظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه وما دام الطمع قائما كان حب الجاه وللذع في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك إلى تحصيل النزلة في قلبه مصروفا فتولوا بذلك لإيهام الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب المال والجاه وعجب اللذع وميض الدم في سلامته ينافي ذلك بنيد جدا.

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والهم)

اعلم أن قناس أربعة أحوال بالإضافة إلى القام والسادح : الحالة الأولى أن يفرح باللذع ويشكر اللذع ويضرب من الهم ويحدد على الدام ويكاته لو يجب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات اللصية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على الدام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح بباطنه ويرتاح لعمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذمته ومادحه فلا تهم للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتحن نفسه بعلاماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استغالا لقدام عند تطويله الجلوس عندما أكثر بما يجده في اللذع وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج اللذع فوق ما يجده في قضاء حاجة الدام وأن لا يكون انقطاع الدام عن مجلته أهون عليه من انقطاع اللذع وأن لا يكون موت اللذع المطرقة أشد نكابة في قلبه من موت الدام وأن لا يكون غم بمصيبة اللذع وما ينافيه من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الدام وأن لا تكون زلة اللذع أخف على قلبه وفي عينه من زلة الدام فمخاف الدام على قلبه كما خاف المساح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بدمج الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بجل قلبه إلى اللذع دون الدام والشيطان يحسن له ذلك ويقول القام قد عصى الله بعمدتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تدوى بينهما وإنما استغفلك للذم من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تذكر علم أن في الناس من ارتكب كبار المعاصي أكثر مما ارتكب الذم في مذمتهم ثم إنه لا يستغفلك ولا يفرغ عنهم ويعلم أن اللذع الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه قرة عنه بمذمة غيره كما يجد الذمة نفسه والمذمة من حيث إنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المقرور لنفسه يضرب وهو لا يمتنع ثم إن الشيطان يغفل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تب ضائع يغوت عليه الدنيا وبخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل تنبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره اللذع ويمتنع المادح إذ يعلم أنه فتنه عليه فاصمة للظهر مضرة له في الدين ويجب القام إذ يعلم أنه مهد إليه عيه ومرشده إلى مهمه ومهد إليه حسنة قد دل عليه رأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى (١) وقد روى في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثاله إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم وييل للقائم وييل لصاحب الصوف والاسن ، قبل بأمر رسول الله إلا من ؟ قال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة (٢) »

في البلم فأبجسد
اعتدلت فيه هذه
الفسط الأربع التي
جعلها ملاكة وقوامه
فكانت كل واحدة
منهن ربما لا يزيد ولا
ينقص كلك صحته
واعتدلت بنيت فان
زادت منهن واحدة
عليهن هزمتين ومالت
بهن ودخل عليه
السقم من ناحيته بقدر
غلبتها حتى يشغف عن
طائفتين ويمر عن
مقدارهن فأهم الأمور
في الطعام أن يكون
حلالا وكل مالا يذمه
الشرع حلال رخصة
ورحة من الله لعباده
ولولا رخصة الشرع

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث وييل للصائم وييل للقائم وييل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أسى ويل لمن ليس الصوف غالف فعله قوله ولم يخرج له ولله في مستنده .

وهذا عديد جدا وغاية أشد الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر القرح والكرامة على الدام واللاح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين اللادع والدام فلناطمع فيها ثم إن طالبا أغسنا بسلامة الحالة الثانية فالتقى بها لأنها لا بد وأن تتعارض للمد كرام اللادع وقضاء حاجاته وتتأكل على إكرام الدام وإتمام عليه وقضاء حوائجه ولا حذر على أن نسوي بينهما في العمل الظاهر كما لا حذر على في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين اللادع والدام في ظاهر العمل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فانه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من اللزبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا قد جرت أمانا لدرجات في اللدح فهو أن من الناس من يتقى للذة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يبرأ بالعبادات ولا يبالى بفارقة المخطورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا ياتر المخطورات وهذا على غفاجرف هارغان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيها لا يحل ليل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للذة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يشكف الكراهية فهو قريب من أن يستجره قرح السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبض السرور إليه بالتفكر في آفات اللدح فهو في خطر المجاهدة فارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح مع اللدح لم يسر به ولم يغم به ولم يؤثر فيه وهذا على خبر وإن كان قد بنى عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره للذح إذا مدحه ولكن لا يتهمى به إلى أن يضبط على اللادح ويشكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويضبط ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حقد وحقد على نفسه لمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها السكافة وتلبساتها الخبيثة فيفضها بنض العدو والانسان يفرح بحن ينم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا مدحها ويشكر الدام على ذلك ويحتد فظنته وذكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالشفى له من نفسه ويكون غنمة عنده إذا صار للذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتلى بختة الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم ينسب فيها فساد يكون خيرا لعبوه التي هو عاجز عن إماتها ولو جامد الريد نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يفرغ منه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه والفرقة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يبرأ به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط البد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على الريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبسببها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

سبحر الأسر وأنب
طلب الحلال . ومن
أدب الصوفية رؤية
النعم على النعمة وأن
يتدعى بفسل اليد
قبل الطعام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والوضوء قبل الطعام
ينفى الفقر وإعنا كان
موجبا لنفى الفقر لأن
غسل اليد قبل الطعام
استقبال النعمة بالأدب
وذلك من شكر
النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستجلبا
للنعمة . ذهب الفقير
وقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام وللرائي عند الله محقوت وقد شهدت ذلك الآيات والأخبار . أما الآيات :
 قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم رياء ولسوف يؤجر عز وجل - والذين
 يذكرون الشيات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هويور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما
 نعطيكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فليح الخالصين ينفي كل إرادى سوء وجهه والرياء
 ضده وقال تعالى - لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) نزل
 ذلك فيمن يطلب الأجر والمجد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال
 يا رسول الله فيم التجاء ؟ فقال « أن لا يسل العبد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث
 الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللصدق بماله والقارىء لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن
 الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال
 فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء فأخبر صلى الله عليه وسلم أنهم يشابوا وأن رياءهم هو
 الذى أحبط أعمالهم (٢) وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رآى رياءى الله
 به ومن سمع جمع الله به (٣) » وفى حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول لا تنكحن هذا ثم يردى بسمه
 فاجلسوا في سجين (٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر
 يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم
 تراءون في الدنيا فانظروا هل نجدون عندهم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم واستمذوا بالله عز وجل
 من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال وادى في جهنم أعداء للقرءاء للرائين (٦) وقال عليه السلام « يقول الله
 عز وجل : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كره وأما نفعى الأغنياء عن الشرك (٧) »

عليه وسلم أنه قال
 « من أحب أن يكثر
 خيريته فليتوا إذا
 حضر غداؤه ثم يسمي
 الله تعالى » قوله تعالى
 - ولا تأكلوا مما
 لم يذكر اسم الله عليه -
 تفسيره تسمية الله تعالى
 عند ذبح الحيوان .
 واختلف الشافعى
 وأبو حنيفة رحمهما
 الله فى وجوب ذلك
 وفهم الصوى من ذلك
 بعد القيام بظاهر
 التفسير أن لا يأكل
 الطعام إلا مقرونا بالذكر
 قدره فريضة وقته
 وأدبه ويرى أن تناول
 الطعام والشاء ينتج من
 إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجوا لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والمجد بعبادته
 وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إلى أنف للوقف أبثنى وجه الله وأحب أن يرى موطنى
 فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا فى نسختى من الاستدرك ولله سقط منه ابن عباس وأبو هريرة
 والبراز من حديث معاذ بنند ضعيف من سام رياء قد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم
 تلا هذه الآية (٢) حديث أبو هريرة فى الثلاثة : للقتول فى سبيل الله وللصدق بماله والقارىء
 لكتابه فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواء مسلم وسأنى فى كتاب الاخلاص (٣) حديث
 ابن عمر من رآى رياءى الله به ومن سمع جمع الله به متفق عليهم من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث
 ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبازيد عنه بلفظ من
 سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحفره وصنعه وفى الزهد لابن المبارك وسند أحمد بن منيع أنه
 من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول لا تنكحن هذا ثم يردى بسمه فاجلسوا فى سجين
 ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى الاخلاص وأبو الشيخ فى كتاب العظمة من
 رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزى فى اللوضعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف
 عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله
 ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استمذوا بالله من
 جب الحزن قيل وما هو ؟ قال وادى في جهنم أعداء للقرءاء للرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث
 أبى هريرة وصحه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كره

وقال عيسى السبيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته وبمسح شفتيه
لئلا يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شباهه وإذا صلى فليخف سره فإنه إن الله يقسم
الناس كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذر من
رياء » (١) وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم
« أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهى أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقها
وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد يخن بها عن
شباهه » (٤) وذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا » (٥) وقال صلى الله عليه
وسلم « إن للرأى بنادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأى مثل عملك وحبط أجرك انذهب فخذ
أجرك ممن كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي يبكي قتل
ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال إنى تخوف على أمى الشرك أما إني لا يبعدون صفا ولا فصا ولا قرا
ولا حبرا ولكنهم يراون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت
بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للأرض فقلت لللائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال
فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذاب الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح
فكسرت الماء فاختلقت لللائكة فقلت نساء الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟
قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن
شباهه فهذا أشد خلقا خلقة » (٨) وروى عبد الله بن مبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل
حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكر ثم سك
ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى « يا معاذ قلت ليك بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال
الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه بىء ومسلم مع تقديم وتأخير دونها
أيضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (٩) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده
هكذا (١٠) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم يلفظ إن اليسر من الرياء شرك
وقد تقدم قبل هذه الورقة (١١) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم فى أول هذا الكتاب
(١٢) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلا تصدق يمينه فكاد أن يخن بها عن شباهه
متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه فى حديث سبعة بظلمهم الله فى ظله (١٣) حديث فضيل
عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث أبي الدرداء إن الرجل لعمل
العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر ضعف أجره سبعين ضعفا قال البيهقى هذا من أفراد بقية
عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبي الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بغضل
الله كره الحنفى الذى لاتسمه الحنفظة على الله كره الذى تسمه الحنفظة سبعين درجة (١٤) حديث إن
الرأى بنادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأى مثل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من
رواية جبلة اليحصى عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرأى وإسناده ضيف
(١٥) حديث شداد بن أوس إنى تخوف على أمى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم
قرىبا (١٦) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم
يتصدق يمينه فيخفيها عن شباهه الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو لها ويرى ذكر الله
تعالى دوامه وترياقه .
روح عائشة رضى الله
عنها قالت « كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الطعام فى ستة
نقر من أصابعه فجاء
أعرابى فأكله باثنتين
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما إنه
لوسكان يسمى الله
لكفأك فاذا أكل
أحدكم طعاما فليقل
بسم الله فإن نسى أن
يقول بسم الله فليقل
بسم الله أوله وآخره »
ويستحب أن يقول فى
أول لقمة بسم الله
الثانية بسم الله الرحمن
ولى الثالثة بسم الله

إني محدثك حديثا إن أنت حفظت ضحك وإن أنت ضحيت ولم تحفظه انقطعت حياتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سله من السبعة ملكا بوابا عليها قد جعلها عظام تصعد الحفظة بصل العبد من حين أصبح إلى حين أسره نور كنور الشمس حتى إذا سددت به إلى السماء الدنيا ركنه فكنزه فيقول للملك الحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القية أمرني رب أن لا أدع عمل من اقتاب الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بصل صالح من أعمال العبد تشر به فزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني رب أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يستخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بصل العبد ينتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجازون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني رب أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يشكر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بصل العبد يزهركا يزهركا السكوك الذي له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره ويطنه أنا صاحب العجب أمرني رب أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملا أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بصل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس للزفوة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويضع فيهم أمرني رب أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بصل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة فيجازون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني رب أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بصل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة وثقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجازون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه: اضربوا به جوارحه اقتلوا به على قلبه إني أحجب عن رب كل عمل لم يرد به وجه رب إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد رضة عند القهواء وذكرنا عند العلماء وصينا في الدائن أمرني رب أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحفظة بصل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشببه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيفتنون بين يديه ويهدون له بالعمل الصالح الخالص قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا أقرب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فلهي لعني فتقول للملائكة كلهم عليه لعنتك ولعننا ونقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعننا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيها قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقدبي وإن كان في عملك شئ يا معاذ حافظ على لسانك من الوقية في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا ترك نفسك بدمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك

لله بسلطنة أخاس
يقول في أول غس
الحمد لله إذا شرب ولى
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
له رب العالمين الرحمن
الرحيم وكما أن الحمد
طبا عاتق تركاذ كراه
بواقعة طابع الطعام
فلقلب أيضا مزاج
وطابع لأرباب التقصد
والعيا والبقعة يرف
انحراف مزاج القلب
من الألفة للتناولة تارة
تحدث من الألفة
حسرة الطيب
بالهوض إلى الفضول
وتارة تحدث في القاب
برودة الكسل بالقاعد
عن وظيفة الوقت وتارة

لكني يحذر الناس من سوء خلقك ولا تحتاج رجلا وعندك آخر ولا تنظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والتانشطات نشطا - أندري من هن؟ بامعاض؟ قلت ماهن؟ بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم . قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها؟ قال بامعاض إنه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال لها رأيت أكثر ثلاثة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث . وأما الآثار : فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأ على رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في السجدة يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك . وقال على كرم الله وجهه : للرائي ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم . وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الناس قال لاشئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لاشئ لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث . وسأله رجل سعيد بن السبب فقال إن أحدنا يسلط على المعروف بحب أن يحمده ويؤجر فقال له أعجب أن تمتع؟ قال لا قال فإذا عملت فعملًا فأخاها . وقال الضعك : لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك لا ويقولن هذا لله وللرحم فإن الله تعالى لاشريك له وضرب عمر رجلا بالدرّة ثم قال له اتق مني فقال لا بل أدعها لله ولكل قتال له عمر ما صنعت شيئا إنا أن تدعها لي فأعفر ذلك وأودعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فعم إذن . وقال الحسن : لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم تعرض له الحكمة لولطقت بها لبغته وقصمت أصحابه وما بمنته منها إلا عذابة الشبهة . وإن كان أحدهم ليجر فيرى الأذى في الطريق فليمنه . أن ينحيه إلا عذابة الشبهة . ويقال إن الرائي ينادي يوم القيامة بأربعة أسماء يا عمراني يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب غدا أجرك ممن حملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الفضيل بن عياض : كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما لا يعملون . وقال عكرمة : إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يطلبه على عمله لأن التوبة لازية فيها . وقال الحسن رضي الله عنه : للرائي يريد أن ينقلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح كيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردباء فلا بد قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدی يستهزئ بي . وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء للوكل وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى . وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمات بالليل فانه أشرف من سمكك بالتهار لأن السمك بالتهار للفقيرين وسمت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان : التوفى عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقبل له وكيف ذلك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بكة . وقال إبراهيم بن آدم : ماصدق الله من أراد أن يشهر .

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا يروا عليه الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد للثامنة له من كل سماء ورد الله تعالى أنه بعد ذلك عزاه الصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بأسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزي في اللوحات .

تحدث رطوبة السوء
والنفقة وتارة يوسوس
الحسب والحزن بسبب
الحظوظ العاجلة فهذه
كلها عوارض تنفطن
لها للتيقظ ويرى تخير
القلب بهذه العوارض
تغير مزاج القلب عن
الاعتدال والاعتدال
كما هو مهم طلبه
للقالب فقلوبهم أهم
وأولى وتطرق
الأعرج إلى القلب
أسرع منه إلى القلب
ومن الأعرج ما يسقم
به القلب فيموت لموت
القلب واسم الله تعالى
دواء نافع مجرب في
الأسواء وبذهب الداء
ويجلب الشفاء . حكى

(بيان حقيقة الرياء وما يراهى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤبة والسمة مشتقة من السام وإيما الرياء أصله طلب للترقة في قلوب الناس بزيارتهم خصال الخير إلا أن الجاه والترقة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب للترقة في القلوب بالعبادات وإظهارها لخد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالرائى هو العابد وللرائى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترقة في قلوبهم وللرائى به هو الحصول الذى قصد للرأى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللرائى به كثير ونجمه خمسة أقسام وهي جامع ما يترتب به البعد للناس وهو البدين والزى والقول والعمل والأتباع والأغنياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يرادون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالدين] وذلك بإظهار التحول والصغار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليلد بالتحول على قلة الأكل وبالصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بتشتيت الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم فذلك تدعو النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة وتقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وفار الشرح هو الذى خفض من صوته أو ضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال للسيح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من تزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراعاة أهل الدين بالدين ، فأما أهل الدنيا فيرادون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتاسبها .

[الثانى : الرياء بالهيئة والزى] أما الهيئة فتشيعت شعر الرأس وحقاق الشارب وإطراق الرأس فى الشئ والهدوء فى الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتضمير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه عرقا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد به بإدائه الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلابة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التمتع بالآزار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى نقشة إلى الحذر من غبار الطريق ولتشريف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يليسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراودن بالزى على طبقات فمنهم من يطلب للترقة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسجة القصيرة النليظة ليرأى بظنظها ووسخها وقصرها وتحرقها أنه غير مكتر بالدين ولو كانت أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف بلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد وراجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ودم القراء ولولبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فذلك يطلبون الأوصاف الدقيقة والأكسية الرقيقة وللرقات للصبوغة والقوط الرقيقة فيلبسونها ولعل قبة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ عمدا
التزالى لما رجع إلى
طوس وصف 4 فى
بعض القرى عبد صالح
قصده زائرا فصادفه
وهو فى صحراء لم يندر
الخطبة فى الأرض فلما
رأى الشيخ محمد أبا
إليه وأقبل عليه فجاء
رجل من أصحابه
وطلب منه البذر
لينوب عن الشيخ
فى ذلك وقت اشتغاله
بالتزالى فامتنع ولم يطمع
البذر فسأله التزالى
هن حبيب امتناعه
فقال لأنى أبذر هذا
البذر بقلب حاضر
ولسان ذاكر أرجو
البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريشين وهؤلاء إن كفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لسكان
عندهم كادع خفا من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كفوا لبس الديني والسكان الدقيق
الأيمن ولتصعب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول
أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزله في زى مخصوص فيقتل عليه
الانتقال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من للنمعة، وأما أهل الدنيا فرأواهم
بالبياض النفيسة ولراكب الرقعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفرة
الحجول وبالبياض للصبغة والطباسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب
الحسنة ويشهد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم ياتوا في الزينة.

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار
والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهارا لتزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين
وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الحلق وإظهار
التعجب للمعكرات وإظهار الأسف على مفارقة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بمرادة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيخ والدق على من يروى
الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح
لإظهار الفضل فيه والمجاهدة على قصد إخماد الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير
أنواعه لا تنحصر. وأما أهل الدنيا فرأواهم بالقول بحفظ الأسماء والأمثال والتفاصح في العبارات
وحفظ النحو القريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستئالة القلوب.

[الرابع : الرياء بالعمل] كمرادة الصل بطول القيام ومد الظاهر وطول السجود والركوع وإطراق
الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتوسية القدمين واليدين وكذلك الصوم والغزو والحج
وبالصدقة والطعام واللباس والإيثار في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في
الكلام حتى إن المرأى قد يسرع في الشيء إلى حاجته فإذا أطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار
وإطراق الرأس خوفا من أن ينسب إليه العجلة وقلة الوقار فإن غاب الرجل عاد إلى محبته فإذا رآه عاد إلى
خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجمد الخشوع له بل هو لاطلاع إنسان عليه غشى أن لا يحتقد
فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا جمع هذا استغيا من أن يخالف مشيئة في الخلوقة مشيئة بمرأى
من الناس فيكلف نفسه الشبهة الحسنة في الخلوقة حتى إذا رآه الناس لم ينتقل إلى التغير وبظن أنه
يتخاص به عن الرياء وقد تضاعف به رباؤه فانه صار في خلوته أيضا مرأيا فانه إنما يحسن مشيئة في
الخلوة ليكون كذلك في اللاء لالخوف من الله وحياه منه، وأما أهل الدنيا فرأواهم بالتبخرو الاختيال
وتحريك اليدين وتضريب الخطأ والأخذ بأطراف الدبل وادارة المظفين ليدلوا بذلك على الجواهر الحسنة.

[الخامس : للرياء بالأصحاب والزرائن والمخاطبين] كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء
ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو طابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارتهم ويترددون إليه أو
مسلكا من اللوك أو عالما من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لمظهر رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر
الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأهى بشيوخه ومباهاته ومرااته أن ترشح منه عند
مخاصته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ
وما يجري مجراه فلهذه مجامع ما يرأى به المرءون وكلهم يطلبون بذلك الجاهد للزلة في قلوب العباد ومنهم
من يفتن بحسن الاعتقادات فيه فيكف من راهب أنزوى إلى ديره سنين كثيرة وكف من عابد اعتزل

يقول منه شيئا فلا
أحب أن أسأله إلى
هذا فينظر لسان غير
ذا كرو قلب غير حاضر
وكان بعض الفقهاء
عند الأكل يسرع
في تلاوة سورة من
القرآن يحضر الوقت
بذلك حتى تنقصر
أجزاء الطعام بأنوار
الدكر ولا يقب الطعام
مكروه ويتغير مزاج
القلب وقد كان شيخنا
أبو النجيب السهروردي
يقول أنا لا آكل وإنما
أصلي بشي إلى حضور
القلب في الطعام وربما
كان يوقف من يمنع
عنه الشواغل وقت
أكله فلا يفرق هم

إلى قلة جيل مدة مديدة وإنما خباته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبو
إلى جرعة في دبره أو صومته لتشوش قلبه ولم يفتح بلم الله براءة ساحة بل يشتد ذلك غمهم ويسى
بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه ليد
كما ذكرناه في أسبابه فانه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يترتب إلا لجهال ولكن
أكثر الناس جهال ومن اللرايين من لا يفتح بقيام منزلته بل يلتصق مع ذلك إطلاق اللسان بالتنا والحمد
ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لشكر الرحلة إليه ومنهم من يريد الانتشار عند اللوك لتقبل
شفاعته وتجنز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع
حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال البناي وغير ذلك من الحرام وهو لا يشترط طبقات للرايين الذين
يرادون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء ما به يقع الرياء. فان قلت فالرياء حرام ومكروه وبما
أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو إيمان يكون بالعبادات أو بغير العبادات
فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يجرهم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب الباد ولكن كما
يمكن كسب المال بتلبسات وأسباب محظورات فكذلك الجاهو كأن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج
إليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسل به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف
عليه السلام حيث قال - إني أخيفظ علمي - وكان المال فيهم نافع ودرايق نافع فكذلك الجاهو كأن كثير
للمال يلجى ويطنى وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وقتنا لجاه أعظم من
فتنة للمال وكأنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثير حرام إلا إذا
حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة مالا يجوز. ثم انصرف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الضرور
كانصرف الهم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها وأما سعة
الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتهام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جامد أو سعة من جاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصرف الهم
إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فقل هذا قول تحمين الثوب الذي يلبسه الانسان
عند الخروج إلى الناس مراءاة وهو ليس بمحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل
تعمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج
يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوى محامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله
قال نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يزين لأخوانه إذا خرج إليهم (١) نعم هذا كان من رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في اتباعه وأما القلوبهم ولوسقط
من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا ترد أعينهم فأنعين
عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد أصدبه أن
يحسن نفسه في أعينهم حقدراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمراباحاً
إذ للانسان أن يخرز من ألم الذمة ويطلب راحة الأنس بالأخوان ومهما استغفروهم واستقدروهم لم يأنس بهم
فان للراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب
العرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل إذا أغرق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة
والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سعى فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

وقت الأكل و يرى
لذكر وحضور القلب
في الأكل أثر كبير
لا يسهل الإجماع له ومن
الذكر عند الأكل
اتسرك فيها الله تعالى
من الأسنان اللينة على
الأكل فيها السكاسة
ومنها القاطعة ومنها
الطاحنة وما جعل الله
تعالى من الماء الحلو
القيم حتى لا يغير الذوق
كما جعل ماء العين مالحة
لما كان شحماً حتى
لا يفسد وكيف جعل
التداوة تنبع من أرجاء
اللسان والقم ليعين
ذلك على المضغ والسرغ
وكيف جعل القوة
الحامضة مسيطرة على

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب الماء ويسوى محامته وشعره
الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان: إحداها أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يظل عبادة لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يتصر على إحباط عبادته حتى قول صار كما كان قبل العبادة بل يصح بذلك وبأنهم كما دلت عليه الأخبار والآيات . والثاني فيه أمران أحدهما يتعلق بالباد وهو التلبس والشكر لأنه خيل إليهم أنه غناص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للباس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته ثم به لما فيه من التلبس وتلك القلوب بالخداع والشكر . والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو على منتهى^١ بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله للملائكة انظروا إليه كيف يستهزئ^٢ في مثاله أن يتحلل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمان^٣ هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذ آخره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادة وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق الولي فهذه من كبار الهلكات ولهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم التبرك الأصغر^٤ ، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كسابيات ياتيه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخفى شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأفة ولولم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لتبر الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفر اجليا^٥ إلا أن الرياء هو الشكر الحق لأن الرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود ومن وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضرو نفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله وما له أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله وإلهما وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم ثم ما لا ضرا فكيف يملكون لتبرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يخزي والدن ولدن ولا مولود له جازع عن والده شيئا بل تقول الأنبياء فيه قسى قسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل التقرب عند الله ما يرتبه بطعمه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن الرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث القتل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك البقى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت : إنه لأجره فيه أصلا .

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه ونهاوت الدرجات

(١) حديث مسمى الرياء التبرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا وللاحكام وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس كما تقدم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر .

الطعام تنصه وتجزه متلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والصدمة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويغسل الطعام ولا يتفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تماثل الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانها ثلاثة للراى به والراى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فنكون الدرجات أربعة . الأولى : وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالفى صلى بين أظهر الناس ولو اتفرد لكان لا يصلى بل ربما يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصده إلى الرياء فهو للموت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أذاها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضيقا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يجعله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بعمله على العمل لانيق عنه التمت والإتم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يمتعه على العمل فلما اجتمعا انبثت الرغبة أو كان كل واحد منهما بالافتراء لاستقل بعمله على العمل فهذا قد أقصد مثل ما صلح فترجوا أن يسلم رأس برأس لاله ولا عليه ويكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد سكتنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا للشاغل ولو لم يكن لكان لا ترك العبادة وتكون قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يحيط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء . وبنا على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى : الراى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء . وصاحبه محمدا فى النار وهو الذى يظهر كلنى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرانى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك رسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون - أى في دلائهم تجولهم على ضلالتهم . وقد تعالى - ومن الناس من يبيعك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد بها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يرادون الناس ولا يدركون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان الغفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لفرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجهد الجبهة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول اللعنة أو يعتقد على بساط الشرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهو لاء من المنافقين والمراتبين المحلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حالهم من الكفار المجاهرين فانهم جمعا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجهما ويدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك يوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف اللعنة لكان لا يحضرها أو جعل رحمه أو يبرو الدية لا عن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والشحم واللبين والغذية للولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائما للشاربين فيبارك الله أحسن الخالقين فالعكر في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر وما يذهب داء الطعام للغير مزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عوناً على الطاعة ويكون من دعائه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزتنا مما تحب اجعله عوناً لنا على

خوفا من الناس أو يفرّو أو يهيج كذلك فهذا امراء معه أصل الإيمان بأنه يعتقد أنه لا بد من سواه ولو كلف أن يبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد الثالثة: أن لا يرأى بالإيمان ولا بالقرائن ولكنه يرأى بالذواقل والسنن التي لو تركها لأبغى ولكنه يكسل عنها في الخلوة لتتور رغبته في ثوابها ولإيتار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يسمه الرياء على فعلها وذلك ككفور الجماعة في الصلاة وعبادة الرضخ واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتجدي بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، قد يفعل الرائي جملة ذلك خوفا من الذمة أو طلبا للمحبة ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد له أداء القرائن فهذا أيضا عظيم ولكنك بدون مقابلة فإن الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخالق دون ذم الخالق فكان ذم الخالق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات ، القسم الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يرأى بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يألئ بإطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربيا أو متكثرا دخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للعلم على السيد واستهانة بالسيد لاعتداله ، وهذا حال الرائي بتحسين الصلاة في اللأ دون الخلوة وكذلك الذي يتأد بإخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن النية والرفق لأجل الخلق لا لإكالا لعبادة الصوم خوفا من الذمة ، فهذا أيضا من الرياء المخطئ لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قال الرائي إنما فعلت ذلك صيانة لأنفسهم عن النية فأنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالتم والثنية وإنما قصدت صياتهم عن هذه العصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولائك أعظم من ضررك بنية غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شغفتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا ولولاية يتقلدها فيهدى إليه وهي عوراء قبيحة مطبوخة الأطراف ولا يألئ به إذا كان الملك وحده وإذا كان عنده بعض غلامه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يرأى جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم المرأى فيه حالتان: إحداهما أن يطلب بذلك للزلة والمعدة عند الناس وذلك حرام قطعا ، والثانية : أن يقول ليس يحضرنني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذهمهم وغيتهم فاستفيد بتحسين الحمية دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل الذمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمرأاة بطاعة الله

ما تحب وما زويت عنا
بما تحب اجعله فرلا
لنا فبا تحب .

[الباب الثالث
والأربعمون في آداب
الأسكل]

فمن ذلك أن يتنهد
بالمح ويحتم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لعلى
رضى الله عنه « يا حلى
ابدأ طعامك بالمح
واختم بالمح فان للمح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجدام
والبرص ووجع البطن
ووجع الأضراس »
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت « بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا نقصان في تركه ولكن لفعله حكم
 التسكعة والتسمة لعباده كالطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين
 والبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للعادة وكذلك
 كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة
 الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى زيادات
 خارجة عن نفس التوافل أيضا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده لأصف الأول وتوجهه إلى بين
 الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أبين وقب ومضى بحرم
 بالصلاة فهذه درجات الزيادة بالإضافة إلى ما يرأى به وبضه أشد من بعض والكسل مذموم . الركن
 الثالث : للرأى لأجله فإن للرأى مقصودا لاحالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من
 الأغراض لاحالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن
 من معصية كالذي يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة التوافل والامتناع عن أكل الشبهات
 وغرضه أن يعرف بالأمانة فيقول القضاء أو الأوقف أو الوصايا أو مال الأبناء فيأخذها أو يسلم إليه
 نفقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويحبدها أو تسلّم
 إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيخزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الحبيص
 ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المياضي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهبة الخشوع
 وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التعجب إلى امرأة أو غلام لأجل التجوّر وقد
 يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم
 ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرقعة من امرأة أو غلام وهؤلاء
 أبغض الرائيين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلما إلى مصيئته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة
 لهم في فهمه وقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جرعة آثم بها وهو مصر عليها
 ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي يجحد ودية واتهمه الناس بها
 فتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بماله نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى
 فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه
 نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نسكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن
 والبكاء وبشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نسكاحه النساء فيقصد إما امرأة
 بينها لنسكاحها أو امرأة شريفة على الجلة ، وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فظهر له
 العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنياء ولكنه
 دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نسكاح
 ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يد من الخاصة والزهاد ويحتد أنه
 من جملة العامة كالذي يمشى مستعجلا فيقطع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال
 إنه من أهل اللهو والسهو لأن أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدمائه الزرع فيخاف
 أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ونحو ما أعظم
 غفلة آدمي عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان ينقل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر
 إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكذلك يرى جماعة يصلون التراويح أو يتجهدون أو يصومون الخجس
 والأتين أو يتصدقون فيواقهم خيمة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إيهامه من رجله
 اليسرى لدغة فقال على
 بذلك الأيض الذي
 يكون في المعجين لجفنا
 بلح فوضه في كفه
 ثم لقم منه ثلاث لعقات
 ثم وضع بقية على
 اللدغة فكنت عنه
 ويستحب الاجتماع
 على الطعام وهو سنة
 الصوفية في الربط
 وغيرها . روى جابر
 عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنه قال « من
 أحب الطعام إلى الله
 تعالى ما كثرت عليه
 الأيدي » وروى أنه
 قيل « يا رسول الله
 إنا نأكل ولا ننبع

لا يضل هيثا من ذلك وكالذي يطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفاً من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأن صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلى ليس بمجاهد وأنه يمتزج من أن يذكر عبادته للناس فيكون مراداً فيرد أن يقال إنه سائر لبيادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذر الصبر بها وتصريحا بأن يسلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمتنع من الصوم أو يقول أفطرت تطيباً لقلبي فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بحربه كي لا يظن به أنه يستند رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضاً مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد أبلغ على اليوم ولم أجد بدا من تطيب قلبي ومثل أن يقول إن أمة ضيقة القلب مشقة على ظن أني لو صمت يوماً مرضت فلا تدعى أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا للرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المتخلص فإنه لا ياتي كيف نظر الحلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبساً وإن كان له رغبة في الصوم فله فتح يعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يغتر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفي مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه رجات الرياء ودرجات أصناف الرائيين وجميعهم تحت مظلة الله وغضبه وهو من أشد الهلكات وإن من هدته أن فيمثوا بغيره أخفى من ديب الخلق كما ورد به الخبر يزل فيه حلول الطلاء فضلاً عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الحفي الذي هو أخفى من ديب الخلق)

اعلم أن الرياء جل وخفي فالجلي هو الذي يمشي على العمل ويعمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجل وأخفى منه قليلاً هو ما لا يعمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كالذي يتادى التمجيد كل ليلة ويقل عليه فإذا نزل عنه ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لسكان لا يصل لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً ولكن مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يغشى في عمله ولا يتقصد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يشرع السرور ولو لا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكناً في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الحلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استثمر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للحرق الحفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتفاضل تفاضلاً يخفى أن يتكلف سبياً يطلع عليه بالتعرض وإلقاء الكلام عرضاً وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يغشى فلا يدعو إلى الاظهار بالتعلق بمرضا وتصريحاً ولكن بالتبائل كإظهار التحول والصغار وخفض الصوت وبيس الشفتين وجفاف الريق وآثار السموع وغلبة النعاس الدال على طول التمجيد وأخفى من ذلك أن يغشى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يمدحهم بالسلام وأن يقابلوه بالمشاشة والتوقير وأن يثبوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجهم وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يؤسعوا له في السكنان فإن قصر فيه مقصر تقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً في نفسه كأنه يتفاضل الاحترام مع الطاعة التي أخفها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لكم خفون
على طعامكم اجتمعا
واذكروا اسم الله عليه
يبارك لكم فيه ومن
عادة الصوفية الأكل
على السفر وهو سنة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
الشيخ أبو زرعة
عن القومى بإسناده
إلى ابن ماجه الحافظ
القزوينى قال أنا محمد
ابن الثنى قال ثنا معاذ
ابن هشام قال ثنا أبو
عن يونس بن القرات
عن قتادة عن أنس
ابن مالك قال ما أكل
رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خزان
ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود البادة كدسها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خالبا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب النمل (١) وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة: ألم يكن يرخص عليكم السر ألم تكونوا تبتذون السلام ألم تكونوا تضي لكم الحوائج وفي الحديث: لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما

ضلام كانوا يا كلون؟ قال على السفر وجنر القصة ويجود الأكل بالفضح وينظر بين يديه ولا يطلع وجوه الأكلين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير مشكى ولا تمترز تهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل الرجل مشكيا وروى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبته يأكل فقال أعرابي ماهذه الجلسة يا رسول الله؟

فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدا لقي أحب أن يظلم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تضي له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ماهذا قيل هذا لذلك قد أظلك فقال للغلام اتنى بطعام فأتاه يقل وزيت وقلوب الشجر تجمل بمحشو شدة وبأكل أكلا عنيقا فقال الملك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس، وفي حديث آخر يخبر فقال الملك ما عند هذا من خير فاضرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عني وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحترسون على إخفائها أعظم مما يحرس الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملا من الخلق إذ علوا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعدوا أشدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يحزى والده عن ولده ويشغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستحبون مع أنفسهم الذهب الفربى الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج والحاجة تشتت في البادية ولا وطن يخرج إليه ولا حميم يمسك به فلا ينبجى إلا الخالص من التدفك كذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة وإن الذي يزودونه له من التقوى فلئن شوا رب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة فيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا، اظلموا على حركته أم لم يظلموا فلو كان غلصا قائما يعلم الله لاستحق عقاب العباد كما استحق صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يتدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كمالا بقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك قيم شوب خفى ولكن ليس كل شوب محبط للأجر مفسد للعمل بل فيه تفصيل. فان قلت لما نرى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم. فنقول أولا: كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به فانه يستر الطاعة والصبر ثم الله يستر عليه للصبر ويظهر الطاعة ولا تطفأ أعظم من ستر التبجح وإظهار الجليل ليكون فرحه بجميل نظر الله له لا بمحمد الناس

(١) حدث في الرياء شواذب أخفى من ديب النمل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري انتموا هذا الشرك فانه أخفى من ديب النمل، ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعه هو والدارقطني.

وقيام للزفة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فستأمنوا فظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل بظاهر الله الجليل وستره البريح عليه في الدنيا أنه كذلك فضل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد دنيا في الدنيا لإستمره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة للتقبل وهذا الثبات إلى المستقبل . الثالث أن يظن رغبة الطلدين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالانية بما أظهر آخره وأجر السر بما قصده أولا ومن اتحدى به في طاعة لله مثل أجر أعمال التقدين بمن غير أن بنفس من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور محال الرجوع قد يوجب وجوب السرور لأحالة . الرابع أن يحمد المظنون على طاعته فيفرح بطاعته في مدحهم وبهمجهم للطمع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمته وبعمده أوبسبه وبهزأه أوبسبه إلى الرياء ولا يحمد عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره مثل فرحه بحمد إياه . وأما للذم وهو الخامس فهو أن يصكون فرحه لقيام منزلة في قلوب الناس حتى يمدحوه وبعمدوه ويقوموا بقضاء حوائجهم ويقابلوه بالأكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحبط العمل من الرياء والحي والجل وما يحبط)

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بغير فراغه من العمل أو قيل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فلهذا لا يغدو العمل إذ العمل قد تم على نعمت الإخلاص سالما عن الرياء فلما يطرأ بعده فيرجو أن لا ينطفئ عليه أثره لاسبا إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بظاهر الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه ، نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عذر رياء . ولكن ظهرت له بصد رغبة في الاظهار تحدث به وأظهره فهذا مخوف . وفي الآثار والأخبار لما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه من رياء روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال سمعت الدهر يارسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت» (٢) فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لكواب العمل بل الأقبس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثناءها وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعنا على العمل فإن كان باعنا على العمل وختم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجدت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا لإستمره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال سمعت الدهر ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لاصام ولا أفطرت ولا يطيراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه قال رجل إني صائم قل بعض القوم إنه لا يطرأ إنه يصوم كل يوم قل النبي صلى الله عليه وسلم لاصام ولا أفطرت من صام الأبد لم أجده بافطر الحطاط .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبدا ولم يجعلني جبارا عنيدا . ولا يتبدى بالطعام حتى يبدأ للقدم أو الشيخ روى حذيفة قال وكأ إذا حضرناع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه وليرب يمينه ولأخذ يمينه وليعط يمينه فإن الشيطان يأكل جهالة ويشر بأكلي جهالة»

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أوبد كرثيًا نسيم من ماله وهو يريد أن يطلبه لولا الناس لقطع الصلاة فاستمعها خوفًا من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فريضة وقد قال **ع** العمل كالوعاء إذ طاب آخره طاب أوله ^(١) أي النظر إلى خاتمته، وروى **ع** أنه من رآى بسمه ساعة حبط عمله الذي كان قبله ^(٢) وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ ففسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبل الصلاة أما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لأجل الثواب كالوعاء في جماعة في أثناء الصلاة ففصح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضًا فهذا رياء قد أثر في العمل واتهنى باعثًا على الحركات فإن غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة ممنورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلها ويضرها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضف بهجوم قصده هو أغلب منه . ولقد ذهب الحرث الهامبي رحمه الله تعالى إلى الاحباط في أمره وأهونه من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس على سرورهم وكسب التزلف والجلالة قال قد اختلف الناس في هذا فاصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه نفس العزم الأول وركن إلى حمد المخلوقين ولم يتم عمله بالإخلاص وإتمامه العمل بخاتمته ثم قال ولا يقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أفتيه باختلاف الناس والأغلب على قولي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنها حالتان فإذا كانت الأولى لم تقصر الثانية . وقد روى **ع** أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسرني قال ذلك أجرا وأجر السرا وأجر العلانية ^(٣) ثم تكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره ما لا يدع العمل ولا تقصره الحظرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الإخلاص بل يضره وأما الحديث فذكرتم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودا ذكرناه قبل لأسرورا بسبب حب المودة والتزلف بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهاب من الأمة إلى أن للسرور بالمعونة أجرا وغايته أن يفنى عنه فكيف يكون له خلص أجرا وللرأى أجرا . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث بربوه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلًا إلى الاحباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينضم به أصل نيته وبقيت تلك

جماله ويأخذ جماله ويعطى جماله وإن كان للأكل ثمرا أو ماله يحمم لا يجمع من ذلك ما يرى ولا يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرمي ولا يأكل من ذروة التريد . روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا وضع الطعام نفقذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل في وسطه » ولا يبسب الطعام روى أبو هريرة رضي الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان يلفظ إذا طاب أسفل طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رآى بسمه ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجده بهذا اللفظ ولشيوخين من حديث جندب من سمع الله به ومن رآى رآى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلا قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيفسرني فقال لك أجرا الحديث البيهقي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيفسره فإذا اطلع عليه أهمله قال له أجر السر والعلانية قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مهمل .

النية باعثة على العمل وحاملة على الأتمام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا المراد به إلا الخلق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب وأغلب منه أما إذا كان ضيقا بالإضافة إليه فلا يحيط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغي أن يقصد الصلاة ولا يمد أيضا أن يقال إن الذي أوجب صلاة خالصة لوجه الله والخالص مالا يشوبه شيء ، فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر على حق سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يمتد صلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فبما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تفسد صلاته مع قصد الرياء فليست تأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحرمة الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله قبله ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتداء بإخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض طلع بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوب وصار إلى حالة لا يبالي بمحمد الناس وذمهم فنصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة تفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم بإخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراجعة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم ينقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيجب إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصل لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعثة الدين وههنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصل إلا أنه تظهر له الرغبة في المهد تأبضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وماليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة صحيح فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعثة الرياء وأطاع بإجابة باعثة الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحيط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو نفلا فإن كانت نفلا فحسبها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وخدمه لما صلى لا يصح الافتداء به فإن الصبر إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بطوعه تصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الافتداء به وإن اقرن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم يتنهى باعثا حتى يجزعه واستقلاله وإن كان كل باعثة مستقلا حتى لو لم يكن باعثة الرياء لأدى القرائن ولو لم يكن باعثة الفرض لأن شأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا العمل النظري وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه
أكله وإلا تركه وإذا
سقطت القصة بأكملها
قد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا
سقطت لقمة أحدكم
فليطع عنها الأذى
ولياكلها ولا يدعها
للشيطان ويلقى
أصابعه » وقد روى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
أكل أحدكم الطعام
فليعنص أصابعه فإنه
لا يدري في أى طعامه
تكون البركة » وهكذا
أمر عليه السلام
بإسقاط القصة وهو

الأمر يباع مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منصوبة فانه وإن كان عاصيا بإيقاع الصلاة في الدار المنصوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في البداية مثلا دون أصل الصلاة - مثل من يبادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخرى إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يمارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا بعد عن القدر في البية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور بإطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعد أن يفسد الصلاة فهذا مآثره لاتها قانون الفقه والسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يتراضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وعصروا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الحواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيها زاه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم النيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء يحيط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كائنا للهلكات وما هذا وصفه لجدير بالتشعير عن ساق الجذر في إزالته ولو بالمجاهدة وتعمل للثاق فلا تشفاء إلا في شرب الأدوية للرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبي غناق ضعيف العقل والتمييز تمتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يصنع بعضهم لبعض فيطلب عليه حب التصنع بالضرورة وبرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انفرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قومه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة القوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف أخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . التمام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب التزلة والجاه وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي : لغة الحمدة والفرار من ألم القدم والطمع فيها في أيدي الناس وشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للعرائي ما روى أبو موسى « أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ^(١) » ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لغة الجاه والتقدير في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد بالسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان نزلت الملكة فكتبتوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملكة والقتال للملكة إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يبغي إلا عقلا فله مانوى ^(٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الدم كالبلبل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبلل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالبلبل بين الشجران لا يفر من الرحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسكات القصعة ولا ينفخ في الطعام قد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا ينفخ في الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا ينفس في الإناء فاقبس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفر من السنة . قيل إن اللانكة تحضر للسانة إذا كان

- (١) حديث أبي موسى قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .
- (٢) حديث من غزا لا يبغي إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

من الحمد كره الله وكارجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا ينام بالسكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد بقدر الانسان على الصبر عن لغة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم اقم وذلك قد ترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من أن يذم بالجهل ويغنى عن علم ويعدى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يغنى أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في الآخرة علم أنه لذيق في الحال ولكنه صار في الآخرة سبيل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن الصلوة تليق ولكن إذا بان له أن فيها أعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف البعد من الرياء وما يغوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من اللذة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم ولتت الشديدا والخزي الظاهر حيث ينادى على رموس الخلائق بالاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت إذا شترت بطاعة الله عرض الدنيا وراقت قلوب العباد واستترأت بطاعة الله وتحييت إلى العباد بالتبعض إلى الله وترزيت لهم بالشين عند الله وترزيت إليهم بالبعد من الله وتعمدت إليهم بالنعم عند الله وطلبت رضام بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تشكر البعد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والذين لهم في الدنيا بما يغوته في الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يرجع بميزان حسناته لو تخلص فاذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجع به ويهوى إلى النار فلم يكن في الرياء إلا إبطاء عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجعة فقد كان ينال بهمة الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدين من تشتت القلب بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم أي عرض له في مدحهم وإشادهم الله لأجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم قمره وفاقه وهو يوم القيامة وأما الطمع فيها في أيديهم فإن يعلم أن الله تعالى هو للسخر للقلوب بالتمتع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من القدر والحياة وإن وصل إلى الراد لم يخل من لغة وللهانة فكيف يترك ما عند الله بجاه كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقي لذته بألم منته ومذله وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد مذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجهل من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يرضه إلى الله إن كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان محقورا عند الله فالعباد كلهم محبرة لا يمكن أن لا تقسم ضرا ولا تقا ولا يمكن موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قرت رغبته وأثقل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكتفي أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتلوه وسيكشف الله عن سره حتى يرضه إلى الناس ويرفعهم أنه مرادهم ومحقق عند الله ولو أخلاص الله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كال في مدحهم ولا قصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها يقدرون أم سعد
رضي الله عنها قالت
«دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضي الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
غداة ؟ قالت عندنا
خبز وعمر وخل فقال
عليه السلام : نعم الإدام
الحل اللهم بارك في الحل
فانه كان إدام الأنبياء
قبل ولم يقر بيت فيه
خل » ولا يصح على
الطعام فهو من سيرة
الأعاجم ولا يقطع
القيم والخبز بالسكين
فيه نهى ولا يكف يده
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع فقد ورد عن ابن
عمر رضي الله عنهما

كذبت ذاك الله الذي لا إله إلا هو ^(١) إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة التقرئين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها للزبد وللنازل الرفيعة عند الله استحق ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من السكدرات والنصائح واجتمع همهم وانصرف إلى الله قلبه وتخاص من مفلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه بشرح بها صدره وفتح بها لمن لطائف للكشافات ما يزيد به أنه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدين واستغنامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وأعمل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الإخلاص فهذا وما قد مناه في الشطر الأول هي الأدوية الطبية القالمة مغارس الرياء . وأما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تنلق الأبواب دون الفواحش حتى يتنع قلبه بلم الله وإطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تحفيه لأتبعنا بدم هذا فخر برخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المهادنة وإذا صبر عليه مدة بالكشف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل لطاف الله وما يعده عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المهادنة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله بأضياع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - . للقام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تلهة يضاهان من جاهد نفسه وقل مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المتخلفين واستحقار مدح المتخلفين وذمهم بالسيطان لا يتبرك في أثناء العبادات بل يجارسه بخطر الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهوى النفس وميلها إلى التسمي بالكلية فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يمرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفة واحدة كالخطر الواحد وقد تترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة من النفس في حدم وحصول المثرة عندهم ثم يتلوهم هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كال القوة في دفع الخطر الأول ورده قبل أن يتلوهم الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أوجاء رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قل مالك وللخلق عدوا أولم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة في علم غيره فإن حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر مارسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرض لفتنة عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء لمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تعال تلك الشهوة إذ يفكر في تعرضه لفتنة الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإيذاء والنفس تطاوع لاهالة أقوامها وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : للمعرفة والكراهة والإيذاء وقد شرع البديق العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره للمعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منظوبا عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الندم وحسب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب منسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤم عاقبتها إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا وضعت اللسان فلا تقوم رجل حتى ترفع اللسان ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفسرغ القوم وليتمل فإن الرجل يجمل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة وإذا وضع الحيز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرموا الحيز فإن الله تعالى سخر لكم ركبات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم . ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذاك الله ، حم من حديث الأنزع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات إلا أني لأعرف لأنسلة ابن عبد الرحمن ساجا من الأقرع ورواها الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ قال رجل إن حمدي .

خال عن شهوة الحمد أو خوف القم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم النضب ويعزم على التحمل عند جريان سبب النضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتد قلبه غظا يمنع من تذكر آفة النضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة عملا القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة النضب وإليه أشار جابر بقوله : بإيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تخر ولم يبايعه على الموت فأنسبناها يوم حنين^(١) حتى نودي بأصحاب الشجرة فرجعوا. وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسبت للمهد السابق حتى ذكروا. وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي للمعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يمرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيقلب هو له عقله ولا يقدر على ترك تلك الحال فيسوف بالتوبة أو يتشغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكيف من عالم بعصره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه خشكون الحجة عليه أو كد إذ قيل داعي الرياء مع علمه بفائته وكونه مذموما عند الله ولا تنفع معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد نحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويصل به ليكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يمنع بكراهته إذ الفرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتناب الثلاث وهي للمعرفة والكراهة والإيابة ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيها عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بسبب وشمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستمضاء بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فإن قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحلته الكراهة على الإيابة ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره لربه وليله إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة الرائيين ، فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما لا يطيق وليس في طاقة البعد منع الشيطان عن برزغاته ولا تقع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا يترفع إليها وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استأثارها من معرفة المواقف وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به وبديل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شكوا إليه وقالوا تعرض لقولنا أشياء لأن نخر من السماء فخططنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان^(٢) ولم يحدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا السمل على الكراهة الساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظماءهم دون الوسوسة في حق الله تعالى فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن

(١) حديث جابر بإيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تخر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما يعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا مثل التي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع وبمسك عن الطعام قبل الشبع قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «مأملا آدمي وعاشرا من بطنه» ومن عادة الصوفية أن يقيم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم «إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلبه منه فليأكله أو كفه أو أكلتين فإنه أولى حرمه ودخانه» وإذا فرغ من الطعام بحمد الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأمر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة ^(١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته تسك لنفسك فلا يشرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرميتك تسك لنفسك فتابها عليه فلاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تشرك مهما رددت مرادها بالإباء والسكرانة والخواطر التي هي العلوم والتدكرات والتخيلات للأسباب الهيجبة للرياء هي من الشيطان والرياء التي لا بد لك من الخواطر من النفس والسكرانة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومدافعة انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك شعبات في ميزانه عند الله . والتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يردعه على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته ويطيل الجدل معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق قصار لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعرج على قتال قطاع الطريق قصار في السلوك . الثانية : أن يعرف أن الجدل والقتال قصار في السلوك فيقتصر على تكذيبه ومذمومه ولا يشتغل بمجادته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقوف وإن قلت بل يكون قد قرى عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستمحباً للسكرانة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالهامسة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهازم الشيطان زاد فيه هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمه ووجب بأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قال له إن فلانا بكرك قال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيظته بأن أطبع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عيب هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسنته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو البعد إلى الباب من الأثم فلا يطمه وليحدث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال : مثالم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث ليتالوا به فائدة ونضلاً وهداية ورشداً لحسدهم على ذلك ভাল مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فقدم إلى واحد منهم وصرفه عن ذلك ودعا إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إياه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فقامر الثاني عليه نهاء واستوقفه فوقف فدفع على تحراضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلب منه رجاءه بالسكينة للرابيع فلم يشوقف له وأراد أن يشتغل فزاد في محبته وترك الثاني في النبي فيوشك أن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يداود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يماوده خيفة من أن يرداد فائدة باستمجاله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن بزغاته فهل يجب التزمده قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليسكون هو الدافع له أو يجب الاختشال بالعبادة والنفقة عنه . قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فريق من أهل البصرة

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً قال الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذي أطعني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » ويشتغل فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة » ووصل يديه قدروى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا به فاعتر لهم الشيطان وأيس منهم وخس عنهم كما أيس من ضغامة العباد إلى الدعوة إلى الحق والحق انصارت ملاذاً لدنيا عديم وإن كانت مباحة كالخمر والحزير فارتحلوا من حيا بالسكية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليمن قل يقينه وشخص توكفه فمن أين بان لا شريك لله في تديره فلا يحذر غيره . ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراه الله فهو انظار والنافع والعارف يستحي منه أن يحذر غيره . فالقنين بالوحداية يخيه عن الحذر . وقالت فرقة من أهل السلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالسكية فهو وسيلة الشيطان بكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحمين البع والفضال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه . ولذلك قال تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا دعى إلى أمية الشيطان في أمية فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ « إنه ليغان على قلبي » مع أن شيطانه قد أسلم ولا يامر . إذ غيره (١) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان . ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوك ولزوئك فلا تخرجنكما من الجنة فتشقى إن لكَ أن لا تجوع فيها ولا تمري وأنك لا تظلم فيها ولا تصحى - ومع أنه لم يمتد له إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الخن والتفن ومعدن اللذات الشهوات التي عنها قال موسى عليه السلام فيها أخبرته تعالى - هذين عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويك من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف بدع لأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار تعالى - ولأخذوا حذرهم وأسلمت لهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا ترك بأمر الله الحذر من العدو والكافر وأنت تراه فإن لم يترك براك ولاتراه أولى . ولذلك قال ابن حجر - صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولاتراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في العفة عن عدو الكافر إلا التل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للعار والعتاب الأليم فليس من الاشتغال بقاء الإعراض عما حذر الله وبه يطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قدح في التوكل فإن أخذ القرس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم قدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف قدح في التوكل الخوف مما خوف الله به الحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالسكية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا ينافي امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الفاروق والتافع والهي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويحذر أن الهادي والنذل هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده خمر لم يسل فأما به شيء فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعوا الطموس وخالفوا الميموس » ويستحب مسح العين يلك اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأنشروا أعينكم للنساء ولا تنفضوا أيديكم فاتها

(١) حديث إنه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي شهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام النقاد الذين لم ينزر عليهم ويظنون أن ما بهيم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاسترقاق بالله يستمر على الدوام وهو بيدتم اختلفت هذه القرعة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى المدو فلا يخفى أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منابله تشتت بالعبادة وبذكر الله تعالى ولانسى الشيطان وعداوه والحاجة إلى الحذر منه فجمع بين الأمرين فانا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجواب أولى وقال العلماء المحققون خلط القرينان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يخفى غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر المدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاختزال به فيوشك أن يتلفر بولاقوى على دفعه فلم يأمرنا بالتأمل الشيطان ولا بإيمان ذكره وأما القرعة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان ويحذر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقداً من الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فلحق أن يلزم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصديق به وتكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكسب عليه بكل الهمة ولا يخاطر بإياله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له بنهله وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند ترغية الشيطان بل الرجل ينالم وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح فيأمر نفسه الحذر وينالم على أن يتب في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قيل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو وفتال القلب ببرأيد تطهيرها من اللاء القدر ليتعبر منها للاء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها للاء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تزح الماء القدر من جانب ولكنه تركه جارياً إلى الهام من جانب آخر فيطول تبعه ولا يخفى البر من اللاء القدر والبصير هو الذي جبل لجري للاء القدر سداً وملاها بالماء الصافي فإذا جاء للاء القدر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الإسرار للأعمال فائدة الاخلاص والتجامل من الرياء وفي الاعطاف فائدة الاقتداء ومزجيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم للسفون أن السر أجرز المصلين ولكن في الاعطاف أيضاً فائدة ولذلك أثنى الله تعالى على السر والملاية فقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والاعطاف قسمان أحدهما في شئ العمل والآخره بالتحدث بما عمل . القسم الأول : إظهار شئ العمل كالصدقة في اللأ ترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين « قبل لأبي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره وفي غسل اليد يأخذ الأشتان باليمين وفي الحلال لا يزدد ماخرج بالحلال من الأشتان وأما مايلوكة باللسان فلا بأس به ويجنب التصنع في أكل الطعام ويكون أكله بين الجمع كأكله منفرداً فان الرياء يدخل على البعد في كل شيء - وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يبق عليه قبل له تسلم به بأساً قال نعم رأيت يصنع

الذي جاء بالصرة فتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » (١) وتجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلوات الصيام والحج والتزوي وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب ، نعم الغازي إذا لم يخرج واستعد وعد الرجل قبل القوم تعريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن التزوي في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره فاللبادة إليه ليست من الاعلان بل هو تعريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيتدنى به فشكل عمل لا يمكن إسراره كالخج والجهاد والجمعة فالأفضل للبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتعريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلوة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه و يرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإبداء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء قد اختلف الناس في الأفضل فقال : يقوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية لاقدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل المسلمين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضفا وضاعف عمل العلانية إذا استن بسامه على عمل السر سبعين ضفا » (٢) وهذا الوجه للخلاف فيه فإنه مهما اتفقت التلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يتدنى به أفضل لاحالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينصفه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان : أحدهما أن يظهره حيث يسلم أنه يتدنى به أو يظن ذلك فتا ورب رجل يتدنى به أهله دون جيرانه وربما يتدنى به جيرانه دون أهل السوق وربما يتدنى به أهل محله وإنما العالم للزورف هو الذي يتدنى به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والتفاق وذموه ولم يتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعو إلى الاظهار يذر الاقتداء وإنما شهوته التجميل بالعمل وبكونه يتدنى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مام فلا ينبغي أن يندع الضيف نفسه بذلك فبهلك وهو لا يشعر فإن الضيف مثاله مثال الفرق الذي يحسن مباحة ضيفة فنظر إلى جماعة من الفرق فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبوا به فهلكوا وهلك والفرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة ولبت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزية أقدام الجاد والطاء فانهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص تحبط أجورهم بالرياء والتلفظ لذلك غامض وهك ذلك أن يرضى على نفسه

(١) حديث من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضفا وضاعف عمل العلانية إذا استن بسامه على عمل السر سبعين ضفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصر على الشطر الأول نحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخنا المجلولين وقد تقدم قبل هذا نحوه ورتبين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية وأفضل لمن أراد الاقتداء وقال نخره به بقية عن عبد الله بن مهران وله من حديث عائشة بفضل وضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمه الحفظة على الذي تسمه سبعين ضفا وقال نخره به معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف.

في الأكل ومن تصنع في الأكل لا يؤمن عليه التصنع في الصل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحد فقه الذي بنعمته تم الصالحات ونزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أطمئنا طيبا واستعملنا صالحا وإن كان شبه يقول الحمد على كل حال اللهم صل على محمد ولا تحبط عونا على مسيتك وليكثر الاستغفار والحزن ويكن على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكى كن يأكل وهو يضحك

أنه لو قيل له أخب العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرئك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للعمل فباثته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فاتهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليهم إسراره لما يال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فيلحذر العبد خضع النفس فإن النفس خدوع والشیطان مترصد وحب الجاهل على القلب غالب ولما تلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا يذنب أن يسدل بالسلامة شيئا والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالا فلحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمافعله بعد التفرغ وممكنه حكم إظهار العمل نفسه والحظر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرأ على الحكاية زيادة وبالعلة والنفس لذة في إظهار الدعوى عظيمة إلا أنه لو طرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد التفرغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصنر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت التوبة وسلت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأوفياء . قال سعد بن منة : ما صليت صلاة منذ أسلمت خلعت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة خلعت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأني لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تمنيت ولا عبت ولا مست ذكراً يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لسلامة اثنا بالفترة لبثت بها حتى ندرت النداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا على فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرتي أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريفين وقبولها غاية הראة إذا صدرت ممن يرأى بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز الأوفياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطبع مجبول على حب التشبه والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي ، فكمن غلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو وراءه عند الله ، وقد روى أنه كان يمتاز الإنسان في مسلك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلبيين بالقرآن من البيوت فصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فساكنوا يقولون لبث ذلك الكتاب لم يصنف فإظهار الرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياءه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم ^(٢) كما ورد في الأخبار وبعض الرائيين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

وقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قريش ويحسب الدخول على قوم في وقت أكلهم قد ورد من مثي إلى طعام لم يدع إليه مثي فاستأ وأكل حراما وصعنا أفضا آخر دخل سارقا وخرج مغبرا إلا أن ينفق دخوله على قوم يسلم منهم فرحهم بمواقفته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحسب للضيف التكاف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإغناق ولا يغل

(١) حديث عثمان قوله ما تمنيت ولا عبت ولا مست ذكراً يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الوصلي في معجمه بأساند ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يا رسول الله قد كره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان ^(٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم مما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه الترمذي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضا .

(بيان الرخصة في كتاب الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة دهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والملاينة كما قال عمر رضي الله عنه رجل عليك بعدل الملاينة قال أمير المؤمنين وما عمل الملاينة ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الحولاني ما عملت عملاً أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إتياني أهلي والبول والغائط إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب يقيه أو يجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لاخفافها عن العبيد رعباً يظن أنه رياء محظوظ وليس كذلك بل المحظوظ أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر اللئيم. وأما الصادق الذي لا يراى فله ستر للمعصي وبصح قصده فيه وبصح اغتنامه باطلاع الناس عليه في تخفية أوجه : الأول أن يفرج بستر الله عليه وإذا اقتضى اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر وإن من ستر الله عليه في الدنيا ذنباً ستره الله عليه في الآخرة (١) وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم ومن ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٢) فهو وإن عصي الله بالذنوب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضاً ويتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضاً ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضاً من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فرغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لسكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس مجرم ولا الانسان به عاص ولا يعصى إذا جازعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما يجوز حذراً من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يهتم بتمم الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لله أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جداً وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان القدام من أهل البصيرة في الدين فاتهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يهتم به ، نعم نعم الذموم هو أن يهتم لقوات الحمد بالورع كأنه يحب أن يحمده بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمده بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثواباً من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد. وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بهذه ومفله الستر حذراً من ذلك ويتصور أن يكون العبد معيلاً لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وإعماره أن يتركه الناس حمداً ومافيه من مابرعن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب الآنة وعدم اللذة يؤلم وأما الذم فانه مؤلم لطلب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا الأمر واحد هو أن يشغله بطلع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غم باطلاع الله وذمه له أكثر. الخامس أن يكره الذم من حيث إن الذم قد عصي الله تعالى ، وهذا من الإيمان وعلمته أن يكره ذمه لغيره أيضاً

ذلك حياء وتسكفا
وإذا أكل عند قوم
طعاماً قبل عند فراغة
إن كان بعد الغرب
أنظر عندكم الصائغون
واكل طعامكم الأبرار
وصلت عليكم لللائكة
وروي أيضاً عليكم
صلاة قوم أبرار ليسوا
بآمنين ولا جافر صلون
بالليل وجومون
بالتبار . كان بعض
الصحابه يقول ذلك .
ومن الأدب أن
لا يستحقر ما يقدم له
من طعام وكان بعض
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
ماندرى أبهم أعظم
وزراً الذي يحضر

(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بوقعة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله الحاكم في الاستدراك وقد تقدم .

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يتعد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القلم فإن ألم مؤلم من حيث يشتر القلب بقصاته وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القلم والقصد بالشر وهو خلق كرم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح إذا عوهدت منه وهو وصف محمود إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء خير كله »^(١) وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب المحي الحليم »^(٤) فالحي يفسق ولا ياتي إلا أن يظهر فسقه فتناس جمع إلى الفسق والتهتك والوقاحة قد الحياء فهو أخذ حاله من يستر ويستحي إلا أن الحياء بمنزلة الرياء ومشتبه به اختباها عظماء قل له يفتن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خافق ينبعث من الطبع الكريم وتبيح عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يراى معه ويثابته أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لانسحو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا ياتي إلا فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لحياء له فإن للاستحي إما أن يتعلل أو يقرض فإن أعطى فيتنصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيتبجح عنده الرد فيهبج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حتى يثنى عليك وبحمدك وينثر اسمك بالسخاء أو يثنى أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى قد أعطى بالرياء وكان المهر لك الرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يمتدح عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتندر الاعطاء فيهبج داعية الاخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بشان عشرة فقيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق ذلك محمود عند الله تعالى فتسحو النفس بالاعطاء لذلك فهذا يخلص هيج الحياء إخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحدثه لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه ببعض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لردوه ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يردوه وإن كثرت المحرم والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والرأى يستحي من البادات أيضا حتى إنه يرى مستجلا في الشيء فيعود إلى الهدوء وضاحك فيرجع إلى الاعتراض ويزعج أن ذلك جباء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء محاليس يقيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إحلال الله لإجلال فخر الشيبة للعلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيق الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يغير عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام للباهة وما تكلف به للأعراس والتمازي في عمل للنسوان لا يؤكل وما يحمل لأهل العزاء لا بأس بوما يجرى مجرله وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا يخرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صدقكم - قيل دخل قوم على غيان الثوري فلم يجدوه ففتنوا الباب وأزلوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان متفق عليه (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير (٤) الحديث المحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة وللبرار من حديث أبي هريرة إن الله يحب النقي الحليم للتعفف وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه .

عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الراحدة قطع هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويحتس ذلك بالآفة أو بمن يقتدى به وهذه العلة يبغي أيضا أن يخفى العاصي أيضا مصيبتهم من أهلهم ولله لأهم يتصور منه في ستر الذنوب هذه الأعداء الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر النية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرايا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز لعبد أن يحب حمد الناس له بالصالح وجهم إياه بسببه وقد قال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم «دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابتد إليهم هذا الخطام بحبوك» (١) فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمدا وقد يكون مذموما فالحمود أن تحب ذلك تعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده وللذموم أن تحب جهنم وحدهم على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بسببها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والبلاب أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة للنية تحبك ذلك كحبك للناس لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كذلك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرأيا بموذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال ومالا يترك لحوف الآفات مأنذ كره وهو أن الطاعات تنقسم إلى مالا تنفع في عيب كاصلاة والصوم والحج والنزواتها مقاسة ومجاهدات إنما تصير لذينة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لذينة وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو لذينة وهو أكثر مالا ينصرف على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإتقان السال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لعلته بالخلق ولما فيه من اللذة القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تنقطع بالغير ولا لغة في عيها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيستحق على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه معصية لاطاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب اللذة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستعينين من مولاك لاستعين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لاف عبوة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليست بالعمل . الثانية أن يثبت لأجل الله ولكن يترضى الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتسخين الاخلاص بالمجاهلات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن قبول الثالثة أن يبدع على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فيبغى أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه فها حتى يشتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فاذا انجذب واشتغل فيدعوك إلى الرياء فاذا لم تحب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء وتبكي منافع فأى فائدة لك في حمل لا إخلاص فيه حتى يحسبك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لحوفه أن يكون مرأيا كمن سلم إليه مولاة حنطة فيأوزان وقال خلصها من الزوان وهما منه تنقية بالفة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا تها يترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلى على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيا في أبدى الناس وقد تقدم .

أن يترك العمل خوفاً على الناس أن يقولوا إنه مرء فيحسون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولاً أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم وبغوته ثواب العبادة وترك العمل خوفاً من قولهم إنه مرء هو عين الرياء فلولاً حبه لمحمدتهم وخوفهم من ذمهم قاله ولقولهم قالوا إنه مرء أو قالوا إنه محلس وأى فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال إنه مرء وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل لأشدين ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه محلس لا يشتبه الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فإن هربت ودخلت سرباً تحت الأرض التي في قلبك حلالة معرفة الناس لترهك وهربك منهم وتعتبهم لك بقولهم بل ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا تلزم الكراهة والإباء لقلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع المدو تاذغ الطبع فإن ذلك لا يقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك المحربات فما دمت تجرد باعاً دينياً على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وأزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت تفكك إلى أن تستبدل بمحمد حمد الخلقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدك بقولك بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياءً من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فإن قال لك الشيطان أنت مرء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحياتك من الله تعالى وإن لم تجرد في قلبك له كراهية ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فارتك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب . فإن قلت قد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا نقرأ أكل ساعة . وقال إبراهيم التيمي إذا أجهيك الكلام فاسكت وإذا أجهيك السكوت فاسك . وقال الحسن أن كان أحدم لغير بالأذى ما يمنه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم بأنه اليك فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا يارحمه ماورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البسكة وإمالة الأذى عن الطريق ثم يتركه وبالجملة ترك البواقي جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء . فالأفضل أن ينعم العمل ويبتعد في الإخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخوف الأفضل لشدة الخوف فالاتقاء يبنون أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لهله بأنه يحتاج إلى ترك القراءة عداً دخوله واستشفاه بعد خروجه للاشتغال بكتلته فرأى أن لا يراء في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على التردد للاشتغال به حتى يموت إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا يجر خوف الرياء . وأما قول التيمي إذا أجهيك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالنصاحة في المحاكيات وغيرها فإن ذلك يورث العجب وكذلك المحبب بالسكوت البياح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذراً من العجب فأما السلام الحق للدوب إليه فلم ينس عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بدين البعدما

وقالوا هم النداء ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نفي ذكره فنزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صعب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صعب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يشاق بالباس ولا تعظم فيه الآفات ثم كاتم الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى خوفاً من الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه المدققة وإنما ذكره تحويلاً للناس من آفة الشهرة وزجراً عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلاف ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إخراج المال . أما الخلاف والإمارة فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً» (١) فأعظم بمباداة يولاي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم «أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط» (٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل» (٣) أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس مني مجلساً يوم القيامة إمام عادل» (٤) رواه أبو سعيد الخدري قال الامارة والخلاف من أعظم العبادات ولم يزل الثغون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تحملها وذلك لما فيها من عظيم الخطر إذ تحرّك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حبّ الجاه ولذة الاستيلاء وتغاد الأسموهو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعياً في حفظ نفسه وبوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما قدح في جاهه وولايته وإن كان حقاً ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلاً وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرّاً من فسق ستين سنة بفهم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ممن والى عشرة إيجاباء يوم القيامة مفلولة يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوثقه جوراً» (٥) رواه معقل بن يسار ورواه عمر ولاية فقال يأمر للؤمنين أشرف على قال اجلس وأكنتم على وروى الحسن «أن رجلاً ولاء الله عليه وسلم فقال للنبي خذني قال اجلس» (٦) وكذلك حديث عبد الرحمن بن مرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فالك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أرفقه في ذكر الأوليّة (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلساً يوم القيامة إمام عادل الأصبراني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضاً إسحق بن إبراهيم الديلمى أيضاً (٥) حديث مامن والى عشرة إيجاباء يوم القيامة يده مفلولة إلى عنقه لا يفسكها إلا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن أبي زائدة تسلم فيه ورواه أحمد والبراز وأبو بلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البراز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والى ثلاثة إلا لقي الله مفلولة بينه الحديث وقد عزي للصف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار وللرؤوف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يستريحه الله رعية لم يحطها بتضيعة إلا لم يرجع راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلاً ولاء الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خذني قال اجلس الطبراني موصولاً من حديث عصمة هوان مالك وفيه القضل بن المختار وأحاديثه منكوبة محدث بالأبطل قاله أبو حاتم ورواه أيضاً من حديث ابن عمر بنلفظ الهم يتك وفيه التراب بن ابى القرباء ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

يأمر للؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم .

[الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات النفس وضروورها لدفع الحر والبرد كما أن الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما أن النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فكذلك في اللباس تصفن فيه ولها فيه أهوية متوعدة

أوتيتها من غير مسألة أغنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها^(١) وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لأنامر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لأنامر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فضيلة به الله إلى لمة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التهي عنها متناضيا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا وأغنى بالقوى القليلة الدنيا ولا يستغفرو الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها ولحقوا الشيطان فأيس منهم هؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولوزعت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صابرة على الحق كافعة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتبرر إذا ذلت لذة الولاية وأن تستعمل الجاهل وتستغل فغاد الأمر ففكره العزل فيدها من خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يقوم الحرب من تقلد الولاية فقالون قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يجد نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لسكان يخاف عليها أن تتبرر عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلوه كاتيل العزل طلاق الرجال فإذا شرع لاسمح نفسه بالعزل وتبيل نفسه إلى الداهية وإهمال الحق وتبوي به في مرجهم ولا يستطيع التزوج منه إلى الموت إلا أن يزول قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا»^(٢) فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لمسا ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمرنا فكذا الامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والفتاب فيه أيضا عظيم مع المدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة»^(٣) وقال عليه السلام «من استغنى فقد ذبح بغير سكين»^(٤) فحسبك حكم الامارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليقلده الأقوياء الذين لأنأخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بعداهتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التعلقين بهم إذ فهم أنه لو حكم عليهم بالحق ليزولوا أولم يطيعوه فأيس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فضله أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل علرا مرخسا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتب عليه ثوبا وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفي يرد النفس في اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية توبك بمحرق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشتري ثوبا بشرة مدرام وفي عنقه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» أي لا يرضى ولا نافعة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لانسبل الامارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألنا متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استغنى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلقظ من جبل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتبع بسببه الجاه ويظم به القدر فأثقه أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جسر كذا وكذا قطر من الحديث وقال بمنى من الحديث أني أشتي أن أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يحد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكاهنهم وزعماتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويضر عن كل كلام يستعمله العوام وإن كان حقا وبسير مصروف المهمة بالسكينة إلى ما يحرك قلوب العوام ويظم منزلة في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس التبريد وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليصل به أو لا يصل يقول إذا أتم الله علي هذه النعمة ونفني بهذه الحكمة فأفصحها ليشاركني في ضمتها إخواني السليدين فهذا أيضا مما يظم في الخوف والفتنة حكيم الحكام والولايات فمن لا يباغت له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثف فينبغي أن يتركه ويغالف الهوى فيه إلى أن ترناض نفسه وتغوى في الدين همة ويأمن على نفسه الفتنة فعد ذلك بسوء إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها » (٢) وقال « نمت للرضعة وبشت القاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا ونار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت الماشي فلم ينهي عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يقيمون هوى في ذلك يقول أبي سيد للسليدين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يقيموا وقال ذلك فتنة على للتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويخط ولا يمتنع منه . واستأذن رجل عمر أن يخط الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنع فقال أمتني من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الترياذ رأى فيه غايل الرغبة في جله الوعظ وقبول الحاق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطل القضاء (٤) بل الرياسة وجها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأقلنوا من المجلس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلاتشغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهي عنه إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن

(١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن مرة لا تسأل الإمارة فقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها ووافي آخره نعمت الرضعة وبشت القاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نمت للرضعة وبشت القاطمة البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبشت للرضعة وبشت القاطمة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمرون على اثنين ولا تلقين مال يتيم

الصلاة وما عدا هذين
النظرين فنظروا في
كونه يدفع الحر والبرد
لأن ذلك مسلحة
النفس وبسد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فكله فضول وزيادة
ونظروا إلى الخلق
والصالح لا ينبغي أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو ستر العورة
أو نفسه لدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفيان الثوري رضى
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مفلوبا فقيل له ولم يعلم
بذلك فهم أن يغسله
ويغيره ثم تركه وقال
حيث لبسته نويت أن

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن ممتعه في الظاهر ونجيه إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه وتقول له اشتغل بجاهد نفسك ، فان قال لست أقدر على نفسي فتقول اشتغل بجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو وانطب وغرضه الجاه فهو المالك وحده وسلامة من الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فحبسه فداء للقوم وتقول لهول هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويبره في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات للزخرف قول الألفاظ للجملة للفرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه التزجية والتجربة على المعاصي بطيارات التكت فيجب إخلاء البلاد منهم فاتهم ثواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو ردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما بين لزوم الحذر من ثقت العلم وغوائله ، ولهذا قال السبح عليه السلام : بأعلماء السوء تصومون وتصلون وتصعدون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تصلون فيأسوه ما تحسبون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما ينهى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أقوالكم ويبقى الثقل في صدوركم يابعد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنفض من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم بكى من أعمالكم جعلت الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتكم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أخس منكم لو تاملون وبسلكم حق متى تصفون الطريق للمدجلين وتقيمون في محلة للتجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا لتركها لكم مهلا مهلا ولا يسلككم ما ذا ين عن البيت الظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا ينفي عنكم أن يكون نور العلم بأقوالكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يابعد الدنيا لا كيد أنبياء ولا كراهة أكرام تودع الدنيا أن تغلصكم عن أصولكم فتلقبكم على وجوهكم ثم تكبكم على منابركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم يدفكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقصكم على سوا أنكم ثم يعجزكم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبى هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل طار وشين وفي الآخرة هم الحاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والعلم والعلم والغلاب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من الدنيا وما فيها ^(٢) » إلى وقال صلى الله عليه وسلم « إنما دأب دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ^(٣) » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم وأترك مرادة الخلق كما يقال لمن خالجه لرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد لم يلق خبر لك من حجر التيم وقد تقدم في العلم (٣) حديث إنما دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

البسه له والآن لما أغبره إلا لنظر الحق فلا أغض النية الأولى بهذه. والصوفية خصوصا بطهارة الأخلاق وما رزقوا طهارة الأخلاق إلا بالصلاح والأهلية والاستعداد القدي هيأ الله تعالى لنفوسهم وفي طهارة الأخلاق وتضاهات تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو للشار إليه بقوله تعالى - فاذا سويته ونفخت فيه من روحي - فالتناسب هو التسمية فمن للتاسب أن يصكون لباسهم مشا كاللطايعم

كفعل الخلافة والإمامة ولا تحول لأحد من عباد الله ترك العلم بإذليس في شس العلم آفة وإعما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا حول له أيضا تركه مادام يحفظ نفسه باعثة دينيا بمزوجا باعث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء فترك الأظهر أرفع له وأولم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسواس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضئيفة وإعما تعظم في الولايات وفي التصدي للنائب الكبيرة في العلم . وبالجمله فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والقرن وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لحرف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل بها بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمصعب الوعظ والفقوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة يبنى أن لا يتركها الضعيف والقدوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات يبنى أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومنصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاية أشبه وأن المحدث منه في حق الضعيف أعلم والله أعلم . وهنارية رابعة وهي : جمع المال وأخذة للفرقة على السخيفين فإن في الانفاق وإظهار السخاء استجلابا للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس قلة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة . ولذلك مثل الحسن عن رجل طلب الثقوث ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من أزهى تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يرني أني أقت على درج مسجد دمشق أميب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والتوافل . وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله . وقال السبيح عليه السلام باطلب الدنيا ليتركها لها أبر . وقال أقل ما فيه أن يشغل إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها أبر ولا اشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجمله ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو تار الآفات والأعباء أن يحمل ويدفع الآفات فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستف قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر . وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجمله ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تنشر إلا بالشر وقفا تستلله الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفصيلها بنفي وثبات فهو موكول إلى اجتهد القلب لينظر فيه لئنه وبدع ما يريه إلى ما لا يريه ثم قد يقع محاذر لا غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خوفا من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن شرفة المال في اللباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإعما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتحاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما لئال الحاصل من الحلال ففرقتها أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق محاسن في وعظه غير مرير رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نمل بأس البسطة وهو أن يشغ نفسه مثل علمه . والأخرى أن الأكابر إذا حضروا محامسه لم يثير كلامه بل يبق كما كان عليه فينظر إلى الحلق بين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس في الطريق والذى خلفه في الأسواق

وطعامهم مشا كلا
لكلامهم وكلامهم
مشا كلا لأنهم لأن
التناسب الواقع في
النفس مقيد بالعلم
والتشابه والخالف في
الأحوال يحكم به العلم
ومتوصفة الزمان
ملتزمون بشي من
التناسب مع مزج
الهوى وما عندهم من
التطلع إلى التناسب
رشح حال سلفهم في
وجود التناسب . قال
أبو سلمان الداراني :
يلبس أحدهم عبادة
بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه بخمسة دراهم
أنكر ذلك لصدم
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بين أبواب المسجد ومنه الحرم وهو على بردون أصغر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحو حاجق بلغ قريبا منها ثم نثر وركه فتزل ومضى نحو الحسن فداراه الحسن متوجها إليه يخاف في من ناحية مجلسه قال سعيد وخفايته له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج بجوار الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فاقطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرون هل يعمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد كلامه يتقرب إليه أو يعمل الحسن هيئة الحجاج أن يتقرب من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرق عليك بهذه المجالس وأخبارها فأخذوها حلقا وعادة فانه يلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مجالس الأكرام رياض الجنة ^(١) ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمررتنا بفضلها قال ثم اقتر الحجاج فتكلم حتى هب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق قائما فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله السدين الاتصبيون أتى رجل شيع كبير وأتى أغزو فأكلف فرسا وبلا وأكلف فسطاطا وأن لي ثلاثة درهم من الطعام وأن لي سبع بنات من العبال فتشككن حاله حتى رقى الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه فرغ الحسن رأسه قال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غرأعد والله غزا في القسايط المهابة وعلى البقال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاولا وباجلا لما اقتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشدّه ققام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير ققام الحسن وأعفنا عليه من عدة كلامه الذي نتكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقفا رأته فاغرا فاه ضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما مجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أحد الحياة أن مجالسنا الرجل فطمئن إلى جانبه ثم نطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إلى أنيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غرأعد والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لا أبالك تعرض علينا الناس أما إننا نل ذلك لآتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد للزل فبينما هو يسير إذ انفتحت فرأى قوما يتبسمونه فوقه فقال هل لكم من حاجة أو تسألون من شئ أو لأفارق جمعا لما سبق هذا من قلب البعد فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتناهبون ويتعاصدون ولا يتراشون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد افتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم إرحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين .

(بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو يهضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قرية فإذا رآهم انبت نشاطه للوقفة حتى يزيد على ما كان يتأده أو يوصل مع أنه كان لا يتأد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل للوضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبت هذا النشاط فلهذا ما يظن أن نرى ما وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الأكرام رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

نوبه يلقي أن يكون ما كوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف التسوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف اللأ كقول لقرط التره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى للدواة يعود إلى حد الاعتدال . ليس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا فقال له أحمد لوليت ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل ليس في القلوب

ترك للواقعة وليس كذلك على الاخلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تموقعه العوائق وبغته الاشتغال وبغله النكاح من الشهوات وأتسبويه التفتة فربما تكون مشاهدة القبر سبب زوال الفتنة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فبئس له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معاملة فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتت رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينأسفهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستكثاره للوضوء أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد فأعيا وتسمح بالتهجد ولذا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يسر عليه الصوم في منزله ومع أطباء الأطباء ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتبنت داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تلعب باحث الدين فإذا سلم منها قوى الباطن فهذا وأسائه من الأسباب تصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تمهل فانك تكون مرأيا إذ كنت لا تصل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون بأنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزله وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك محاسن ولست تحصل لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصل كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لإحلالهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المهرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يتعاده ولا رخصة واحدة لأنه يسعى الله بطلب محبة الناس بطاعة الله وإن كان ابتغاه لدفع العوائق وتحريك القبطة والثاقفة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يمرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك اللوضع بينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك ينقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حدهم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باحث الدين ويقارنه تزعم النفس إلى حباله فلهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يخدم من حباله بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يسكن جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لامن الرياء ولوم مع ذلك الكلام وحسد لما يرى ولكن بكاء الناس يؤثر في تريق القلب وقد لا يحضره البكاء فيبكي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يكون ولا تدفع عنه فيبكي تسكفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يمرض على نفسه أنه لو مع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيبكي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فأنما خوفه من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك البكاء . قال لقمان عليه السلام لانه : لا ترى الناس أنك تخشى الله فيكرومك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والنفث والأبئين عند القرآن أو الله كره أو بعض مجارى الأحوال

فكان الفقراء يبدسون الرقع وربما كانوا يأخذون الحرق من الزايل ويرقصون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من الزايل كانت لقسمهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مشابها على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنهم تأكلون بحق التوكل وأنا أكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيشكل النفس والأعين ويتحازن وذلك محمود وقد فترن به الرغبة فيه لملائته على أنه كثير الحزن يعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباهوا ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه قلبه حبط أجره وضاع سعيه ونرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الأئين عن الحزن ولكن بعده ويريد في دفع الصوت فذلك الزيادة رياء وهو محذور لأنها في حكم الابتداء لجرد الرياء قد يهيج من الخوف ملائكة البصمة نفسه ولكن بسببه خاطر الرياء يقيبه فيدعو إلى زيادة تحزين الصوت أو رفع له أو حفظ البصمة على الوجه حتى يصير بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كره تضعضف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزقق ويتواجد تسكفا ليرى أنه سقط لكونه منقشاً عليه وقد كان ابتداء السقطلة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يبقى سريعاً فيجزع نفسه أن يقال حاله غير ثابتة وإنما هي كبر في خاطف فيستديم الرعدة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفتيق بعد الضعف ولكن يزول منه سر ما فيجزع أن يقال لم تكن غشيتة صهيبة ولو كان لدام ضغفه فيستديم إظهار الضعف والأئين فينكى على غيره يرى أنه ضعف عن القيام ويتمايل في الشئ ويقرب الخطأ يظهر أنه ضعف عن سرعة الشئ فهذه كلها مكاييد الشيطان وتزغات النفس فإذا خطرت ضلالتها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا حقائقه في الباطن واطلموا على ضميره لقتوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد ممقنا كالأروى عن ذى النور رحمه الله أنه قام وزعق قائم معه شيخ آخر رأى فيه أثر التسكاف فقال يا شيخ الذى بالله حين تقوم جلس الشيخ وكل ذلك من أعمال للتافين وقد جاء في الخبر «تومذوا بالله من خشوع التفاف»^(١) وإنما خشوع التفاف أن تخضع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للعراة فهذه خواطر ترد على القلب متتادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأمنه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شيء من الرياء الذى هو كد ييب الخلق وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ لحولك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون إلى محمد بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جداً إذا خطر لك فضع كفى في اطلاع الله عليك ومقتك لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب أماغلت أن العبد فضل عنه علانيته التى كان يخاف بها عن نفسه ويمزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أني أخشاك وانت لى ماقت . وكان من دعاء علي بن الحسين رضى الله عنهما : اللهم انى أعوذ بك أن تحسن فى لائمة العيون علانيتى وتقبض لك فىا أخلو سررنى محافطى على رياء الناس من نفسى ومضيقا لما أنت مطلع عليه منى أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأموأ عملى تترأى إلى الناس بحسنائى وفراراً منهم إليك بيسئائى فيحل بى مقتك ويحب على غضبك أعذنى من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نهر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأصاعوا سرأثرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جملة آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليقتف عليها فى الخبر « إن الرياء سبعين باباً »^(٢) وقد عرفت أن بضه أنضض من بعض حتى إن بضه

يخرج بين المشاهدين يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حكم أن جماعة من أصحاب الرقات دخلوا على جبرين الحارث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمونه فكسروا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذى جعلنا ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له جبر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس للرقة فكان أحدم

(١) حديث تومذوا بالله من خشوع التفاف البيهقى فى الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفى الحارث بن عبيد الإيادى صفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون باباً ههكذا ذكر

مثل ديب الحمل وبهذه أخفى من ديب الحمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب الحمل إلا بشدة التفقد والرقابة ولتأدرك بعد بذل الجهود فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد القلب وامتناع للنفس وتغشيش عن خدعها ، نسأل الله تعالى العافية عنه وكرمه وإحسانه .

(بيان ما ينبغي للريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبهذه وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم للريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يتقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجاه انتهى اطلاع على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة قليلاً لم يزل قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والاعيان لما فيه من خطر التعرض للفتن وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسلك تفتي حراساً في الانشغال وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لجدوا لك فيافي الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى بأخفائه فيجعل الناس عملك ويذكرون قدرك وعمرهم من الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم تلك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبدال الآدم وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثواباً من عباده ويعلم أن إظهاره لتبره محب إليه وسقوط عتده وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرُونَ على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أخرج من النقي لأن التفتي إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقص والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذاً بالقرائن وهلك به فالتخلط إلى الاخلاص أحوج . وقدرى تميم الهامى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قد يحاسب العبد يوم القيامة فان قص فرضه قيل انظر اوله له من تطوع فان كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطرفه فألقى في النار (١) فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجترأه في جبر القرائن وتكثير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلو النوافل وأما التفتي لجده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة ، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلاً من عمله خائفاً أنه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكاً في قوله ورده مجوزاً أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما ممتعه بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبهذه إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقناً في الابتداء أنه خاص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فإذا

لنصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من خله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإنما هو الرياء بالموحدة والرسوم كتابه بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوثاً أيسرها أن ينسكب الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر وأمه نجيب مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون باباً . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراء حديث ابن مسعود باللفظ الرياء بضع وسبعون باباً والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمشاء لا لاقترانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الهامى في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يقتى زمانه لا يطوى له
نوب ولا تلك غير
نوبه الذي عليه .
وروى أن أمير
الؤمنين علياً رضي الله
عنه لبس قميصاً اشتراه
بثلاثة دراهم ثم قطع
كفه من رؤوس أصابعه
وروى عنه أنه قال
لعمر بن الخطاب إن
أردت أن تأتي صاحبك
فرقع قميصك واخفف
نملك ونصر أملك
وكل دون الشيع .
وحكى عن الجريري
قال كان في جامع بغداد
رجل لا تسكاد تجده
إلا في ثوب واحد في
الشتاء والصيف فثقل
عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شاة خفية أحببت عمله من رياء أوجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه متيقن أنه دخل بالاخلاص وشك في أنه هل أنسد برباه فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم لذته في النجاة والطاعة، وبالإخلاص يقين والرباء شك وخوفه لذلك الشك جذر بأن يكفر خاطر الربا إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، ولقد يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم منه رجاء الثواب على دخوله السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتعم ببله فقط دون شكر ومكافأة وحمد وتناء من التعم والتم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التعم مساعدة في شغل وخدمة أو مصارفة في الشئ في الطريق ليستكثر باستتباعه أو ترددا منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله ببله ليسكون له مثل أجره ولكن خدمة التلبذ بنفسه قبل خدمته فرجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستبعد منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يمحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برطمان قوم فادوا بحل ليرضوه لخاف عليهم أن لا ينف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أوسع منه حديثا خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوبا فردته على قلت له يا أبا عبد الله لست أنا من يسمع الحديث حتى تردده على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يدره أوبدتين وكان أبوه صدق السفيان وكان سفيان يأبى كثيرا فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي عمي قال برحم الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المسال إلى فأحب أن تأخذ هذه تسعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحق فردته على فرجع فقال أحب أن تأخذ مني شيء يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت وبلك أي شيء فبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما رحمى أما رحم أخوتك أما رحم عيالك فأكررت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئا مرحيا وأسأل عنها أنا ، فلئن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في لعتداء الناس به فقط ويجب على التعم أن يلزم قلبه حمد الله وطالب ثوابه ونيل التزلة عنده لا عند اللع وعنده الخلق وربما يظن أن له أن يراني بطاعته لينال عند اللع رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا قد ا على نوم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يسلم لله ويعبد الله ويخدم اللع لله لا يكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يربدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب التزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يراني بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك مصيبة في الحال وسيكشف الله عن رباؤه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا وأما الزاهد العزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقتاعة بامح ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بهذه واستعظامهم بحله فذلك يفسد الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما يكون له معرفة الناس باعتزاه واستعظامهم له وهو لا يدري أنه الخفف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومتك قال منذ سبعين سنة قلت فإطعامك قال يا بني وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت لها الذي يهيج من

كنت ولست بكثرة ليس
التياب فرأيت ليله فيها
يرى النائم سكان
دخلت الجنة فرأيت
جماعة من أصحابنا من
القسراء على مائدة
فأردت أن أجلس
مهم فإذا جماعة من
لللائكة أخذوا يدي
وأقاموني وقالوا لي
هؤلاء أصحاب ثوب
واحسد وأنت لك
لبسان فلا تجلس معهم
فالتفتت ونفرت أن
لا أليس إلا ثوبا واحدا
إلى أن ألقى الله تعالى .
وقيل مات أبو يزيد
ولم يترك إلا لجمعة الذي
كان عليه وكان عارية
فردوه إلى صاحبه .

فليك حق تكفيك هذه الحصة قال ترى المدير الذي بمذاك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزبنون صومعي ويطوفون حولها ويحفظوني فكلما تأملت نفسي عن العبادة ذكرت ما
 عز تلك الساعة فأنما أحتمل جهد سنة لزم ساعة فاحتمل يا حنفي جهد ساعة لزم الأبد فوفر في قلب
 للرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أنزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لي ركة فباعثرون
 حصة فقال لي ادخل المدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت المدير اجتمع على انصاري فقالوا يا حنفي
 ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق بهم قالوا سقم قلت عثرون
 ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنفي ما الذي صنعت قلت بته منهم قال
 بك قلت عشرين ديناراً قال أعطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لاتبينه
 فأنظر كيف يكون عز من تصبه ، يا حنفي أتبل على ربك ودع الذهب والفضة. والتعودان استثمار
 النفس عز العطية في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الحذر
 منه وعلامة سلامته أن يكون الحلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تقبيرا عن اعتقادهم له لم يجرع
 ولم يثق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بقله وإيمانه فانه لو كان في
 عبادة وأطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل
 سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل
 ذلك السرور بالركون إليه فبرجى له أن لا ينجب سعيه إلا أن يزيده عند مشاهدتهم في الخشوع والاحياء
 كي لا يبتسطوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار
 الخشوع وتمثل بطلب الاحياء فيطالبها في دعواها قصد الاحياء بموتق من الله غليظ وهو أنه
 لو علم أن احياءهم عنه إنما حصل بأن جدو كثيرا أو بضحك كثيرا أو بأكل كثيرا فتمسح نفسه
 بذلك فإذا لم تسمح وصمحت بالعبادة فاشبهه أن يكون مرادها للثقة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا بمن
 تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان
 عمله فلا بلغت قلبه إلى الحاق إلا خطرات ضعيفة لا يثيق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير
 بمشاهدة الحاق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني والأخر فقير فلا يجد عند إقبال
 التي زيادة هزة في نفسه ، ولا كرامة إلا إذا كان في التي زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما به بذلك
 الوصف لا بالتي فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى
 الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويجب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء يخلله فكيف
 استروح بالنظر إلى التي أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أدل
 منهم فيه في مجلس صفيان الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمتعون أنهم
 قراء في مجلسه ، ثم لك زيادة إكرام للتي إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حتى وصداقة
 سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكتلت لا تهمم عليه في إكرام
 وتوقير أئمة فان الفقير أكثر من التي فلا تشارك له لا يكون إلا طمعا في غناه ورياء له ثم إذا
 سميت بينهما في المجالسة فيخفى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للتي أكثر مما تظهره للفقير
 وإنما ذلك رياء خفي أو طمع خفي كما قال ابن الهالك لجارية له مالى إذا أتيت بفداء فتحت لي الحكمة
 قالت الطمع يشهد لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند التي بما لا ينطق به عند الفقير
 وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن
 لا تنصهر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك ببقية همرك

وحكى لنا عن الشيخ
 حماد شيخ شيخنا أنه
 بقي زمانا لا يلبس
 الثوب إلا مستأجرا
 حتى إنه لم يلبس على
 ملك نفسه شيئا
 وقال أبو خنيس الحداد
 إذا رأيت وضاعة الفقير
 في ثوبه فلا ترجو خيره
 وقيل ما ابن الكرمي
 وكان أستاذ الجنبدي
 وعليه مرفعة قيل
 كان وزن فردكم له
 وتخارجه ثلاثة عشر
 رطلا قد يكون جمع
 من الصالحين على هذا
 الزنى والتخشن وقد
 يسكون جمع من
 الصالحين . يتكلمون
 لبس غير للرقع وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منصفة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كلكت من ملوك الدنيا قد أمكت الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بذنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحلف الصيادة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد تحولا لقة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم تصاننا لشدة احتاجاته فلهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداء ذلك إلى اللوث للفرق بينه وبين مملكته للرجب لكثافة الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيها يستفيد منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه وتعيه في عيش هنيء. ويدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصاربة للسكروهات فتكذلك للؤمن المرید بملك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والخوف وترك اللذات بالخلق خوفا من أن يغل عليه غضب من الله فيهلك ورجاه أن ينجو من عذابه بخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بقايق أمره وبما أعد له من النعم للقيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المریدين لمرضاته عوناً وبهم رءوفاً وعليهم عطفوا ولوشاء لأغنام عن التنب ولكن أراد أن يعلم ويرى صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التنب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة النجاة ما يليه عن سائر اللذات ويقوه على إمامة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدته بموته فإن الكريم لا يضيع سعى الراجي ولا يخيّب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقاءي وإني إلى لقاءهم أشد شوقا . فليظهر العبد في البداية جده وصدقوه إخلاصه فلا يسوزه من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بجموده وكرمه ورافته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والمجد فله وحده .

(كتاب ذم الكبير والعجب)

(وهو الكتاب التاسع من ربيع الهلكت من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارئ للصور العزيز الجبار التكبر العلى الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع التنى الذي ليس له شريك ولا منازع القادر الذي يهر أبصار الخلاق جلالة جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجد استواؤه واستملاؤه واستبلاؤه وحصر ألسن الأنبياء وصفه وتناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستعصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلالة ملائكة وأنبياء وكبر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وفخر أيدى القياصرة عظمت وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء رداءه ومن نازعه فيها قصمه بداء للوث فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدس أساؤه، والصلاة على محمد الذي أنزل عليه التور للتشريع ضياؤه حتى أشرفت بنوره أكفاف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب ذم الكبير والعجب)

الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم التهوؤ بواجب حق للرقعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرس فيه الرمل لله كان ينام عليه بلاوطا وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجملوا بينهم وبين التراب خائلا ويكون لبس أبي حفص الناعم يعلم ونية بلى الله تعالى بصحتها وهككدا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يسترش

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصته » (١) وقال عليه السلام « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » (٢) « فالكبر والعجب داءان مهلكان وللتكبر والعجب سقيان مريضان وهما عند الله مقفوتان بفيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للهلكات وجب إضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح الرديات ونحن نستقصى ياتهما من الكتاب في شطرين شطري الكبر وشرط في العجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يشكبر عليه ودرجات التكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الممود من خلق التواضع وللذموم منه .

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه ودم كل جبار متكبر فقال تعالى - ما صرف عن أبائى الذين يشكبرون في الأرض غير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبارا - وقال تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنده - وقال تعالى - إنه لا يحب لل متكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أقصمهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين - ودم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » (٣) « وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي » (٤) « وعن أسد بن عبيد الرحمن قال التقي عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافيا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يكي قاتلوا ما يكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا معنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكره الله في النار على وجهه » (٥) « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيده ما صاحبه من العذاب » (٦) « وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما قطير والإنس والجن والهائم الخرجوا فخرجوا في مائتى ألف من الإنس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى ميم زجل اللائكة بالنسيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أبعد مما رفعت وقال

(١) حدث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما قصته الحاكم في المستدرک دون ذکر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسأى بعد حديثين يلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزاز والطبرانی والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قد خفي في النار وقال مسلم عذبه وقال داود وإزاره بالنسيه وإدغمه أبي هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كره الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع ودون قوله من العذاب حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع ودون قوله من العذاب.

عليهم غير أن ليس
الحسن والرق يصح
لسائر الفقراء بنية
التقلل من الدنيا
وزهرتها ودهنها وقد
ورد « من ترك ثوب
جمال وهو قادر على
لبسه أبسه الله تعالى
من حلل الجنة » وأما
لبس الناعم فلا يصلح
إلا لعالم بحاله بصير
بصفات حقه متفقد
خفى شهوات النفس
يلقى الله تعالى بحسن
النية في ذلك فلمن
النية في ذلك وجوه
متعددة يطول شرحها
ومن الناس من لا يقصد
لبس ثوب بينه
لا تحشوا ثوبوا لثوبه

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار حتى له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق بقول وكلفت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إليها آخره بالمصورين ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بحبل ولا جبار ولا سيء المكة ^(٢) » وقال ^(٣) « حاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالكبريين والتعبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضفء الناس وسقاطهم وهمزتهم فقال الله لجنه إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال النار إنما أنت عدائي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ماؤها ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « بش البعدي تجبر واعتدى ونسى الجبار الأظى بش البعدي عجب واعتدى ونسى الكبر للتعالي بش البعدي غفل وسها ونسى القابروا لبلى بش عبد عتا وبني ونسى البدء للتهنى ^(٥) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يارسول الله أعظم كبر فلان قال أليس بمده الموت ^(٦) » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمرتكم بالتقوى وأنها كما عن اثنين إنما كاعن الشرك والكبر وأمرتكم بالإله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها ولوان السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلة فوضعت لا إله إلا الله عليها لتصمها وأمرتكم بعبادة الله وبعبادته فهاضلة كل شيء وبها يبرز كل شيء ^(٧) » قال السبع عليه السلام : طوبى لمن علم الله كتابه ثم لم يتجبر جبارا . وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جطرى جواط مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء الضعفاء ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبك إني وأقر بكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضتكم أخلاقا أبغضتكم إني أرى الناس ذرا في مثل صور الرجال يملوهم كل شيء من الضار ثم يساقون إلى سجن في جهنم قاله بولس يملوهم تار الأتيار يسفون من طين الحبال عصارة أهل النار ^(٩) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل ليس ما يدخله الحق عليه فيكون يحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فإن رأى لنفسه شرها وشبهه خفية أو جلية في الثوب الذي أودعه الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فتند ذلك لا يسمه إلا أن يلبس الثوب الذي سانه الله إليه وقد كان شيخنا أبو العجب السهروردي رحمه الله لا يتجسد بوجه من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعدد مكلف

(١) حديث يخرج من النار حتى له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة قال حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا يحبل ولا سيء . للشيخ تنم في أسباب الكسب والعاش والمروف خائف مكان جبار (٣) حديث حاجت الجنة والنار قالت النار أوثرت بالكبريين والتعبرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بش البعدي تجبر واعتدى الحديث الترمذي من حديث أسماء بنت حميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک وصححه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حماد وضعفه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بمده الموت البيهقي في الشعب هكذا مرسله لفظ جبر (٦) حديث عبد الله بن عمرو : إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمرتكم بالتقوى وأنها كما عن اثنين إنما كما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتابيه الأدب والحاكم بزيادة في قوله قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جطرى جواط مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل مثل جواط مستكبر (٨) حديث إن أحبك إني وأقر بكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الخشعي بلفظ إلى متى وفيه انقطاع وتكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في روضة القلوب أول الحديث (٩) حديث يحشر للتكبر يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن عبيد عن أبيه عن جده وفان حسن غريب .

« يحضر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ تطوّم الناس لهوائهم على الله تعالى ^(١) » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكب كل جبار فاباك يا بلال أن تكون ممن يسكب » ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجمل فيه للتكبرون ويطبق عليهم » ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من شدة الكبرياء » ^(٤) وقال « من فارق روحه جسده وهو برى من ثلاث دخل الجنة : الكبر والدين والقول » ^(٥) الآثار : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لما خلق الله جنه عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر . وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماذّ رجليه فلم يقضهما وقد الأحف فرحمه بعض الزمعة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هيبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم يفضل الحرة بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يمرض جبار السموات ، وقد قيل في - وفي أنفك أفلا تبصرون - وسبيل الغائط والبول ، وقد قال محمد بن الحسين ابن عليّ ما دخل قلب امرئ من الكبر قط إلا انقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو أكثر . وسئل سليمان عن البيعة التي لاتفتح معها حسنة فقال الكبر ، وقال النعمان بن بشير على التمرين للشيطان مصالى وغلوا وإن من مصالى الشيطان وغلوه البطر بأنتم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله ، سألت الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة عنه وكرمه . (بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجرّ إزاره » ^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يتبختر في برده إذ أهبطت نفسه فغسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » ^(٧) . وقال صلى الله عليه وسلم « من جرّ ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة يحضر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ الحديث البراز هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هبيب حق على الله أن يسكب كل جبار أبو يلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث ابن في النار قصرا يجمل فيه للتكبرون ويطبق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابت مكان قصر أو قال فيقتل مكان يطبق وفيه إبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من شدة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جابر بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفسه وقتله وهزمه قال قتله الشمر ونفخه الكبر وهزمه اللوة ولاصحب السخن من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تسكّم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو برى من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والقول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للصف لهذا الحديث هنا موافق للمشهور في الرواية أنه الكبر بالوحدة والزائد لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السائدين عن الدارقطني قال إنعسا هو الكثرة بالتون والفراي وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تخسير - والذين يكفرون الذهب والفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينا رجل يتبختر في برده قد أهبطت نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان يلبس العامة بشرة دنائير ويابس العمامة بدائق . وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويشطط يلبس وكان الشيخ عليّ بن الحقي يلبس لبس قسراء السواد وكان أبو بكر القراء يزينان يلبس فروا خشنا كآحاد الدوام ولكل في لبسه وهيشة نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك يطول ، وكان الشيخ أبو السمود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فقرأ به عبدالله بن واقد عليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بني إزرك إزرك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»^(١) وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق يوما على كفه ووضع أصبه عليه وقال يقول الله تعالى: ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين ردين والأرض منك وإذا جئت ومننت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأني أوان الصدقة»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشيت أمتي للطيطاء، وخدمتهم فارس والروم سلط الله بضمهم على بعض»^(٣) قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»^(٤) الآثار: عن أبي بكر المذلي قال يئنا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهم يريد القصور وعليه جياب خز قد نصد بضها فوق بعض على ساقه وأترج عن أياؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال آف آف شامع بأنه ثاني عطفه، صرخذا، ينظر في عطفيه أي حقيق أنت تتنظر في عطفيك في ثم غير مشكورة ولا مذكورة غير لأخوذ بأمر الله وألا تؤذي حق الله منها والله أن يمشي أحد طيعته يتخلج تخلج المهنون في كل عضون أعضائه فنهضوا للشيخان به لفتة فسمع ابن الأهم فرجع يستدر إليه فقال لا تستدر إليّ، وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى سولا تمشي في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا - ومر الحسن شارب عليه بزة له حسنة فدعا فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لشماله كأن القبر قد أبارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ومحك دلو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم - وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يخال في مشيته فضمزجنيه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرة قد ل عمر كالمعذر عائم لقد ضرب كل عضون على هذه الشية حتى تلمها، ورأى محمد بن واسع كوله يخال فدعا وقال أتندري من أنت أما لك فأشترها بمائتي درهم وأما بولك فلا كثر الله في السدين مثله، ورأى ابن عمر رجلا يعرج إزاره فقال إن للشيطان إخوانا كرههم بين أولثا، ويرى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى الهلب وهو يتبختر في جبته فقال يا عبد الله هذه مشية يفضها الله ورسوله فقال له الهلب أما ترفني فقال بلى أعزك أولك نطفة مذرة وأحرك حيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فاضى الهلب وترك مشيته تلك، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطلى - أي يتبختر، وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم.

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبدا بغفو إلا عزاً وماتوا تواضع أحدكم إلا رافقه الله»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا ومعه مسكان وعليه حكمة يسكنانه بها فإن هوى رفعه»^(٦) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لسم أن الباررجل من بني ليث غير مسمى^(٧) حديث ابن أسول الله صلى الله عليه وسلم سبق يوما على كفه ووضع أصبه عليها وقال يقول ابن آدم إسعزني وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث يشر بن جعاش^(٨) حديث إذا مشيت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم الليم وفتح الطاءين المحدثين بينهما مشاة من تحت مضرا ولم يستعمل مكبرا^(٩) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر^(١٠) حديث ما زاد الله عبدا بغفو إلا عزاً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم قبله وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانسكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلقى لأحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يعمره فيقول لا ورجل يطالبنا بعتائق القوم من أرباب العزوة فنقول له هل ترى لنا فيها لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الحشن ولكن يحب

جيداً هائم قال اللهم ضعه وإن وضع نفسه قال اللهم ارضه ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «طوب لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير مصيبة ورحم أهل الدار والمسكنة وخالف أهل الفقه والحكمة ^(٢)» وعن أبي سلة الدين عن أبيه عن جده قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاءً وكان صائماً فأتيناه عند إفطاره بقدر من لبن وجعلنا فيه شيئاً من عسل فلما رضعه وذاقه وجد حلاوة العسل قال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً من عسل فوضعه وقال أما إنى لا أحرّم من تواضع لله رضعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذّر أقره الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله ^(٣)» وروى «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ثغر من أصحابه في بيته يأكلون قدام سائل على الباب وبه زمانة يشكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فسكن رجلان من قريش الشجر زمنه وتكره فأمات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة منها ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «خبرني ربي بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فإني أدر أهما أختار وكان ضيفي من الثلاثة جبريل فرفضت رأسي إليه فقال تواضع لربك قلت عبد رسولاً ^(٥)» وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنا أقبل صلاتك من تواضع لمطعمي ولم يعاطمني على خلق وأمر قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل وقال **عليه السلام** «الكرم التواضع والتشرف التواضع واليقين التواضع» وقال السبع عليه السلام : طوبى للتواضعين في الدنيا هم أصحاب الثواب يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرتون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرين قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم معنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا هدى الله عبداً لا سلاماً وحسن صورته جعل في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله ^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «أربع لأعظمهم الله إلا من أحب الصمت وهو أوّل العبادة

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه مسكان وعليه حكمة يسكنانه بها الحديث العقلي في الضعفاء واليهي في الشجب من حديث أبي هريرة واليهي أيضاً من حديث ابن عباس وكلاماً ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوي وابن قانع والطبراني من حديث ركب الصري والبزار من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وبعضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلة الدين عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاءً وكان صائماً الحديث وفيه من تواضع رضعه الله الحديث رواء البزار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فقد ذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال النهدي في البرهان إنه خبر متكرر وقد تقدم ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر من لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعمن أنه حرام الحديث وفيه من أكثر ذكر الوت أحبه الله وروى الرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذّر أقره الله الشوذ كرافقه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذي كان به زمانة متكررة وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لما أجده أصلاً للوجود حديث أكله مع مجندوم ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذي غرب (٥) حديث خبرني ربي بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نبياً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلام الحديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التواضع واليقين التواضع واليقين التواضع في كتاب اليقين مرسل وأستد الحاكم أوله من رواية الحسن عن حمزة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً لا سلاماً وحسن صورته الحديث الطبراني موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه للسعودي مختلف فيه

أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر الجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يره أحب الذي إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهو في رضى بينه فله تعالى يفتح عليه ويرفه زياً مخصوصاً فيلزم بذلك الرضى فيكون ليه بالله ويكون هذا ثم وأكمل ممن يكون ليه لله . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فليس الثوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ^(١) » وقال ابن عباس قل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا تواضع العبد رضعه الله إلى السماء السابعة ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد
 إلا رفعة فتواضعوا برحمتك الله ^(٣) » وبروي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطم بجماء
 رجل أسود به جذري قد تضر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى جنبه ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليحبني أن يجعل الرجل الشيء في يده يكون
 مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ^(٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوم أُمّا إلى لأرى
 عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا
 رأيتم للتواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم
 وصغار ^(٧) » . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن البعد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال انشئ
 رفعتك الله وإذا تكبر وعدا طوره رضعه الله في الأرض وقال أخشا خشاك الله فهو في نفسه كبير
 وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهت مرة إلى
 شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ
 فإذا هو سلمان القارسي قد كرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فأنعم تواضع لله في الدنيا
 رضعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما طلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضا
 في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لتففلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن
 أسباط : يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل
 وقد سئل عن التواضع ما هو ؟ قال أن تخضع للحق وتتقاه ولو لم يسمعه من صبي قتلته ولو سمعت من أجبل
 الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه
 ليس لك بدذلك عليه فضل وأن ترفع نفسك ممن هو فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بدينائك عليك
 فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علمًا لم يتواضع فيه كان عليه وبال يوم القيامة .
 وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا نمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكالة ثم أعطك .

(١) حديث أربع لا يظيهر الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع
 والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصيبن إلا بسبب الصمت وهو أول العبادة
 والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن خبان
 يروي للوضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع الصديق لله رضعه الله رأسه إلى
 السماء السابعة البهقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعف الجمهور (٣) حديث إن التواضع
 لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين
 وهو ضيف جدا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياضي
 وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطم فجاءه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس
 إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا وللرؤف أ كله
 مع مجذوم رواء أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث
 إنه ليحبني أن يجعل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب
 (٦) حديث مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا
 (٧) حديث إذا رأيتم للتواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين فتكبروا عليهم
 فإن ذلك لهم مذلة وصغار ، غريب أيضا .

وإيقان ولا يزال بما
 لبسه ناعما لبس أو خشنا
 وربما لبس ناعما
 ونفسه فيه اختيار
 وحظ وذلك الحظ فيه
 يكون مكفرا له مردودا
 عليه موهوبا له يواقفه
 الله تعالى في إرادة نفسه
 ويكون هذا الشخص
 تام الزكية تام الطهارة
 محبوبا مراديا راع الله
 تعالى إلى مراده ومجاها
 غير أن ههنا ملة قسم
 لكثير من الدعين .
 حكى عن يحيى بن معاذ
 الرازي أنه كان يلبس
 الصوف والحلقان في
 ابتداء أمره ثم صار في
 آخر عمره يلبس الناعم
 فقيل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نعمها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا انعم الله تعالى في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لبد الملك ابن مروان أي الرجال أفضل ؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك الصرة عن قوة. ودخل ابن الهكلى على هرون فقال يأمر المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يأمر المؤمنين إن أمرا آتاه الله جمالا في خلقه وموضا في حبه وبسط له في ذات يده غف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعاهم بديعة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى للساكن فيقعد معهم ويقول مسكين مع مسكين . وقال بعضهم كما تكبره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فأكرمه أن يراك الفقراء في الثياب للترفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن بثلاث كرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فمخنت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرفه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فغسه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولائي كنت معهم إلى أقصى أنهم حرموا بسبي ويقال أرفع ما يكون المؤمن عند الله أرفع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد البري : الزاهد خير تواضع كالشجرة التي لا تنمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب للسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يستقي إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسى قال فلا بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يباح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت تخمدنا زلزلة ورع حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فدفع الله عز وجل لنا فكي ثم قال إني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى النبي رحمه الله فقال له ما أنت ؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباب فقال له النبي أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعا . وقال النبي في بعض كلامه : ذلي عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شحرف قال رأيت على بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رعية منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأغنياء ففة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له فيكون متواضعا ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق لي أن يضعوني كاتعاضعي عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصابيد الشرف وكل نعمة محمود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تعاظم . وقال يحيى بن ماذ : التكبر على ذوي التكبر عليك بما له تواضع ، ويقال التواضع في الحاق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الحاق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم
يصبر على الدون
فكفب يصبر على
التحف ومن الناس من
يسبق إليه علم ما خوف
يدخل عليه من
اللبوس فيلبسه محمودا
فيه وكل أحوال
الصادقين على اختلاف
تنوعها مستحسنة
- قل كل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم
هو أهدى ميلا -
وليس الخشن من
التياب هو الأحب
والأولى والأهم للعبد
والأبعد من الآفات .
قال مسفة بن عبد الملك
دخلت على عمر بن

وفي القراء أفسح ، ويقال لأعزّ إلا لمن تذلل لله عز وجل ولا راحة إلا لمن تواضع لله عز وجل ولا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو علي الجوزجاني :
 النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والصيحة
 والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا حاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع
 مع نصرة الله تعالى وإذا حاجت نار الحسد في نفسه أدركها النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا حاجت
 في نفسه نار الحرص أدركها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجنيّد رحمه الله أنه كان يقول يوم
 الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويكون في آخر الزمان زعيم القوم
 أرذلهم ^(١) ماتكم عليكم . وقال الجنيّد أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر وللمراده
 أن التواضع ثبتت نفسه ثم يرضى بالوحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يرضى بها أو يرضى بها عن عمرو
 ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفا والروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم ينفون
 الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنيت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل
 الشعر قال جلست أنظر إليه وأنا مله فقال لي مالك تنظر إلى قلقت له شربك برجل أدبته بمكة ووصفت
 له الصفة فقال له أنأذلك الرجل قلقت ما فعل الله بك ؟ قال إني ترضت في موضع يتواضع فيه الناس
 فوضعت الله حيث يرفع الناس . وقال الفيرة : كنا نهاب إبراهيم الخثمي هبة الأمير وكان يقول
 إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقصد
 وأخذ بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يصيكم ، لومات عطاء لاستراح الناس . وكان
 بشر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال
 أعطاك الله ما تجروه فقال إن الرجاء يكون بعد العرفة فأبى العرفة . وتماخرت قريش عند سلمان
 الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلفت من نقطة قدرة ثم أعود جيفة مفتنة ثم
 آتى البرزخ فان همل فأنا كرم وإن خف فأنا ليم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا
 الكرم في التوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن
 الجوارح واسم الصكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فاتها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر
 موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل
 هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فإن الكبر
 يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتى فإن العجب لا يستدعي
 غير العجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يصور أن يكون متكبرا إلا أن
 يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن
 يستعظم نفسه ليكون متكبرا فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه
 فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستعقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذي من حديث أبي هريرة إذا اتخذ النفي
 دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب
 إذا ضللت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبي نعيم في الحلية
 من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بين فضالة ضعيف

عبد العزيز أعوده
 في مرضه فرأيت نفسه
 وسخا فقلت لاسمائه
 فاطمة اغسلوا ثياب
 أمير المؤمنين فقالت
 فعمل إن شاء الله قال ثم
 هدته فإذا القميص
 على حاله فقلت فاطمة
 ألم أمركم أن تغسلوه؟
 قالت والله ماله قميص
 غير هذا . وقال سالم
 كان عمر بن عبد العزيز
 من ألين الناس لباسا
 من قبل أن يسلم إليه
 الخلافة فلما سلم إليه
 الخلافة ضرب رأسه
 بين ركبتيه وبكى ثم
 دعا بأطهاره وثمة قلبها .
 وقيل لما مات أبو البرداء
 وجد في ثوبه أربعون

لم يشكر بل ينفي أن يرى نفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فمقده هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية بهذا العقيدة تنفي فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك خلق العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نقعة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخى أن تنفخ حتى تباع الثريا للذي استأذنه أن يخطب بعد صلاة الصبح فكأن الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانفخ وتمزز بالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة ونعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظيمة ليسلفوها ففسر الكبر بذلك العظمة ثم هذه العزة تنفي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرافانه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حتر من دونه وازدراء وأقصاء عن تصهوا بعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حق أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتيته فإن كان دون ذلك فأنف من مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأ بالسلام واستبعد تصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن عظم استكف من قبول وإن عظم عطف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرق بالتلميع واستندهم واتهرم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الخير استعجالهم واستحقارهم والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلاحاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة وهذا هو الكبر وآفة عظيمة وغائلة هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقفا بملك عه العباد والزهاد والمعلم فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفة وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس ينافي تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق التقيين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحق وفيه العز ولا يقدر أن يذوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصيحة اللطيفة وفيه العز ولا يقدر على قبول النصيحة وفيه العز ولا يسلم من الإزدراء بالناس ومن اغتياهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فإسمن خلق ذمير الإصاخب العز والكبر مضطر إليه ليحفظه عزمه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يغوته عزمه هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الدنيئة متلازمة والبعض منها دافع إلى البعض لاحتالة وشتر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والالتقائه وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبر في قوله تعالى - ولا تلتفتوا بالأسفلين - إلى قوله - وكنت عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فاقسوا - ثم أنذر أن أشد أهل النار عقابا أشد من عتابي على الله تعالى فقال - ثم لنزعن من كل شيعة أبهم أشد على الرحمن عتابا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قالوهم منكفرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنهم لكم مؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نقعة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رفعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس على ابن أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مدحه بلغ أطراف أصابعه فباعه الخوارج بذلك فقال أنبيوني على لباس هو أجود من الكبر وأجدر أن يقتدى به السلم وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاء بالرد وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسيرات سأحجب قلوبهم عن اللسكوت . وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يشكروا فيها ويعتبروا بها . ولذلك قال السبيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب للتواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من جمع برأيه إلى السفه شجوه ومن طأطأ أظله وأكفه فهذا مثل ضربه للتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق ونغمس الناس (١) » .

(بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو أسائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلو ماجة ولا فارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع التكبر ولا مثاله إلا الجهل المحض والظلمان مثل ما كان من عمروذ فانه كان يحدث نفسه بأن يقابل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه تكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله . ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستكف السبيح أن يكون عبدا لله ولا لللائكة القربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أن نسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا - . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاتقياء لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل يكبره فيمتنع عن الاتقياء وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاتقياء للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم إن أنهم إلا بشر مثنا - ولئن أعلمهم بشرا متلكم إنكم إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا لللائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاءه مع لللائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينا أنت رب تبعد إذ صرت عبدا تبعد فاستكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال تاذة عظيم القريتين هو الوليد بن النضر وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يسه الله أن ينال تعالى - أيم يسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا سمى استحقاقهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء السليين فازدروهم بأعينهم لفقهم وتكبروا عن مجالستهم فأزل الله تعالى - ولولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واسبر

قائه مذللة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تضدوا دينكم محمد الناس وثائهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى ثلثين فلما نظر إليهما أحبه حبسهما فجدد لله تعالى قبيله في ذلك فقال خشيت أن يمرض عن ربي فتواضعت له لاجرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت للقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاسترى له ثلثان عنصروه فدان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث التكبر من سفه الحق ونغمس الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق ونمط الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق ونغمس الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عتبة بن عامر بافظ الصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ربيعة حكاه .

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار قبل يموتون عمارا وبلاا وصيبا والقداد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منه الكبر عن الفكر والعرفة لجهل كونه صلى الله عليه وسلم حقاً ومنهم من عرف ومنه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عبراً عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بها واستيقظوا أنفسهم ظلماً وعلوا - وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمرائه والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غير غيره ثأب نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأثم من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والمزاول العظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء من أن يليق بحاله الكبر فيهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ، ومثاله أن يأخذ العالم قلنسوة الملك ف يضعها على رأسه ويجلس على سريره فمأعظم استحقاقه للقت ومأعظم تهديفه للخزي والكمال ومأخذ استجراءه على مولاه ومأثب مآلعه ، وإلى هذا للمع الإشارة بقوله تعالى « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قسمته » أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا به والنزاع فيه منازع في صفة من صفاتي وإذا كان الكبر على عباد لا يليق إلا به فمن تكبر على عبادته فقد جنى عليه إذ أدى يستردل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويرفع عليهم ويستأثر بمناقب الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخاق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة مهابو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا صح الحق من عبد من عباد الله استكف عن قبوله وتشمر لجده ولذلك ترى للناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يشاحدون نجاحه للتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجده واحتمل لدهمه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمناقبين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلهم تغلبون - فكل من يناظر للغلبة والإغما لا يسمع الحق إذا ظفر به فقد شاركوهم في هذا الخلق وكذلك يجعل ذلك على الأفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف يقتل فقام آخر فقال تقتلون الدين بأمرين بالقسط من الناس قتل التكبر الذى خالفه والذى أمره كبراً وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثمًا إذا قيل له اتق الله قال عليك تسك وقال ^{بعض} رجل لا كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت لما منه إلا كبره قال فما رفقها بذلك (٢) »

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال قال للشركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال رجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحشلى
المحسوف وأكل مع
الصيد وإذا كانت
النفس على الآفات
فالوقوف على داسها
وخفى شمواتها وكم
هواها عسر جدا
فالائق والأجسر
والأولى الأخذ بالآحوط
وترك ما يريب إلى ما
لا يرب ولا يجوز للبعد
الدخول في السعة إلا
بعد إتيان علم السعة
وكان تزكية النفس
وذلك إذا غابت النفس
بنية هواها التبع
وتخلصت النية وتدد
التصرف بلم صريح
واضح وللمعزة أقوام
يركبونها ويراعونها

أى اعتلت به ، فاذن تكبره على الحاق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإنما ضرب إليكم مثلاً لهذا وما حكمه من أحواله إلا ليحترق به فانه قال : أنا خير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خالفتي من نار وخلقته من طين . فحمله ذلك على أن يتمتع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدؤه التكبر على آدم والحسد له بجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبدأ الآباد فهذه آفة من آفات التكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبر بهاتين الآفتين إذ سأله ثابت بن قيس بن قيس فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حبب إلى من الجالما ترى أفنى التكبر هو ؟ » فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن التكبر من بطر الحق وغشم الناس ^(١) . وفي حديث آخر « من سفه الحق ^(٢) » وقوله وغشم الناس أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله وأخبرته وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هورده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بين الاستغفار أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر فيها بينه وبين الحق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته وأتباع رسله قد تكبر فيها بينه وبين الله تعالى ورحله .

(بيان ما به التكبر)

اعلم أنه لا يتكبر إلا على ما يستعظم نفسه ولا يستعظمها إلا هو يعتقد لها صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي فالدين هو العلم والعمل والدينوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب الأول : العلم وما أسرع التكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الحياء ^(٣) » فلا يلبث العالم أن يتميز بجزء العلم يستشعر في نفسه جمال العلم وكأله يستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجلبهم ويتوقع أن يبدوه بالسلام فإن بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه يشر أوقام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويداعبه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه يذنبى أن يقول له ويغذوه شكره على صنيعة بل القالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ولا يزورونه فلا يزورهم ويسودونه فلا يسودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستخزره في حوائجه فإن قصر فيه استكبره كأنهم عبيده أو أجراءه وكان تابعه العلم صنيعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتناق بالدين ، أما في أمور الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو نفسه أكثر مما يرجوهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً بل العلم الحقيقي هو الذى يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الحاجة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كسبائى في طريق معالجة التكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً ، ويتنصت أن يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقديره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علماً ازداد وجهاً وهو كما قال . فإن قلت لما بال بعض الناس بزاد بالعلم كبراً وأمثا . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً

لا يرون التزول إلى الرخص خوفاً من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رقى ثوبه رقى دينه وقد يرضى من ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الفسح . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة كل من كان في قلبه مثقال ذرة من التكبر » فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال النبي عليه

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن قيس إني امرؤ قد حبب إلى من الجالما ترى أفنى التكبر هو ؟ من بطر الحق وغشم الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بحديثين (٢) حديث التكبر من سفه الحق وغشم الناس تقدم منه (٣) حديث آفة العلم الحياء . قلت هكذا ذكره المتن والغرفوف آفة العلم النسيان وآفة الجلال الحياء هكذا رواه القضاعى في مسند الشاميين من حديث على بسند ضيف . وروى عنه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس آفة الجلال الحياء وفيه الحسن بن عبد الحميد السكونى لا يبرى من هو جدث عن أبيه بحديث . موضوع قاله صاحب اللزبان .

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به البدر به ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الحشة والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فلذا تجرد الإنسان لها حق امتلاك منها امتلاكاً بها كبراً وثقافاً وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة اليهودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن مخوض البعد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيئ الأخلاق فإنه لم يشتغل أولاً بهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب بهوب لهذا مثلاً فقال العلم كالتيث ينزل من السماء حلوا صافياً فتشرب به الأشجار يبرقها فتحول على قدر طومها فيزداد للرمرارة والحلو حلوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر همهمها وأهوائها فيزيد التكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل خائفاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تدأ كدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى ليديه عليه السلام - واخضض جناحك لمن أتيتك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال - أدلة على المؤمنين أعزدة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيها رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن لمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تسكنوا أجابرة العلماء فلا يني عليكم بجهلكم ، ولذلك استأذن نعيم الهاربي عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الدبع واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تنتفض حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتتضمن إماماً غيري أو لتصان وحدنا فأبى أن يفتى أنه ليس في القوم أفضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فبما عز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يعركه عز العلم وخيلاؤه فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يغارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من آفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعنا إليه رجاء أن تشعلنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأبى يسمح آخر الزمان بشتمهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اقرضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يمر في زماناً عالم مختلف في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الفرصة فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارته رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتي على الناس زمان من تحسك فيه بشر ما أتم عليه نجا (٢) » لكان جديراً بنا أن نقتحم واليباض بالله تعالى ورحلة الألباس والقطوف مع ما نحن عليه من سوء أحوالنا ومن لنا أيضاً بالتحسك بشر ما كانوا عليه ولتينا تحسكنا بشر عشرة . ففسل الله تعالى أن يماننا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يغلو عن رذيلة العز والتكبر وإسهالة قلوب الناس

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن لمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرفائق (٢) حديث سيأتي على الناس زمان من تحسك فيه بشر ما أتم عليه نجا أحد من رواية رجل عن أبي ذر .

السلام إن الله جميل يحب الجمال « فتكون هذه الرخصة في حق من يابسه لا يهوى نفسه في ذلك غشيرة مفتخر به ومختال فأما من لبس التوب للفتاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين السكبين وما كان أسفل من السكبين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل ممن كان قبلكم يفتخر في

الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم يزاريهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقفون قدام الناس قضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكركهم بالذبح والتفوى وتقديمهم على سائر الناس في المخطوط إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منى على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا صمت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » (١) وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مقتر بالله آمن من

مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتفاره لقوله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسل » (٢) وكذا من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويظلمه لعبادته ويستعظمه ويرجوه لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتطعيمهم بإياه فمهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يشقت إلى الله بالنزعة والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فإذا حووه لصلاحه أن يقلبهم الله إلى درجة في العدل وما أجدره إذا ازدراهم بيته أن ينقله الله إلى حدالاهل كالروى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليع بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرسمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليع بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنت منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى بني ذلك الزمان مرهما فليستقا العدل قد غفرت الخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فعلت الغمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل الناس إذا تواضع هية في ذلك خوفا منه قد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم للتكبر والعابد العجب وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا ينفر الله لك فأوحى الله إليه أيها للتألى على بل أنت لا ينفر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزان أن صاحب الخزان لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآية أيضا قلنا ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف باستخف أو آذاه مؤذ استبد أن ينفر الله ولا يشك في أنه صار محموتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل

وجمع بين الكبر والسجب واغترار بالله وقد ينهى الحق والتبوة بعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون ماجرى عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الإغفاء غلبه والاستقام له منه مع أنه يرى طبقات من السكنا يسبون الله ورسوله وعرف جماعة أدوا الأنياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل للفرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتم لأنبيائه به ولعله في مت الله بالصبا به وكبره وهو غافل عن هلاكه

(١) حديث إذا صمت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للسل ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ آخر من الثر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطئ على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا ينفر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال الطعاسي والله لا ينفر الله لك أبدا وهو بغير هذه السابقة وإسناده حسن .

ردائه إذ أهيبه رداؤه
نفس الله به الأرض
فهو يتجامل فيها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صح حاله
بصحة عليه صحت نيته
في ما كوله وملبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
ويستعد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
وبعد ذلك تستقيم
تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله
تعالى .

[الباب الخامس
والأربون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
يشيخك الناس أمتة

نفسه فهذه عقيدة اللغز ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان بقوله عطاء السلي حين كان
 نهب ربح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا يسي ولومات عطاء لتخاصوا ومقالة الآخر بد
 انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجمعهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذاتين
 الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزد لعله وسعيه وذلك ربما يضر من الرياء والكبر والحمد
 والقل ما هو ضحك للشيطان ثم إنه يمتن على الله بصله ومن اعتقد جزمائه فوق أحد من عباد الله فقد
 أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أغشى للعاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه نفسه بأنه خير
 من غيره جهل بمحض وأمن من مكر الله ولا يأمن من مكر الله إلا القوم الحاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر
 بخبر للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى
 في وجهه سعة من الشيطان فلم يوقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك
 بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم ^(١) فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بنور النبوة ما يستمكن في قلبه سعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصاه الله
 لكن العلماء والعباد في آفة التكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون التكبر مستترا في قلبه يرى
 نفسه خيرا من غيره إلا أنه يتعبد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سخ
 في قلبه شجرة التكبر ولكنه قطع أغصانها بالكليّة. الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في
 المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكار على من يقصر في حقّه وأدنى ذلك في المأمن أن يصرخه
 للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعيب وجهه ويقطب جبته كأنه منزه عن الناس مستغفر لهم
 أو غضبان عليهم وليس يعلم السكينة أن الورع ليس في الجبهة حتى تعطب ولا في الوجه حتى يعيب ولا في
 الخد حتى يسهر ولا في الرقبة حتى تظأ ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره» ^(٢) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسا وانبساطا» ^(٣) ولذلك قال الحرث
 ابن جزء الزبدي صاحب رسول الله ﷺ جيني عن القراء كل طليق مضحك فأما الذي يتفاد يشر
 وبلهك بيبوس بمن عليك بملحه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى رضى ذلك
 لما قال لتبني على الله عليه وسلم واخضع جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وهو لاء الذين يظهر أثر التكبر
 على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر التكبر على لسانه حتى
 يدعو إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتركبة النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشتر لعلبة الغير
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده
 فيطول اللسان فيهم بالتعنى ثم ينشئ على نفسه ويقول إني لم أنظر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم
 القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد ترك نفسه ضمنا فيقول
 قصدي فلان بسوء فهلك واده وأخذ ماله أو مرض أو ما جرى مجراه يدعى السكرامة لنفسه أو ما باباهاته
 فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي وإن كانوا يصبرون على الجوع
 فكيف نفسه الصبر ليلهم ويظهر له قوته وهجرهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من أن يقال غيره

منه وينزل عليكم من
 السماء ماء ليطهركم به
 ويذهب عنكم رجز
 الشيطان - نزلت هذه
 الآية في المسلمين يوم
 بدر حيث نزلوا على
 مكثيب من الرمل
 تسوخ فيه الأقدام
 وحوافر الدواب - بقم
 الشركون إلى ماء بدر
 العظمى وغلبهم عليها
 وأصبح للمسلمين بين
 محمّد وجنّب وأصحابهم
 الظمّ فوروس لهم
 الشيطان أنكم تزعجون
 أنكم على الحق وفيكم
 نبي الله وقد غلب
 الشركون على لسان
 وأنتم تصلون محدثين
 وعجبين فكيف

(١) حديث أن رجلا ذكر بخبر للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذي
 ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سعة من الشيطان الحديث أحمد واليزار والدار قطن من حديث
 أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث
 كان أكرم الخلق وأنهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفوق في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليضربه ويعظم نفسه وأما ما بهاته فهو أنه يجتهد في الناظر أن يثلب ولا يثلب ويسهر طول الليل والتهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالناظر والجدول وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم ويحفظ الأحاديث الألفاظ وأما ما بهاته حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله وتقصان أقرانه ويغرض منها أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق التكبر وآثاره التي يشرها للتعزز بالعلم والعمل وأين من غلوا عن جميع ذلك أو عن بضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر^(١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه ثمرة أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك بالنسب وإن كان أرفع منه عملا وعلمًا وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطهم ومجالستهم ومخرجه على اللسان التفخيز فيقول لغيره يا بطل يا هندی ويا رومي من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لك أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مائة تسكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطع ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ قلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل^(٢)» فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف ينهر رسول الله ﷺ أنعرني لنفسه فضلا بكونه ابن مضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب ووقع من نفسه شجرة التكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اتخرا رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أما فلان ابن فلان حتى عدتعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل لذي اتخرا بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم^(٣)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لبدن قوم الفخر بأبائهم وقد صاروا لغما في جهنم أوليكون أهون على الله من الجملان التي تدرف بآنانها القدر^(٤)» . الرابع : التفاخر بالجمل وذلك أكثر

ترجون الظاهر عليهم
فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه
الوادي فتسرب للسفون
منه واغتسلوا وتوضوا
وسقوا الدواب وملئوا
الأشقياء ولبد الأرض
حتى ثبت به الأقدام قال
الله تعالى - ويثبت به
الأقدام. إذ يوحى ربك
إلى اللاتكة في معكم -
أمدم الله تعالى
بالملائكة حتى غلبوا
للكركين ولكل آية
من القرآن ظهر
وبطن وحد ومطلع
والله تعالى كما جعل
الناس رحمة وثمة
للمصابة خاصة في تلك
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم من كبر تقدم أبي ذر
قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قلت له يا ابن السوداء الحديث ابن البارك في البر والصفة
مع اختلاف ولأحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمروا
أسود إلا أن فضله يتقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما
للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السنن حديث أبي بن
كعب باسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر
بآبائهم وقد صاروا لغما في جهنم أوليكون أهون على الله من الجملان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنصص والثلب والقبية وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قتلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها ^(١) » وهذا منقوض خفاء التكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بقامتها واستصغرته المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت . الخامس : التكبر بالسال وذلك يجري بين الملوك في خزائهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدعاة في أراضيهم وبين للتجملين في لباسهم وخزولهم ومراكبهم فيستحقرون الفقير ويشكرون عليه ويقولون له أنت مكدر ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أفقر في اليوم مالا أنا كله في سنة وكل ذلك لاستغنامه للفنى واستحقاره للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الفنى وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن رزقنا أقل منك مالا ولولا فصي ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك وبرسل عليهما حسبنا من السماء فتصيح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لم أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه ذو حظ عظيم - السادس : التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والنفسان والعشيرة والأقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك في الكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يستند كال وإن لم يكن في نفسه كالا أمكن أن يتكبر به حتى إن المحدث لتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المحدثين لأنه يرى ذلك كالا فيفتخر به وإن لم يكن فله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد يتنخر بكرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والنفسان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان غطاء فيه فهذه جماع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالإمام الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله المون بلفظه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه الهيجة ٤)

اعلم أن التكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي غمرة وبسببها ينبغي أن تسمى تكبرا ويخص اسم التكبر بالباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالتكبر كما سيأتي معناه فإنه إذا أعجب بنفسه وعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما التكبر الظاهر فأسابجه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بهيها . أما السبب الذي في للتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بهيها هو الرياء قصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث التكبر الباطن والتكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فإنه يعمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر

وإن جبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قتلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة نعم لاؤمنسين
والنماس قسم صالح
من الأنعام العاجلة
للمريدين وهو أمانة
لقلوبهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالنوم تستريح ولا
تشكو الكلال والتعب
إذ في شكائتها وتعبها
تتكدّر القلب
وباحترامها بالنوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لما بين
القلب والنفس من
الواطأة عند طمأنينتها
للمريدين السالكين
قد قيل ينبغي أن يكون
ثلث الليل والنهار نوما
حتى لا يضطرب الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورمه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكمن من ردل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بضه له وبعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأئمة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستخه وإن ظلمه فلا يجترأ إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحمد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيداء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحمد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكمن من جاهل يشاقق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لا مستكانه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبضا عليه فهو يمرض عنه ويشكر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحمد يعنه على أن يامله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يتمتع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يشكر بالعجب أو الحمد أو الحقد فانه يشكر أيضا عند الخلوة به مهما لم يكن معها ثالث وكذلك قد يقتضى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يشكر به على من ليس ينسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطننا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن يجعله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق التواضعين وجماع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كصبر في وجهه ونظرة شرا وإطرأه رأسه وجالوسه متراجعا ومثكاته وفي أقواله حتى في صوته وتمتعه وصيته في الإيراد ويظهر في مشيته وتبخره وقيامه وجالوسه وحركاته وسكناته . وتعاطيه لأمر وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يشكر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يجب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد بين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يسبقون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه . قال أبو البرداء لا زال العبد يزداد من الله هداه ماشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يمشي عنهم في صورة ظاهرة ، وسمى قوم خلف الحسن البصري فنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غيارهم (٢) إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب (٣) .

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصلوة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فجمعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

لنوم ساعتين من ذلك
يجعلهما للريد بالهار
وست ساعات بالليل
وزيد في أحدهما
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصديق
الطلب ينقص النوم
عن قدر الثلث ولا
يضر ذلك إذا صار
بالتدريج عادة وقد
يجعل تقل السهر وقلة
النوم وجود الروح
والأنس فان النوم
طبعه بارد رطب ينفع
الجسد والماغ ويسكن
من الحرارة والبس
الحادث في الزواج فان

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين النبيين^(١). ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن آدم أن تعال غدنا فقام سفيان قبل له يائسا يسحق تبعث إليه بثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضع ومنها أن يستكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فسألتني عندي غداة فبعثت نفسي عنه فأخذ ثيابي فخرني إلى نفسه وقال لي لم تعملون بي ما تفضلون بالجارية وإني لأعرف رجلا منكم شر مني. وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تزعج يده منها حتى تنهض به حيث شاءت^(٢). ومنها أن يتوقى من محالة للرضى والمولودين ويتعاشى عنهم

قصص عن التواضع
الدهاغ ويغنى عنه
اضطراب الجسم فلذا
تاب عن النوم روح
القلب وأنه لا يضر
تقصانه لأن طبيعة
الروح والأنس باردة
رطبة كطبيعة النوم
وقد تقصر مدة طول
الليل بوجود الروح
فتصير بالروح أوقات
الليل الطويلة كالنصيرة
كما يقال سنة الوصل سنة
وسنة المجر سنة
فيقصر الليل لأهل
الروح. قل عن
علي بن بكارة قال:
منذ أربعين سنة
ما حزني إلا طلوع
القمر. وقيل لبعضهم

وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدرى قد تضرع على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده ناس من أصحابه يأكلون لما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه^(٣) وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقدم على ما لذته. ومنها أن لا يتعاطى بيده شيئا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأبني الضلام فقال هي أول نومة نلها فقام وأخذ البيضة وملا الصباح زينا فقال الضيف فمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال فبعث وأنا عمر وأنا عمر وأنا عمر ما قص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٤) وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكمال من كاله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا عبيدة أجول من السوق يعمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. وعن الأصمعي بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضي الله عنه مطلقا لحافي يده اليسرى وفي يده اليمنى البصرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدمر غنمه في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا، أبو الدبال أحق أن يعمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذاءة من الإيعان»^(٥) فقال هرون سألت معنا عن البذاءة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق ويده البصرة وعليه إزار فيه أربع عشرة قرعة بعضها من آدم وعوبت علي كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشي حلقهم فنزل عن ذلك فقال إني سمعت خفي فقالكم فأشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء^(٦) حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الثوب الجديد ورد الشراك الحاقق أو نزع الخيصة وليس الأنجانية وكلاهما تقدم في الصلاة^(٧) حديث أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تزعج يده منها حتى تنهض به حيث شاءت^(٨) حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقدم على ما لذته. ومنها أن لا يتعاطى بيده شيء في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأبني الضلام فقال هي أول نومة نلها فقام وأخذ البيضة وملا الصباح زينا فقال الضيف فمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال فبعث وأنا عمر وأنا عمر وأنا عمر ما قص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٩) وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكمال من كاله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا عبيدة أجول من السوق يعمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. وعن الأصمعي بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضي الله عنه مطلقا لحافي يده اليسرى وفي يده اليمنى البصرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضي الله عنه قد اشترى لحما بدمر غنمه في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لا، أبو الدبال أحق أن يعمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذاءة من الإيعان»^(١٠) فقال هرون سألت معنا عن البذاءة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق ويده البصرة وعليه إزار فيه أربع عشرة قرعة بعضها من آدم وعوبت علي كرم الله وجهه في إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إن لأخس ثوب هذين فأذكر قلبي ماداما
شيين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف
دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فما استخلف كان يشتري له الثوب بمئة درهم فيقول
ما أجوده لولا يئنه قليل له أن لباسك وسركبك وعطرك يأمر المؤمنين قال إن لي ثوبا ذوقوا ثوبها
لم تلق من الدنيا طبقة إلا اتلفت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذاعت الخلقة وهي أرفع الطباق تافت
إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قميص مرقوع الجلب من بين يديه ومن خلفه قال رجل يأمر المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست
فكسر رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل التصد عند الجدة وإن أفضل الفروع عند القدرة . وقال
صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضعا وإتقاء لمرشاته كان حقا على الله
أن يدخره لعقري الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .
وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر قال لا ولكن من سفه
الحق وغشم الناس (٢) فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته
أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إن امرؤ جب إلى من الجمال ماري (٣)
فعرف أن ماله إلى النظافة وجودة الثياب لا لتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب بدون قد يكون من التواضع وعلامة التكبر
أن يطلب التحمل إذا رآه الناس ولا يبالى إذا انحد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب
الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنوره داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الأحوال
نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء في
القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجب بهجوز أن لا يوجه
الكبر ثم يكون هو مورثا فكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من
الباس الذي لا يوجب شهرة بالجوقة ولا بإزداء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا
والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا عجية (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال
بكر بن عبد الله للزبي البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالمكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب الدناب الضواري البسوا ثياب اللوك وأميتوا قلوبكم بالحشية . ومنها أن يتواضع
بالاحتال إذا سب وأوذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما هل عن السلف من احتال
الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
وسلم فيه فينبغي أن يقتدى به . ومنه ينبغي أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الحدرى

كيف أنت والبل قال
مارعيت قط يرى
وجهه ثم يتصرف
وما تأملته . وقال
أبو سليمان الداراني
أهل الليل في ليهم
أشد قلة من أهل اليوم
في لهموم . وقال بعضهم
ليس في الدنيا شيء
يشبه نعيم أهل الجنة
إلا ما يجد أهل الجنة
في قلوبهم . قيل من
حلاوة للنجاة خلاوة
للنجاة ثواب عاجل
لأهل الليل . وقال
بعض الدارفين إن
الله تعالى يطلع على
قلوب السقيطين في
الأحبار فيملأها نورا
فترد القوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضعا وإتقاء لمرشاته كان حقا على الله أن يدخره لعقري الجنة
وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة الله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل
عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر قال لا الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس
قال لقيت صلى الله عليه وسلم إن امرؤ جب إلى الجمال الحديث هو الذي قبله في السائل وقد تقدم
(٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا عجية للنسائي وابن ماجه من رواية
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذي
وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها للصف حديثا واحدا .

ما ترى فيها أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والطعم فقال يا ابن أخي: كل لله واشرب لله وابس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباحة أو رياء أو صفة فهو مصيبة وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يجالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يلفف الناضع ويقلل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخفف الثمل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطمئن عنه إذا أحميا ويشتري الشيء من السوق ولا يئمنه من الحياء أن يلقه يده أو يجمله في طرف نوبة ويقلب إلى أهله يضافع الثني والتقدير والكبير والصغير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صفيرو كبير أسودا وأحمر أراو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة مخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر مادي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداة لعشاء ولا عشاء لعداء هين المؤمنين والخلق كريم الطبيعة جميل العائشة طليق الوجه يسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مفلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يمش قط من شيع ولا يمد يده من طمع قال أبو سلمة قد دخلت على عائشة فرضي الله عنها فحدثتني بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفا ولقد قصر إذا أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتل قط شيئا ولا يمتل إلى أحد شكوى وإن كانت القاعة لأحب إلي من الناس والنبي وإن كان ليظلم جالسا يبتلى ليلته حتى يصبح لما يمنه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمته بما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الفداء لو بلغت من الدنيا بقدر ما قوتك وبمنك من الجوع يقول بعائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فنبوا على حالمهم وتدنوا على ربه فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجندني أستحي إن ترفعت في معيشتي أن يقصرني دونهم فأمر يا أماه بسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من الحقوق إخواني وأخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١). فما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به فما أشد جهله فقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رخصة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب المزم في غير ما عوتب في بدانة حيث عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : أعلم أن لله عبادا يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النبوة لامة الصدر لجميع السليين والصيحة لهم ابتداء مرضاة الله بصبر من غير تحيبن وتواضع في غير مذلة هم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعمائة صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . وأعلم يا أخي أنهم لا يلبسون شيئا ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالج في بيته كان يلفف الناضع الحديث وفيه قال أبو سلمة قد دخلت على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ما أخبرك أنه لم يمتل قط شيئا الحديث بطوله ثم ألق لمعا على إسناده .

فستبشر ثم تنكر من قلوبهم الفوائد إلى قلوب الدافقين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عبادا يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم ويذكرونهم وأذكروهم وينظرون إلي وأنظر إليهم فإن حدثت طريقتهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مفنكت قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالهار كإبراهيم الرامي عنقه ويحنون إلي غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فاذا

ولا يحزنوه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرسون على الدنيا ثم أطيب الناس خيرا أوليهم عريكة وأسماخهم قسا علامتهم السخاء وسجنتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليومى خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حلم الظاهر وهم فيها بينهم وبين ربهم لاندركهم الرياح المواصلات ولا الحيل الهجرة قلوبهم تصعد ارياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدماء في اسباق الحيرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم القاهون . قال الراوى : قلت يا أبا الدرداء ما صمت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبغض حبك للآخرة زهد في الدنيا وبغض ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتفه بالصحة . واعلم يا ابن أخى أن ذلك في كتاب الله تعالى اللز . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلاذ الثلاثة دون مثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يحل أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التقي بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القائمة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مفرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . القام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعمل ولا يتم الشفاء إلا بجموعهما أما العلمى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكتفي بذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والتذلة والهيمنة وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالتوكل فيه بطول وهو منتهى علم الكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا بطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والتذلة ويكتفي أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فحنت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما كفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه قدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشده - فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شيء أخس وأقل من الحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما وقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والتعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يمشى ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بعوته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعباه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكفه قبل نطقه وبضلالته قبل هداياه وبفقره قبل غناه وبجزئه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أى شيء خلقه من نطفة خلقه قدره - ومعنى قوله - هل آتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - كذلك خلقه أولا ثم امتحن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تبصر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميا بصيرا إنا هديناه

جنهم الليل واختلط
الظلام وخال كل حبيب
بحبيه نصبوا إلى
أقدامهم واقرشوا إلى
وجوههم وتاجسون
بكلوى وتعلموا إلى
إنعامي فبين صارخ
وباك وبين متأوه
وشاك بين ما يتحملون
من أجل وبسمي
ما يشكون من حبي
أول ما أعطيهم أن
أقذف من نوري في
قلوبهم فيخبرون عني
كما أخبر عنهم والثاني
لو كانت السموات
السبع والأرضون
وما فيها في موازينهم
لاستقلتها لهم والثالث
أقبل بوجهي عليهم

السيل إما شاكراً وإما كفوراً - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً وأصمه بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر وقوّاه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأبشعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف وبره وصوّره وإلى السيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا - وخيم بين سومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم حسر تنسرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف تفقه من تلك الدقة والقفو والحجة والقدارة إلى هذه الرضوخة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم وحياً بعد الموت وناطقاً بعد البكم وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وعالماً بعد الجهل ومهدياً بعد الضلال وقادراً بعد العجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء مؤثّر شيء أخسر من لا شيء وفيه قوة أقل من العدم المحض ثم صار بالله حيثاً وإنما خلقه من التراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمتها وجلاله وأنه لا يليق بالكبرياء إلا به جلّ - وعلا ولذلك آمنّ عليه فقال - ألم نجعل له عينين ولساناً وشفعتين وهدىناه الجدين - وعرف خسته أولاً فقال - ألم يك نطفة من منيّ ثم كان علقه - ثم ذكر منته عليه فقال - خلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ليذوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع فمن كان هذا بذوّه وهذه أحواله فمن أن له البطر والكبرياء والفخر والجلال - وهو على التحقيق أخسر الأشخاص وأضعف الصفات ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته فتمخّج بأفقه وتمظّم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطنّي وينسى للبداً والنهْي ولكن سلط عليه في دولم وجوده الأمراض المهاللة والأسقام العظيمة والأفات المختلفة والطباع المتضادة من اللزوّ والبغيم والريح والنم يهيم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجوع كرها ويسعطى كرها ويعرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه شأماً ولا ضراً ولا خيراً ولا شرّاً يريد أن يعلم الشيء فيجعله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويشغل عنه فلا يفتل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشيء ويرى أن يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنفخ وتعييه ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب محمه وبصره وتلقح أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقي وإن اختطف في عبد مملوك لا يتدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأبى شيء أدلّ منه لو عرف نفسه وأبى يليق السكر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليأمله. وأما آخره ومورده فهو اللوث للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - ومعناه أنه يسلب روحه ومحمه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول مرة لا يلقى إلا هكل أعضائه وصورته لاحق فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة لفترة كما كان في الأول نطفة مذرة ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتخر عظامه ويصير رمياً رفاتاً ويأكله الدود أجزائه فيبتدىء بحديقته فيقلعها ويخديه فيقطعها ويسائر أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستفدّره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإتيان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يصل منه الكبران ويصير منه البنيان فيصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً صار كأن لم يكن بالأمر حصيداً

أفترى من أقبلت
بوجهي عليه أيسلم أحد
ما أريد أن أعطيه
فالصالح للريد إذا خلا
في ليله بمنجاة ربه
انتشرت أنوار ليله على
جميع أجزاء نهاره
ويصير نهاره في حماية
ليله وذلك لامتلاء قلبه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريفه بالهار
تصدر من منبع
الأنوار المتشعة من
الليل ويصير قلبه في
قبة من قباب الحق
مسدداً حركاته موفرة
سكاته. وقد ورد من
صلى بالليل - من وجهه
بالنهار - ويجوز أن
يكون لعينين: أحدهما

كما كان في أول أمره أمداً مديداً ولته بقي كذلك لما أحسنه لترك زبانا ، لابل يحبه بعد طول البلى
 ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للتفرقة ونخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى
 قيامة قائمة وساء مشقة حمزة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة وقميص منكسفة وأحوال
 مظلمة ومللثة غلاظ شداد وجهم زفر وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة
 فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها
 وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكبان عليك ما كنت تتطرق به أو تعلمه من قليل
 وكثير وقبر وقطير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحساء الله عليك فهم إلى الحساب
 واستمد الجواب أوتساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر
 الصحيفة ويشاهد ما فيها من هزاهي فإذا شاهده قال سيأولتنا الملهذا الكتاب لا يادر منيرة ولا كبيرة
 إلا أحساها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فمالئ هذا حاله والتكبر
 والتعظم بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر قد ظهر له أول حاله ووسطه ولو
 ظهر آخره والعباد بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلباً أو خنزيراً ليصير مع البهائم زبانا ولا يكون
 إنساناً يسمع خطاباً أو يلقي عذاباً وإن كان عند الله مستحقاً للثأر فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع
 إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يمزج عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق
 ولو رأى أهل الدنيا العبد للذنوب في النار لصغروا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ربحه
 لماثوا من قتله ولو دقت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أثمن من الحيفة ثلث
 هذا حاله في العاقبة إلا أن يغفو الله عنه وهو على شك من العقوبة كيف يفرح ويطر وكيف يتكبر
 ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئاً حتى يستغفله فضلا وأى عبد لم يذب ذنباً استحق به العقوبة إلا أن
 يغفو الله الكريم بخضله ويجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله
 أرايت من جنى على بعض اللوك فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط لحبس إلى السجن وهو ينتظر أن
 يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدري أينى عنه أم لا كيف يكون ذله
 في السجن أقرى أنه يتكبر على من في السجن وامان عبد مذنب إلا الدنيا سجنه وقد استحق العقوبة
 من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكتبه ذلك حزنا وخوفاً وإشفاقاً ومهاوناً ولا يذمها
 العلاج العلمي القامع لأصل الكبر أو أما العلاج العملي فهو التواضع بالله والفعل واللسان والخلق بالمواظبة على أخلاق
 للتواضعين كما وصفناه وحكيانه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه
 «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كما يأكل العبد» (١) وقبل لسان لم تلبس ثوبا جديدا
 فقال إنما أنا عبد فإذا أعنت يوما لبست جديدا أشار به إلى الحق في الآخر فولايتهم التواضع بعد المعرفة
 إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين
 وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جعلها ما فيها من التواضع بالثقل والثبات بالركوع والسجود
 وقد كانت العرب قديما يأفنون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا يمتحن لأخذه
 وينقطع شراك نعله فلا ينكسر رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام يا بخت الله عليه وسلم
 على أن لا آخر إلا قاشما فبأيه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم فقه وكل إيمانه بعد ذلك (٢)

أن الشكافة تستدير بالمصباح فإذا صار سراج اليقين في القلب زهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقا وتتمسك به مشكاة القلب نوراً وضياء . كان يقول سهل بن عبد الله اليقيني نار والإقرار خفية والعمل زينة وقد قال الله تعالى - سيام في وجوههم من أثر السجود سوفال تعالى - مثل نوره كشكاة فيها مصباح - فخور اليقيني من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء يزمت العمل فبقى زجاجة

- (١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد كل كما يأكل العبد تقدم في آداب العبادة
- (٢) حديث حكيم بن حزام يا بخت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قاشما الحديث رواه أحمد مقتصر على هذا وفيه إرسال خفي .

فلما كان السجود عندهم هو منتهى القلة والضعف أمروا به لتكسر بذلك خيالهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود وللثول قائما هو العمل الذي يتخذه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأحوال فليواظب على إخضاعه حتى يصير التواضع له خافا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت . لقام الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأشياء السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عدهما مما يغنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يصير على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يثره الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بعمرة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تميز بكمال غيره ، وكذلك قيل :

لئن غرت بأباه ذوى شرف لقد صدقت ولكن بش ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خيسا في صفات ذاته فمن أين يجر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بولى إنسان أشرف من الدودة التي من بولى فرس هبأت بل هما متساويان والتسوية للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجهه البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسبه من سلالة من ماء مهين - فمن أسفه التراب الهين الذي يداى بالأقدام ثم خر طينة حتى صار حما مستونا كيف يتكبر وأخس الأعيان ما إليه انتسابه إذ يقال بالأذل من التراب وأنتن من الحماة وما أقدر من الضعة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب . فنقول : افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والضعة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رضة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفعت وإذا لم يكن له رضة فمن أين جاءت الرضة لو لمه فاذن أسفه من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فلا أصل يوطأ بالأقدام والفصل تقبل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله يمد هذه للرفة وانكشف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والدها فلم يزل فيه نخوة الشرف فيبين هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتماطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبقى شيئا من كبره لابل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشار الحزى لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والضعة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتماطى بقل التراب أو يتماطى بالحمأة أو غير هال كان سلم به خسة نفسه لمعاسة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأعضاء القفيرة التي يثره عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايع ما يكدر عليه تميزه بالجمال فانه وكل به الأفقار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثاق والمخاط في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصدید تحت جبرته والصدان تحت إبطه بغسل الغائط يده كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بينه

القلب كالكوكب
الدرى وتمكس أنوار
الزجاجة على مشكاة
القلب وأبصار
القلب بشار النور
ويسرى إليه إلى القلب
فيلين القلب للين القلب
فيقتشاهان لوجود اللين
الذي عندهما . قال الله
تعالى - ثم نلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكرا الله -
وصف الجلود باللين كما
وصف القلوب باللين
فاذا امتلأ القلب بالنور
ولان القلب بما يسرى
فيه من الأنس
والسرور يندرج
الزمان والمكان في نور
القلب ويندرج فيه
الكلم والآيات والنور

لاستغفره فضلا عن أن يسه أو يشبه كل ذلك ليعرف قدرته وذل هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشبهة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من اللب ثم مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقتدر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعبد بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرو إذ رآه يتبخر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتهددها بالتنظيف والتسل ثارت منه الأتتان والأقدار وصار أثنى وأقندر من اللواب لله للهملة التي لا تمهد نفسها قط فانا نلحظ أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيحوت فيصير جيفة أقندر من حائل الأقدار لم يتغير بجماله الذي هو تكسراه للدمن وكون الأزهاري في الوادي فيينا هو كذلك إذ صار هشيا تدرره الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على التبيح إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجليل إليه حق بمحمد عليه ، كيف ولا يقاه له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدي أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جملة قد سمجت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملا .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى وبمنه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من الملل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أهيم من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الله باب شيئا لم يستغفله منه وأن لو دخلت في أهة أو نعة دخلت في أذنة تقتله وأن شوكة لو دخلت في رجله لا تعجزه وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا يتجبر في مدة فمن لا يطبق شوكة ولا يقاوم بقعة لا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يتختر بقوة ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأى اختار في صفة يسبقك فيها البهايم السبب الرابع والخامس : النقص وكثرة اللال وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتكبر من جهنم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فان التكبر بما له كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لماد ليلاد التكبر يتمسك بالسلطان ولا يته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان أذلا خلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف وللتكبر بالنفى لو تأمل لراى في اليهود من يزيد عليه في النفي والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونسكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل مائس إليك فليس لك شيء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه لك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفتخر القائل بقوته وجاهه وماله وحريته واستقلاله وسعة منزله وكثرة خيوله وغلمانة إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء ماله كفاؤه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يغنى أن يعاقبه وينكس به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب ماله ليعرف أن له ماله كما نظر البصير فرأى نفسه محبوبا في منزل قد أحدثت به الحيات والعقارب والهوام وهو على كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص ابنة أقرى من هذا حال هل يفخر بقدرته وبروته وقوته وكأله أم تثلل نفسه وبخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض وأرض
القالب : نور ربها إذ
يصير القلب صماء
والقالب أرضا ودة
تلاوة كلام الله في عمل
للتناجاة تستر كون
الكائنات والسلام
المجيد بكونه ينوب
عن سائر الوجود في
مزامحة صفو الشهود
فلا يبقى حيث لا نفس
حديث ولا يسبح
لهاجس حسيس وفي
مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من
فأخته إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
تس وذلك هو الفضل
العظيم . الوجه الثاني
قوله عليه السلام

عاقب بصرفاته يرى غشه كذلك فلا يملك رقبته ويبدنه وأعضائه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بوقته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا الطريق علاج التكبر بالأسباب الحاركة وهو أهن من علاج التكبر بالعلم والعمل فاتها كالأن في النفس جذيران بأن يفرح بمحاولته لكن التكبر بهما يضاهون من الجهل حتى كاستدركه.

السبب السادس : السكر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدوية وأبعدا عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر اللال والجلال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا إذا كان معهما علم وحمل، ولذلك قال كعب الأحبار : إن العلم طغيانا كطغيان اللال ، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زلزل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستنظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة مانطق الشرع بغضائل العلم ولأن يقدر العالم على دفع السكر لا يعرفه أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم جنباته ألحق إذا لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم وذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالأم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدورها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا أتبه وأنهي عن الشر وآتبه » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يصل بالمحار والسكر فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراده علماء اليهود ، وقال في بله من باعوراء - وأما عليهم نيا الذي آتيناها فأنسلخ منها - حتى بلغ - فثله ككل السكر إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أولي يعلم كتابا فأخذ إلى شبوات الأرض أي سكن جبه إليها فثله بالسكر - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - أي سواء آتيت الحكمة أو لم أوتها لا يدع شهوته ويكني العالم هذا الحظر فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتبه فهما خطر عالما عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الحظر العظيم الذي هو يصده فإن خطرته أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك الماطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر اضتهى أن يكون قد كان قتيلا فسكر من عالم شهته في الآخر تسلامة الجاهل والعياذ بالله منه فهذا الحظر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخزيير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : يا ليتني لم تلدني أمي وأخذ الآخر تبنه من الأرض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنه ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتني لم ألك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فسكره في الحظر الذي هو يصده زال بالسكرية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبدا أمره سيده بأمر فصرع فيها فتركه بسفها وأدخل النقصان في بسفها وشك في بسفها أنه هل أداها على ما يرضيه سيده أم لا فآخره خبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج به من كل ما هو فيه عرفنا ذليلا وطلبه على باب في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به الجهد أمر برفع حسابه وقش عن جميع أعماله قليلا وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد لعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وغضا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فاذا فكر

(١) حديث يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلنظ يؤتى بالرجل وتخدم في العلم

ومن صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه أن وجوه أموره التي يتسوجه إليها تحسن وتتدارك للعودة من الله الكرم في تصاريفه ويكون معانا في مصدره ومورده فيحسن وجهه مقاصده وأفعاله ويتنظم في سلك السداد مسددا أوفوه لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للنية على قيام الليل وأدب النوم] فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب شمس تجديده الوضوء ويتمد مستقبلا

في ذلك انكسرت قسمة وذلك وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يشكر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول المذاب فسد ذلك العالم إذا شكر فبأنه من أوامر ربه بجنائيات على جوارحه ويذنب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والتفاخر وغيره وعلم مما هو بسدده من الخطر العظيم فآرقه كبره لاحالة الأمر الثاني: أن الما يصر أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار محموتا عند الله فيضاً وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن ذلك عندي قدراً مالم تر نفسك قدراً فإن رأيت نفسك قدراً فلا قدر لك عندي فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصور ذلك وهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من تازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصرخوا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلم لهذا أيضاً مما يمتد على التواضع لاحالة . فان قلت فكيف يتواضع للفاسق للتظاهر بالنسب ولله يتدع وكيف يرى قسمة دونهم وهو عالم بآيد وكيف يحمل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف ينبغي أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق وللبتدع أكثر . فاعلم أن ذلك إما يمكن بالتفكير في خطر الخاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يشكر عليه إذ تصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والسكب والخزير أي رتبة من هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكف من مسلم نظر إلى مهر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستحقره وزاد له الكبر وقد رزقه الله الاحلام وفاق جميع السليين إلا بالبرك وحده فالعواقب مطوية بين البعاد ولا ينظر الماقل إلا إلى العاقبة وجميع التفاضل في الدنيا تراءد للعاقبة فاذن من حق البعد أن لا يشكر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصى الله يجهل وأنا عصيته فلم فهو أعذر مني وإن نظر إلى عالم قال هذا عظم عالم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبل فكيف أكون مثله وإن نظر إلى منير قال إن عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله بخته إلا بالسلام ويحتمل بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كماله يكن ابتداءها إلى فبملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن قسمة وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فانيا يظهر في الدنيا مما لا يقاؤه له ولعمري هذا الخطر مشترك بين التكبر والتكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى قسمة مشغول القلب بخوفه لما قبله لا أن يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وعققة كل إنسان على قسمة فإذا حبس جماعة في جنايتهم وعدوا بأن تخرب رفاقهم لم يترغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن همهم الخطر لا يفعل كل واحد منهم قسمة عن الالتفات إلى قسمة غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيئته وخطره . فان قلت فكيف أجنس للبتدع في الله وأجنس الفاسق وقد أمرت بينهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشبه بيلبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البسعة والتسقي بكبر النفس والادلال بالملم والورع فكف من عابده جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جالساً بهذه الصفة هجم عليه عند وتزده عنه بكبر باطن في قسمة وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بن إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على اللطيف ظاهر كونه شرراً والحد منه يمكن والكبر على الفاسق وللبتدع يشبه التضب لله وهو خير فان التضايق أيضاً يشكر على من غضب عليه وللتكبر غضب وأحدهما يشر الآخر وبوجه وها يمتزجان ملتصقان لا يميز بينهما إلا اللوحون والبدى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور:

القلب منتظراً مجيء
الليل وصلاة المغرب
مقياً في ذلك على أنواع
الأذكار ومن أولها
التسبيح والاستغفار
قال الله تعالى لئن لم
استغفر لربك وسيع
يحد ربك باللعن
والإكثار من ذلك أن
يوصل بين العبادين
بالصلاة أو بال تلاوة
أو بال ذكر وأفضل ذلك
الصلاة فانه إذا واصل
بين العبادين ينسل
عن باطنه آثار
الكدورة الحادثة في
أوقات التهار من رؤية
الخلق ومخالطتهم وسماح
كلامهم فان ذلك كله
له أثر وخدش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله اللذة فيه لآلئك قترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إيهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحق حتى يشغل الخوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تعجب لمولائك وسيدك إذ أمرك أن تعجب له لالفك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاصة ، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على التسبب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هو قره عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمر أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويضرب عليه فان كان الغلام يحيا مطيعا لمولاه فلا يجد بد أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يضرب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب باستئصال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لاهالة من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى البدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك تعجب بحكم الأمر بحجة لمولائك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع . وأما القورر فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية القورر فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانته بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كمن كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي » (١) إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لما عامل بسله وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما جسد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر غائبا عنه لم يجز له أن يحتقر علما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لدوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق فذهب واحد كان يحبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقت به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خاتما فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خاتما على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك بمنه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب
كدر في القلب يدركه
من برزق صفاء القلب
فيكون أثر النظر إلى
الحق البصيرة كاللذني
في السنين للبر
وبالمواصلة بين
المساكين برجي ذهب
ذلك الأثر . ومن ذلك
ترك الحديث بعد
المشاة الآخرة فان
الحديث في ذلك الوقت
يذهب طراوة النور
الحادث في القلب من
مواصلة المشاكين
ويقيد عن قيام الليل
سبا إذا كان عريا
عن بقطة القلب ، ثم
تجديد الوضوء بعد
المشاة الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقّه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فله أقل منه ذنوباً وأكثر منه عبادة وأشد منه جباةً . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنباً لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيره في طول العمر لا تعد على إحسانها حتى تبلغ السكرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالرأيت منه القتل والشرب والرافع ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والنيل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتحيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محموقاً وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريباً عندك إن كنت مشفقاً على نفسك فلا تتكبر فيما هو ممكن لتترك ما فيها هو مخوف في حقله فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئاً من عذابك فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فهد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيراً منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعاً قبله إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتعى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا سينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خافاً من العاقبة ويقول لعل به هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقاً كريماً بينه وبين الله فيرحمه الله ويثوب عليه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن فيما أظهره من الطاعات أن يكون دخلها الآفات فأحببها ثم قال حينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقياً وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فما السبيل إلى أن يتكبر حاله من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيراً من نفسه وذلك هو القضية كما روى أن عبداً أوى إلى جبل فقيل له في النوم أنت فلانا الاسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فساء له عن عمله فأخبر ما أنه يصوم النهار ويكتب فيصدق يمينه ويصوم عياله يصنع فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتى في النوم ثانياً فقيل له أنت فلانا الاسكاف قل له ما هذا الصغار الذي يوجهك فأتاه فساء له فقال له ما رأيت أحداً من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الحصة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للملائكة عليهم السلام مع تفضيهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى عبراً عنهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - فلي رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل ويتكشف عنه خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يفسده العابد بإضمار الكبر واحتار الخلق والنظر إليهم بسين الاستعارة أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

متين على قيام الليل .
حكى لي بعض الفقهاء عن شيخ له بخراسان أنه كان يقتل في الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الأخيرة ومرة في أثناء الليل بعد النوم مرة قبل الصبح فلو ضوه والنسل بعد العشاء الأخيرة أثر ظاهر في تسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يخلب النوم فان التعود على ذلك يمين على سرعة الابتداء إلا أن يكون واتها من نفسه وعادته فيعمل التسوم

لاغير إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضرر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في الدواوة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تسكن بالعدل وتجرب بأفعال التواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس ، ويأمنه أن يجتنب النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج مالى الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة : الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتوجيهه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبرا دفينا فليقل الله فيه ويشغل بصلابه ، وأما من حيث العلم فإن يذكر نفسه خسة نفسه وخوارقته وإن الكبر لا يلبق إلا بالله تعالى وأما العمل فإن يكلف نفسه ماثل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والتناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نهيتي له فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا انطب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما قل عليه التناء على أقرانه بما فيههم فقيه كبر فإن كان ذلك لا يتقبل عليه في الخلوة ويشغل عليه في اللأفانيس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بمذاكراته من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كاله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن تقل عليه في الخلوة واللأفانيس جميعا فقيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمنى خلفهم ويجلس في الصدور تحتمل فإن تقل عليه ذلك فهو شكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فذلك زياده الكبر وهم بالاشيطان مكيدة وهم أن يجلس في صف الصالح أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأروال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر أن ذلك يخف على هوس التكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكاتهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم مجتنب ولا ينقطع عنهم إلى صفائه ال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يحب دعوة الفقير ويسر إلى السوق في حاجة الرقاء والأقارب فإن تقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من المكاتم الأخلاق والتواضع عليها جزيل نفور النفس عنها ليس إلا الخبث في الباطن فليشتغل بازائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يعدل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقاته من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان يتقبل ذلك على مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يتقبل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعالها الهلكة له إن لم تتدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها اللوث لهامة والقلوب لا تدرى السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إيا من أنى الله بقلب سليم - ويرى عن عبدالله بن سلام أنه حمل حزمة حطب قليل له يا أبابوسف قد كان في غفائك وبنتك ما يكتفيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يغم منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر ومن حمل الفاكهة أو الشيء قد يرى من الكبر ^(١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثيابا بسيطة فإن غور النفس عن ذلك في اللأرباء وفي الخلوة كبر . وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة قد يرى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بإسناد من حمل بضاعته .

ويستجلبه ليقوم في وقته الممود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين والطالبيين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم القرقى وأكلهم أكل للرضي وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهمت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستغراق وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قل صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد أكمل بالأرض وألبس الصوف وأعقل البعير وأدق أصابي وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سقني فليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له «إن أنوما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عبادة فصل فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فاجتنب بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فاعرف فإن من لا يبرق الثمر لا يتيقنه، ومن لا يدرك للرض لا يداويه».

(بيان غاية الرضا في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفة التي يميل إلى الريادة يسمى تكبراً وطرفة التي يميل إلى القنصان يسمى تواضعاً. والواسطة تواضعاً. والحمد أن تواضع في غير مذلة ومن غير تخاسر فإن كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أواسطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه والم إذا دخل عليه إسكاف فتحنى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له له وغدا إلى باب الله أرخفه فقد تخاسر وتذل، وهذا أيضاً غير محمود بل الممود عند الله العدل، وهو أن يعطى كل ذي حق حقه فيض أن تواضع بعثل هذا لأفرائه ومن يقرب من درجته فأما تواضع فهو في القوام والبشرى الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فأذن سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع الممود في محاسن المعادات ليزول به الكبر عنه فإن خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فإن خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التخلق والتخاسر فقد خرج إلى طرف القنصان، فليرفع نفسه إذ ليس للؤمن أن تدل نفسه إلى أن جود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف القنصان وهو التخلق أهون من الميل إلى طرف الريادة بالكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمَد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، وتهيئة التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أخفى، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التقتص والتندلل مذمومان وأحدهما أفتح من الآخر، والحمد المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشعر والمادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

النظر الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى «يوم نحين إذ عجبتكم كثيراً فلم تنته عنكم شيئاً» ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم ما انتهت حسرتهم من الله فأفاهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحسنتهم وهو كهم وقال تعالى - وهم يعجبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم البعري ضيف جداً.

(٢) «إنما أنا عبد أكمل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعنه ولم أجد بيقته».

هو التجاني الذي قال الله تعالى - تجاني جنوهم عن الضائع - لأن المهم بقيام الليل وصدق المزمعة يجعل بين الجنب والضائع نبوة أو تجانياً وقد قيل للنفس نظران: نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام السلوية الروحانية. فأرباب المزمعة تحافت جنوهم عن الضائع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام السلوية الروحانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوا حاضنها فأنفس

يجب الانسان بصل هو عظمى. فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه. وذال صلى الله عليه وسلم
 ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) وقال لابي ثعلبة حديث كذا آخر
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن نكسك (٢) » .
 وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تاتى إلا بالاسمى
 والطلب والجد والتشمر والقنوط لا يسمى ولا يطلب والعجب يستدئنه قد سعد وقد فطر برأيه فلا يسمى
 فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد
 القنوط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت
 خيرا فلا تقل حملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أى لا تمتدوها أنها بارة وهو معنى العجب وروى طلبة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفة فكأنه أعجبه فله
 العظيم إذ فداء بروحه حتى جرح ففترس ذلك عمر فيه فقال ما زال يرفق بطلعة نأو منذ أصيبت أصبح
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والتأوه هو العجب في اللغة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحترس مسلما
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلعة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان
 لا يتخلص من العجب أمثاله فكيف يتخلص الضفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن أبيت
 نأما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت نأما وأصبح مصعبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لولم تذبذبا
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب (٤) » فجعل العجب أكبر الذنوب . وكان يبرن منصور
 من الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة فلو أظنبت على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر
 قطن له بشر ، فلما أنصرف عن الصلاة قال له لا يصيبك مارأيت منى فان إيطيس لعله الله عبد الله
 تعالى مع للثبته مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه . وقيل لما شق رضى الله عنها من يكون الرجل
 مسيا قلت إذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى - لا يظنوا صدقاتكم بالبن والأذى - وإن نتيجة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا .

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كاذكرناه فتولد من العجب
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع البداء . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى
 نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا بد كرها ولا يتفقد لها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فبذلك أهواها
 يتذكر منها فيستصره ولا يستظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يفرقه . وأما العبادات
 والأعمال فانه يستظمها ويتبعج بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتحسين منها ثم
 إذا أعجب بها عصى عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيها فان الأعمال الظاهرة
 إذا لم تكن خالصة حية عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد من يخلب عليه الإشفاق والخوف
 (١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث لابي ثعلبة إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن نكسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث
 وروى طلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفة البخاري من رواية قيس
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلعة شلاء ولى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لولم تذبذبا
 عليك ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب البرزى وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث
 أنس وفيه سلام بن أبي الصهراء قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه
 أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جدا .

بما فيها مركز من
 التراب والجدادة ترسب
 وتستحس وتستغل
 النوم . قال الله تعالى
 - هو الذى خلقكم من
 تراب - ولأدعى بكل
 أصل من أصول خلقه
 طبيعة لازمة له .
 والرسوب صفة التراب
 والكل والتقاعد
 والتناوم بسبب ذلك
 طبيعة فى الانسان ،
 فأرباب الهمة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى - آمن
 هو قانت آتاه البقل
 ساجدا وقائما - حتى
 قال - قل هل يستوى
 الذين يلون والذين
 لا يلون - حكم هؤلاء
 الذين قاموا بالبقل العلم

دون العجب والعجب يتر بفسه ورأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويعمدها ويذكرها وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة من الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستكنف من سؤال من هو أعلم منه وربما يجب بالرائي الخطأ الذي خطره فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح تاصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بين الاستجوال ويصر على خطئه فإن كان رأيه في أمر ديني أو دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بهما الدين وواجب على مدرسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثلة من آفات العجب فذلك كان من الله لكات ومن أعظم آفاته أن يفتري السمع لظنه أنه قد فاز وأنه قد استثنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته .

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كالأدلة والمكالم كمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره . حالتان : إحداهما أن يكون خائفا على زواله ومشتقا على تنكده أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورضة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فإذا العجب هو استمطار النعمة والركون إليها مع انسيان إضافتها إلى النعم فإن انضاف إلى ذلك أن غاب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الناسي حتى هذا إدلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعين عليه فيكون معجبا فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لا تمدل بملك وفي الخبر « إن صلاة للدل لأتضع فوق رأسه ولأن تضعك وأنت متصرف بدينك خير من أن تبكي وأنت مدل بملك » (١) والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فإن توقع إجابة دعوته واستشكر ردها ياطنه وتجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات التكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلّة العجب الجهل المحض فعلاجه العرف للضادة لذلك الجهل قطع فلنفرض العجب بفضل داخل تحت اختيار البعد كالعبادة والصدقة والفرو وسياة الخلق وإصلاحهم فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يجب بمن حيث إنه فيه حديث إن صلاة للدل لأتضع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

(١) حديث إن صلاة للدل لأتضع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع عليهم
أزعموا النفوس عن
مقار طيبتها ورقوها
بالنظر إلى الذات
الروحانية إلى ذرا
حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن الضامع
وخرجوا من صفه
القل الهاجع . ومن
ذلك أن يشهد العادة
فإن كان ذا وسادة
يترك الوسادة وإن
كان ذا وطاء يترك
الوطاء وقد كان بعضهم
يقول لأن أرى في يدي
شيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعوني إلى النوم
وتتيسر العادة في
الوسادة والغطاء .

فهو محله ومجره أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فهو هو محله ومجره لا يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن الملح مسخر ومجرى لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يسبب بما ليس إليه وإن كان يجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عملها أنها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدل بها فينبغي أن يكون إعجابه بمجود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز اللك للزمانه ونظر إليهم وخلع من جماتهم على واحد منهم للصفة فيه ولا الوسيلة ولا الجمال ولا الخدمة فينبغي أن يتعجب للتم عليهم من فضل الملك وحكمه وإثارة من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يجب هو بنفسه ، نعم يجوز أن يجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا ينظم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فتو لا أنه تفضل في صفته من الصفات المحموده الباطنة لا التقضى الاشارة بالخلة ولما آثرني بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب به بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأنني صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا تفصل وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق اللوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك اللوك اللورد باختراع الجميع اللورد بإيجاد الوصف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت وقتي للعبادة لحي له فيقال ومن خالق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدئك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بمجوده إذ أنه بوجودك وجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لامني لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بملكه وعجب الجليل بجماله وعجب الثني بفضله لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والملح أيضا من فضله وجوده . فإن قلت : إن أعجبتني أن أجعل أعمالى وآنى أنا عملها فأنى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عمل لما انتظرت ثوابا فإن كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال منى وبقدري فكيف لا أعجب بها . فأعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مساهمة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رعى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إصرار العين بل خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والملم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنق شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في الضوء قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريج في الخلق شيئا بعد شيء . هو الذي خيل لك أنك أوجدت هملك وقد غاطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على محل هو من خلق الأشياء تخريره في كتاب الشكر فإنه أليق به فأرجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مساهمة ما وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأثير في ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزيمته يشبه على ذلك
بتيسير مرام ومن ذلك
خفة اللدة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذكر
الله ويظن الباطن
أعان على قيام الليل
لأن بالذكر يذهب
داؤه فإن وجد لطعام
تقلا على اللدة فينبغي
أن يعلم أن الله على
القلب أكثر فلا ينال
حتى يذهب الطعام
بالذكر والتلاوة
والاستغفار قال بعضهم
لأن أقص من عتاني
لعدة أحب إلى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لآنك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا للفتاح يد الله ومهما لم يعطك للفتاح فلا يعطيك العمل فالعبادات خزان بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي يد الله لآنك لا ترى خزان الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها لآقت سنة لم يكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك للفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن للفتاح وسلطك عليها وممكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن للفتاح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن الزئونة في تحريك اليد بأخذ المال قرية وإنما الشأن كله في تسليم للفتاح فكذلك مهمة خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصورف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البواعث وصرفت العوائق وتيسر الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وفضله وكرمه في إثارة إليك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخذان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرفت عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جربة سابقة من الفاسق العاصي بل آتراك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي وأشقاه بدهلك إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذن لا تنصرف قدرتك إلى التدور إلا بتسلط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى عتاقها فكانت الذي اضطررك إلى القمل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والثناء وسياق في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسبب ما لتستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خلق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره بمن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منى قوت يومى وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو النافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظنا ولا يدري الضرر أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والنفى وحرمتى منها فاهل لاجتماعي أو هل رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العفلاء قراء قال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الذى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جملة وغناه عوضا عن عقلك وقررك لامتنع عنه فاذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والراءة الحسناء الفقيرة ترى الحل والجواهر على الدمية القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك التبسيع ولا تدرى للضرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين التبسيع مع النفى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكميم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتنى الدنيا وأعطينا الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لاتعطىنى النعام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لاتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتى عليك وسيلة لك وحبية تطلب بها نعمة أخرى ؟ فهذه أو هام لا تغلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل وبزال ذلك بالعلم المحقق بأن البعد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا بين العجب والإدلال وبورث الخسوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يسبب

أن أقوم لله والأحوط أن يوتر قبل النوم فإنه لا يدري ماذا يحدث ويعد ظهوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم إلا وهو على الطهارة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم يتم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق » والريد للتأهل إذا نام في الفراش مع الزوجة ينتفض وضوءه بالمس ولا يقوته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأنى ليلا ولا و إنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تأنى ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يبدك إما يصل وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا في ولولا عوني إليك ما قويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بسببه بعله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورهه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك بآراءهم وإسحق ويعقوب فقال إني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأخذ بالعدل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا في أى شهر ولا في أى يوم وأنا أخبرك في سنك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بأمرأة فاحذر نفسك توقع فيها وقع فيه وكذلك لما استكمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم وندوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا تغلب اليوم من قلة (١) وكلموا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . وروى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال لى إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا أنارت هواك على هواى فتودى من غمامة بمنيرة آلاى صوت يا أيوب أتى لك ذلك أمى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضع على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكاكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمته (٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يمتنون أن يكونوا ترابا وتينا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لى بصيرة أن يسبب بعله أو يبدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج التامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفارة والقصاص وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بنير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يلى أن يجرم من غير جناية يعطى من غير وسيلة لا يلى أن يموت ويسترجع ما وهب فكف من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يبق معه هيب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام ماب العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأشياء التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يسبب بها لا يتكبر به كعجه بالرأى الخاطئا الذى يزين له بجهله فإب العجب بمحانية أقسام : الأول أن يسبب يده فى جماله وهيبته ومجته وقوته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فليفت إلى جمال نفسه ويبنى أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضة الزوال فى كل حال وعلاجه ما ذكرناه فى السكب بالجمال وهو التفكير فى أقدار باطنه وفى أول أمره وفى آخره وفى الوجوه الجلية والأبدان الناعمة أنها كيف تزمت فى التراب وأنت فى القبور حتى استقدرتها الطباع . الثانى : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قوله يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة اليوم من قلة اليوم فى دلائل النبوة من رواية الريح بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة نفسك ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم - ولابن مردويه فى تفسيره من حديث أنس لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم قالوا اليوم قتال قرواء فيه الفرح بن فضالة منه الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجي عمله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

القوم على الطهارة ما لم يسترسل فى التلذذ النفس باللس ولا يخدم بقطة القلب فأما إذا استرسل فى التلذذ وغفل فتعجب الروح أيضا لمكان صلاته ومن الطهارة التى تشر صدق الرؤيا طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتسرة عن أنجاس القل والحقد والحسد وقد ورد من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يعقد على أحد غفله ما جترم وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل

حين قلوا فيما أخبر الله عنهم - من أشد منا قوة - وكما اتسكل عروج طي قوته وأعجب بها فأتلع جيلا يطبقه على عسكر موسى عليه السلام كتب الله تعالى تلك القطعة من الجليل بنفذه هذضعف التقار حتى سارت في عنقه وقد يتكل الزمن أيضا طي قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى خرم ما أراد من الولد^(١) وكذلك قول داود عليه السلام إن ابنتي صبرت وكان إجماعا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر وبورث العجب بالقوة المحجوب في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصد بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلها الله تعالى بأذى آفة يسلطها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وعمرته الاستعداد بالرأى وترك للشورة واستجهاج الناس الخالفين له ولرأيه وخرج إلى قلة الإصفاة إلى أهل العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقاراً لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويفكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويمن بحيث يضحك منه فلا يأمّن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليستقص عقله وعلم أنه ما أوفى من العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله بمعرفته الناس أكثر مما عرّفه فكيف بمعرفة الناس من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحق كيف يجبون بمقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فبئس أن يحرف مقدار عقله من غيره لامن نفسه ومن أعدائه لامن أسدقائه فإن من يداهنة يقن عليه فيزيده عجاوه ولا يظن بنفسه إلا الخير ولا يظن لجعل نفسه فيزداد به عجا. الرابع: العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجد يشرف نسبه ونجاة آباءه وأنه مغفور له وتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والحاصل الحبيبة لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساءم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عندنا شر من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ساء لا تغافوا في أنسابكم لا يجتمعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب قال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين أن الشرف بالنسب لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما قبل رسول الله ﷺ من أكرم الناس من أكرس الناس لم يقل من ينتسب إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للوث ذكرنا أو أشدهم لاستمداد^(٢) وإنما زلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على السكينة فقال الحارث بن هشام وسيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم ونواب^(٣)»

الروح المحفوظ في التوهم وانتشت فيه عجائب النيب وغرائب الأنياء ففي الصديقين من يكون في منامه مكاملة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويغفره في المنام ويصرفه ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الأمر والهي كالأمرو والنهي الظاهر يصي الله تعالى إن أدخل بها بل تكون هذه الأوامر أكدوا عظم وقيل أن الخالفات الظاهرة نحصوها النسوبة والثاب من الذنب كن لا ذنب له وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله

- (١) حديث قال سليمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكرس الناس قال أكرمهم للوث ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر للوث آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم ^(١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال بإفاطمة بنت محمد ياسفية بنت عبد اللطيف عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حملها لأفكها فأنى لأغنى عنكما من الله شيئا ^(٢) » فن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر ثنوا وقد كان من عادة آباءه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب قومه بلسان حاله مهما اتسم إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لقاطمة وصفية « إني لأغنى عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما ساء بلها يلالها ^(٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعي ولا يرجوها بنو عبد اللطيف ^(٤) » فذلك يدل على أنه سيخص قرايته بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يبقى الله أن ينضب عليه فإنه إن ينضب عليه فلا يؤمن لأحد في شفاعته لأن الذنوب منقصة إلى ماوجب للقت فلا يؤذن في الشفاعته إلى مايفي عنه بسبب الشفاعته كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لايقدر على الشفاعته فيها اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تجي منه الشفاعته وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن أذن له - وبقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - وبقوله - ولا ترفع الشفاعته عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تنفعهم شفاعته الشافعين - وإذا اتسمت الذنوب إلى مايشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لعمالة ولو كان ذنب قبل فيه الشفاعته لمأمر قريشا بإفاطمة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطمة رضي الله عنها عن اللصية ولكن بأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فالإنهاك في الذنوب وترك التقوى استكلا على رجاء الشفاعته يضاهي إتهامك للريض في شهوته أعناده على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وحمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لاني كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا أعناده على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الحلقه ولكن في الأمراض الخفيفة وعند خلية اعتدال الزلاج فهكذا ينبغي أن نفهم غاية الشفعاء من الأنبياء والصالحاء للأقارب والأجانب فإنه كذلك قطعا وذلك لايزيل الخوف والحقد وكيف يزول وخير الحلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يمتنون أن يكونوا بها من خوف الآخرة مع كمال ثنوا وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما معوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يشارك الخوف والخشوع قلوبهم ،

(١) حديث يا معشر قريش لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يا معشر بني هاشم وسند ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأندر عشيرتك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال بإفاطمة بنت محمد ياسفية بنت عبد اللطيف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للتقدم لقاطمة وصفية ألا إن لكم رحما ساء بلها يلالها مسلم من حديث أبي هريرة بلقط غير أن لكم رحما ساء بلها يلالها (٤) حديث أرجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد اللطيف الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم من حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلاما ضعيف جدا .

فيا بينه وبين الله تعالى فاذله أدخل بها يغنى أن يتقطع عليه طريق الإرادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام القت فان أثبت العبد في بعض الأحيان بكسل وقصور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند التوب بعد الحدث يمسح أعضائه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فصل التيقظين وهكذا إذا كسل عن القيام عقب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضائه بالماء مسحا حتى يخرج في

فكيف يجب بنفسه وبشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابغتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازنهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأتهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأتانهم وأقذارهم لاستكشف منهم وكبراً من الانتساب إليهم ولا تنكر على من نسب إليهم استغفاراً واستحقاقاً لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تماق الحصاة بهم ولللائكة أخذون بنواصيرهم يمرحهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لثبوا إلى الله منهم ولكن انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الانتساب إليهم خلق أولاد الظلة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لأبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسبهم لجهل

عص . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحكم والقدان والعشيرة والأقارب والأنصار والأيتام كما قال الكفار - نحن أكثر أموالاً وأولاداً - وكما قال المؤمنون يوم حين لا تنقلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلمهم عبيد مجهزة لا يعلكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً . - و - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يجب بهم وأتهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلطونه إلى البلى والحيات والقاربات والديدان ولا ينشون عنه شيئاً وهو في أحوج أحواله

إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر اللرد من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفرقك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفك ، وتسي نعم من علك تفعلك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخباراً عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالاً وأعز نقراً - ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس بجنبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يبدو إليك قرره ^(١) وذلك للعجب بالتقوى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائه وينظر إلى فضيلة الفقراء

وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن لئال غاد ورائع ولا أمل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يشترى في حلقه قد أهجته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ^(٢) » أشار به إلى عقوبة الهجاب بماله ونفسه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل للسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جواد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ^(٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال بين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتمور من المؤمنين أن يجب بروتهم بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحق السال في أخله من حله ووضعه في حق ومن لا يفعل ذلك لمصيره إلى الحزى والبوار فكيف يجب بماله . الثامن : العجب بالرائى الخطأ . قال تعالى - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تقلبته وانتباهاته عن زمرة المنافقين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقيل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فلما على جنبه الأيمن كاللحدود وإما على ظهره مستقبلاً للقبلة كالبيت للسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فافقر لها ولرحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً غنياً جلس لجنبه فقير فاقبض منه الحديث وما أحمده في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلة قد أهجته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل للسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا إن جان في صحيحه .

يحسبون صنما - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يطلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأم السالفة إذ افرقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لمحبهم بكرائهم والنجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا النجب أحد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولوعرفه تركه ولا يبالغ الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتفسد مدواته جدالاً لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا يصفى إلى العارف ويزممه فقد سلب الله عليه بلية تهلكه وهو يطلبها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الحرب بما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متبعا لرأيه أبدا لا يترقبه إلا أن جهد له قاطع من كتاب أوستة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والفعل وشروطها ومكامن التلطيفها إلا بقرينة تامتو عقل ناقب وجد وتشرى الطلب وممارسة تلك الكتاب والسنة ومجالسة أهل العلم طول العمر ومداينة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه التلطيف ببعض الأمور والصواب لمن لم يفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يغوص في المذاهب ولا يصفى إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس ككله شيء - وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيها أخبره وتبع سنة السلف ويؤمن بحجته ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا واشتغل بالثقوى واجتنب العاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأقول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والبرقعة في أكثر الطلاب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء للزبدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، فتسأل الله تعالى الصمة من الضلال ونموذبه من الاعتراض بخيالات الجبال .

ثم كنات ذم الكبر والنجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحلم .

﴿ كتاب ذم القرور ﴾

(وهو الكتاب العاشر من ربيع الهللكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي يمد مقالي الأمور ، وقدمته مفاتيح الخبرات والسرور ، وخرج أوليائنا من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائه ورطبات القرور ، والصلوات على محمد وخرج الخلائق من الله مجبور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تحرم الحياة الدنيا ولم يفرم بالله القرور ، صلاة تتوالى على بحر الصبور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] ففتح السعادة التيقظ والفتنة ومنع الشقاوة القرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والعرفة ولا وسيلة إليه سوى اتسراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من التكسفر والصلية ، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يطلب على آخر هذه الأمة الإعجاب بالرأي هو حديث أبي ثعلبة التميمي فإذا رأيت شعا مطاما وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بغضه خاصة نفسك وهو عند أبي داود والترمذي .

﴿ كتاب ذم القرور ﴾

تحفظ به عبادك الصالحين
اللهم إني أسألك شئ
إليك ووجهت وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظمري
إليك رغبة منك ورغبة
إليك لا ملجأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكتابك الذي أنزلت
ونبيك الذي أرسلت
اللهم قهر عذابك يوم
تبث عبادك الحمد لله
الذي حكم قهر الحمد
الله الذي بطن غير
الحمد لله الذي ملك
تقدر الحمد لله الذي
هو يحيى الموتى وهو
على كل شيء قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فولهم كمشكاة فيها مصباح للصباح في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور واتفقوا فلوهم كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فله من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم صريح صدورهم للإسلام والهدى والفتور هم الذين أراد الله أن يضلمهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء والتور هو الذي لم تفتح بصيرته ليكون هداية نفسه كميلا وبقي في العمى فالتخذه الهوى قائدا والشیطان دليلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، وإذا عرف أن التور هو أم الشقاوات ومنبع للهلكات فلا بد من شرح مداخله ومخارجيه وتفصيل ما يكثر وقوع التور فيه ليحذرهم اللريد بعد معرفته فينتبه فالوقوف من العباد من عرف مداخل الآفات والقصاد فخدمتها حذره وبقي على الحزم والبصيرة أممه ونحن نشرح أجناس مجاري التور وأصناف القرين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بيماني الأمور، بلجاجة ظواهرها القبيحة سرارها ونشر إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فإن ذلك وإن كان أكثر مما يعصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تفتي عن الاستثناء وفرق القرين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثاني من العباد. الصنف الثالث من المتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الأموال والقرين من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى السكر معروفا كالذي يتخذ للسجدة ويخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يبيع فيه لنفسه وبين ما يبيع فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالذلة ومنهم من يترك الباب ويشغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لاتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولابد أن ذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم التور وبيان حقيقته وحده.

(بيان ذم التور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا ترنكم الحياة الدنيا ولا ترنكم بالله التور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وقرنكم الأماني والآية. كاف في ذم التور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يشنون سهر الحق واجتهادهم ولتقال ذر من صاحب ثوى ويقين أفضل من ملء الأرض من القرين» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» (٢) وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم التور لأن التور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذا جهل هو أن يحتد الشيء وراءه على خلاف ما هو به والتور هو جهل لأن كل جهل ليس بتور بل يستدعي التور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يرضيه فلهما كان الجهول المتعدي شيئا يوافق الهوى وكان السبب للوجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة بظن أنها دليل ولا تسكون دليلا صامى الجهول الحاصل بغرور أو افتقار وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

وشر عبادك وشر الشيطان وشر كوكب قرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن في خلق السموات والأرض وآية الكرسي، وآمن الرسول. وإن ربكم الله. وقل ادعوا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والعدوتين، وينفتح بين في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن اضف إلى ما قرأ أعشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها لحسن ويقول اللهم

(١) حديث حبذا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بحقه وفيه انشغال وفي بعض الروايات ابن الوردة موضع أبي الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

الحبر وم عطفون فيه فأكثر الناس إذ منغرون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختافت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور العصاة والساقى فورد لهم أمتة لحقيقة الغرور . لكالم الأول : غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غرته بالله الغرور أما الذين غرهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسبة والله بنا نقد الأخرى نسبة فهمى إذن خير فلا بد من إشارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذلك الدنيا بين وولات الأخرى شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فائدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتى من نار وخلقتى من طين - وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يغف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الايمان وإما بالبرهان أما التصديق فيعبرد الايمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم ينفذ وما عند الله بلق - وفى قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا لمتاع الغرور - وقوله - فلا تفرنكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولاً فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور ويبرز هذا منزلة تصديق الصي والله في أن حضور للكتب خير من حضور اللب مع أنه لا يدري وجه كونه خيراً وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلتور مسبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه أسلاف : أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسبة وهذا صحيح والآخرة له إن النقد خير من النسبة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسبة في التقادير والقصور فهو خير وإن كان أقل منها فالنسبة خير فان الكافر الغرور يذل في تجارتها درهما ليأخذ عشرة نسبة ولا يقول النقد خير من النسبة فلا تركه وإذا حذر الطيب الفواكه ولذات الأظعمة ترك ذلك في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسبة والتجار كلهم يركون البحار ويعبون في الأسفار قدما لأجل الراحة والربح نسبة فان كان عشرة في ثمانى الحال خيراً من واحد في الحال فأنسب للذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحد يأخذ ألفاً قبل ليأخذ مائة لانه لا واحد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدر مشوبة بأنواع اللذات والآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسبة فهذا غرور مفقود مقبول لفظ عام مشهور أطلق

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويعتهم وهى عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بشا الله إليه من يرب فأورثاه وصدقاه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقره القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهى عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك رسولاً يقول نعم فيصدق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله لئن صلى الله عليه وسلم آله أرسلك لئناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخره قال الرجل أنتما بما جئت به وللطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أو أرسلك بما أتينا كتبك وأتينا رسولك أن تعبد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى قال نعم الحديث .

أيفظى في أحب الساعات
إليك واستعملنى
بأحب الأعمال إليك
التي تمرى إليك زلفى
وتبعنى من سخطك
بدا أسألك خطبى
واستغفر لك فخرى
وأدعوك فتسجى لى
اللهم لا تؤخى مكرك
ولا تؤخى غيرك ولا
ترفع عنى سرك ولا
تنسى ذكرى ولا تجعلى
من العاقبين . ورد
أن من قال هلمه
الكلمات بث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملاك يوقفونه لملاذ
فان صلى ودعا أمنا واهل
دعائه وإن لم يمتعبدت
الأملاك فى الهواء وكتب

وأريد به خاص فضل به الفرور عن خصوص معناه فان قال النقد خير من النسبة أراد به خير امن
نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك
والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أسليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا
كان مثله والاقتناع في تبعه على يقين وفي ربحه على شك والتفتة في اجتياحه على يقين وفي إدراكه كدربة
المعلم على شك والصيد في زده في التفتة على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم ذنب الغلاء
بالافتاق وكل ذلك تركه اليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أجرب بقيت جائعا وعظم ضروري وإن
أجبرت كان تبي قليلا ورحمي كثيرا وكذلك الرئس يشرب الدواء البشع السكرية وهو من الشفاء
على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما خافه من
المرض ولثوث فيكون ذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول إلهام الصبر فلال وهو
منتهى الصبر بالاضافة إلى ما قبل من أمر الآخرة فان كان ما قبل فيه كذبا لم يفوتني إلا التمس أيام
حياتي وقد كنت في الصدم من الأزل إلى الآن لأنتم فأحسب أنني بقيت في الصدم وإن كان ما قبل صدقا
فأبقى في النار أبدا الأباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال علي كرم الله وجهه لبعض اللحدين إن كان ما قبله
حقا قد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قبله حقا قد تخلصنا وهلك ما قبله هذا من شك منه في الآخرة
ولكن كلف للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مفرور . وأما الأصل الثاني من
كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه ممد كان : أحدهما الإيمان
والتصديق تقليدا للأنياء والملاء وذلك أيضا يزيل الفرور وهو مدرك يقين العوام أكثر الخواص
ومثلهم مثال مريض لا يعرف دواء علقته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواء
الثبت القلاني فانه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل
يتقن بقولهم ويحمل به ولو بقي سواي أو متوهو يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم
أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يستند
كذبهم بقوله ولا يفتقر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان متوهو مفرورا فكذلك
من نظر إلى المقربين بالآخرة والخبرين عنها القائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها
وجدم خير خلق الله وأعلام رية في البصيرة والعرفه والمقل وهم الأنياء والأولياء والحكام والعلماء
وابتاعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم
إلى التمتع فطمع عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فجدوا والآخرة وكذبوا
الأنياء فكان أن قول الصبي وقول السواي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك
قول هذا النبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنياء والأولياء والعلماء وهذا القدر
من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحق على العمل لا محالة والفرور يزوله . وأما المدرك
الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنياء والالهام للأولياء ولا تظن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر
الآخرة ولأمر الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسباع منه كما أن معرفتك تقليد لثي صلى الله عليه
وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفة
بل هو اعتقاد صحيح والأنياء عارفون وممن معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأعياء كما هي عليها
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن
سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد يكون بمن
أمر الله الأمر الذي يقابل انتهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
وبسبح وبعمد ويكبر
كل واحد ثلاثا وثلاثين
ويتم للساعة بلا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم .

[الباب السابع
والأربعون في أدب
الاتباء من التسوم
والعمل بالليل]
إذا فرغ المؤمن من أذان
المغرب يصل ركعتين
خفيفتين بين الأذان
والاقامة وكان العلماء
يسلمون هاتين الركعتين
في البيت يجعلون بهما
قبل الخروج إلى الجماعة
كَيْلا يظن الناس أنهم

الشأن حق يكون للارادة أنه من خلق الله قطع لأن ذلك علم في جميع المخلوقات. إله العالم عالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخلق والأمر فالأجسام ذات السكينة والقادر من عالم الخلق إذا خلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزعه عن السكينة والقادر فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بهما كسر القدر الذي منع من إشتهائهم عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف به وإذا عرف نفسه وره عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسدي غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وغيره بالصعوبة وهي التي حطت عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فاتهاي جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحينئذ جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وره ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له ولا تسكنوا كاثنين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الحارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كاسها إذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه إشارة إلى أسرارهم تولا استنشاق دوائهم المارفون وتشمير من سماع ألفاظها القاصرون فاتهاي قسريهم كما قصر رباح الورد بالجعل وتبر أعينهم الضعيفة كاتبر الشمس أبصار الحفائش واختار هذا الباب من سر القلب إلى عالم الكسوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إمامي يقين تقليدي وإما يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والؤمنون بالسننهم ويعقدهم إذا ضيعوا أو أمارقته تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشهوات واللصاع فهم مشاركون للسكرات في هذا الغرور لأنهم أثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكم أيضا من الغرورين فأنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها وبجرد الإيمان لا يكفي للفرز قال تعالى - وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المستحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه) (١) وقال تعالى - والمصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد العفرة في جميع كتاب الله تعالى بمنوط بالإيمان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لا أيضا مغرورون أعني للطمشتين إلى الدنيا الفرحين به الترفين بتعديها الحين لها الكارهين للوقت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لمسا بده فذات المال الغرور لدينا من الكفار والؤمنين جميعا . ولتذكر الغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما غرور الكفار بالله فشاله قول بعضهم في أنفسهم وبالسنتهم إنه لو كان لله من معاد فحق أحق بهمن غيرنا ونحن أوفر حفاظيه وأبعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتناويرين إذ قال لهما - ما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربنا لجدن خيرا منها منقلباً - ووجه أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخرما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يظنه للؤمن ويقول اشتريت قصرا يغني ويحرب ألا اشتريت قصرا في الجنة لا يغني واشتريت بستانا يغرب ويغني ألا اشتريت بستانا في الجنة لا يغني وخرما لا يغني وخرما لا يغني وزوجة من الحور العين لا تحموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء مما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم .

سنة مرتبة فيقتدى بهم فطانتهم أنهما حنة وإذا صلى للرب صلى ركعتي السنة بعد الغروب يسجل بهما فاتهاي رمضان مع الفريضة يقرأ فيها بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحدثهم سلم على ملائكة الليل والسكران الكاتبين فيقول مرحبا ملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبوا في صحيفتي أي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

فليكوننّ لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأوتينّ مالا
 دولا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع الغيب أم أخذ عند الرحمن عهدا كلا سوروي عن خباب
 ابن الأثرث أنه قال وكان لي على العاص بن وائل دين جئت أفضاه فلم يقض لي قفلت إلى أخذه
 في الآخرة ، فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا ولدا أفضيك منه فأزل الله تعالى قوله
 - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقال لأوتينّ مالا ولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أذناهم رحمة منا
 من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده
 للحسنى - وهذا كله من القور بالله . وسببه قياس من أقيسه إليّ ليس نموذ بالله منه ، وذلك أنهم
 ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب
 عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول -
 فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس الصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم
 قراء شعث غير فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا -
 ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظم به قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن
 الله إلينا بنعيم الدنيا وكلّ عمن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في المستقبل كما قال الشاعر :

قد أحسن الله فيما مضى حسنكك يحسن فيما بقي

وإنما يقيس للمستقبل على لماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولأني كرم عند الله محبوب
 لما أحسن إلى والتليس تحت ظنه أن كل حسن محب لابل تحت ظنه أن إناهم عليه في الدنيا إحسان
 قد اغتر بالله إذ ظن أنه كرم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على
 الموان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان مفران يفض أحدهما ويحب الآخر ، فإدعي به يفض منه
 اللعب ويلزمه الكتب وعبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التي تضره ويسقيه
 الأدوية التي تنفعه والذي يفض بهمه ليعيش كيف يريد فيلبس ولا يدخل للكتب وبأكل كل
 ما يشتهى فيظن هذا العبد البهل أنه عند سيده محبوب كرم لأنه مكنه من شهوته ولذاته وساعده
 على جميع أضراره فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض القور وهكذا نصيب الدنيا والدنيا لها فاتها مملكات
 وبمعدات من الله فإن الله يحمي عبده من الدنيا وهو محب كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب
 وهو محب (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا
 حزنوا وقلوا ذنب مجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا
 مرحبا بشعار الصالحين . والقور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرفت عنه
 ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول
 ربّ أكرم من وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّ أهانني - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي
 ليس كما قال إنما هو ابتلاء نموذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فيمن أن ذلك غرور . قال الحسن
 كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرام ولا هذا بهوان ولكن الكرم من أكرمه
 بطاع غنيا كان أو فقيرا . واللهان من أهنته بمصطفى غنيا كان أو فقيرا وهذا القور علاجه معرفة
 دلائل الكرامة والموان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الاختلاف
 (١) حديث خباب بن الأثرث قال كان لي على العاص بن وائل دين جئت أفضاه الحمد الحديث في نزول قوله
 تعالى - أفرأيت الذي كفر بآياتنا - الآية البخاري ومسلم (٢) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا
 وهو محب الحديث الترمذي وحسه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان .

والشفاعة حسب
 والصراف والليزان
 حق ، وأشهد أن
 الساعة آتية لا ريب
 فيها وأن الله يمتحن
 في القور اللهم أودعك
 هذه الشهادة ليوم
 حاجتي إليها . اللهم
 احفظ بها وزري
 واغفر بها ذنبي وتقل
 بهامزاني وأوجب لي
 بها أمانى وتجاوز عني
 يا أرحم الراحمين فإن
 واصل بين العامين
 في مسجد جماعته
 يصكون جامعا بين
 الاعتكاف ومواصلة
 العامين وإن رأى
 انصرافه إلى منزله وأن
 اللوالة بين العامين

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء. وشرحه من جملة علوم الكاشفة ولا يلبق بعلوم المأملة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - يحبسون أن مانعهم به من مال وبين ناسرع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنا نغلي لهم ليزدادوا إثما - وقال تعالى - ولا تصحبين الله فأفلا عما يعمل الضالون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلى من هذا القورر فإن منشأ هذا القورر الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه لا يأمن مكره ولا يتر بأمثال هذه الحيلالات الفاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد أهل الكافرين أمهلهم رويدا - فكلما لا يجوز لعبد للعمل أن يستدل بأهل السيد إياه وتعيكه من التمس على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرامه وكيداً مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فإن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فأذن من آمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا القورر أنه استدلل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك للنعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على السكرامة وهذا هو حد القورر . الثالث الثاني : غرور المصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإنا نرجو عفوه وانسأكلهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية نعمهم واغترارهم رجا وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون فخرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التحسك بإصلاح الآباء وعلو رتبهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غلبة الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غلبة الفسق والقبور استنوا وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى قتياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباؤكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى القورر أن توحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من القرقيين - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم يقبضه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرفقه لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطبع ويبغض العاصي فكأنه لا يفيض الأب للطبع يبغض لاولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في يشته أرم لديه
وأقرب إلى الاخلاص
وأجمع اللهم فليعدل
وسئل رسول الله عليه
السلام عن قوله تعالى
- تجافي جنوبهم عن
الضام - فقال هي الصلاة
بين المشايين وقال
عليه السلام « عليكم
بالصلاة بين المشايين
فاتها تذهب بلاغاة
التهار وتهذب آخره »
ويجعل من الصلاة بين
المشايين ركعتين
بسورة البروج
والطارق ثم ركعتين
بعد ركعتين يقرأ في
الأولى عشر آيات من
أول سورة البقرة
والآيتين والحمد لله

عجه للآب الطيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البض أيضا بل الحق أن لأزور وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويزرع بغير أبيه ويصير طالما يعلم أبيه ويصل إلى السكينة وبراهها بمشي أبيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الله من أخيه وأمه وأبيه - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كاسبق في كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين التلط في قول العصاة والفقار إن الله كريم وإننا رجوع رحمة ومغفرة وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا يتوى الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اتخذت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله » وهذا هو التخي على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماء رجاء حق خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجاء بهم أبقى وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أو أن وشرط له أجره عليها وكان الشارط كريما يبنى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزدفعه الأجر وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر وبزعم أن للشارط كريم أقره العقلاء في انتظاره متعبا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والقرعة قيل للحسن قوم يقولون رجوا الله وضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يرجعون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثيائي فقال له رجل إننا لرجوا الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجمع أو جامع ولم ينزل فهو ميتة فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكا أنه إذا نكح ووطئ ، وأزلق يتردد في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كئيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدم عليه وأن يحتم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يثبت به بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه من الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كئيس ومن عدا هؤلاء فهم اللزورون بالله - وسوف يطون حين يرون العذاب من أهل سميل - . ولتسكن بناء بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا وسمنا فأرجنا نعمل صالحا إنا موقنون - أي علمنا أنه كالا يولد إلا بواقع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحرارة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فأرجنا نعمل صالحا قد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - كما أتى فيها فوج سالم خربت ألبم بأنكم نذير قالوا بل قد جاءنا نذير - أي ألم نسمعك سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما ألقى غيركم بالله ببدن ستم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير -

(١) حديث الكيس من دان نفسه فهدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ في الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصل بعد ذلك ما شاء فان أراد أن يقرأ شيئا من حزب في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والشفاعة ولو واصل بين المشائين ركعتين بطيلهما حسن وفي هاتين الركعتين بطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه المأمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق العاصي التهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأتى تجبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يجمع القنوط بالرجاء ويشدكر - إن الله يغفر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة مسكفر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنهضوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيسوا إلى ربكم - أسرم بالإنيابة وقال تعالى - وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع الغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع الغفرة مع الإصرار فهو مفرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة هو في السوق فخطره أن يسمى إلى الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومرا يدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإتمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أول أجل غيره - أولسب من الأسباب التي لا يبرفها من مفرور. الثاني أن تغتر نفسه عن فضائل الأعمال وتقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى يثبت من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويشدكر قوله تعالى - قد أفلس المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يجمع القنوط للناصح من التوبة والرجاء الثاني يجمع القنوط للناصح من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب خورا في العبادة وركوتا إلى البطالة فهو غرة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك وإنياء نفسك وتمنيها ولك رب كريم غفور رحيم فيغتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على البعد أن يستعمل الحوافر فيخوف نفسه بغضب الله وعظم عقابه ويؤمل إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلقه السكفار في النار بأبد الآباد مع أنه لم يضره كثرهم بل سلب العذاب والمحن والأمراض والطل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هدمسته في عباده وقد خوفه عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يثبتان الناس على العمل فلا يثبت على العمل فهو بمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب خورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإقبالهم على الآخرة فذلك غرور فقد أخبر ^{عليه السلام} وذكر أن التورود سيقلب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواطئون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشهوات والشبهات ويكون على أنفسهم في الحوافر وأما الآن قرى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانهاهم كهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم والتمون بكرم الله تعالى وفضله واجون لغفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والسحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الأمر يدرك بالحق ويبالهوى فلامم إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الحوافر والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فباروه معقل ينسار ويأتى على الناس زمان يغلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تغلق الأبواب على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن التورود يقلب على آخر هذه الأمة تقدم في آخر فم السكبر والعجب وهو حديث أبي ثعلبة في إيجاب كل ذي رأى برأيه .

تاليا القرآن حزه
أومكرا آية فيها الدعاء
والتلاوة مثل أن يقرأ
مكرا - ربنا عليك
توكلنا وإليك أنبنا
وإليك نصير - أو آية
أخرى في معناها
فيكون جامعا بين
التلاوة والصلاة والدعاء
ففي ذلك جمع اللهم
وظفر بالفضل ثم يصل
قبل المشاء أربعا
وبعدا ركنين ثم
ينصرف إلى منزله
أو موضع خلوته فيصل
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصل في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

بطعما لاخوف معه إن أحسن أحدكم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي^(١) فأخبر أنهم يضمنون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويجات القرآن وما فيه وعثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - تخلف من يدم خلف ورتوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - ومعناه أنهم ورتوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى - ولئن خاف مقام ربي جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدوا القرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يشكر فيه متفكر إلا يوطول حزنه ويظلم خوفه إن كان مؤمنا بما يرى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من هجارجها ويناطرون على خفها وورثها ونصبها وكأهم بقره ونسرا من أشعار العرب لاجتماع الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فإنه أشبه القور بالله ويان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقنون للنفرة ويظنون أنهم ترجع كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قمرى الواحد تصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما تناول من أموال المسلمين والشبهات أضاعه ولعل ما تصدق به من أموال المسلمين وهو بشكل عليه ويطن أن أكل ألب درهم حرام يغاومه التصديق بشرق من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة فذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالتى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يفتاب المسلمين ويمزق أعراسهم ويتكلم بمال يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد سيئاته استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعد الله العقاب على كل كلمة قال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التوبىحات والتبيلات ولا يلتفت إلى ماورد من عقوبة التائبين والكذابين والظالمين والمنافقين يظهرون من الكلام ما لا يضرهم إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك بعض القور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره للنسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حق عن جملة من مهماته وما نطق به في قراته كان يدمه ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجره نسخها فإيهما لمن يحاسب نفسه ويحسب خوفه على قبضات بغوته في الأجرة على النسخ ولا يخطأ خوفا من قوت القردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من السكرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحقى للقرورين فإيهما أعمال من يصدق بمجاوبه القرآن وإنا نبأ إلى الله أن نسكر من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والقور على القلوب أن يحنى ويتق ولا يخرجه امتكالا على أباطيل الله وتعالى الشيطان والهوى والله أعلم .

(بيان أصناف الثقلين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والفتور منهم فرق . ففرقة الحكماء والمعلمين والشرعية والعقلية وتمتدقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا فقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإزامها الطاعات واغثروا بسلهم وظنوا

(١) حدث معقل بن يسار بأننى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمي في مسند القردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل.

الأربع سورة لقمان
ويس - وحى - الدخان
وتبارك للذكوان أراد
أن يخفف فيقرأ فيها
آية الكرسي وآمن
الرسول وأول سورة
الحديد وآخر سورة
الحشر وصلى بعد
الأربع إحدى عشرة
ركعة يقرأ فيها ثلثمائة
آية من القرآن من
- والساء والطارق - إلى
آخر القرآن ثلثمائة آية
هكذا ذكر الشيخ
أبو طالب للكي رحمه
الله وإن أراد قراءتها
التقد في أقل من هذا
العدد من الركعات
وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بكان وأنهم قد بلغت من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الحاق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بين البصيرة علموا أن العلم علان علم معامله وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته للسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام وسرفة أخلاق النفس للذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها ففى علوم لاتراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فثال هذا كترى به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يجرها إلا احذاق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصله الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادني التي منها يتجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وحبته فعمل ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشغل بشربها واستعمالها أقرى أن ذلك ينجي عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يشفه ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وفته وبعد تقديم الاحياء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم الناهي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق للذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق للمحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذا قال تعالى - قد أفلح من زكاها ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تركها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يشرتك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فان كان السكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأهمل العمل وإن كان كيدا فيقول للشيطان أنذكرني فضائل العلم وتسنين ماورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى - فثله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - فأى خزي أعظم من التقليل بالكلب والحمار وقد قال عليه السلام «من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد دما من الله إلا بعدا» (١) وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتندلق أفتاه به فيدور بها في النار كأي دور الحمار في الرحى» (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» (٣) وقول أبي الدرداء: ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات : أى أن العلم حجة عليه إذا يقال له ماذا عملت فبأ علمت وكيف قضيت فشكر الله وقال عليه السلام «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (٤) فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا ينبغي لا يوافق هوى العالم الفاجر وماورد في فضل العلم يوافقها فيميل الشيطان قلبه إلى ما بهواه وذلك عين الغرور فانه إن نظر البصيرة فثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بسم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فيعد ذلك اعتدائه أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يعمل العمل ويضيق أمر الله وحدوده فغروا أشد وشاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولو نه وشككه وطوله وعرضه وعادته ومجسسه

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقي العالم في النار فتندلق أفتاه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس علماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أهد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن بقرا في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجيد إلا أن يكون وثاقا من نفسه في عاداتها بالانقياد للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حيث أشد أفضل . وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتجهد يصلى ركعة يشفع بها وره ثم يتفلسف ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يفضله وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملاصق
لجميع ما يفضله وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على
الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به منطلقا بجميع ما يكرهه للملك عاطلا عن جميع ما يحبه
منوسلا إليه بمعرفته له ونسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته في عيادة غلمانه ومعاملته بعينه
فهذا مفرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه وبجبه لكان ذلك
أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه
لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسمى دون العاني إذ لو عرف الله حق معرفته خشية واتقاء فلا ينصور
أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كما تخاف
السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فن عرف
الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه سحر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا
مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع
ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولأعانة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال
ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستغنى الحسن عن مسألة فأجاب قبيله
إن فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيا قط الفقيه القائم له الصائم نهارة الزاهد في الدنيا وقال
سرة الفقيه لا يدري ولا يعاصي بشرح حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فأن
الفقيه من قته عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو الصالح ومن برد الله به
خسيرا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المفلوجين. وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل
فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليجوعوا عنها الصفات للغمومة
عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب
الشهرة في البلاد والبياد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحيز عنها ولا
يلتفت إلى قوله **يُكَلِّمُكَ** «أدنى الرياء شرك» (١) وإلى قوله عليه السلام «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال
ذرة من كبر» (٢) وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (٣) وإلى
قوله عليه الصلاة والسلام «حب الشرف والسبب بيننا النفاق كما بينت الماء البقل» (٤) وإلى غير ذلك
من الأخبار التي أوردناها في جميع ربيع الهالكات في الأخلاق للذمومة فهؤلاء يروا ظواهرهم وأهلوا
بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى
قلوبكم وأعمالكم» (٥) فقدموا الأعمال وما تعهدوا القلوب والقاب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من أتى الله
بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جص وباطنها نفاق وكثيرون الوقيظون ظاهرهم مزين وباطنها
جيفة أو كيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد للملك
مناجاة إلى داره فخصص باب داره وترك الزايل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه
رجل زرع زراعا فبنت وثبت معه حشيش ففسد فأمر بتقوية الزرع عن الحشيش بقلع من أصله فأخذ يجر
دهسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فبنت لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فمن

الليل يصل بعد الور
ركبتين جالسا يقرأ
فيهما يدا زلزلت
والهاكم وقيل فعل
الركبتين قاعدة بتركة
الركعة قائما يشفع له
الوتر حتى إذا أراد
التبجد يأتي به ويوتر
في آخر نهجده ونية
هاتين الركبتين نية
النفل لا غير ذلك
وكثيرا ما رأيت الناس
يتفاوضون في كيفية
نيتها وإن قرأ في كل
ليلة للمسبحات وأضاف
إليها سورة الأعي
تصير ستا قد كان
العلماء يقرءون هذه
المسود ويترقبون
بركبتها فإذا استيقظ

لا يطمح القلب منها لائم له الطاعات الظاهرة لإلماع الآفات السكينة بل هو كريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فتقع الطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في السادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتعجر من الداءة التي في الباطن. وفرقة أخرى : علوا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منسكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يتلهم بذلك وإنما يتل به العوام دون من يبلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يتلهم ثم إذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب المال والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإبراز غام أفض الخائفين من المتبدعين وإن لولبت الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لثمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلال في الاسلام ونسى الغرور أن عدو الله الذي حذر منه مولا هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالقر واللسنة والحق عوتب عمر رضي الله عنه في بذائه زبه عند قدومه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا الغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابرسم الحرم والخيل والراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك هما أطلق اللسان بالحدس في أقرانه أو يمين رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على اللبطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يتفقد أنه لوطن في غيره من أهل العلم أومنغ غيره من رياسة وزوج فيها هل كان غضبه وعداونه مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا ينضب مهباط من في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا برأى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل الغرور أنه ليس بفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا إلى كان الأجر لي والثواب لي فأنما فرحى ثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخلق وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحسن مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويبقى عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيات إنما ذلك عند الطمع في ما لهم فأما أنت فترضك أن تشفع للسلطين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان ضار يشفع في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين تقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقيح حاله عند السلطان بالطن فيه والكذب عليه لعل وكذلك قد يتهم غرور بعضهم إلى أن يأخذ من ما لهم وإذا خطر له أن يحرم قال له الشيطان هذا مال لا مال لك وهو لمسلح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين أفلا تعلم أن تأخذ قدر حاجتك فيقترب بهذا التلبس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مال لك فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط

من النوم فمن أحسن
الأدب عند الالتقاء
أن يذهب ياطه إلى
الله ويصرف فكره
إلى أمر الله قبل أن
يجول الفكر في شيء
سوى الله ويستغل
اللسان بالذكر فالصديق
كالطفل الكلف بالشيء
إذا نام بنام على حبة
الشيء وإذا انتبه
يطلب ذلك الشيء
الذي كان كلف به وطى
حسب هذا الكلف
والشغل يكون اللوث
والقيام إلى الخسر
فليظن وليعتبر عند
انتباهه من النوم ما به
فانه هكذا يكون عند
القيام من الصبر إن

في أموالهم ومن غضب مائة دينار من عشرة أغص وأصلها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لملك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح للمسلمين وبك قوام الدين ، ولعل الدين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرئاسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلاء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فقل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام لعالم السوء إنه كصخرة وقصت في فهم الراعي فلا هي تسرب للئاء ولا هي تترك الماء فخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن المحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالتقليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحسوا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا أظواهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحق والكبر وطلب العلو واجهادوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منافها الجليلة القوية ولكنهم بعد مغرورون إذ قبضت في زوايا القلب من خيالات مكاييد الشيطان وخيالات خداع النفس مادي وغمض مدركه فلم يغطوا لها وأهلوها وإعما مثاله من يريد تقية الزرع من الحشيش فدار عليه وقتش عن كل حشيش رآه قلمه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد ثبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسط تحت التراب فأهلها وهو يظن أنه قد اقتلها فإذا هو بها في غفلة وقد نبقت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن الرقابة للخيالات والتفقد للدقائق فتراه يسير إليه ونهاره في جمع العلوم وتزيتها وتحسين ألقائها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن بائعه الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعل بائعه الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الأفاقي والطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في اللغات وإشارته في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصفاء عند حسن اللفظ والابراء والتفتيح بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع وللتعبد والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والنسك من بمن إطلاق لسان الظن في الكفاية للتقليد على الدنيا لاعتقاده بعبودية الدين ولكن عن إدلال بالتحيز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكين الفروع حياه في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وأشياد وتوقير وحسن ثناء فلو تميزت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما ينظم من أعماله لفساد يشقشق عليه قلبه وتخلط أوراذه ووظائفه وعساه يتنذر بكل حيلة لنفسه وربما احتاج إلى أن يكذب في تقطيع عيه وعساه يؤثر بالكرامة والراحة من اعتقده فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقده فيه فوق قدره ويتبر قلبه ممن عرف حقه فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بسن أصحابه على بسن وهو يرى أنه يؤثر بتقديمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأبوع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إعفاء إليه وأحرص على خدمته ولطيم يستفيدون منه وبرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لا خلاصه وصده وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لدنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو عهد بمثل ذلك الثواب إلى إشارته المحول

كان همه الله فهمه هو وإلا فهمه غير الله والعباد إذا اتبعه من اليوم فباطنه عائد إلى طهارة القطرة فلا بدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور القطرة الذي انبى عليه ويكون قائرا إلى ربه ياطنه خوفا من ذكر الأغيار ومهملها وفي الباطن بهذا للبار قد اتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبابا ويصير جانب القرب له موقلا ومأبا ومقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقدته في العزلة ولا إخفاء لئلا القبول وعزة الرئاسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع من فيجعله وقع في حباله وغشاه بصنف ويحجبه فيه ظانا أنه يجمع علم الله ليتنفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه وحما عنه اسمه ونسبه إلى نفسه نقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى الصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لامن ادعاء ولله في تصنيفه لا يخولون التنازل في نفسه إما صريحا بالدعوى الطولية العريضة وإما ضمنا بالظن في غيره ليستبين من طمعه في غيره ما له أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما وقد كان في غيبة عن الظن فيه ، ولله بحكي من الكلام للزيف ما يزيد تزييفه فيزيه إلى قائله وما يستحسنه قلله لا يميزه إليه لظن أن من كلامه فينقله بينه كالسارق له أو غيره أدنى تغيير كالتدبير يسرق ليقبض فيختذه قباء حتى لا يفرق أنه مسروق ، ولله يحجبه في تزيين أفعاله وتسجيته وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه ترويع الحكمة ونحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعادة فلا عماروى أن بعض الحكماء وضع ثلثا من مصنف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض غفارا وإنني لأقليل من تفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من القربن إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثر الأتباع منه ثم إذا افترقوا واشتغلوا بالأفادة تقابروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انتقل عنه إلى غيره يثقل على قلبه ووجع في نفسه فخره منه فيمد ذلك ليهز باطنه لإكرامه ولا يشعر لقتله حوائجه كما كان يشعر من قبل ولا يحرص على التنازل عليه كما أتى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أتبع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة فتدوم ذلك لا تنزل النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتمثل بالظن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لا لنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أتى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قلب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره بعينه السليمة وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يظن له إلا الأكياس ولا يتزهد عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه إلا المأمنان الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوء ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بعبده خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سميته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من التورود الزكي لنفسه للمتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فتعود بالله من الغفلة والاعتقار ومن للفرقة خفايا العيوب مع الإجمال ، هذا غرور الدين حصول العلوم الهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فنما من العلوم بحالهم هم وتركوا اللهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاتصايرهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل اللامات الدينية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصوصا اسم الفقه بها وسوء الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم ينفقوا الجوارح ولم يحرصوا على الله من الكبر والحسد والرياء وسائر الملل كانت فهو لا مغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم. أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثاله

بالسان المحدث الذى
أحيانا يصد ما أماتا
وإليه النشور وغرأ
العشر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الساء الطهور
قال الله تعالى - وينزل
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عز وجل - أزل من
السماء ماء فسالت
أودية بقدرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما السماء
القرآن والأودية
الغلاب فسالت
بقدرها واحتملت
ما وسعت والسماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالطهر أجدر فالسما

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لأبل مثالم مثال من به علة البواسير
والبرصام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واسأل الله فاشغل بتمجودوا الاستحاضة بتكرار
ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يحض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تنفع علة الاستحاضة
لأمرأة وتساأل عن ذلك وذلك غابة الغرور فكذلك التفقه للسكين قد بسط عليه حب الدنيا واتباع
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما يخطئه اللوث قبل التوبة والاتلاف
فليق الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار والعمان والجراحات
والديات والدعاوى والبيّنات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره نفسه وإذا
احتاج غيره كان في الفتن كثيرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة وللأسود
دهاء الشيطان وما يشعر إذ يظن للفرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال
بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض المين مصيبة ، هذا لو كانت نيته محبة كما قال وقد كان قصد
بالقعة وجه الله تعالى فانه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارح وقوله
فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم لحث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم شقة
أخبار وحيلة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادر كجلاله
وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والمهبة والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا من افقه مقترابه
متكلا على أنه لا بد وأن برحمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتسلط الحلال والحرام وقدر ترك
العلوم التي هي أمم وهو غافل مفرور وسبب غروره مامع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدرك ذلك
الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته الحقوقال المرجوة ليستشر القلب الخوف ولا يلزم التقوى إذ قال تعالى
- فلو لا نقر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون-
والذي يحصل به الاذكار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال وجروط المعاملات وحفظ
الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آتوا الدين من كبروا نعلم العلم المهم هو
معرفة سلوك الطريق وقطع غيبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الجباب بين العبد وبين الله تعالى
وإذا مات موتا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فثالة في الاقتصاد على علم الفقه مثال من اقتصر من
سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أن علو لا يمكن لتعطل الحج ولكن المقنصر عليه
ليس من الحج في شيء ولا يسيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم
الفقه على الخلافات ولم يهجم إلا على طريق المجاداة والإثام وإلغام الخصوم ودفع الحق لأجل القلب والمباهاة
فهو طول الليل والنهار في التفقيش عن مناقضات أبواب المذاهب والتفقد ليووب الأقران والتفافق لأنواع
التسبيبات المؤذبة وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الأيذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لاقصروا رقائيرهم
لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو
الصفات المذمومة وتبديلها بالهمودة فانهم يستحقرونه ويسمونونه التزويق وكلام الوعاظ وإنما التحفيق
عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين
من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق
الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع
والتركيب والتدعية فانما أبدعت لإظهار القلبة والإلغام وإقامة سوق الجدل بها فزور هؤلاء أشد

غوم غيره مقامه
والقرآن والعلم لا يقوم
غيرها مقامهما ولا يبد
مدهما قائما الطهور
بطهر الظاهر والعلم
والقرآن بطهران
الباطن وبذهبان
رجز الشيطان فالنوم
غفلة وهو من آثار
الطبع وجدير أن
يكون من رجز
الشيطان لما فيه من
التفلة عن الله تعالى
وذلك أن الله تعالى أمر
بقبض القبضة من
التراب من وجهه
الأرض فكانت القبضة
جبهة الأرض والجبهة
ظاهرها بشرتها باطنها
أدمة قال الله تعالى

كثيراً وأصبح من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعم الكلام والمجادلة في الأهواء والردي
 مخالفين وتبع مناقضاتهم واستكبروا من معرفة اللغات المختلفة واشتغلوا بعلوم الطرق في مناظرة
 أولئك وإلحاقهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لبدع عمل إلا إيمان ولا يصح إيمان
 إلا بأن يعلم جلدهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم
 يعتقد منهم ولم يعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالقة حقة فالضالة هي التي
 تدعو إلى غير السنة والحقة هي التي تدعو إلى السنة والفرور شامل لجميعهم . أما الضالة فللضالعين
 ضلالها وظننا بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بضأ وإما أثبت من حيث إنها لم تنهم
 رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل خيبة . وأما الفرقة
 الحقة فانما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت
 أنه لا ينهم لأحد دينه مالم يخص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرر دليل
 فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن القاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل
 والبحث عن اللغات وهذيانات للبدعة ومناقضاتهم وأهلوا أنفسهم وقلوبهم حتى عمت عليهم ذنوبهم
 وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه
 لا تذاهه الغلبة والإلغام وقمة الرياسة وعز الاتساع إلى الدب عن دين الله تعالى عمت بصيرته فلم
 يلتفت إلى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا
 من أهل البدع والهروى لما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا لخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد
 قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتسكعوا فيه إلا نحن حيث رأوا حاجة وتوسعوا بها على قبول فذكروا
 بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروا وأعرضوا عنه أو ابتضوا في
 الله ولم يلزموا للاتساع معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنونم السنة ترك الجدول
 في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وما مثل قوم قطعت
 هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١) وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون
 فغضب عليهم حتى كأنه فتي في وجهه حب الرمان (٢) حرمة من الغضب فقال: «لماذا بستم أبدا أمرتم
 أن تقر بوا كتاب الله بضأ بعضه بعضا فظنوا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتهم عنه فأتواه فقد زجرهم
 عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بحث إلى
 كافة أهل الليل فلم يقدم معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام لما
 جادلهم إلا بتلاوة القرآن للزول عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يتوش القلوب ويستخرج منها
 الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يحجز عن مجادلتهم بالفتنات وقد ألقى
 الأقبيصة وأن يعلم أصحابه كيفة الجدول والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يبتروا بهذأ وقالوا لو نجما
 أهل الأرض وهلكنا لم تنفضا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
 أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الليل وما ضيعوا العمر بتحري مجادلتهم فإنا
 نضيق العمر ولا نصرفه إلى ما ينفضا في يوم قفرا وفافتنا ولم نخوض فيها لأننا من على أنفسنا الخطأ في
 نضائيه ثم نرى أن للبدع ليس يترك بدعته مجداله بل يزيده التصب والخصومة تشددا في بدعته
 فاشتغلت بمخاصمة نسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لم ألتعن الجدول

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث
 خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويخصمون فغضب حتى كأنه فتي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

- إن خالق جبرامن
 طين - فالبشرة والبشر
 عبارة عن ظاهره
 وصورته والأدلة عبارة
 عن باطنه وآدميته
 والادمية جمع الأخلاق
 الحميدة وكان القرب
 موطن آدم إبليس
 ومن ذلك اكتسب
 ظلمة وصارت تلك
 القلمة معبونة في طينة
 الآدمي . ومنها الصفات
 للدمومة والأخلاق
 الرديئة . ومنها القفلة
 والسوء فإذا استعمل
 بالسوء قرأ القرآن آتى
 بالمطهرين جميعا ويذهب
 عنه رجز الشيطان
 وآثر وطأته ويحكمه
 بالعلم والخروج من

والحمومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أضقد نفسي وأنظر من صفاتها ما ينفع الله تعالى وما يحبه لأتبعه عما ينفعه وأتبعك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتسكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرهم مفرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تسكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام السليين وغرور هؤلاء أشد الضرر لأنهم يسجدون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ماتبهروا في علم الهبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم غاصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها متهزون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالسكينة بهذه الظنون يرى أنه من الحائقين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من المقرين العزمين ويرى أنه من الراضعين قضاء الله وهو من الساطعين ويرى أنه من الكواكبين على الله وهو من التاكبين على العز والجاه والسال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من الرائين بل وصف الإخلاص بترك الإخلاص في الوصف وبصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكره ليعتدفيه أنه لولا أنه مخلص لما اعتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه قار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرّب إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات للحمومة وهو بها متصف وحرف الناس عن الحقائق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لماات غما وحسدا ولو أتى أحد من الترددن إلى علي بن أبي طالب لكان أبغض خلق الله إليه هؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن للرجب في الأخلاق الحمودة والنظر عن الذمومة هو العلم بنوائها وقوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وعنه حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوّه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف ثم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات الحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأسى بالله فمق طابت له الخلوة ومق استوحش من مشاهدة الخلق لأجل يرى قلبه يتلوى بالخلوة إذا أحق به المريدون وراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالزويق بل بموثق من أنه غليظ والمغترون يحسنون بأقنه هم الظنون وإذا كشف النطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أنفاسهم فيدور بهم أحدهم كابدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأسرون بالحسب ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإعسا ولمع الضرر لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضيقا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف النازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ماقدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاصنافهم ما وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعركة لهم وأن كل ذلك غير الانصاف بالصفة

حيز الجهول فاستمال
الظهور أمر شرعي له
تأثير في تنوير القلب
بإزاء النوم الذي هو
الحكم الطبيعي الذي
له تأثير في تمكيد
القلب فيذهب نور هذا
بظلمة ذلك ولهذا رأى
بعض العلماء الوضوء
كما مست النار وحكم
أبو حنيفة رحمه الله
بالوضوء من الفقهية
في الصلاة حيث رأى
حكما طبيعيا جال باللائم
والإثم رجس من
الشیطان والماء يذهب
رجس الشيطان حتى
كان بعضهم يتوضأ
من التوبة والكذب
وعند التنبه لظهور

فلم يارق أحد المسلمين في الانصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل بعبارة آدمه
وقل خوفه وظهر إلى الخلق مبه وضف في قلبه حب الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف
للرض وصف دواء بفصاحته وصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا يقدر على وصف الصحة
والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يشاركه في وصفه المرض والانصاف به وإنما يشاركه في الوصف
والعلم بالحب فظه عند علمه بحقيقة الصحة أنه يصيح غايه الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهّد وسائر هذه الصفات غير الانصاف بحقائقها ، ومن التيسر عليه وصف الحقائق
بالانصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا لعب في كلامهم بل مناج وعظم مناج
وعظ القرآن والأخبار وعظ الحسن البصري وأمثلة رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا
عن التناج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على التدور في بعض
أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطعام والشرط وتلقب كالكات خارجة عن قانون التمرع
والقول طلبا للإغراب ، وطائفة شغلوا بطائرات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيتها فأكثر همهم
بالأسجاع والاستبداد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثروا مجالسهم بالعتات والتواجد ولو
على أغراض فاسدة فهو لأهل الشياطين الأتس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلحوا
أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله
ويجرون الخلق إلى التورود بالله بلطف الرجا ، فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا
لأنها إذا كان الوعاظ مزينا بالثياب والحيل والراكب فانه تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه بشدة
حرصه على الدنيا فما يفسد هذا التورود أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا
يجنى وجه كونه مغرورا . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأجادتهم في ذم الدنيا فهم
محفظون الكلمات على وجهها ويؤدون منها من غير إحاطة بمعانيها فيعظم يغفل ذلك على الناس ،
وبعضهم في الهاريب ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تجر هذا القدر
عن السوق والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دولهم قد أفلح ونال الرضى وصار مغفورا
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل
الدين يكفيه ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم
الحديث أهني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد النزيهة العالية فهمة أحدهم أن
يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاستناد إلى
مع غيري ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كماله الأسفار فانهم لا يعرفون الصاية إلى فهم معاني
السنن فطهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها
لا يسلون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يسلون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو مرض عين
وهو معرفة علاج القلب ويشغلون بشكرك الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك .
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يقيدون بشرط السماع فان السماع بمجرد وإن
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ اتفهم بعد الاتيات والعمل بعد
التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع
ثم تركوا حقيقة السماع ترى السي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ يباهو السي يلعب
ثم يكتب اسم السي في السماع فإذا كبر تصدى ليعلم منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع
ولا يفتي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صح وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
الوطن ، ولو أن
التحفظ السراعي
للقاب المحاسب كلما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أو ما كنة
إلى مخالطة الناس أو
غير ذلك مما هو بمرصة
تحليل عقد العزيمة
كالخوض فيها لاجبي
قولا فضلا عقب ذلك
بتجديد الوضوء ثبت
القلب على طهارته
وزاخرته ولصكان
الوضوء لصفاء البصيرة
بتأية الجفن الذي
لا يزال بخفة حركته
يجلو البصر وما يحلقها
إلا العالمون - ففكر

لم يشعر به ولم يرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماعك من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تسمى لتسمع تحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تقرب منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا أو خطأ علمت خطأ . ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتاب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيروه فاذا لم تحفظه لم تفسر بغيره فيكون محفوظا بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتأمين فيه من التغير والتحريف ، فاذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة ذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه منيرا أو يشارق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة ، فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها لمن أين تعلم أنك سلمت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كاهم في هذا الزمان إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر به بالتغير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والناقل والثام والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في اللفظ ، ثم إذا بلغ الصبي وأفان المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جواز مولود جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في اللفظ لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذي يلبس والناقل والشوول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجرا جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللفظ فليكتب سماع الجنين في البطن فان قرئ بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت لما يسمع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخا على أن يقول سمعت بكذا بلوغى آتى في صباه حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع صمى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لاتصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبي في اللفظ وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نفس الله امرأ مع مقالق فوعاها فأذاها كما سمعها»^(١) وكيف يؤدى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أغشى أنواع القصور وقد بل بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيئا إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الثقة إلا أن للمحدثين في ذلك جاهل وقبول لا غفلا لساكنين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجتمع لذلك في حلقهم فينقص جاهلهم ونقل أيضا أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدوا ذلك واتخذوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يرفع صوته مسموعة وإن كان لا يدري ما يجرى ، وهذه السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نهيك عليه نجد
بركته وآله ، ولو
اغفل عند هذه
للتجددات والمواضع
والانتباه من النوم
لكان أزيد في تور
قلبه ولكان الأجدر
أن البعد يفضل لكل
قرينة بأذا مجهوده
في الاستعداد لمناجاة
الله وبجسد غسل
الباطن بصدق الإنابة
وقد قال الله تعالى
- منيبين إليه واتقوه
وأقيموا الصلاة -
قدم الإنابة للدخول
في الصلاة ولكن من
رحمة الله تعالى وحكم
الحقيقة السهلة السمعة
أن يرفع المرحع وعوض

علماء الأصول باللفظه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا مرور هؤلاء ولوصمواعلي
الشرط لكانوا أيضا مفرورين في اقتصارهم على النقل وفي إلقاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد
وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق
الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كإروى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس الساج نساكن
أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا ينبغي »^(١) فقام وقال
يكفي هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فبكذا يكون سماع الأكياس الذين يحدون القروء .
وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واعتزوا به وزعموا أنهم قد غفر لهم
وأهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأفنى
هؤلاء أعمارهم في دقائق الدنو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة وشاغلوهم كمن غنى بجمع المعرف تلم
الخط وتصحيح الحروف وتحسينها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تلخيصها
وتصحيحها ولو عقل لعل أنه يكفيه أن يتلم أصل الخط بحيث يتمكن أن يقرأ كتبها كان وبالفي زيادة
على الكتابة وكذلك الأدب لو عقل لفرق أن لغة العرب كلمة الترك والاضيع عمره في معرفة لغة
العرب كالضيق له في معرفة لغة الترك والفنسد وإنما فارتقت لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها
فيستفي من اللغة علم الفريين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فأما
التسقي فيه إلى درجات لا تنهاى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني
الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مفرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في
القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ القصد من الحروف العاني وإنما الحروف ظروف وأدوات
ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين ليزول ما به من الصفراء وضيق أوقاته في تحسين القدر الذي
يشرب فيه السكجيين فهو من الجهال للزورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات
والتدقيق في مخارج الحروف مهما تهموا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في
تلم العلوم التي هي فرض عين فالأصل هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقتير
للعمل وكالبالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قسير بطريق
الإضافة إلى المرفة لب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك هو التفسير
الأعلى لعل العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يرجع عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل فطالب
بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن
الشوائب والآفات فهذا هو القصد المحدث من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدامه ووسائل إليه
وقشور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ القصد قد ضل سبوا كان في المنزل القريب أو في المنزل
البيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات
وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم يتألون الففزة بها من حيث إنها علوم فكأن
الزور بها أقل من الزور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمود كإشراك القشر
الب في كونه محمودا ولكن محمود منه لئنه هو المذنب والثاني محمود للوصول به إلى القصد
الأقصى فمن أخذ التشر مقصودا وعرج عليه قد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينبغي الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة
وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسل وقد تقدم .

بالوضوء عن الذل
وجوزأداء فقرضات
بوضوء واحد دفعا
للحرج عن عامة الأمة
واللخواس وأهمل
العزبة مطالبات من
بواطنهم تحكم عليهم
بالأولى وتلجهم إلى
سلوك طريق الأعلى
فأذا قام إلى الصلاة وأراد
استفتاح التهجيد يقول
الله أكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله
بكرة وأصيلا ويقول
سبحان الله والحمد لله
الكلمات. عشر مرات
ويقول الله أكبر
ذو الملك والملكوت
والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال

في فن القه فظنوا أن حكم البعد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ للبهمة واقتروا بالطواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى عما يكثر ولكن هذا نوع عم السكافة إلا ألا أكياس منهم قشعر إلى أمثلة : فمن ذلك قروا بم أن المرأة متى أبرأت من الصداق برى الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فترى الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطى طية نفس وقد قال تعالى - فان طعن لكم من شيء منه عسا فسكوه هتيا مربيا - وطية النفس غير طية القلب قد يريد الانسان قبله مالا لطيب به نفسه فانه يريد الحجابة قبله ولكن شكرها نفسه وإنها طية النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاهن ضرورة تقابل حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادرة على التحقيق باكره الباطن ثم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والا كره الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء وقابل لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستنجا من الناس أن لا يسطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يسطيه ولكن خاف أن يندم الناس وخاف أن تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الأثنين وهو ألم التسليم فسله فلا فرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب بذلك لئلا فيختار أهون الأثنين والسؤال في مظنة الحياة والإبراء ضرب قلب بالوسط والفرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذا الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وحيث لأنه لا يمكنه الوقوف على مالى القلب وكذلك من يعطى اقتداء لشر لسانه أو لشر سماعته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له بإرب كيف لي بحصى فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بتداته في صخرة بيت المقدس فنادى بأوربا فأجابه ليك ياني الله أخرجته من الجنة لماذا تريد ؟ فقال إني أسأت إليك في أمر فيه لي قال قد فعلت ذلك ياني الله فالعزف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال ليك ياني الله فقال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبه لك قال لا الإنسانى ما ذلك الذنب قال ما هو ياني الله ؟ قال كذا وكذا وذكره أن للراءة فاطلع الجواب ، قال يا أوربا ألا تحببني قال ياني الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أتفب منك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من إتراس حتى وعده الله أن يستوجه منه في الآخرة ، فهذا ينبغي أن الحجة من غير طية قلب لا تخفى وأن طية القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طية القلب لا تكون في الإبراء والمبة وغيرها إلا إذا خلى الانسان واختاره حتى تنبت الدوامى من ذات نفسه لأن تضطر روايته إلى الحركة بالحيل والازام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأولادها لمعها لاسقاط الزكاة فالتقية يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعى سقطت عنه قد صدق فان مطمح نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسل في القيامة ويكون كمن لم يملك السال أو كمن باع لعاجته إلى البيع لاطى هذا القصد فما أعظم جهله بغفه الذين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال حصل الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن عليهن أنت الحق
ومنتك الحق ولقاؤك
حق والجنة حق والنار
حق والنبيون حق
ومحمد عليه السلام حق
اللهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاسمت وإليك
حاضرت فافقرلى ما قدمت
وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت أنت للقدم

«ثلاث مهلكات شح» مطاع^(١) وإتباعا سره مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تمّ هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه يبلغ من حرصه على المال أن استبطن الحبل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والقرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء القرورون لا يعزّون بين الأمان والقبول والشهوات وبين الحاجات بل كلّ مالا تمّ رعوتهم إلا به يرونه حاجة وهو بعض القرورون بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد الاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبتا نصفه، غرور الفقهاء في أمثال هذا لأنّ في مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستمباب فإن ذلك يتناول . الصنف الثاني : أرباب العبادة والعمل والقرورون منهم فرق كثيرة فهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بهنج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكيّاس وقايل مام . فهم فرقة : أهملوا القرائن واشتغلوا بالقضايا والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى الصدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فيفترى التصرع ويعد الاحتمالات البعيدة قرية في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القرية بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توسّأ عمر رضى الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه^(٢) وقد يتولّى الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أغز الأشياء فباله مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الحائق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبغدهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوت الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يهرون صفة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويقترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتبعوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يخطأ في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمله غيبه ولا يتفكر فيها سواء ذاهلا عن معنى القرآن والخطأ به وصرف القوم إلى أسرارهم وهذا من أقبح أنواع القرورون فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في السلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النبي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وصفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن لا وضوء شيطانا يقال له الولهسان الحديث وتقدم في عجائب القاب .

وأنت الآخر لاله إلا
أنت اللهم أنت تقي
تواها وزكها أنت خير
من زكها أنت وليها
ومولاه اللهم اهدني
لأحسن الأخلاق
لا يهدي لأحسنها إلا
أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا
أنت أصألك مسئلة
البائس للسكّين
وأدعوك دعاء الفقير
الذليل فلا تجعلني
بدعائك رب شقيا
وكن لي رءوفا رحما
يا خبير السؤلين
وبأكرم اللطّين ثم
يعلى ركعتين تحية
الطهارة يتسرا في
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤذيها على وجهها فأخذ يؤذي الرسالة ويتأق في عجاج الحروف ويكررها ويبيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة وصراعة حرمة المجلس فأحراره بأن تقام عليه الساسة ورد إلى دار الجانين وعيكم عليه بقدر العقل. وفرقة أخرى: اغتروا بقرأة القرآن فيؤذونه هذا وربما يغمثونه في اليوم القليل مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجه ويتطبع وأعطه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن القصد من إزال القرآن المصحفة به مع الغفلة عنه. ومثاله: مثال عبد كتب إليه مولاة ومالكة كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاة إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتتمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للمعوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور. نعم تلاوته إنما تراءد لكيلا ينسى بعد لحظه وحفظه يراد لهناه ومعناه يراد العمل به والانتفاع بعنايته وقد يكون له صوت طيب فهو يكرمه ويلتذ به ويتر بآستلذذاه ويظن أن ذلك لغة مناجاة الله تعالى وصحاح كلامه وإنما هي لذته في صوته ولوردد الحائنه بشعر أو كلام آخر لا تله ذلك اللذذذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى: اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام التريفة وهم فيهم لا يحفظون أليتهم عن الغيبة وخواطرم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الإفطار وألستم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيعمل الفرائض ويطلب الفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور. وفرقة أخرى: اغتروا بالنج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللظام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويبجون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يعذرون في الطريق من الرقت والحصام وربما جمع بعضهم الحرام وأفتقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فعسى الله تعالى في كسب الحرام وألوا في إتقائه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث بذائل الأخلاق وندم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور. وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا بشر منكر ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعمد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاه غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم أخذ حق وزوجت على مرتبتي وكذلك قد يتفكر إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلو تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه ثقل عليه. وفرقة أخرى: جاؤوا بمكة وألذبتة واغترروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يظهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة بيلادم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التمدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويعد عين طمعه إلى أوساع أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شبع به وأمسكه لم تسمح نفسه بلقمة تصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

ولوائهم إذ ظلوا أنفسهم - الآية وفي الثانية - ومن يدل سوا أو ظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحباً ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد بقراً فيها بآية الكرسي وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتجدد هكذا ثم يصلي ركعتين طويلتين أقصر من الأوليين وهكذا يتدرج إلى أن

والطعم وجملة من المهلكات كان عنها يعمل لو ترك المجاورة ولكن حب الخدمة وأن يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع الضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتنا واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتب الصلوة في الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى جماع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وقعت من اللباس والطعام بالدون ومن السكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاء إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من السالو وترك الجاه وأخذ السال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون متناقضا وحسودا ومتكبرا ومرايا ومتصفا بجميع خباثات الأخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلو والعز وهو مع ذلك مغرور إذ يتناول بذلك على الأغنياء ويحشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم ويجب عمله ويتصف بجملة من خباثات القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه سلال غفده في الظاهر وردة في الخفية لم تسبح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأبواب الدنيا يرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فرميا لا يغلو من توفير الأغنياء وتهديبهم على الفقراء والليل إلى الربدين له والتين عليه والنقرة عن السائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان تعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصل في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويحتم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتغفده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيبات وفرة من ذي تنوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يغلو هذا الغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح الغرور بذلك وصلى به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخباثات باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم ينظم اعتدادها بالقرائن ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وجملة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للقرينة لذة ولا يشتد حرصه على البادية بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيها يرويه عن ربه « ما تقرب للتعربون إلى بثل أداء ما افترضت عليهم » (١) وترك الترتيب بين الحيات من جملة الشرور بل قد يتعين على الإنسان فرضان : أحدهما يقوت والآخر لا يقوت ، أو فضلا أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان العصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما القامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الثرائض كل على النوافل وتهديب فروض الأعيان على فروض الكفايات وتهديب فرض كفاية لا قائم به على ما قرره غيره وتهديب الأهم

(١) حديث ما تخرب للتعربون إلى بثل أداء ما افترضت عليهم ، البخاري من حديث أبي هريرة بانظ ما تخرب إلى عبيد .

يصل اثني عشرة ركعة
أو ثمان ركعات أو يزيد
على ذلك فان في ذلك
فضلا كثيرا والله أعلم .
[الباب الثامن
والأربعون في تحميم
قيام الليل]
قال الله تعالى - والذين
يبيتون لربهم سجدا
وقياما - وقيل في تفسير
قوله تعالى - فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا
يعملون - كان عملهم
قيام الليل وقيل في
تفسير قوله تعالى
- استعينوا بالصبر
والصلاة - استعينوا
بصلاة الليل على مجاهدة
النفس ومصاهرة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم مايقوت على مالا يقوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا » من أبر يارسول الله . قال أمك ثم من ذل أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك أدناك^(١) فيذني أن ييدا في الصلة بالأقرب ، فإن استويا بآباء الأوثى والأورع وكذلك من لا يني ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينفي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد مياد ودخل وقت الجمعة فاجتمعته وتوالى الاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فينلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإيذاؤها محذور . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور ، وهذا غرور في غاية التموض لأن الموقر فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جعلته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقى عليه شغل من الطاعات والدعوى الظاهرة والباطنة للتعلم بالوجارح والتلفق بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة البهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يسمى عليه حتى يفتنه مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث التصوفة وما أغلب القرور عليهم والقترون منهم فرق كبيرة . ففرقة منهم وهم منصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بازي والمجبة والنطق فسعدوا الصادقين من الصوفية في زهم وهينهم وفي آله عظمت وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السجود والرقص والطهارة والصلاة والجلبوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالنفسكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من التبايل والميئآت فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعوا أنفسهم قط في المجهود والرياسة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلبة وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها بل يشكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والجلبة ويتحاسدون على التقير والتقطير ويترق بعضهم أعراض بعض مما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعمان والأبطال من القاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان ويقطع لسكل واحد منهم قطر من أقطار الملكة فذاتت نفسها إلى أن يقطع لها ملكة فلبست درعا وضعت على رأسها مغفرا وتعلت من رجز الأبطال أيانا وتعودت إيراد تلك الآيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلت كيفية تبخترهم في اللبدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شياهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعمان فلما وصلت إلى المسكر أخذت إلى ديوان العرض وأمر بأن يجرى عن المغفر والدرع وينظر ماخه وتحتج بالمبارزة مع بعض الشجعمان ليعرف قدر عنايته في الشجاعة فلما جررت عن المغفر والدرع فإذا هي مهوذة ضيقة زمنة لا تطيق حمل البرع والمغفر ؟ قيل لها أجئت للاستزاء بالملك وللإستخفاف بأهل حضرته والتلبس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصبة .

وفي الخبر « عليكم غيام الليل فانه مرض تاركم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملقاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرودة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء . منهم سعيد بن المسيب وقضيل بن عباس . ووهيب بن الورد . وأبو سلمان الداراني . وطى بن بكار . وحبيب العجمي . وكهمس ابن الهلال . وأبو حازم . ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

خذوها فألقوها قدام القبل لسخنها فأقيمت إلى القبل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القبالة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرفع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في الغرور إذ خلق عليها الاعتداء بهم في بذلة الثياب والرضا بالدون فأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تعبد بدئا من الزين بزهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلوا الرقعات الفيسية والقوط الرقيقة والسجادات الصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قبة من الحرير والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى أنهم إنما لبسوا الثياب لكلا بطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ، وإنما لبسوا للرقعات إذ كانت ثيابهم محزنة فكانوا يرفعونها ولا يلبسون الجديد. فأما تقطيع القوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهو لا يظهر حماقة من كافة للغرورين فانهم يتعممون بنفيس الثياب ولقد الأطلعة ويطلبون رغب العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير وشرا هؤلاء مما يمتد إلى الحلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ووظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم التشبهين وشرم. وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة القامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ووظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بين الأزدراء فضلا عن العوام، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحدائق يترك حياكنه ويلزمهم أياما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات الزينة فيردها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحق بذلك جميع العباد والعلماء، فيقول في العباد إنهم أجرا متعبون، ويقول في العلماء إنهم بالحدث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه أنه الواسل إلى الحق وأنه من القربين، وهو عند الله من الفجار للناقصين، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلفف الهديان وحفظه. وفرقة أخرى: وقعت في الإباحة وطوا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسوا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستثن عن عملي فلم أتعب نفسي. وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كفلوا مالا يمكن، وإنما يخر به من لم يجرب. وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال، ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها بل إنما كفوا قلع مادتها بحيث يتفاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع. وبعضهم يقول الأعمال الجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب وتوطينا والهة بحب الله وواصلته إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة الدوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفضون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا لا يكون عليها وينوحون سنين متواليات وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا نحصى وكل ذلك بناء على أغاليط وسواوس يخدعهم الشيطان بهالاشتهاء بالمجاهدة قبل أحكام العلم ومن غير اعتداء بشيخ متفنن في الدين والدنيا صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم بطول.

تعالى وغيرهم عدم
وسماهم بأنسابهم
الشيخ أبو طالب الحكى
في كتابه قوت القلوب
فمن يحجز عن ذلك
يستحب له قيام ثلثه أو
ثلثه. وأقل الاستجاب
سدس القبل فيما أن
ينام ثلث القبل الأول
ويقوم نصفه وينام
سدسه الآخر أو ينام
النصف الأول ويقوم
ثلثه أو ينام السدس.
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إني
أحب أن أتبعك فأرى
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه: يا داود
لا تقم أول الليل ولا
آخره فانه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتذبت الأعمال وطلعت الحلال واشتغلت بنقد القاب وصار أحدهم يدعى للقنات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه القنات وشروطها وعلاماتها وآثارها ، ففهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى وزعم أنه والله بالله ولله قد تغيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يغفل عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يعيل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فافهموا أن التوكل الحاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا بما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب وائق به وامان مقام من للقنات السبعيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع السبعيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيفت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الحامس وأهملوا نقد القاب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري للسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال قط ولا يرضى بائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا بتقيد جميع الطاعات والمعاصي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفي وينجي فيه فو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والبساطة قصدوا الخدمة الصوفية فجعلوا قوما وتكاثروا بخدمتهم وأخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعساغرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الافراق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والاشبهات وينفقون عليهم لتكثرت أبحاثهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السالطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية وزعم أن غرضه البر والافتاق وباعث جميعهم الرياء والسعة وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافتاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يبيع مساجد الله فيطينها بالذرة وزعم أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فأخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالخص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتنا فيقولون هذا في النفس عيب والفلة عن كونه عيبا عيب والالتمات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضييع الأوقات في تفتيشها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا ينفيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلك الطريق وأضغ لهم أبواب المعرفة فسلكوا تشمعو من مبادئ المعرفة رائحة تمججوا منها وفروا بها وأبعثهم غرايتها فتبعت قلوبهم بالالتمات إليها والتكر في وفي كيفية اقتناح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن محراب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أمجوبة وتضيدها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى النصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مديانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلهما فوقه ينظر إليها ويتمجج حتى فاتته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتنقوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلو وأخلو بك
وارض إلى حوائجك
ويكون القيام بين
نومين وإلا فيغالب
النفس من أول الليل
ويشتغل فإذا غلبه
النوم ينام فإذا انتبه
يتوضأ فيكون له
قومتان ونومتان
ويكون ذلك من
أفضل ما يفعله ولا يصلي
وعنده نوم يشغله عن
الصلاة والثلاوة حتى
يقول ما يقول ، وقد
ورد « لا تكتبوا الليل »
وقيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إن فلانة
تصلي من الليل فإذا
غابها النوم تعلق
بجمل قتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
ذلك وقال « ليصل
أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يرجوا على القرح بها والالذات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا فان الله تعالى سميع حجاب من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخبارا عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس المقى به هذه الأجسام الضئيلة فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يظنون أن الكوكب ليس إلا فمثل إبراهيم عليه السلام لا يفر الكوكب الذي لا يفر السوادية ، ولكن للراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر الترات الكوكب فاستمر له لقطه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترق إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن المورى في حضيض النقص والانعطاف عن ذروة الكمال - قال لأحب الآفلين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد ينتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد ينتر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تنجلي فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليفسح لجللة العالم ويعيط به وتنجلي فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالسائر له فإذا تنجلي نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا عمل الانباس إذ التجلى يلتبس بالتجلى فيه كالتلبس لون ما يترامى في المرأة فيظن أنه لون المرأة وكما يلتبس مافي الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقى الزجاج وركت الحجر فتشابهتا فتشاكل الأمر

فكأنما حجر ولا قبح وكأنما قدسح ولا خر

وهذه العين نظر التصاري إلى السبح فأروا إشراق نور الله قد تلاذقيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في امرأة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرأة أو في الماء فيمديه إليه يأخذه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السالك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم الكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بهاعة بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخيال القاصر ووجهه لا يخفى ويصدق أيضا بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله من عظم غروره ربما صر مكدبا بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمعترون منهم فرق

فإذا غلبه النوم فليتم

وقال عليه السلام :

« لا تشادوا هذا الدين

فانه متين فمن يشاده

يغلبه » ولا تبغض إلى

نفسك عبادة الله

ولا يلبق بالطالب ولا

يبنى له أن يطعم الفجر

وهو قائم إلا أن يكون

قد سبق له في الليل

قيام طويل فيمدر في

ذلك على أنه إذا استيقظ

قبل الفجر بساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

الفجر فإذا استيقظ

قبل الفجر يحسب

الاستغفار والتسبيح

وينتم تلك الساعة وكلا

يصل بالليل مجلس

قيلا بعد كل ركعتين

فرقة منهم : يعمرون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والتماطر وما يظفر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالأجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والتهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كتبها وتعرضوا لسخطة في إيقاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كتبها فاذن قد عصوا الله بكتبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما يرد بدلها عند المعز فان معجزوا عن اللالك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم الصالح وربما يكون الأهم التفرقة على الساكنين وهم لا يعملون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسماهم للكتابة فيها لالقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص . وقد صد الحير في الإغاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الوضع الذي أشق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما اختر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضاً مفرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو ببلده قراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالقشور التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومضطربة لأبصارهم (١) والتقصود من الصلاة الحشوع وحضور القلب وذلك يغسد قلوب المصلين ويحبط قلوبهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفر به ويرى أنه من الخيرات ويدد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره . وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشبهون مثل ذلك في يوتهم ويشغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبته الملكان عند الله صديقاً فهكذا يبنى أن تعظم المساجد وهو أن يرى ثلوث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى ثلوث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى ، وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمي أمي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يحب اللهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئاً وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمد الله الأرض وبها يغرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زخرتم مساجدكم وحبلىتم مصاحفكم فالدمار عليكم » (٢) وقال الحسن : « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجداً المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا زخرفة ولا تنقش (٣) » فقرره هذا من حيث

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالقشور البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تمهر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحبلىتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا زخرفة ولا تنقش لم أجده .

ويسبح ويستغفر
ويصلي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فانه يجد بذلك ترويحاً
وقوة على القيام وقد
كان بعض الصالحين
يقول هي أول نومة فإن
انتهت ثم عدت إلى
نومة أخرى فلا أتاه
الله عني . وحسبي
لي بعض القراء عن
شيخ له أنه كان يأمر
الأصحاب بنومة واحدة
بالليل وأكلة واحدة
لليوم واللييلة . وقد
جاء في الخبر « قم من
الليل ولو قدر حلب
شاة » وقيل يكون
ذلك قدر أربع ركعات
وقدر ركعتين . وقبل
في تفسير قوله تعالى
« تؤتي الملك من تشاء
وتنزله الملك ممن تشاء »

إنه رأى الشكر واتكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والسالكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإنشاء للمعروف ويكرهون التصديق في السر ويرون إخفاء الفقير ١١ يأخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرضون على إيقاع المال في الحرج فيجوعون مرة بعد أخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السرف ويسيطر لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسكينين يهوى بأحدهم بهيمة بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحرج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال أئني درهم قال بشر فأى شيء تبني بحبك زهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبحت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق أئني درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أنتم ذلك قال نعم قال انذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وتقبر برحمته وميعيل يخي عياله ومربي يقيم بفرحه وإن قوى قلبك تطعها واحدا فاقول فإن إدخالك السرور على قلب السلم وإغاثة اللهيان وكشف الضر وإغاثة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام ثم فأخرجها كما مرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك فقال بأبأ نصر سرفى أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له السال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات انتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل التقيين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل للهالك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمع باخراج السال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في توبة حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطيخ السكجيين ليسكن به الصغار ومن قتله الحية منى يحتاج إلى السكجيين ، ولتلك قبل للبشر إن فلانا ألقى كثير الصوم والصلاة فقال للسكين ترك حاله ودخل في حال غيره . وإنما حال هذا إطعام الطعام للجباة والاختاق على السالكين فهذا أفضل له من نجو به نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لدارنا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمع نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم لهم يفرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستئجار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعبه واحدا من الأكابر يستظهر بحشمه لئلا بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس القرور . وفرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الله كره واعتقدوا أن ذلك ينهيم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاحتياط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الله كره لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محدودة لأنها تمت على العمل فان منعت عن العمل على العمل فلا خير فيها وما يراذل فيه فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الصبر فلا قيمة له وربما اختر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل السكاء وربما تدخله رقة كربة النساء فيبكي ولا عزمور بما يسمع كلاما مغرورا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول بإسلام سلم أو نموذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه فاعل الخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن
حرم قيام الليل كلا
وتنورا في السرعة
أو تنوانا به لصفة
الاعتساف بذلك
أو اغترارا بحاله فليكن
عليه فقد قطع عليه
طريق كبير من الخير
وقد يكون من أرباب
الأحوال من يكون له
إيواء إلى القرب ويحمد
من دعة القرب ما يغتر
عليه داعية الشوق
ويرى أن القيام وقوف
في مقام الشوق وهذا
يغلط فيه وبذلك به
خاف من الدعين
والذي له ذلك ينبغي
أن يعلم أن استمرار
هذه الحالة متلف
والإنسان متعرض
للقصور والتخلف
والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجامع الذي يحضر عنده من
يصف له الأطعمة المذنبية الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفي عنه من مرضه وجوعه شيئاً فكذلك صانع
وصف الطاعات دون العمل بها لا يفي من الله شيئاً فكل وعظ لم يضر منك صفة تغيير أفعالك حتى تقبل
على الله تعالى إقبالا قويا أو شفيها وتمرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته
وسيلة لك كشت منوروا . فإن قلت لما ذكرته من مداخل السرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن
الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إلا بقوى أحد من البشر على الحذر من خطايا هذه الآفات . فأقول
الإنسان إذا قترت عنه في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صبح منه الهوى
اعتدى إلى الجلب واستبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى النرض حتى إن الإنسان إذا
أراد أن يستزل الطير المالح في جو السماء مع بعده منه استزله وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق
البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو القضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن
يقتنص الوحوش للطلق في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والطيور عظيم
الحجرات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي وبحث بها أخذها واستخرج الثرباق
من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الدجاج للون النقش من ورق التوت أخذها وإذا أراد أن يعرف
مقابر السكاكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك
باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر القوس لركوب الكلب لاصيد وسخر البازي لقتنص الطيور
وهيا الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الأدبي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك
معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فجزع عن تقويم قلبه
وغذال وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهمة الواحد بل هو
كما يقال • لو صبح منك الهوى أرشدت للحيل • فهذا شيء لم يجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم
باحسان فلا يهجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همة بل لا يحتاج إلى عشر تعب الحلق في
استنباط حيل الدنيا ونظم أسباها . فإن قلت قد قترت الأمر فيه مع أنك أكثر في ذكر مداخل
السرور فبم ينجو العبد من السرور . فأعلم أنه ينجم عنه ثلاثة أمور : بالقل والملم والرفة فله ثلاثة أمور
لا بد منها . أما العقل فأعني به القطرة الفريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء
فالقطة والكيس فطرة الحق والبالدة فطرة والبلبد لا يقدر على التحفظ عن السرور فصفاء العقل
وذكاء الفهم لا بد منه في أصل القطرة فهذا إن لم يطر عليه الإنسان فاكتسابه غير ممكن . ثم إذا حصل
أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم • تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشناتا ^(١) • إن الرجلين ليستوى علمهما وبرهما وصومهما
وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وماقسم الله خلقه حظاؤه أفضل من العقل
واليقين . وعن أبي المرء أنه قيل • يا رسول الله أرايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج
ويحرم ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويحرم الرضى ويشيع الجناز ويحج الضيف ولا يعلم
منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزي على قدر عقله ^(٢) وقال

من حال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وما استغنى عن قيام
الليل وقام حتى تورمت
قدماء وقد يقول بعض
من يحتاج في ذلك إن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعل ذلك لتربعا
فقول ما لنا لا تتبع
تتريه وهذه دقيقة
تضم أن رؤية القضية
في ترك القيام وإدعاء
الإيواء إلى جناب القرب
واستواء النوم واليقظة
امتلاء وإبتلاء حالي
وهو تقييد بالحال
وتحكيم الحال وتحكم
من الحال في العبد
والأقوياء لا يتحكم فيهم
الحال ويصرفون الحال
في صور الأعمال فيهم
متصرفون في الحال
لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول لمن رواية
طاوس مرسلا وفي أوله قصة إسناده ضعيف ورواه نحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث
أبي المرء أنه قيل • يا رسول الله أرايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل والحديث وفيه إنما يجزي على قدر عقله الخاطب
في التاريخ وفي أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي المرء.

أنس لأثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله تقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله؟ قال أنس: يسبب بمعه أعظم من لجور الفاجر وإعما غريب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم^(١) وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل عدة عبادة سأل عن عقله فإذا لم يوافق حسن قال أرجو أن يقلوا غير ذلك قال أنس يبلغ^(٢) وذكر له عدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال أنس يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالتكاه صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل القطرة فإن قامت بإلادة وحماقة فلا تدرك لها . الثاني : العرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة يعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريباً في هذا العالم وأجنيباً من هذه السموات البريية وإنما للوافقي له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه كقطع فلا يتصور أن يعرف هذا عالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستمن على هذا بما ذكرناه في كتاب الحجة وفي كتاب شرح محمّد بن القلب وكتاب التضرع وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويعمل به التنبيه على الجملة وكما العرفة وراعه فإن هذا من علوم الكشافة ولم ينطب في هذا الكتاب إلا في علوم العاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب دم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لانبية للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ناز من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها وبصبرهم أمور ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأول كما كان أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والموالاة والمال فان ذلك هو القصد لانبية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبمعرفة الصادقة عن كمال عقله فيحتاج إلى للمنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والتمسك بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع البادات شروطها فبراعها وآفاتا فيتمها ومن ربيع العادات أسرار العايش وما هو مضطر إليه فيأخذ به أدب الشرع وما هو مستثنى عنه فيعرض عنه ومن ربيع الهالكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان البائع من الله الصفات الذمومة في الخلق فيعلم الذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع للنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفا عن الذمومة بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن ينطب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به التيقن ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فان قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يغذعه الشيطان ويدعوه إلى نصع الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفة من دين الله فان الريد الخالص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع السكدرات واستوى على الصراط للستقيم وصرفت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طعمه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يلق إلاهم

فليعلم ذلك فلما رأينا من الأصحاب من كان في ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقصور . قبل للحسن يا أسعيد إني أبيت معافي وأحب قيام الليل وأعدت طهورى لما إلى لأتوم قال ذنوبك قد نكت فليحذر العبد في نهارة ذنوبا تقديه في ليله وقال النووي رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذهب أذنبته فقبل له ما كان الذنب قال رأيت رجلاً بكاء فقلت في نفسي هذا سراء . وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يسكن قلعت ما بالك أنك نسي بسن أهلك فقال

(١) حديث أنس أثنى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله فقال حديث داود بن الجبر في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل عدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقة البيهقي في الشعب وضعفه.

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد هجر الشيطان عن إغوائه وإدبائه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطعمه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والتصح لهم والدعاء إلى الله فينظر البعد برحمته إلى العبيد بفرام حيارى في أصرهم سكارى في ذنبهم صامعياً قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد موأ الطيب وأشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما بهم وبين لهم ضلالتهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو بقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان بهداً عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا ينصرف لشدة ضريان الألم فوجد له دواء فعوا صفوا من غير غم ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستمد له فبرى وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهادأً باتار بعد شدة التلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من السالين وإذا بهم تلك العلة ببيتهم أو قد طال سهرهم واشتد قلقهم وارضع إلى السجاء أنيهم فذكر أن دواءهم هو الذي يرفوهم بقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فضحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد الخامل بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعزل داؤهم وقرب هلاكهم وإشغافهم وسهل عليه دواؤهم فأنبت من ذات نفسه عزماً جازماً في الاشتغال بصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالاً للفتنة ففادى اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعاه إلى الرئاسة دعاء خفياً أخفى من ديب التل لا يشعر به الرب فظل يزل ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتجسين الألقاظ والنعمات والحركات والتصنع في الزى والمهيئة فأقبل الناس إليه يظلمونه ويحلمونه ويوفرونه توقيراً يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافياً لأدوائهم يحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأزروهم بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولاً كالعبيد والخدم غلاموه وقد موه في المخالفة وحكموه على الملوك والسلطين ففند ذلك انتشار الطبع وارتاحت النفس وذات لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحق معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوق في أعظم لذاتها فند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمانة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فزع عليه بين يدي الحاق غضب فاذ أنكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان غيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد اللذين فيه انقطعوا عن طريق الله فوق في الضرر فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوق في التوبة المخطورة بعد تركه الحلال للتسع ووقع في السكر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بهدان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبق الضحك أوتر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قوله فأنجب ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لاجل ذلك والشيطان غيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفر رأيهم عن طريق الله فيترك الطريق بتركه وإعاد لك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرئاسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يجب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه حتى ذلك عليه ولو لا أن النفس قد استبشرت واستلبت الرئاسة لكان بمنزلة ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقوا في بر وتطلى رأس البئر بحجر كبير فنجروا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تبسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لاهلته

أشد قلت وجمع بولك
قال أشد قلت وما ذاك
قال باب مذاق وسرى
مسبل ولم أقرأ حزبي
البارحة وما ذاك إلا
بذنب أحدثه . وقال
بعضهم : الاحتلام
عقوبة وهذا صحيح
لأن الراعي المتحفظ
بحسن تحفظه وعلمه
بحاله يقدر ويتمسك
من سد باب الاحتلام
ولا يتطرق الاحتلام
إلا على جاهل بحاله أو
مهمل حكم وقته وأدب
حاله ومن كل تحفظه
ورعايته وقيامه بأدب
حاله قد يكون من ذنبه
لوجب للاحتلام ووضع
الرأس على الوسادة إذا
كان ذاعزة في ترك
الوسادة وقد ينهد للنوم
ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه للسلطين من النار فإذا ظهر من أماته أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرايت لو اهتموا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه إن كان خروته هدايتهم فإذا اهتموا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كباثر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فعوذ بالله من زنج القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فإن قلت فلي صبح له أن يشتغل بصبغ الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم فله تعالى وكان يود لو وجد من بينه أو لو اهتموا بأنفسهم وانقطع بالكسبية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذهمهم إذا كان الله يعمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقرن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى الهام أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتعة وأما إلى الهام فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب التزعة في قلوبهم فإنه لا يبالي كيف تراه الهام فلا يترين لها ولا يتصنع بل راعى المشاية إنما غرضه رعاية المشاية ودفع القتب عنها دون النظر المشاية إليه فالمرسائر الناس كالمشاية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهم، ثم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فإن قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لملت الدنيا عن الوعظ وخرت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت العايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا يترفع الحب من قلوب الأكثرين لا أقليلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر مافي حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي ساطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكدلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها يقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا بدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي يقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بانسداد شخص واحد أو أشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فأنما يجتنب أن يفسد طريق الاعتباط فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فإن قلت فإن علم الريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح ورأى شرط الصدق والاخلاص فيه لما الذي يخاف عليه وما الذي يقين بديه من الأخطار وجائل الاغترار . فأعلم أنه بقى عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخرج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن التوبة
من لا يكون ذلك ذنب
وله فيه تبه لعون على
القيام وقد يكون ذلك
ذنباً بالنسبة إلى بعض
الناس فإذا كان هذا
القدر يصلح أن يكون
ذنباً جالباً للاحتلام
نقص على هذا ذنوب
الأحوال فاتها تخص
بأربابها وبمصرفها
أصحابها وقد يرتفق
بأنواع الرفق من
الفسراش الوطىء
والوسادة ولا يعاقب
بالاحتلام وغيره على
فعله إذا كان عالماً بذنبه
يعرف مداخل الأمور
وعجارجها وكمن من
تأثم بسبق القائم لو فر
علمه وحسن نيته وفي
الحبر « إذا نام العبد

عليك لما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على قهرى ومكنتك من التفتن لجميع
مداخل غرورى فيصنى إليه ويسدقه ويحبب نفسه فى فراغه من الغرور كله فيكون إيجابه نفسه
غاية الغرور وهو الهلاك الأكبر فالعجب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت
أنك بمهلك تخلفت منى فيهلك قد وقت فى حيالى . فان قلت قلوم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك
من الله تعالى لانه وإن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونه ومن عرف صنف
نفسه وهجره عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله
تعالى لما اتقى يخاف عليه بعد نفي السبب ، فأقول : يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه
والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوثيرة فى المستقبل ولا يخاف من الفترة والاعقاب فيكون
حاله الاستكمال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن آمن مكر الله فهو خاسر
جدا بل سيئه أن يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سدت
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورثاء وسوء خلق والثقات إلى عز وهو غافل عنه ويكون
خائفا أن يسلب حاله فى كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الحائمه وهذا خطر
لا يحصى عنه وخوف لا نهاية منه إلا بعد عبادة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء
فى قت الزرع وكان قد بقى له نفس فقال أفلت منى يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكى
إلا المالمون والمالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم غاذن للغرور هالك والمخلص القار من الغرور على خطر فذلك لا يفارق الخوف
والحذر فلوب أولياء الله أبدا .

فنسأل الله تعالى الدون والتوفيق وحسن الخاتمة ، فان الأمور بخواتمها .

تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربيع الهالكات ، ويتلوه فى أول ربيع النجيات كتاب التوبة
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه
ثلاث عقد فان قصد
وذكر الله تعالى انحلت
عقده وإن توصنا انحلت
عقده أخرى وإن صلى
ركعتين انحلت العقدة
كلها فأصبح نشيطا
طيب النفس وإلا
أصبح كلال خبيث
النفس « وفى خبر آخر
« إن من نام حتى يصبح
بال الشيطان فى أذنه »
والذى يغفل بقيام الليل
كثرة الاهتمام بأمور
الدنيا وكثرة اشتغال
الهدايا وانجاب الجوارح
والإملاء من الطعام
وكثرة الحديث والقول
والغفط وإعمال القيلولة
وللوقت من يختم وقته
ويسرف داه ودواه
ولا يجهل فيجهل .

صفحة	مفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع الهلكتات
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والقل
٥٩	وما هو للراد بهذه الأسماء
٦١	٥ يان جنود القلب
٦٢	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
٦٣	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٤	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمثته
٦٥	١٢ يان مثل القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة
٦٦	١٥ يان حال القلب بالإضافة إلى أنسام العلوم
٦٧	العقلية والدينية والدينية والأخرية
٦٨	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين
٦٩	طريق الصوفية في استكشاف الحق
٧٠	وطريق النظار
٧١	١٩ يان الفرق بين اللقائين مثال محسوس
٧٢	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل
٧٣	التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم
٧٤	ولامن الطريق المعتاد
٧٥	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالسواس
٧٦	ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٧	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧٨	٣٩ يان ما يؤخذ به العبد من وسواس القلوب
٧٩	ومها وخواطرها وقصودها وما يفي عنه
٨٠	ولا يؤخذ به
٨١	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع
٨٢	بالكلية عند الذكر أم لا
٨٣	٤٤ يان سرعة غلب القلب وأقسام القلوب
٨٤	في التغير والثبات
٨٥	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب)
٨٦	الأخلاق ومعالجة أمراض القلب
٨٧	وهو الكتاب الثاني من ربيع الهلكتات
٨٨	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومفحة سوء الخلق
٨٩	٥١ يان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق
٩٠	٥٤ يان قبول الأخلاق للتبشير بطريق
٩١	الرياضة
٩٢	٥٦ يان السبب الذي به ينال حسن الخلق
٩٣	على الجملة
٩٤	٥٩ يان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق
٩٥	٦١ يان علامات أمراض القلوب وعلامات
٩٦	عودها إلى الصحة
٩٧	٦٢ يان الطريق الذي يعرف به الإنسان
٩٨	عيوب نفسه
٩٩	٦٣ يان شواهد النقل من أرباب البصائر
١٠٠	وشواهد الشرع على أن الطريق في
١٠١	معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات
١٠٢	وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات
١٠٣	بيان علامات حسن الخلق
١٠٤	٦٩ يان الطريق في رياضة الصبيان في أول
١٠٥	نشوئهم ووجه تأديبهم ونحسين أحوالهم
١٠٦	٧٢ يان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة
١٠٧	وتدريج الريد في سلوك سبيل الرياضة
١٠٨	٧٧ (كتاب كسر الشهواتين)
١٠٩	وهو الكتاب الثالث من ربيع الهلكتات
١١٠	٧٨ يان فضيلة الجوع وذم الشبع
١١١	٨١ يان فوائد الجوع وآفات الشبع
١١٢	٨٦ يان طريق الرياضة في كسر شهوة
١١٣	البطن
١١٤	٩٣ يان اختلاف حكم الجوع وفضيحه
١١٥	واختلاف أحوال الناس فيه
١١٦	٩٥ يان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك
١١٧	أكل الشهوات وقلل الطعام
١١٨	٩٦ القول في شهوة الفرج
١١٩	٩٨ يان ما في الريد في ترك الزويج وفعله
١٢٠	١٠١ يان فضيلة من يخالف شهوة الفرج
١٢١	والعين

صفحة

صفحة

١٠٤ (كتاب آفات اللسان)

وهو الكتاب الرابع من ربيع للهلكات

١٠٥ بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

١٠٨ الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام

فيا لا يحنك

١١١ الآفة الثانية فضول الكلام

١١٢ الآفة الثالثة الخوض في الباطل

١١٣ الآفة الرابعة الرأاء والجدال

١١٥ الآفة الخامسة المحسومة

١١٦ الآفة السادسة التفرغ في الكلام بالتشديق

وتكلف السجع والفصاحة الخ

١١٧ الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة

اللسان

١١٩ الآفة الثامنة اللعن

١٢٣ الآفة التاسعة الفناء والشعر

١٢٤ الآفة العاشرة الزناح

١٢٨ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء

الآفة الثانية عشرة إفشاء السر

١٢٩ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب

١٣٠ الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول

واليمين

١٣٤ بيان ما يخص فيه من الكذب

١٣٦ بيان العذر من الكذب بالمراض

١٣٨ الآفة الخامسة عشرة النية

١٤٠ بيان معنى النية وحدودها

١٤٢ بيان أن النية لا تقتصر على اللسان

١٤٣ بيان الأسباب الباعثة على النية

١٤٥ بيان العلاج الذي به يمتنع اللسان عن النية

١٤٧ بيان تحريم النية بالقلب

١٤٨ بيان الأعداء للرخصة في النية

١٥٠ بيان كفاية النية

١٥١ الآفة السادسة عشرة النيمة

١٥٢ بيان حد النيمة وما يجب في ردها

صفحة

١٥٤ الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين

١٥٦ الآفة الثامنة عشرة للدح

١٥٧ بيان ما على المدوح

١٥٨ الآفة التاسعة عشرة النغلة عن دقائق

الخطأ في حقوى الكلام

١٥٩ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات

الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ

١٦٠ (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)

وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات

١٦١ بيان ذم الغضب

١٦٣ بيان حقيقة الغضب

١٦٥ بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أمسه

بالرياضة أم لا

٢٦٨ بيان الأسباب المهيبة للغضب

١٦٩ بيان علاج الغضب بعد هيجانه

١٧١ بيان فضيلة كظم الغيظ

١٧٢ بيان فضيلة الحلم

١٧٥ بيان القدر الذي يجوز الانتصار والنشفي

به من الكلام

١٧٧ القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة

العفو والرفق

١٧٧ فضيلة العفو والإحسان

١٨١ فضيلة الرفق

١٨٣ القول في ذم الحسد وفي حقيقة وأبوابه

ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

بيان ذم الحسد

١٨٥ بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراجه

١٨٨ بيان أسباب الحسد والتنافه

١٩٠ بيان السبب في كثرة الحسدين الأمثال

والأقران والإخوة وبني الم والأقارب

ونأ كده وقتله في غير م وضعه

١٩٢ بيان الهواه الذي ينفي مرض الحسد عن

القلب

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
١٩٥	بيان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب	١٩٦	(كتاب ذم الدنيا)
١٩٧	بيان ذم الدنيا	٢٠٦	بيان الواغظ في ذم الدنيا وصفها
٢٠٩	بيان صفة الدنيا بالأمانة	٢١٤	بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق البعد
٢١٤	بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها	٢١٩	التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم وخالقهم ومصدم وموردم
٢٢٥	(كتاب ذم البخل وذم حب المال)	٢٢٦	بيان ذم المال وكراهة حبه
٢٢٨	بيان مدح المال والجمع بينه وبين المم	٢٣٠	بيان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٣٢	بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة	٢٣٧	والأيسر مما في أيدي الناس
٢٣٥	بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة	٢٤٧	بيان فضيلة السخاء
٢٤٧	بيان ذم البخل	٢٤٨	حكايات الأسغيا
٢٥٠	حكايات البخل	٢٥١	بيان الإيثار وفنائه
٢٥٣	بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما	٢٥٥	بيان علاج البخل
٢٥٧	بيان مجموع الوظائف التي على البعد في ماله	٢٥٨	بيان ذم النفي ومدح الفقر
٢٦٨	(كتاب ذم الجاه والرياء)	٢٧٠	بيان معنى الجاه وحقيقته
٢٧١	بيان ذم حب الجاه	٢٧٢	بيان سبب كون الجاه محبوبا للطبع
٢٧٣	حق لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة	٢٧٦	بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له
٢٧٨	بيان ما يبعد من حب الجاه وما يندم	٢٧٩	بيان السبب في حب اللذخ والتناء
٢٨٠	وإرباب النفس به ويميل الطبع إليه	٢٨١	وبفضها للدم وتضرتها منه
٢٨٣	بيان علاج حب الجاه	٢٨٤	بيان وجه العلاج لحب اللذخ وكراهة المم
٢٨٥	بيان اختلاف أحوال الناس في اللذخ والدم	٢٨٦	الشرط الثاني من الكتاب في طلب الجاه
٢٨٧	والسزلة بالمبادات وهو الرياء وفيه	٢٨٩	بيان ذم الرياء إلى آخره
٢٩٠	بيان ذم الرياء	٢٩٣	بيان حقيقة الرياء وما يرامى به
٢٩٧	بيان درجات الرياء	٢٩٩	بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من
٣٠٢	ديب الخلل	٣٠٣	والجلى ، ومالا يحيط
	بيان ما يحيط بالعمل من الرياء الخفي		بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

فهرس

بقية عوارف المعارف للسروردي الذي بالمهاشي

سلسلة	سلسلة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	٢ الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار	١١٠ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه	٢٢٣ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من الصالحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب للعين على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠ الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون في هبم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها